بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[١].

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وإن من أهم الأمور التي ينبغي أن يتوفر للعبد فيه الفرقان الذي يفرق به بين الحق والباطل: مسألة التعظيم؛ إذ هي مزلة

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها خطبه رواها أبو داود برقم: (٢١١٨)كتاب النكاح،باب في خطبة النكاح ص: (٣٢١)، والترمذي برقم: (١١٠٥)كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح ص: (٢٦١)، والنسائي برقم: (٣٢٧٨)كتاب النكاح، باب مايستحب من الكلام عند النكاح ص: (٥٠٧- ٥٠٨)، وصححها الترمذي، وصححها الألباني كما في الإحالات للسنن المذكورة، وروى أولها مسلم في صحيحه برقم: (٢٠٠٥) كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة (٦/٣٩٤-٣٩٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وروى آخرها برقم: (٢٠٠٢) كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة (٦/٣٩٢).

أقدام، لا معصوم منها إلا من رحم الله بتوفيقه للسير على وفق ما حدده الشرع، والتقيد بما رسم الدين الحنيف فما عظمه الشرع عظمه، وما أهانه الشرع أهانه، وأعطى كلَّ ما ورد الشرع بتعظيمه القدر الذي حدده الشرع، ولم يزد على ما ورد، ولم ينتقص منه شيئاً، وأما من ساوى بين ما فرق الشرع بينه في الأحكام أو أعطى واحداً منها من التعظيم فوق ما حدد الشرع فقد تعدى وأساء وظلم .

ومسألة التعظيم من الأمور التي كثير من البشر في الخطأ فيها منذ عصور غابرة، وأزمان موغلة في القدم؛ فقد أخبر الله تعالى عن أول انحراف للبشرية عن التوحيد، وهو الذي كان في قوم رسولِ الله نوحٍ عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣] قال ابن عباس[1] رضي الله عنهما عن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ورد ذكرهم في الآية: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "[2]. فأول شرك وقع في الأرض هو بسبب الغلو في الصالحين والمبالغة في تعظيمهم فوق ما حدده الشرع.

واستمر وجود الخلل في الأمم في مسألة التعظيم فكان سبب ترك كثير منهم دينهم، فوقعوا في الانحراف ما بين إفراط وتفريط، فوقع الغلو من بعضهم في الأنبياء فألهوهم من دون الله تعالى، وجفوا في حق بعضهم فكذبوهم واتهموهم بما هم منه براء، وقتلوا بعضهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾

---

(١) هو الصحابي الجليل، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، ومن فقهاء الصحابة الكبار ت: (٦٨هـ) بالطائف. انظر: الاستيعاب ص: (٤٦٥- ٤٦٨)، أسد الغابة ٣/١٨٦ - ١٩٠، الإصابة ٢/١٠٧٤- ١٠٨٠.

(٢) رواه البخاري برقم: (٤٩٢٠) كتاب التفسير، باب﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾ ٨/٨٥١.

النساء: ١٧١، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ التوبة: ٣٠.

ويقول ابن أبي العز[١]رحمه الله:" وهم [يقصد النصارى] قصدوا تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم، وأعرضوا عن اتباعهم فيما أمروهم به ونهوهم عنه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وكذلك الغلاة في بعض الصحابة أو الأئمة أو المشايخ يقصدون تعظيمهم لكن بجهل؛ فإنهم ينزلونهم منزلة الرسول، وإن لم يسموهم رسلاً، ولكنهم يعاملونهم معاملة الرسول، بل قد يفضي بهم إلى إنزالهم منزلة الربوبية وهم لايشعرون لجهلهم، والمحبة مع التعظيم هي العبادة؛ قال ﷺ: (**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم**[٢]) الحديث"[٣].

كما أنه قد وقع الخلل في التعظيم من المنتسبين إلى الإسلام فلم يقل القدرية ولا الجبرية ولا نفاة الصفاة بما قالوا إلا تعظيماً لله تعالى وإرادةً لتنزيهه عن النقائص والعيوب بزعمهم، فوقعوا في ما فروا منه أو أشد.

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي[٤] رحمه الله: وذكر عنده أن الجهمية[٥] ينفون أحاديث الصفات، ويقولون: الله أعظم من أن يوصف بشيء من هذا، فقال عبد الرحمن

---

(١) هو الإمام أبو الحسن، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، فقيه من أهل السنة والاتباع، وهو صاحب الشرح المشهور للطحاوية، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وامتحن. توفي سنة: (٧٩٢ هـ). انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر ١/٤٠٨-٤٠٩، الدرر الكامنة لابن حجر ٤/١٠٣ شذرات الذهب لابن العماد ٨/٥٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم: (٢٨٨٧) كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة ٦/١٠٠.

(٣) الاتباع ص: (٨٢) .

(٤) هو الإمام عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن، أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي مولاهم، البصري، وكان من علماء الحديث ونقاده، ومن الفقهاء، وكان إماماً، حجة، قدوة في العلم والعمل، متبعاً للسنن، دافعاً للأهواء، توفي بالبصرة سنة: (١٩٨هـ).انظر: حلية الأولياء ٩/٣- ٦٣، سير أعلام النبلاء ٩/١٩٢- ٢٠٩.

(٥) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، قُتِلَ سنة: (١٢٨هـ) وأهم أقوالهم: تعطيل أسماء الله وصفاته ونفيها، والزعم بحلول الله في كل مكان.والقول بفناء الجنة والنار، والقول بخلق القرآن، =

(ابن مهدي) : " قد هلك قوم من وجه التعظيم فقالوا: الله أعظم من أن يُنزِل كتاباً أو يرسل رسولاً، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ ﴾ [الأنعام: ٩١] ثم قال: هل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم ؟ قالوا: الله أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد من هو أقرب إليه منا، فعبدوا الشمس وسجدوا لها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣]"[(١)].

ولا زال الخلل في التعظيم موجوداً في بعض المنتسبين للإسلام، فنجد بعضهم يغلو في تعظيم من يعتقد فيه الولاية وينحرف في هذا الباب انحرافاً عظيماً، ونجد البعض يدعو من دون الله نبياً أو ولياً أو مَلَكاً من الملائكة، ولا يدعو الله إلا بواسطة، ظناً منه أنه من تعظيم الله أن يجعل بينه وبينه وسائط في الدعاء.

يقول ابن القيم[(٢)] رحمه الله:" المشرك إنما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى، أو أنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء؛ كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصد تعظيمه..."[(٣)].

وقد أمر الله تعالى بتعظيم شعائره، وأمر بتعظيم حرماته، فقال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾[الحج: ٣٠]، وقال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ

ونفي رؤية الله يوم القيامة، والقول بأن الإيمان هو المعرفة. انظر: مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١،الفرق بين الفرق ص: (١٦١)، الملل والنحل ٩٧/١ - ٩٩، مجموع الفتاوى ٦٧/٤.

(١) الحجة في بيان المحجة ٤٧٦/١- ٤٧٧.

(٢) هو الإمام المفسر الفقيه المحدِّث الأصولي المفنن، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أبرز تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله، له مؤلفات عظيمة منتشرة مشتهرة كمدارج السالكين والفوائد وزاد المعاد وغيرها من المؤلفات النافعة الماتعة، توفي عام: (٧٥١ هـ). ذيل طبقات الحنابلة ٤٤٧/٢- ٤٥٢.

(٣) الجواب الكافي (الداء والدواء) ص: (٢٩٧).

شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] ؛ فتعظيم ما عظمه الله من الإيمان، وعلامة على التقوى والخير.

فلأهمية مسألة التعظيم وتأكد بيان الحق فيها، وبيان ضلال من انحرف في هذا الباب وجدت عندي العزيمة في أن يكون مشروع البحث العلمي في مرحلة (الدكتوراه) بعنوان:

(المسائل العقدية المتعلقة بالتعظيم)

سائلاً الله تعالى التوفيق والإعانة والتسديد .

أهمية الموضوع:

البحث في هذا الموضوع مهم للغاية وتبرز أهميته في أمور:

١. أن التعظيم لما ورد الشرع بتعظيمه من أعظم العبادات وأجل القربات، وهو امتثال لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج: ٣٢] .

٢. خطورة تعظيم ما لم يعظمه الشرع مما يوقع الناس في الكفر أو البدعة.

٣. انتشار التعظيم البدعي والشركي في الأمة الإسلامية .

٤. بيان سماحة الإسلام ويسره وما في الشرك والبدع من المشقة والنصب، وما من شك أن الذين وقعوا في التعظيم الشركي والبدعي قد تركوا ما فيه السماحة واليسر والسلامة من كل شر إلى ما فيه النصب والمشقة والوقوع في المهالك.

أسباب اختيار البحث:

١. أن هذا البحث يبين ويجلي مسألة التعظيم الشرعي، وهي من أعظم المسائل، ويحذر من التعظيم المخالف والذي كان هو منشأ ضلال عامة من أخطأ في أبواب العقيدة في الماضي والحاضر.

٢. أن هذا الموضوع لم يتم بحثه حسب ما اطلعت عليه.

٣. أهمية هذا الموضوع كما سبق بيان ذلك.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد البحث والتحري أيَّ دراسة سابقة في موضوع المسائل العقدية المتعلقة بالتعظيم، وبيان ضوابط التعظيم وحدوده، مع التركيز على مسألة تعظيم الله تعالى، ثم بيان ما شرع تعظيمه، وما منع تعظيمه. وإنما هناك بعض الدراسات تكلمت عن بعض جوانب الموضوع، وهي مختلفة عن هذه الدراسة، وتلك الدراسات هي:

١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي للباحث: محمد أحمد لوح، وهي كما هو واضح من عنوانها تبحث في تقديس الأشخاص فقط، وبحثي هو في التعظيم عموماً، وتلك الرسالة تبحث في الفكر الصوفي خصوصاً، وبحثي يتحدث عن الانحراف في التعظيم عند أشهر الأديان والفرق، وليس مقصوراً على الصوفية، كما أن تلك الرسالة تعتني بتوضيح بدعية التقديس، بينما بحثي يبدأ بتأصيل التعظيم الشرعي، ثم التطرق للتعظيم المخالف للحق، مركِّزاً على بيان وجه مخالفة هذا التعظيم ومجانبته للصواب.

٢) رسالة: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من تقديس الأماكن والأزمان. للباحث: أبو بكر صار، وهي كما يتضح من عنوانها تتحدث عن مسألة تقديس الأزمان والأماكن، وفي تقرير هذه المسألة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فحسب.

٣) تعظيم الآثار والمشاهد وأثره في الأمة الإسلامية. من إعداد: عبد العزيز بن عبد الله الجفير، وهي كما هو واضح من عنوانها في تعظيم الآثار والمشاهد فحسب.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وفهارس تفصيلية على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان الافتتاحية.

أهمية الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع.

الدراسات السابقة.

خطة البحث.

منهج البحث.

التمهيد: التعظيم وضوابطه، ووسطية أهل السنة فيه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم لغة وشرعاً، والألفاظ المرادفة للتعظيم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعظيم لغة وشرعاً**.

المطلب الثاني: **الألفاظ المرادفة للتعظيم**.

المبحث الثاني: ضوابط التعظيم وحدوده، ووسطية أهل السنة فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول:ضوابط وحدود التعظيم في الشرع.

المطلب الثاني: وسطية أهل السنة في باب التعظيم إجمالاً.

الباب الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى:

وفيه تمهيد و أربعة فصول:

التمهيد: تعظيم الله تعالى: أدلته وأسبابه وآثاره، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة الدالة على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى .

المبحث الثاني: أن التعظيم حق لله تعالى، والفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعظيم حق لله تعالى**.

المطلب الثاني: الفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق.

المبحث الثالث: أن الدين كله قائم على تعظيم الله تعالى. **وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: قيام العقيدة الإسلامية على تعظيم الله تعالى.

المطلب الثاني: قيام العبادات على تعظيم الله عز وجل.

المبحث الرابع: الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى.

المبحث الخامس: أثر تعظيم الله تعالى على إيمان العبد.

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بأسمائه وصفاته: وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان الواجب تجاه نصوص الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

المطلب الثاني: وجوب الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثالث: دلالة مذهب السلف في الصفات على تعظيم الله تعالى.

المبحث الثاني: كمال العظمة لله تبارك وتعالى بكمال أسمائه وصفاته، وبيان الاسم الأعظم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كل أسماء وصفات الرب تعالى كاملة لانقص فيها بوجه من الوجوه.

المطلب الثاني: أنه لكمال صفات الرب ﷻ وعظمتها لايحاط بها.

المطلب الثالث: الاسم الأعظم.

المبحث الثالث: دلالة عظمة بعض المخلوقات على عظمة خالقها سبحانه.

المبحث الرابع: تعظيم الله تعالى بنفي مماثلته لأحد من خلقه.

المبحث الخامس: تعظيم الله تعالى بترك التسمي بالأسماء والاتصاف بالصفات التي فيها منازعة لعظمة الله تعالى.

الباب الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالتعظيم في بقية أركان الإيمان الستة، وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام والكتب، وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعظيم الشرعي للملائكة عليهم السلام .

المطلب الثاني: المخالفون في هذا الباب من أصحاب الغلو والجفاء .

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم كتب الله عز وجل ووحيه، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعظيم كتب الله عز وجل واحترامها وعدم إهانتها.

المطلب الثاني: تعظيم القرآن الكريم .

المطلب الثالث: المخالفون في تعظيم الكتب السماوية.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأنبياء والمرسلين والمخالفون في ذلك من أصحاب الغلو والجفاء، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بهم.

المطلب الثاني: اعتقاد اصطفاء الله تعالى لهم واختياره لهم على البشر.

المطلب الثالث: أنهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم ولم يكتموا منه شيئاً.

المطلب الرابع: المخالفون في تعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام من أهل الغلو والجفاء.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم نبينا محمد ﷺ، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الخامس: تعظيم بعض الأشجار والأحجار والعيون والمغارات والعمد والحيطان ومواضع مخصوصة.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأزمنة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأزمنة.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والشركي للأزمنة .

الباب الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأشخاص وآثار التعظيم، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم صحابة رسول الله ﷺ، وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف الصحابي .

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للصحابة، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد فضلهم وعدالتهم.

المطلب الثاني: محبتهم وموالاتهم، والترضي عنهم جميعاً، ونشر محاسنهم.

المطلب الثالث: اعتقاد أنهم نقلوا لنا هذا الدين كما بلغهم.

المطلب الرابع: عدم الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

المطلب الخامس: السكوت عن أخطائهم وزلاتهم.

المطلب السادس: السكوت والكف عما شجر بينهم.

المطلب السابع: اتباعهم والسير على منهاجهم.

المبحث الثاني: المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم آل بيت رسول الله ﷺ، وفيه تمهيد ومبحثان.

تمهيد: المراد بآل بيت النبي ﷺ .

المبحث الثاني: التعظيم الشركي والتعظيم البدعي للأولياء والصالحين.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم عموم المسلمين وغيرهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لعموم المسلمين، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: النصيحة لهم.

المطلب الثاني: مولاتهم ومحبتهم ومودتهم.

المطلب الثالث: معاملتهم بالرحمة ولين الجانب.

المطلب الرابع: ترك ازدرائهم واحتقارهم.

المطلب الخامس: الحكم بإسلامهم ما لم يظهر منهم خلاف ذلك.

المطلب السادس: عدم تكفير المسلم بغير دليل شرعي.

المطلب السابع: تعظيم حرماتهم.

المطلب الثامن: إكرام ذوي الفضل من عامة المسلمين وتوقيرهم.

المبحث الثاني: التعظيم المنهي عنه للمبتدعة والعصاة من المسلمين . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النهي عن تعظيم المبتدعة من المسلمين.

المطلب الثاني: النهي عن تعظيم العصاة من المسلمين .

المبحث الثالث: التعظيم المنهي عنه لغير المسلمين . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحريم تعظيم غير المسلمين.

المطلب الثاني: مظاهر تعظيم غير المسلمين.

الفصل السادس: الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي، والآثار الناتجة عن التعظيم البدعي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي إجمالاً.

المبحث الثاني: الآثار الناتجة عن التعظيم البدعي إجمالاً .

الخاتمة.

الفهارس العلمية: وتحتوي على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام .
- فهرس المصطلحات العلمية والكلمات الغريبة.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١. جمع المسائل المتعلقة بالتعظيم من مظانها، من كتب العقيدة وغيرها وبحثها .

٢. العناية بإيراد الأدلة من الكتاب والسنة في المسائل المبحوثة.

٣. أهتم في التعظيم عند المخالفين لأهل السنة ببيان وجه بدعية التعظيم، مع التعرض للشبه، ودحضها.

٤. بيان كيفية التعظيم لمن شرع تعظيمه.

٥. بيان وجه بدعية التعظيم عند المخالفين لأهل السنة والجماعة.

٦. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني وعزوها لسورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٧. عزو الأحاديث إلى كتب السنة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما عزوته إلى كتب السنة الأخرى مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته .

٨. التأصيل العلمي في البحث، والنقل عن المتقدمين، مع الاستفادة من كتب المتأخرين.

٩. الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.

١٠. التعريف الموجز بالأماكن والبلدان وكل ما يحتاج إلى تعريف.

١١. تفسير الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

١٢. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٣. أختصر في تسميات بعض الكتب، فمثلاً إذا قلت: "السير" فالمراد سير أعلام النبلاء للذهبي، وقد أذكره بدون اختصار، وإذا قلت: تفسير السعدي فهو المسمى ب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. وإذا قلت: تفسير ابن كثير فهو تفسيره المعروف المسمى ب: تفسير القرآن العظيم. وإذا قلت: تفسير الطبري فهو تفسيره المعروف المسمى ب: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ونحو ذلك.

١٤. الطبعات التي اعتمدت عليها لسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه هي طبعة مكتبة المعارف، وكل حديث من أحاديثها مصدّر بحكم الشيخ الألباني عليه؛ فإذا قلت صححه الألباني أو حسنه أو ضعفه، وكان الحديث في تلك السنن، فنفس الإحالة إلى الحديث هي الإحالة على أحكام الشيخ رحمه الله.

١٥. تذييل البحث بالفهارس التفصيلية على النحو المبين في الخطة .

شكر وعرفان

أحمد الله تعالى وأشكره على مامَنَّ به عليَّ من نعمه التي لا تحصى وأفضاله التي لا تستقصى، ومن نعمه نعمة الإسلام والسنة، وهي أجل النعم، ومن نعمه: نعمة التوجه لطلب العلم الشرعي، والانتساب لهذه الجامعة العريقة، ثم أحمد الله تعالى وأشكره على مامنَّ به عليَّ من الانتهاء من هذا البحث وإكمال هذه الرسالة، فلله الحمد والشكر ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً، كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل مقبولاً عنده، خالصاً لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه، ولقارئيه، إنه سميع مجيب.

ثم أشكر والدي الكريمين، وأسأل الله أن يبارك في أعمارهما وأعمالهما، ويحفظهما بحفظه، ويصلح ذريتهما.

ثم أشكر شيخي وأستاذي وموجهي مشرف البحث فضيلة الشيخ أ.د / سليمان بن سالم السحيمي رئيس قسم العقيدة، الذي كان نعم الموجه والمشرف متحلياً بالصبر ودماثة الخلق المعروفين عنه، مع كثرة أعماله ومشاغله؛ فبارك الله له في علمه وعمله وأهله وذريته ووقته.

وأشكر قسم العقيدة وأعضاءه المشايخ الفضلاء وكليتنا العريقة (كلية الدعوة وأصول الدين) وبالأخص شيخي فضيلة أ.د/ سعود بن عبد العزيز الخلف، عميد الكلية على ما يوليه طلاب العلم في هذه الكلية من رعاية واهتمام، ولفضيلته جهد مشكور في وضع خطة هذا البحث، فقد كان هو المرشد لي في كتابة الخطة، والمشجع على البحث في هذا الموضوع، جزاه الله خيراً وجعل ما قدم في ميزان حسناته.

ثم أشكر جامعتنا المحبوبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هذا الصرح الشامخ، وهذه المنارة العلمية التي نهلنا العلم في رياضها، واستقينا الأدب في جنباتها، وشكر خاص لمعالي مديرها الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد الله السند على جهوده الحثيثة للارتقاء بالجامعة وتطويرها، وعلى ما يوليه طلبةَ العلم فيها من حفاوة، وعلى ما يسعى إليه من تهيئة الأجواء للعلم والتربية الصحيحة وتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الجامعة والآمال المرجوة من طلابها - حقق الله تعالى له كل ما يصبوا إليه من الخير -.

ثم أشكر كل من ساعدني في هذا البحث بأي مساعدة، وهم إخوة فضلاء كثر، جزاهم الله تعالى خير الجزاء. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التمهيد:

التعظيم وضوابطه، ووسطية أهل السنة فيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم لغة وشرعاً، والألفاظ المرادفة للتعظيم.

المبحث الثاني: ضوابط التعظيم وحدوده، ووسطية أهل السنة فيه.

المبحث الأول:

التعظيم لغة وشرعاً، والألفاظ المرادفة للتعظيم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

التعظيم لغة وشرعاً.

التعظيم لغة: مصدر تفعيل، عظم، يعظم، تعظيماً، وهذه المادة (عظم) تدل على كبر وقوة[(١)]، والتعظيم: التبجيل والتفخيم والتكبير، يقال: عظّمه، أي: فخّمه وبجّله وكبّره.

ويقال: استعظمه، أي: عدّه عظيماً.

كما تطلق هذه المادة (عظم) على الكثرة، فمعظم الشيء، وعُظْم الشيء: أكثره وغالبه[(٢)].

التعظيم اصطلاحاً: التعظيم يَرِدُ على أشياء كثيرة متنوعة، وتختلف أحكامه بحسب ما يضاف إليه، فتارة يكون تعظيماً مشروعاً، وتارة يكون ممنوعاً، وكل منهما (المشروع والممنوع) درجات متفاوتة يصعب حصرها في تعريف واحد.

ومن هنا فلا بد من تعريف التعظيم المشروع على حِدة، وتعريف التعظيم الممنوع على حِدة.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص: (٧٨٩)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: (١١٣٨-١١٣٩).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ص: (٧٨٩)، الصحاح للجوهري (١١٦١/٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص: (٦٢٥)، لسان العرب لابن منظور (١٩٩/١٠-٢٠٠)، القاموس المحيط ص: (١١٣٩).

التعظيم الشرعي هو: معرفة قدر الشيء الذي جاء الشرع بتعظيمه وتبجيله، والقيام بما أوجبه تجاه ذلك الشيء.

وقلت في التعريف: "والقيام بما أوجبه" لأنه توجد أشياء عظيمة في الشرع لا يكفي في تعظيم العبد لها تعظيماً شرعياً أن يعرف عظمة قدرها، بل يجب عليه أن يقوم بما يدل على تعظيمها، مثل: عبادة الله تعالى دالة على تعظيم الله تبارك وتعالى، ولا يكفي أن يقر بها الإنسان، بل يجب أن يقوم العبد بها عملياً مخلصاً لله متبعاً لرسوله ﷺ.

أما **التعظيم الممنوع**: فهو ما لم يأت به كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهو درجات متفاوتة، قد يكون تعظيم أشياء من باب الشرك الأكبر، أو يكون بدعة محرمة.

ويمكن أن يقال:

التعظيم الممنوع هو: تبجيل وتفخيم من لم يرد الشرع بتعظيمه، أو الزيادة في ذلك على ما ورد به الشرع.

فهذا التعريف يشمل تعظيم مانهى الشرع عن تعظيمه مثل: القبور، والأصنام، والكفار والمنافقين، ويشمل الزيادة في التعظيم على ما ورد به الشرع؛ فقد يأتي بعض الناس ويزيد في تعظيمِ ما أمر الشرع بتعظيمه زيادة تخرجه عن أن يكون تعظيمًا شرعياً، مثل: من يعظم الرسول ﷺ ويبالغ في ذلك حتى يصل به الأمر إلى الغلو فيه ورفعه فوق منزلته قاصداً بذلك تعظيمه وإجلاله.

ومثل: الغلو في تعظيم الأولياء والصالحين وولاة الأمور، فإن تعظيم هؤلاء وتقديرهم واجب، لكن الإشكال في أن يُزاد في المشروع فيغلو الإنسان في الأولياء والصالحين؛ كأن يعتقد أن لهم تصرفاً في الكون، وأنهم يعلمون الغيب، أو يجعلهم شركاء لله في التشريع ونحو ذلك.

المطلب الثاني:

الألفاظ المرادفة للتعظيم.

هناك مصطلحات وألفاظ كثيرة قريبة من معنى التعظيم، ويحصل أن يُطلق بعضها على بعض في استعمالات كثيرة، ويعبَّر ببعضها عن بعض.

ومن هذه المصطلحات:

١- **التوقير**: وأصل هذه المادة يدل على الثقل والسكون والرزانة والحلم[١]، يقال: وقّرت الرجل الوقار، إذا عظمته، قال في اللسان: "وقّر الرجل: بجّله... والتوقير: التعظيم والترزين"[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

قيل معنى:﴿وَتُوَقِّـرُوهُ﴾: التعظيم والتسويد والتفخيم[٣].

قال ابن جرير[٤] في تفسيره: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم"[٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ص: (١١١)، المفردات للراغب ص: (٥٤٤).

(٢) لسان العرب ٢٥٧/١٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٦، تفسير القرطبي: ٢٢٧/١٦، أحكام أهل الذمة لابن القيم: ١٣٢٨/٣.

(٤) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، له التفسير المشهور،وله التاريخ، والتبصير وغيرها، كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه، وفي التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك، متفنناً في العلوم، توفي سنة: (٣١٠) هـ. انظر: فهرست ابن النديم ص: (٣٢٦- ٣٢٧)، السير للذهبي ٢٦٧/١٤- ٢٨٢، الوافي بالوفيات للصفدي ٢١٢/٢- ٢١٤.

(٥) تفسير الطبري: ٨٨/٢٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله مبيناً معنى توقير الرسول ﷺ: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: "والتوقير هو: التعظيم الصادر عن الهيبة والإجلال"[٣].

وقال ابن كثير[٤] رحمه الله: " ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾: التوقير: هو الاحترام والإجلال والإعظام"[٥].

---

(١) هو شيخ الإسلام الإمام العلم تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحراني، من الأئمة المجتهدين المحققين، المبينين للحق، الرادين على أهل البدع، له المؤلفات الكثيرة النافعة منها: منهاج السنة، درء التعارض، بيان تلبيس الجهمية، التسعينية، الصارم المسلول، اقتضاء الصراط المستقيم. له فتاوى كثيرة جمعت في مجلدات، توفي سنة: (٧٢٨ هـ) رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً. انظر في ترجمته: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام...ابن تيمية للبزار، البداية والنهاية لابن كثير ١١٧/١٤ – ١٢٢ من أعلام المجددين للشيخ صالح الفوزان ص: (٣٥ – ٨٢)، رجال الفكر والدعوة للندوي الجزء الثاني خاص بحياة شيخ الإسلام.

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية ص: (٤٢٠).

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ٦٣٥/٢.

(٤) هو الإمام الحافظ المفسر المؤرخ، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، الشافعي المذهب، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ورحل في طلب العلم، تناقل الناس تصانيفه في حياته، ومنها (البداية والنهاية)، (شرح صحيح البخاري) لم يكمله، (تفسير القرآن العظيم)، توفي بدمشق سنة: (٧٧٤ هـ).انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٥/٣– ٨٦، الدرر الكامنة لابن حجر ٣٧٣/١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٢٩/٧.

٢- **التعزير**: وهو مصدر عزّر يعزّر تعزيراً، قال ابن فارس[1]: "العين والزاء والراء، كلمتان أحدهما: التعظيم والنصر، والكلمة الأخرى جنس من الضرب، فالأولى النصر والتوقير، كقوله تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ﴾"[2].

وقال صاحب النهاية: "التعزير هاهنا: الإعانة والتوقير والنصر مرة بعد مرة، وأصل التعزير المنع والرد، فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه"[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ﴾.

وقد فُسر قوله: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ﴾ بتفاسير متقاربة، فقيل: حموه ووقروه، وقيل: ينصروه، وقيل: عزروه: سددوا أمره وأعانوا رسوله ونصروه، وقيل: بمعنى الإجلال، وقيل: ويوقروه، أمر الله بتسويده وتفخيمه[4].

نقل هذه الأقوال شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله، ثم قال بعد ذلك: "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[5].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته.من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل، توفي سنة: (٣٩٥ هـ). انظر: السير ١٧/١٠٣- ١٠٦، الوافي بالوفيات ٧/١٨١- ١٨٣.

(٢) معجم المقاييس ص: (٧٧١).

(٣) النهاية، ص: (٦١٢).

(٤) انظر: جامع البيان (تفسير الطبري): ٢٦/٨٧-٨٨، وتفسير القرطبي: ١٦/٢٢٨.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦/٢٨٨، وانظر التفسير الصحيح لحكمت بشير: ٤/٣٥٣.

قال ابن تيمية رحمه الله عن معنى تعزير الرسول ﷺ في الآية: "والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[١].

٣- **الإجلال**: وهو مصدر أجَلّه إجلالاً، أي: عظّمه[٢]، قال ابن فارس: "جلّ الشيءُ: عظم، وجُل الشيء: معظمه، وجلال الله: عظمته، وهو ذو الجلال والإكرام، والجلل: الأمر العظيم"[٣].

قال صاحب النهاية: "الجلال: العظمة"[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: "والإجلال هو التعظيم"[٥].

وفي الحديث عن أبي هريرة[٦] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**"[٧].

قال النووي[٨] رحمه الله: "أي: لعظمتي وطاعتي لا للدنيا".

---

(١) الصارم المسلول، ص: (٤٢٠).

(٢) القاموس المحيط، ص: (٩٧٨).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ص: (١٩٩).

(٤) النهاية، ص: (١٦١).

(٥) طريق الهجرتين: (٦٣٣/٢).

(٦) هو الصحابي الجليل راوية الإسلام، أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف الدوسي،مشهور بكنيته، وأشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه: عبد الرحمن بن صخر.قال النووي: إنه أصح[في شرحه لصحيح مسلم ٢٧/١]، قَدِم على النبي ﷺ سنة سبع، وهو أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، توفي سنة: (٥٧هـ) . انظر: أسد الغابة ٣٥٧/٣، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢-٦٣٢، الإصابة ٢٣٨٥/٤- ٢٣٩٤.

(٧) رواه مسلم برقم: (٦٤٩٤)، كتاب: الأدب، البر والصلة، باب: فضل الحب في الله ٣٣٩/١٦.

(٨) هو الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث، علَّم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه: المنهاج في شرح =

وقال ابن القيم رحمه الله: "فهو حب بجلاله سبحانه وتعظيمه ومهابته"[١].

٤- **التبجيل**: قال في القاموس: "بجله تبجيلاً: عَظّمه"[٢].

٥- **التكبير**: وهو مصدر كبّر يكبِّر تكبيراً. وجاء في النصوص الأمر بتكبير الله تعالى، وهو تعظيم الله تعالى وإجلاله واعتقاد أنه لاشي أكبر منه ولا أعظم[٣].

قال الإمام الأزهري[٤] رحمه الله: "وقول المصلي: الله أكبر، وكذلك قول المؤذِّن، وفيه قولان:

أحدهما: أنّ معناه الله كبير، كقول الله جلّ وعزّ: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] ، أي هو هيّنٌ عليه.

ومثله قول مَعنِ بن أوس[٥]: لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ.

معناه: وإني لوجلٌ.

صحيح مسلم، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،المجموع شرح المهذب، روضة الطالبين، توفي سنة: (٦٧٦ هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣٩٥/٩- ٤٠٠، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٥٣/٢- ١٥٧، الأعلام ١٤٩/٨- ١٥٠.

(١) طريق الهجرتين: (٦٣٧/٢).

(٢) القاموس المحيط، ص: (٩٦٤)، وانظر: النهاية، ص: (٦٣).

(٣) انظر: فقه الأدعية: (٢٦٥/١).

(٤) هو العلامة اللغوي الفقيه، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، كان ثقة، ثبتاً، ديِّناً، له مؤلفات عديدة في اللغة والتفسير والمنطق والأدب وغير ذلك، توفي سنة (٣٧٠هـ). انظر: السير ٣١٥/١٦- ٣١٧.

(٥) هو معن بن أوس بن نصر المزني، شاعر مجيد مشهور من المخضرمين، أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعاش إلى فتنة ابن الزبير رضي الله عنه ومروان بن الحكم، وكان معاوية رضي الله عنه يقول كان أشعر أهل الجاهلية من مزينة، توفي سنة: (٦٤ هـ) انظر: الإصابة ١٩٣١/٤، الأعلام ٢٧٣/٧.

والقول الآخر: أنّ فيه ضميراً، المعنى: الله أكبرُ كبيرٍ، وكذلك الله الأعزّ، أي: أعزُّ عزيزٍ، قال الفرزدق[١]:

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أَعَزُّ وأطولُ

معناه: أعز عزيز، وأطول طويل"[٢].

قال الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله: "والصواب من هذين القولين اللذين ذكرهما رحمه الله هو الثاني، بمعنى أن يكون اللهُ عند العبد أكبرَ من كلِّ شيء، أي لا أكبرَ ولا أعظمَ منه، أما الأول فهو غيرُ صحيحٍ، وليس هو معنى الله أكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التكبير يُراد به أن يكون (الله) عند العبد أكبر من كلِّ شيء، كما قال ﷺ لعديٍّ بن حاتم: (**يا عديّ ما يُفرُّك**[٣]؟ **أيُفرُّك أن يُقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم مِن إله إلاّ الله؟ يا عديّ ما يفرُّك؟ أيُفرُّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله؟**)[٤]، وهذا يُبطل قولَ من جعل أكبر بمعنى كبير"[٥].

---

(١) هو الشاعر المشهور همام بن غالب التميمي البصري، الملقب بالفرزدق لتجهمه وغلظ وجهه تشبيها له بالفرزدق وهو العجين الغليظ، شاعر كبير، له أخبار مع جرير والأخطل مشهورة، أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة والحسين وابن عمر وأبي سعيد وغيرهم ﭫ. السير ٤/٥٩٠. مات سنة: (١١٠هـ) وانظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٣١٥ - ٣٢٤.

(٢) تهذيب اللغة ١٠/٢١٤.

(٣) قوله: (**ما يفرُّك؟**) يقال: أَفْرَرْته أُفِرَّه: فعلت به ما يفر منه ويهرب. والمعنى: ما يحملك على الفرار إلا التوحيد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص: (٦٩٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده برقم: (١٩٣٨١) ٣٢/١٢٣- ١٢٥، والترمذي برقم: (٢٩٥٣) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب ص: (٦٦١)، قال الترمذي حسن غريب. وحسنه الألباني .

(٥) فقه الأدعية والأذكار ١/٢٦٦، وكلام شيخ الإسلام انظره في مجموع الفتاوى ٥/٢٣٩.

والتكبير في الشرع ورد خاصاً بالله عز وجل، وقد ذكر شيخ الإسلام أن التكبير أكمل من التعظيم، وأن التكبير يتضمن التعظيم، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة وفي الأذان بقول: الله أكبر"[١].

٦- **التقدير**، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، أي: ما عظموا الله حق تعظيمه[٢].

وكذلك التكريم والإكرام والاحترام[٣]، وغير ذلك من الكلمات التي قد ترد بهذا المعنى في بعض الاستعمالات.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٥٣/١٠، وانظر: نفس المرجع ١١٢/١٦-١١٣.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣١/٢٤، تفسير ابن كثير ١١٣/٧.

(٣) الاحترام كلمة مأخوذة من الحرمة، ولم ترد بهذا المعنى في المعاجم. ويمكن أن تخرَّج على وجه صحيح؛ فإن من معاني الحرمة: المهابة، وهذا اسم من الاحترام مثل الفرقة والافتراق، وعلى هذا ففي الاحترام معنى المهابة والإجلال والتقدير. انظر: معجم الصواب اللغوي ١٠٠/١.

المبحث الثاني:

ضوابط التعظيم وحدوده، ووسطية أهل السنة فيه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

ضوابط التعظيم وحدوده في الشرع.

إن الشرع الحنيف قد عظّم أشياء كثيرة، وأمر بتعظيم أشياء كثيرة، لكنه وضع لذلك الضوابط حتى لا يقع الإنسان في الانحراف في هذا الباب الخطير الذي هو مزلة أقدام، ضل فيه خلق كثير، حيث عظموا ما لم يعظمه الشرع، أو تمادوا في التعظيم وتجاوزوا حدود الشرع فوقعوا في الضلال المبين. ومن هذه الضوابط:

أولاً: أن يكون ذلك التعظيم قد جاء به الشرع وأذِن به، ويكون التعظيم والتبجيل في حدود المأمور والمأذون فيه، فإن التعظيم لما عظمه الشرع عبادة، والعبادة مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾[الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ ﴾ [هود: ١١٢]، فالتعظيم يكون وفق ما جاء في الوحي المطهر، ولا يجوز أن يُبنى على الأهواء الشخصية أوالتخرصات الباطلة أو الأقيسة الفاسدة.

فالتعظيم إذا دل عليه الدليل وجاء الأمر به؛ فهو مشروع ومطلوب، وعلامة على تقوى العبد، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج: ٣٠].

أما إذا كان ذلك التعظيم لم يرد به الشرع، أو تعدى به العبد حدود التعظيم المشروع، فهنا لا يكون طاعة ولا قربة إلى الله عز وجل، بل يكون معصية مبعدة عن الله تعالى، وقد تُدخل الإنسانَ في الكفر أو البدعة المذمومة.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ، فالتعظيم إذا كان غير مضبوط بالضوابط الشرعية والنصوص المرعية فإن المعظِّم سيقع في ألوان من الضلال يظن أنها من التعظيم الشرعي، وأنه مثاب عليها ؛ وليس الأمر كما ظن، قال الحافظ ابن عبد الهادي(١) رحمه الله: " وكل من عظم مخلوقاً بما يكرهه ذلك المعظم ويبغضه ويمقت فاعله، فلم يعظمه في الحقيقة، بل عامله بضد تعظيمه، فتعظيم الرسول ﷺ: أن تطاع أوامره وتصدق أخباره، ولا يقدم على ما جاء به غيره .

فالتعظيم نوعان: أحدهما: ما يحبه المعظم ويرضاه ويأمره ويثني على فاعله، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني: ما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله، فهذا ليس بتعظيم، بل هو غلو مناف للتعظيم، ولهذا لم يكن الرافضة(٢) معظمين لعلي بدعواهم فيه الإلهية والنبوة، أو العصمة ونحو ذلك،

---

(١) هو الإمام المقرئ الفقيه المحدث اللغوي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الجماعيلي الأصل، من مشايخه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظان المزي والذهبي، له كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي، والمحرر في الحديث. توفي سنة: (٧٤٤ هـ). انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٥/١١٥- ١٣١، الدرر الكامنة لابن حجر ٥/٦٢ .

(٢) الرافضة: لقب يطلق على كل من فضل علياً على الخلفاء الثلاثة قبله- رضي الله عنهم جميعاً- ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة بنص من النبي ﷺ فيهم، وأن خلافة غيرهم باطلة، مع سب =

ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا، والنبي ﷺ قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه، فأنكر على معاذ سجوده له[١]، وهو محض التعظيم.

وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس بن مالك[٢] أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا، وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: **(عليكم بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن**

الصحابة والبراءة منهم سوى نفر قليل.وأهم معتقداتهم: دعوى عصمة الأئمة الاثني عشر، والقول بالتقية، والقول بالرجعة، والقول بالبداء على الله عز وجل. وللتوسع في معرفة مذهبهم انظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيعة وأهل البيت، الشيعة والتشيع له، رسالة في الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب، الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود، موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة، ومن كتب الفرق: مقالات الإسلاميين١/٦٥-١٥٠، الفرق بين الفرق ص: (٣١-٥٤)، الفصل لابن حزم ٣/١١١-١٢٣، فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي ١/٣٠٣-٤٦٥، الأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد ص: (١٩٧-٢٣٠).

(١) رواه أحمد في مسنده برقم: (١٩٤٠٣) مسند الكوفيين، حديث عبد الله بن أبي أوفى ٣٢/١٤٥، وابن ماجة برقم: (١٨٨٠) كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة ٢/١٢١، من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، ورواه قبله من حديث عائشة رضي الله عنها، كما روى الترمذي الشطر الأخير منه برقم: (١١٥٩) كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج ص: (٢٧٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وليس فيه قصة معاذ. قال الترمذي: حديث أبي هريرة ﷺ حديث حسن غريب، ثم ذكر أن في الباب عن عائشة وعبد الله بن أبي أوفى وغيرهما من الصحابة ﷺ. وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) هو الصحابي الجليل: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ﷺ، توفي بعد ما عُمِّر بالبصرة سنة: (٩٣هـ) . انظر: الإصابة: ١/٧٩-٨٠.

ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)[(١)]، وقال ﷺ: (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله)**[(٢)] وكان يكره من أصحابه أن يقوموا له إذا رأوه، ونهاهم أن يصلوا خلفه قياماً، وقال: (**إن كنتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم)**[(٣)]، وكل هذا من التعظيم الذي يبغضه ويكرهه"[(٤)].

وكما أنه لا يجوز أن يزاد في تعظيم المخلوق عما أمر به الشرع، فلا يجوز الانتقاص من التعظيم الذي جاء به الدليل من الكتاب والسنة والتقصير فيه؛ كأن ينفي أحد شيئاً منه، أو يؤوله، أو يقصِّر في تعظيم من جاء الشرع بتعظيمه وتكريمه، إما خشية للغلو ونحو ذلك، فإن هذا استدراك مخالف للشرع، كما قد يقع من بعض أهل التفريط.

ثانياً: أن لا يؤدي تعظيم من أمر الشرع بتعظيمه إلى الغلو فيه ورفعه فوق مرتبته التي أنزله الله، كإضفاء بعض الصفات الإلهية على المعظمين من الأنبياء والأولياء، كاعتقاد أنه يعلم الغيب، أو أنه يغيث من دعاه وناداه من المسافات البعيدة، فمن عظم مخلوقاً بهذا التعظيم فهذا انحراف منه عن الجادة والصراط المستقيم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)** "[(٥)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده: برقم: (١٣٥٢٩) ٢١/١٦٦، من حديث أنس ﷺ، وقال عنه محققه: حديث صحيح، وأورده الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: (١٠٩٧) ٣/٨٨، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم: (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾[مريم: ١٦] ٦/٥٨٣، من حديث عمر ﷺ.

(٣) رواه مسلم برقم: (٩٢٧) كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام ٤/٣٥٣- ٣٥٤ .

(٤) الصارم المنكي ص: (٢٨٨-٢٨٩).

(٥) تقدم قريباً ح: (١).

قال الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله: " وقوله[١]: إن المبالغة في تعظيمه واجبة. أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره، والسجود له والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء؟ فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين، أم يريد بها التعظيم الذي شرعه الله ورسوله ﷺ من وجوب محبته وطاعته ومعرفة حقوقه، وتصديق أخباره، وتقديم كلامه على كلام غيره، ومخالفة غيره لموافقته ولوازم ذلك؟ فهذا التعظيم لا يتم الإيمان إلا به، ولكن هذا المعترض وأضرابه عن هذا بمعزل، وإذا أخذ الناس منازلهم من هذا التعظيم فمنزلتهم منه أبعد منزل"[٢].

فإذا أدى تعظيم شخص أو مكان أو زمان أو غيرهما إلى الغلو فيه فهذا في الحقيقة ليس تعظيماً له، بل هو تنقيص له، كما أن غلو النصارى في المسيح عليه السلام كان بدعوى التعظيم فوقعوا في تنقصه، وكغلو الرافضة في علي رضي الله عنه وذريته هو في الحقيقة تنقص لهم واستخفاف بهم .

ويدل على هذا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: **(أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده)**[٣]، فهذا الرجل أراد تعظيم النبي ﷺ لكنه أخطأ في ذلك، حيث عطف مشيئة الرسول ﷺ على مشيئة الرب بحرف الواو المقتضي للتسوية ؛ فوقع فيما يخالف التعظيم الشرعي للنبي ﷺ؛ فأنكر عليه.

---

(١) أي السبكي.

(٢) الصارم المنكي ص: (٣٤٦)، وانظر: صيانة الإنسان للسهسواني: (١٧٨/١).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٧٨٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٩٨٨)، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وحفظ اللسان برقم: (٣٤٢) ص: (١٨٧) .وحسن إسناده الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار ص: (١٠٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة برقم: (١٣٩) ١/٢٦٦- ٢٦٧.

ثالثاً -: التفرقة بين الحقوق المترتبة على ذلك التعظيم، فإن كل من أمر الشرع بتعظيمه رتب لذلك الشيء المعظَّم حقوقاً لا يجوز انتقاصها أو تجاوزها وتعديها.

فإن تعظيم الرب عز وجل - على سبيل المثال- يتضمن العلم والاعتراف بتفرده بالربوبية والأسماء والصفات واستحقاق العبادة دون من سواه وإفراده بها، وهذا الحق هو خاص بالرب عز وجل، لا يجوز أن يصرف شيء منه للمخلوق، فمن صرف شيئاً منه لمخلوق بدعوى التعظيم؛ بأنْ دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو ذبح لغير الله ونحو ذلك قاصداً تعظيم ذلك المخلوق فقد وقع في المحادة لله عز وجل، والواجب هو وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهذا هو العدل الذي أمر الله تعالى به حتى يكون المرء على الصراط المستقيم.

وتعظيم الرسول ﷺ يتضمن الشهادة له بأنه رسول الله، وخاتم الأنبياء، وإثبات العصمة له، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأداء حقوقه على أمته، واتباعه في كل ما أمر به، فمن أثبت شيئاً منه لأحد غيره من غير الأنبياء والرسل فهذا انحراف وضلال، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر والخروج من ملة الإسلام.

وعدم التفرقة في الحقوق هو الذي أوقع كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام في البدع المحرمة وفي الغلو والتجاوز الذي ذمه الشرع وحرمه، وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

رابعاً: - ومن هذه الشروط: أن لا يكون في ذلك التعظيم تنقصٌ للرب الخالق جل وعلا، كمن يريد مثلاً أن يعظم الرسول ﷺ فيبالغ في تعظيمه، فيقع في تنقص الرب عز وجل، كأن يزعم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب، أو أن الأولياء والصالحين يعلمون الغيب، فإن الرب عز وجل هو أحق من عُظِّم وأُجِل، ولا يجوز أن يعظم أي شيء إلا إذا كان تعظيمه مما أمر به الله عز وجل، فإذا أمر الله تعالى بتعظيم شيء كان تعظيمه وفق ما أمر الله عز وجل تعظيماً لله؛ لأنه هو الذي أمر به، أما أن يصل تعظيم ذلك الشيء إلى تنقص الخالق جل وعلا، فهذا خلل في التعظيم، وانحراف عن الطريق المستقيم.

المطلب الثاني:
وسطية أهل السنة في باب التعظيم إجمالاً

إن هذه الأمة – أمة الإسلام- جعلها الله تعالى أمة وسطاً، أي: خياراً وعدولاً، على أعدل المناهج وأقوم الشرائع، لا إفراط ولا تفريط، وأنزل عليهم كتابه الكريم أحسنَ الكتب السماوية والمهيمنَ عليها، وهداهم الله به إلى أحسن العقائد وأحسن العبادات وأزكى الأخلاق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]، وبعث نبيه ﷺ بالحنيفية السمحة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا غلو فيها ولا جفاء.

فعلى من أراد أن يسلك الطريق الصحيح، ويسيرَ على الصراط المستقيم أن يتمسك بهذا الدين، ويلزم الوسطية التي جاء بها هذا الدين في جميع الأمور، فإن دين الله تعالى هدى بين ضلالتين، وسط بين طرفين، قال علي[(١)] رضي الله عنه: "إن دين الله بين الغالي والمقصِّر، فعليكم بالنُّمرقة الوسطى، فإن بها يلحق المقصر، وإليها يرجع الغالي"[(٢)].

ومن مكر الشيطان لبني آدم أنه يحثهم على مفارقة الوسطية في دينهم، ويؤزهم إلى سلوك أحد الطرفين، ولا يبالي بأيهما سلك الإنسان حينئذ، قال بعض السلف: "ما أمر الله

---

(١) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة، ووالد السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأحد كبار الصحابة وعلمائهم وشجعانهم، شهد بدراً، والمشاهد بعدها إلا تبوك، فإنه خلّفه رسول الله ﷺ على المدينة وعلى عياله، تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه سنة: (٣٥ هـ)، وقتل رضي الله عنه شهيداً سنة: (٤٠ هـ). انظر: الاستيعاب ص: (٥٢٧- ٥٤٤)، الإصابة ٢/١٢٩٤- ١٢٩٧.

(٢) ذكره أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١/٢٠، والزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢/٢٤٧.

تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى تجاوز وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر"[١].

ومن أهم الأمور التي يجب سلوك منهج الوسطية فيها هو (باب التعظيم) ، وذلك بأن يعظم المسلم ما أمر الشرع بتعظيمه بالقَدْر الذي أمر به الشرع، ولا يتجاوز في ذلك ولا يغلو، ويحذر في المقابل من تنقص ما أمر الشرع بتعظيمه والجفاء فيه، وعدم القيام بما أمر به الشرع تجاهه.

ومن غلا أو جفا فقد جانب الحق والصواب، وليس أحدهما بأحسن حالاً من الآخر، "وكلا طرفي قصد الأمور ذميم".

وقد سلك أهل السنة في هذا الباب العظيم مسلك الوسط ويدل على ذلك أمور:

- أن أهل السنة سلكوا سبيل الوسطية في تعظيم الله تبارك وتعالى بين أهل الإفراط وأهل التفريط، ففي توحيد الألوهية كانوا وسطاً بين من ضل من الأمة فصرف شيئاً من العبادات لغير الله ﷻ، فوقع في الشرك المخرج من الملة، وبين من بالغ في التعبد والتشديد على النفس في عبادة الله ﷻ حتى وقع في البدعة التي حذر الله تعالى منها، وحذر منها رسوله ﷺ، فلم يتلبس أهل السنة ببدعة، كما أنهم أخلصوا الدين لله ﷻ، وتعبدوا لله بما شرع في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

- وفي باب الأسماء والصفات كانوا وسطاً بين أهل التعطيل الذين نفوا أسماء الله تعالى وصفاته، أو نفوا بعضها إرادةً لتعظيم الله جل وعلا وتنزيهِه عن مشابهة المخلوقين، وبين أهل التمثيل الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من صفاته مماثلاً لصفات المخلوقين؛ زاعمين أنهم بذلك عظموا نصوص الصفات، وأنهم لا يفهمون من نصوص الصفات إلا مثل ما يرونه من صفات المخلوقين.

---

(١) ذكره ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان ١/١١٦.

فأهل السنة والجماعة: أثبتوا من الأسماء والصفات ما ورد في الكتاب والسنة على مراد الله تعالى ورسوله ﷺ من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢]، ومن غير تكييف[٣] ولا تمثيل[٤]، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام:"مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون لله ما أثبته من الصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات يثبتون له صفات الكمال، وينفون عنه ضروب الأمثال، ينزهونه عن النقص والتعطيل، وعن التشبيه والتمثيل، إثباتٌ بلا تشبيه، وتنزيهٌ بلا تعطيل﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد على المعطلة"[٥].

- وأهل السنة وسط في تعظيم النبي ﷺ بين من غلا في النبي ﷺ ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله تعالى إياها، فدعوه من دون الله، واستغاثوا به عند الشدائد، وأفرطوا في مدحه والثناء عليه، وبين من جفا في حق النبي ﷺ فتعدى على مقامه، وحط من منزلته، وزعم أن مِن أتباعه من هو أعلى مقاماً منه، كما يعتقد بعض الرافضة والصوفية[٦] في

---

(١) التحريف اصطلاحاً: هو التغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها.التنبيهات السنية للرشيد ص: (٢٦)، وانظر: الصواعق المرسلة ٢١٥/١.

(٢) التعطيل اصطلاحاً: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات كلياً أو جزئياً بتحريف أو جحود. شرح الواسطية للعثيمين ص: (٦٠). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٧٣/٣.

(٣) التكييف اصطلاحاً: هو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. انظر: القواعد المثلى ص: (٦٥)، التحفة المهدية لفالح آل مهدي ص: (٣٢).

(٤) التمثيل اصطلاحاً: هو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. القواعد المثلى ص: (٦٤)، وانظر: منهاج السنة ٢٩/٨، مجموع الفتاوى ٣٧٣/٣.

(٥) منهاج السنة لابن تيمية: (١١١/٢).

(٦) الصوفية لقب على فرقة منحرفة عن معتقد أهل السنة والجماعة، سموا بذلك نسبة إلى لبس الصوف (على الراجح)، وهو مذهب أوله البدعة في الزهد والرياضة النفسية، ثم آل الأمر بأتباعه =

أئمتهم أنهم في مرتبة فوق الرسل وأعلى مقاماً منهم .كما سيأتي حكاية أقوالهم إن شاء الله في موضعه.

فأهل السنة توسطوا في تعظيم النبي ﷺ فاعتقدوا أنه عبد من عباد الله تعالى، ليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء، واعتقدوا أنه رسول من رسل الله عز وجل، اصطفاه الله تعالى بإنزال الوحي عليه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]. فقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ رد على من غلا في حقه ﷺ، وأفرط في تعظيمه، وتجاوز حدود المشروع.

وقوله: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ رد على من جفا في حقه ﷺ، وفرَّط في تعظيمه التعظيم الشرعي، وفي الحديث عن النبي ﷺ، قال: (**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**)[1]، فقوله: (**عبده**) رد على من غلا، وقوله: (**ورسوله**) رد على من جفا.

إلى الابتداع في الأوراد والأذكار والإتيان بمصطلحات غامضة، ونهايته القول بالحلول ووحدة الوجود. ويستمدون عقائدهم مما يسمونه بالكشف، ويقول غالبهم بوحدة الوجود، ويزعمون أن للدين حقيقة وشريعة، ويغلون في الأولياء والصالحين وكراماتهم، وفي العبادات لهم بدع كثيرة جداً كالتعبد بالسماع والرقص والأذكار المخترعة، والتعبد في الخلوات والمغارات والأربطة والزوايا. انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص: (١٤٥- ٣٣٣)، التصوف المنشأ والمصادر للشيخ إحسان إلهي ظهير، هذه هي الصوفية للوكيل، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد أحمد لوح، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق. وغيرها من الكتب المؤلفة في بيان مذهبهم والرد عليهم، وهي كثيرة.

(١) رواه البخاري برقم: (١٢٨) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم... ١/٢٩٨، ورواه مسلم برقم: (١٤٧) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/١٨٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يقول الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله: "فكما أن المقصر المفَرِّط تارك لتعظيمه، فالغالي المفْرِط كذلك، وكل منهما شر من الآخر من وجه دون وجه، وأولياؤه سلكوا بين ذلك قواماً"(١).

- وأهل السنة وسط في تعظيم الأولياء والصالحين، فإن أهل السنة يثبتون للأولياء والصالحين ما ثبت من كراماتهم ويوالونهم ويحبونهم، ويعرفون لهم قدرهم ومنزلتهم، ولا يغلون فيهم، ولايفضلونهم على الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولا يدعونهم من دون الله عز وجل، ولا يعتقدون عصمة أحد من الناس غير الأنبياء والرسل عليهم السلام.
- كما أن أهل السنة وسط في تعظيم ولاة أمور المسلمين، فإن أهل السنة يرون السمع والطاعة لولاة الأمر في طاعة الله سبحانه، ويوالونهم ويدعون لهم بالصلاح والمعافاة، ويوقرونهم ويحفظون لهم منزلتهم، وفي المقابل لا يغلون فيهم؛ فلا يطيعونهم في معصية الله ﷻ، ولا يتبعونهم في تحليل ما حرم الله تعالى أو تحريم ما أحل الله جل وعلا.
- كما أن أهل السنة وسط في الوعد والوعيد، وفي الصحابة وآل البيت، وفي كل أبواب الاعتقاد(٢).

والشواهد على وسطية أهل السنة في التعظيم كثيرة جداً، وما ذكرته هو غيض من فيض، به يتضح المراد، والله تعالى أعلم.

---

(١) الصارم المنكي ص: (٣٣٩).

(٢) انظر: للتوسع الواسطية لشيخ الإسلام رحمه الله مع شرح الهراس ص: (١١٨-١٢٥)، وسطية أهل السنة للدكتور محمد باكريم ص: (٣٢٥- ٥٠٨).

الباب الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى.

وفيه تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد: تعظيم الله تعالى: أدلته وأسبابه وآثاره، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة الدالة على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى .

المبحث الثاني: أن التعظيم حق لله تعالى، والفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق.

المبحث الثالث: أن الدين كله قائم على تعظيم الله تعالى

المبحث الرابع: الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى.

المبحث الخامس: أثر تعظيم الله تعالى على إيمان العبد.

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بأسمائه وصفاته: وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: **تعظيم الله تعالى يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه.**

المبحث الثاني: كمال العظمة لله تبارك وتعالى بكمال أسمائه وصفاته، وبيان الاسم الأعظم.

المبحث الثالث: **دلالة عظمة بعض المخلوقات على عظمة خالقها سبحانه.**

المبحث الرابع: **تعظيم الله تعالى بنفي مماثلته لأحد من خلقه.**

المبحث الخامس: **تعظيم الله تعالى بترك التسمي بالأسماء والاتصاف بالصفات التي فيها منازعة لعظمة الله تعالى.**

المبحث السادس: **التعطيل والتمثيل في الصفات قدح في عظمة الله تعالى.**

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بالربوبية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى بإفراده بالخلق والملك والتدبير.

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى بالبعد عن كل ما يمس جناب الربوبية.

المبحث الثالث: بيان أن المشركين في الربوبية أعظم القادحين في عظمة الله تعالى.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بالعبادة، وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن مبنى العبادة على تعظيم الله تعالى.

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى بترك الأفعال التي تتنافى مع تعظيمه.

المبحث الثالث: تعظيم الله تعالى بالدعوة إلى شرعه وتعريف العباد بربهم وحقه عليهم.

المبحث الرابع: تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب والجوارح.

المبحث الخامس: بيان أن الشرك في العبادة يقدح في عظمة الله تعالى.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم شرع الله سبحانه ودينه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الشريعة بوجه عام.

المبحث الثاني: تعظيم مصدري الشريعة الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: تعظيم أوامر الشريعة ونواهيها.

التمهيد:

تعظيم الله تعالى: أدلته وأسبابه وآثاره

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: الأدلة الدالة على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى .

المبحث الثاني: أن التعظيم حق لله تعالى، والفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعظيم حق لله تعالى.**

المطلب الثاني: **الفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق.**

المبحث الثالث: أن الدين كله قائم على تعظيم الله تعالى. **وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: **قيام أصول الدين على تعظيم الله تعالى.**

المطلب الثاني: **قيام فروع الدين أيضاً على تعظيم الله عز وجل.**

المبحث الرابع: الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى.

المبحث الخامس: أثر تعظيم الله تعالى على إيمان العبد.

المبحث الأول:

الأدلة الدالة على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى[(١)].

ربنا سبحانه وتعالى هو العظيم الذي له العظمة المطلقة، هو العظيم في ذاته؛ فلاشيء أعظم منه ولا أكبر، والعظيم في أسمائه وصفاته، ومن أسمائه العظيم، فهو الجامع لجميع

---

(١) في معنى تعظيم الله ﷻ كلام للإمام الهروي رحمه الله، قال الهروي: "تعظيم الحق وهو ألا تجعل دونه سبباً، ولا ترى عليه حقاً، أو تنازع له اختياراً " منازل السائرين ص: (٨١- ٨٢) . قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذه العبارة: "هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه، صاحب الخلق والأمر... وذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء: إحداها: أن لاتجعل دونه سبباً. أي: لاتجعل للوصلة إليه سبباً غيره، بل هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلى الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدني إليه غيره، ولا يتوصل إلى رضاه إلا به؛ فما دل على الله إلا الله،ولا هدى إليه سواه، ولا أدنى إليه غيره؛ فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سبباً؛ فالسبب وسببيته وإيصاله كله خلقه وفعله.

الثاني: أن لايرى عليه حقاً، أي لا ترى لأحد من الخلق لا لك ولا لغيرك حقاً على الله، بل الحق لله على خلقه...

وأما حقوق العبيد على الله تعالى: من إثابته لمطيعهم، وتوبته على تائبهم، وإجابته لسائلهم: فتلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده وإحسانه لأنها حقوق أحقوها هم عليه؛ فالحق في الحقيقة لله على عبده، وحق العبد عليه هو مااقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض جوده وكرمه...

وأما قوله: و لا ينازع له اختياراً. أى إذا رأيت الله ﷻ قد اختار لك أو لغيرك شيئاً إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره فلا تنازع اختياره، بل ارضَ باختيارِ ما اختاره لك؛ فإن ذلك من تعظيمه سبحانه. ولا يرد عليه قدره من المعاصي ؛ فإنه سبحانه وإن قدرها لكنه لم يخترها له ؛ فمنازعتها غير اختياره من عبده وذلك من تمام تعظيم العبيد له سبحانه".مدارج السالكين ٢/٥٠٠-٥٠١.

صفات العظمة والكبرياء والمجد والجلال والجَمال، وربنا سبحانه وتعالى هو العظيم في أفعاله وقدرته، والعظيم في ملكه وتدبيره، وعظمته سبحانه وكبرياؤه أوصاف لازمة له، وهو العظيم الذي لا يستحق العبادة سواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠] ، وهو العظيم في قلوب عباده عموماً، وهو العظيم في قلوب أصفيائه وعباده المخلصين خصوصاً، فيعظمونه من كل قلوبهم تعظيماً لا يدانيه فيه أحد من الخلق مهما علت منزلته.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العظيم بكل معنى يوجب ... التعظيم لا يحصيه من إنسان[١]

قال ابن القيم رحمه الله في سياق ذكر شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة: "وفوق ذلك[٢] شاهد آخر تضمحل فيه هذه الشواهد ويغيب به العبد عنها كلها، وهو شاهد جلال الرب تعالى وجماله وكماله، وعزه وسلطانه، وقيوميته وعلوه فوق عرشه، وتكلمه بكتبه وكلمات تكوينه، وخطابه لملائكته وأنبيائه.

فإذا شاهده شاهد بقلبه قيوماً قاهراً فوق عباده، مستوياً على عرشه، منفرداً بتدبير مملكته، آمراً ناهياً، مرسلاً رسله، ومنزلاً كتبه، يرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويحب ويبغض[٣]، ويرحم إذا استُرحم، ويغفر إذا استُغفر، ويعطي إذا سُئل، ويجيب إذا دعي، ويُقيل إذا استقيل، أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء؛

---

(١) النونية ص: (١٧٥).

(٢) قال هذا بعد أن ذكر شاهد الدنيا، وشاهد الآخرة، وشاهد النار، وشاهد الجنة، وشاهد يوم المزيد. انظر: مدارج السالكين: ٣/٢٥٠.

(٣) في الطبعة التي اعتمدت عليها: ويغضب. والصواب: ويبغض، فالبغض مقابل الحب، والغضب تقدم قبل سطر واحد. وجاءت على الصواب في طبعة: دار الكتاب العربي ٣/٢٣٧، وطبعة: دار الحديث ٣/٢٠١.

فلو كانت قوى الخلائق كلهم على واحد منهم، ثم كانوا كلهم على تلك القوة، ثم نسبت تلك القوى إلى قوة[الله تعالى؛ لكانت أقل من قوة[١]] البعوضة بالنسبة إلى قوة الأسد، ولو قدر جمال الخلق كلهم على واحد منهم، ثم كانوا كلهم بذلك الجمال، ثم نسب إلى جمال الرب تعالى لكان دون سراج ضعيف بالنسبة إلى عين الشمس، ولو كان علم الأولين والآخرين على رجل منهم، ثم كان كل الخلق على تلك الصفة، ثم نسب إلى علم الرب تعالى لكان ذلك بالنسبة إلى علم الرب كنقرة عصفور في بحر، وهكذا سائر صفاته كسمعه وبصره وسائر نعوت كماله؛ فإنه يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به؛ فالسر عنده علانية،والغيب عنده شهادة، يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها، ومجاري القوت في أعضائها، يضع السماوات على إصبع من أصابع يده، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، ويقبض سماواته بإحدى يديه، والأرضين باليد الأخرى؛ فالسماوات السبع في كفه كخردلة في كف العبد، ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله ﷻ، لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه...

فصاحب هذا الشاهد سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد والناس في واد"[٢].

وربنا سبحانه هو رب كل شيء وخالقه ومالكه ورازقه، هو المحيي المميت الضار النافع، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم.

---

(١) زيادة من طبعة: دار الحديث ٣/٢٠١ لايستقيم الكلام إلا بها.

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٥٢- ٢٥٣.

والأدلة الدالة على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى كثيرة ومتنوعة، ومنها:

أولاً: الأمر بإفراد الرب عز وجل وحده بالعبادة، لا شريك له، الذي هو معنى "لا إله إلا الله"، وفيه أعظم التعظيم لله جل وعلا، وتحقير كل ما عبد من دونه، وبيان أنهم ليسوا بشيء، وليس عندهم ما يبرر التعلق بهم ودعاءهم من دون الله جل وعلا.

إذ معنى "لا إله إلا الله": هو أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠].

ومعنى الإله: "هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة"[(١)].

وهذا هو أعظم التعظيم لله تبارك وتعالى، ولأجل أن يقوم العباد بهذا التعظيم خُلق الخلق، وبعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار، كما انقسم الناس إلى سعداء وأشقياء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وهو حق الله تعالى على العباد الذي يستحقه عليهم، ويتحتم عليهم الإتيان به، فعن معاذ بن جبل[(٢)] رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ: فَقَالَ: (**يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟**) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ**

(١) تيسير العزيز الحميد: (١/١٢٤-١٢٥).

(٢) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها، وروى عن النبي ﷺ، وأمّره النبي ﷺ على اليمن. ومناقبه كثيرة جداً، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة: (١٧هـ) أو التي بعدها، وهو قول الأكثر. انظر: الإصابة ١٨٤٧/٣- ١٨٤٨.

لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: **(لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)**[١].

ولم يخلق الله الخلق إلا لأجله، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإذا علم العبد عظمة ربه جل وعلا؛ فإنه سيذل لربه، وينكسر له، ويصرف له جميع أنواع العبادة، ويستيقن العبد تمام اليقين أنه لا يستحق العبادة سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].

ولهذا ختم الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتاب التوحيد بباب ترجم له بهذه الآية الكريمة" لأن من علم حقيقة ما اشتمل عليه هذا الباب من وصف الله جل وعلا وعظمة الله جل وعلا فإنه لا يملك إلا أن يذل ذلاً حقيقياً، ويخضع خضوعاً عظيماً للرب جل جلاله...وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ يعني: ما عظموه حق تعظيمه، ولو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا غيره، ولما أطاعوا غيره، ولعبدوه حق العبادة، ولذلوا له ذلاً وخضوعاً دائماً، وأنابوا إليه بخشوع وخشية، ولكنهم ما قدروه حق قدره، يعني: ما عظموه حق تعظيمه الذي يجب لقدره جل وعلا وعِظَمِ ذاته سبحانه وتعالى وصفاته..."[٢].

ثانياً: شَرْع آحاد العبادات لتعظيم الله جل جلاله:

فإن العبادات التي شرعها الله تعالى ورسوله ﷺ يقوم بها العبد مع كمال الحب وكمال التعظيم والخضوع لله جل وعلا، وسميت العبادات عبادات؛ لأن المكلفين يلتزمونها ويفعلونها

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢٨٥٤) كتاب الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار ٧٢/٦، ورواه مسلم برقم: (١٤٣) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد ١/١٧٧-١٧٨.

(٢) التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: (٥٨٨- ٥٨٩).

خاضعين ومتذللين لله تعالى[١]، قال ابن القيم رحمه الله: "وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت"[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[٣] رحمه الله:" ومن كبريائه: أن العبادات كلها الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار كالصلاة وغيرها"[٤].

وتضمنت آحاد العبادات من تعظيم الله جل وعلا ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه؛ فشعار المسلمين في أعيادهم وكثير من عباداتهم هو التكبير، وشعار الصلاة التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين هو التكبير، فإنه ينادى لها بنداء متضمن لتكرار التكبير، والإقامة لها كذلك، كما أوجب الشرع التكبير في افتتاحها، وفي التنقل بين أركانها وهيئاتها، وكذلك الصيام والحج وسائر العبادات هي متضمنة لتكبير الله تعالى وتعظيمه، وغرس إجلاله في النفوس. وسيأتي الكلام على هذه المسألة بمشيئة الله تعالى[٥].

ثالثاً: أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء كثيرة، لا يحصيها إلا هو، ووصف نفسه بصفات كثيرة أيضاً، لا يعلم عددها ولا حقيقتها إلا هو تبارك وتعالى.

وأسماؤه كلها حسنى، قد بلغت في الحسن غايته، فلا أحسن ولا أجمل ولا أجل ولا أعظم من أسمائه، وصفاته كلها صفات كمال ومجد وعظمة، لا نقص فيها بوجه من

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ١/١٩٠، تفسير ابن كثير ١/١٣٤، لسان العرب ١٠/٩- ١٠.

(٢) مدارج السالكين: ٢/٤٩٥.

(٣) هو الشيخ الإمام عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، نبغ في العلم مبكراً، وألف المؤلفات الواسعة في شتى الفنون؛ كالتوضيح والبيان لشجرة الإيمان، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو من المكثرين في التأليف، توفي سنة: (١٣٧٦ هـ). انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام ٣/٢١٨- ٢٥٣.

(٤) تفسير السعدي ص: (٦٣٥).

(٥) انظر ص: (٨٢).

الوجوه؛ فله السمع المحيط بكل مسموع، وله البصر المحيط بكل مبصَر، وله العلم المحيط بكل شيء كان أو لم يكن، وله القدرة النافذة، وله المشيئة الشاملة، وله الكبرياء والعظمة، ومن عظمته أن السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن كخردلة في يد أحدنا، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧] .

وسمى الرب سبحانه نفسه بأسماء كثيرة، دالة على العظمة والجلال؛ كالقوي والعزيز والقهار والقدير والكبير والعظيم والجليل والملك والمحيط والمهيمن والجبار والمتكبر وغير ذلك من الأسماء الدالة على كمال العظمة والكبرياء له جل في علاه.

بل إن كل اسم من أسمائه أو صفة من صفاته جل وعلا دال على عظمته سبحانه، فله العظمة في علمه، وفي سمعه، وفي بصره، وفي رحمته، وفي جميع أسمائه وصفاته، ولا يمكن أن تحيط بعظمته العقول، أو تتصورها على حقيقتها الأفهام.

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**)[2]، فالرب سبحانه موصوف بصفات الكبرياء والمجد والجلال والعظمة، فهو أكبر من كل شيء، وهو أعظم من كل شيء، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، قد ملئت قلوبهم من ذلك.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم: (١٠٩٠) ٢/٤٧٣، وابن جرير في تفسيره ٢٤/٣٢.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم: (٢٣٩٨٠) (٣٩/٤٠٥)، وأبو داود برقم: (٨٧٣) كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه ص: (١٣٩)، والنسائي برقم: (١٠٤٩) كتاب التطبيق، باب رقم: (١٢) ص: (١٧١) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن اسم الله "العظيم" من الأسماء الدالة على جملة أوصاف عديدة لا على معنى مفرد، مثل: اسمه سبحانه المجيد، والصمد(١)، وقال: "فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال، وكذلك الصمد"(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في بيان معنى اسم الله "الصمد" وكيف أنه دال على عظمة الرب تبارك وتعالى، قال: " الصمد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له "(٣).

فمن أثبت تلك الأسماء والصفات على ما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ دون تعطيل لها أو نفيٍ لما أثبتته من الكمالات المطلقة، ودون تشبيه لها بصفات المخلوقين فقد عظَّم الله جل وعلا، ومن نفاها أو بعضها أوتأولها على غير تأويلها؛ فقد تنقص الرب عز وجل بقدر ما نفى أو تأول.

وسيأتي مزيد بيان لهذا في موضعه بمشيئة الله تعالى(٤).

رابعاً: ورود الأمر بتعظيم الله جل وعلا وتكبيره في الكتاب والسنة:

جاءت أوامر كثيرة في الشرع بتعظيم الله سبحانه وتعالى وإجلاله وتقديسه وتنزيهه، وهذا كثير جداً، قد مر معنا طرف من ذلك، فإن الأمر بالإيمان بالله وتوحيده تعظيم له،

---

(١) بدائع الفوائد: (٢٨١/١).

(٢) المرجع السابق: (٢٨٢/١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٤٢٣/٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٧٤/١٠، قال الشيخ: حكمت بشير حفظه الله: " أخرج الطبري بسنده الحسن..."فذكره. انظر: التفسير الصحيح ٦٨١/٤، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢١٩/١٧.

(٤) انظر ص: (١٣٣).

وذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وقدرته تعظيم له، لكن سأذكر هنا طرفاً مما ورد بلفظ الأمر بالتكبير والتعظيم.

ومما جاء في ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١] .

فهذا أمر من الله تعالى بتكبيره وتعظيمِه بكل مشروع من قول أو فعل. قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الجزء الأخير من هذا الآية: "يقول: وعظِّم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك"[(١)].

فبيّن رحمه الله أن التعظيم إنما يكون بفعل المشروع الذي ورد الشرع به، وهو ما يحبه الله تعالى ويرضاه، وأن ذلك يكون بالأقوال كالتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير، وذكر آلائه ونعمه، وتمجيده والثناء عليه، ويكون بالأفعال كالصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات العملية، ويكون أيضاً بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فإن ذلك من تعظيم الرب جل جلاله، فإن المعظَّم لا بد أن يطاع فيما يأمر به بامتثاله، وفيما ينهى عنه باجتنابه، وإلا كان ذلك دليلاً على عدم التعظيم، أو ضعفه ونقصه.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[(٢)] رحمه الله في تفسير الجزء الأخير من الآية أيضاً: "أي: عظِّمه تعظيماً شديداً، ويظهر تعظيم الله تعالى في شدة المحافظة على امتثال أمره

---

(١) تفسير الطبري ٢١٧/١٥.

(٢) هو الشيخ العالم المتفنن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد وتعلم بها،وحج عام (١٣٦٧هـ)واستقر مدرساً في المدينة المنورة، ثم الرياض، ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ). له كتب مفيدة، منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، آداب البحث والمناظرة. توفي بمكة سنة: (١٣٩٣ هـ).انظر: الأعلام ٤٥/٦.

واجتناب نهيه، والمسارعة إلى كل ما يرضيه، كقوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، ونحوها من الآيات، والعلم عند الله تعالى"(١).

- وقال تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ [المدثر: ٣].

وهذا أمر بتكبير الله تعالى وتعظيمه، قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وربَّك يا محمد فعظِّمه بعبادته والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد"(٢). فذكر أنه من تعظيم الرب جل جلاله عبادته، ومن أعظمها الرغبة إليه وسؤاله، والإعراض عن كل معبود سواه.

وقال النبي ﷺ: (**فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل**)(٣).

خامساً: أن الله ﷻ أنكر على من لم يعظمه ولم يقدره حق قدره:

قال الله عز وجل عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[نوح: ١٣] وقد ذكر ابن جرير رحمه الله أقوالاً في تفسير الآية: "فقيل: لا ترون لله عظمة، وقيل: لا تبالون لله عظمة، وقيل: لا تعظموا لله حق عظمته، واختار ابن جرير أن معنى الآية: لا تخافون لله عظمة، وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف"(٤).

---

(١) أضواء البيان: (٣/٦٣٥).

(٢) تفسير الطبري: (٢٩/١٧٢).

(٣) رواه مسلم برقم: (١٠٧٤)كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ٤/٤١٩- ٤٢٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) تفسير الطبري: (٢٩/١١٢-١١٣)، وانظر: مدارج السالكين: (٢/٤٩٥)، العظمة لأبي الشيخ: (١/٣٤٠).

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧] .

وهذا ذم لأهل الشرك بالله سبحانه الذين عدلوا بربهم غيره، وجعلوا معه آلهة أخرى، والذي أوقعهم في هذا الشرك العظيم هو جهلهم بعظمة الله جل وعلا، وأنه العظيم الذي لا أعظم منه، والكبير الذي يتطامن له كل من سواه، والجليل القهار الجبار الذي أذعن له جميع مخلوقاته، وأن هذه المخلوقات ولو عَظُمت فإنها تتضاءل أمام عظمة الله جل وعلا.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [المائدة: ٩١]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "يقول تعالى: وما عظموا الله حق تعظيمه إذ كذَّبوا رسلَه إليهم"[٢]، فمن أنكر أن لله رسلاً بعثهم إلى خلقه ليعرِّفوهم بحق ربهم عليهم، ويبينوا لهم السبيل الموصلة إليه، فمن أنكر ذلك أو كذَّب هؤلاء الرسلَ فما عظَّم الله جل وعلا، فإنه سبحانه لم يجعل الخلق هملاً، ولم يخلقهم عبثاً ولعباً، فهو منزه عن ذلك، فمن ظن أنه خلق الخلق، ولا يأمرهم ولا ينهاهم؛ فقد تنقصه ولم يقدره حق قدره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب؛ بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له، وإنما يُعبد بما أمر به على ألسن رسله . وأصل عبادته: معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير

(١) تفسير ابن كثير ١١٣/٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٠٠/٣.

تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عبدوه حق عبادته. والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ في ثلاث مواضع ؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله على رسله؛ فقال في الزمر: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية [الزمر: ٦٧] . وقال في الحج: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤]، وقال في الأنعام: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١]. وفي المواضع الثلاثة ذمَّ الذين ما قدروه حق قدره من الكفار؛ فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر اللهَ حقَّ قَدْرِه..."(١).

سادساً: أن الله ﷻ حرَّم كلَّ مافيه تنقص له تبارك وتعالى؛ كالاستهزاء والسخرية به، والشرك به سبحانه، كما حرم على العباد أن يعصوه وأن يخالفوا أمره.

فالاستهزاء بالله تعالى سبحانه مضاد كل المضادة لتعظيمه وإجلاله، مناف لتوحيده والإيمان به، ولذا كان المستهزئ به كافراً خارجاً عن ملة الإسلام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبده ورسوله؛ **ثم لم يُتبع هذا الاعتقادَ موجبَه من الإجلال والإكرام... بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل؛ كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه**"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠- ١٦١.

(٢) الصارم المسلول ص: (٣٧٨).

كما أن المستهزئ بالرسول ﷺ أو بغيره من الرسل عليهم السلام، أو بالقرآن، أو بالدين الإسلامي كافر خارج من ملة الإسلام؛ لأن حق هذه الأشياء هو الإيمان بها وتعظيمها، والاستهزاء بها عكس ذلك.

قال الشيخ ابن عثيمين[١] رحمه الله: "منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة، كيف يسخر ويستهزئ بأمر يؤمن به؟، فالمؤمن بالشيء لابد أن يعظمه، وأن يكون في قلبه من تعظيمه ما يليق به"[٢].

ومن الأدلة على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة: ٦٤].

كما حرم الشرعُ الشرك، وبيّن أنه لا يغفر؛ لأن الشرك ملزوم التنقص لله تعالى كما سيأتي إن شاء الله[٣].

وجاء في الشرع النهي عن قول بعض الألفاظ في حق الله سبحانه وتعالى تعظيماً له، ومن ذلك قول: السلام على الله، كما في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**لا تقولوا السلام على الله؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التحيات**

---

(١) هو العلامة الشيخ المحقق محمد بن صالح آل عثيمين من العلماء المعاصرين المشهورين، ولد عام: ١٣٤٧ هـ في مدينة عنيزة، له آثار علمية كثيرة، وكان من الراسخين في العلم، وتوفي سنة: ١٤٢١ هـ رحمه الله رحمة واسعة .ترجمة مستفادة من ترجمة اللجنة العلمية في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين كما في مقدمة كتاب شرح السفارينية لفضيلته.

(٢) القول المفيد ٢/٢٦٧، وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/٧٥٩، التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: (٤٨٠– ٤٨٣).

(٣) انظر: ص: (١٧٤)، (٢٤٨)، (٣٠٤).

لله والصلوات والطيبات...)[١]. ومن علة النهي: تعظيم الله عز وجل؛ لأن السلام دعاء بالسلامة؛ فيوهم التسليم على الله تعالى أنه قد يلحقه عيب ونقص، والله تعالى منزه عن العيوب والنقائص .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " لاتقل السلام عليك يارب؛ لما يلي:

أ- أن مثل هذا الدعاء يوهم النقص في حقه، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك؛ إذ لا يدعى لشيء بالسلام من شيء إلا إذا كان قابلاً أن يتصف به، والله سبحانه منزه عن صفات النقص.

ب- إذا دعوت الله أن يسلم نفسه؛ فقد خالفت الحقيقة؛ لأن الله يُدْعَى ولا يُدْعَى له، فهو غني عنا، لكن يثنى عليه بصفات الكمال مثل غفور، سميع، عليم... " ثم قال: " فإذا قلنا: السلام على الله؛ أوهم ذلك أن الله سبحانه قد يلحقه النقص، وهذا ينافي كمال صفاته"[٢].

وكذلك جاء النهي عن تقييد الدعاء بالمشيئة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **(لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ؛ ليعزم في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء، لا مكره له)**[٣]. وفي رواية: **(إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه)**[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٨٣٥) كتاب الأذان، بَاب مَا يُتَخَيَّرُ مِنْ الدُّعَاءِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ٢/٤١٤، ورواه مسلم برقم: (٨٩٨) كتاب الصلاة، بَاب التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ ٤/٣٣٨.

(٢) القول المفيد ٢/٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٣) رواه البخاري برقم: (٦٣٣٩) كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لامكره له ١١/١٦٧، ورواه مسلم برقم: (٦٧٥٤) كتاب الدعوات، الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ١٧/٩.

(٤) رواه مسلم برقم: (٦٧٥٣) كتاب الدعوات، الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ١٧/٩.

ونُهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة لأمور:

" الأول: أنه يشعر بأن الله له مكره على الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه، فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول: أنا لا أُكْرِهُك، إن شئت فاغفر، وإن شئت فلا تغفر.

الثاني: أن قول القائل: "إن شئت" كأنه يرى أن هذا أمر عظيم على الله، فقد لا يشاؤه لكونه عظيماً عنده، ونظير ذلك: أن تقول لشخص من الناس -والمثال للصورة بالصورة لا للحقيقة بالحقيقة-: أعطني مليون ريال إن شئت، فإنك إذا قلت له ذلك؛ ربما يكون الشيء عظيماً يتثاقله، فقولك: إن شئت؛ لأجل أن تهون عليه المسألة؛ فالله عز وجل لا يحتاج أن تقول له: إن شئت؛ لأنه -سبحانه وتعالى- لا يتعاظمه شيء أعطاه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (**وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**) ...

الثالث: أنه يشعر بأن الطالب مستغن عن الله، كأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فأنا لا يهمني، ولهذا قال: (**وليعظم الرغبة**) ؛ أي: يسأل برغبة عظيمة، والتعليق ينافي ذلك؛ لأن المعلق للشيء المطلوب يشعر تعليقُه بأنه مستغن عنه، والإنسان ينبغي أن يدعو الله تعالى وهو يشعر أنه مفتقر إليه غاية الافتقار"[(١)].

وكذلك جاء النهي عن الإقسام على الله تعالى والتألي عليه؛ فعن جندب بن عبد الله[(٢)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدَّث: (**أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت**

---

(١) القول المفيد ٢/٣٣١-٣٣٢، وانظر: المفهم للقرطبي ٧/٢٩، تيسير العزيز الحميد ٢/١١٣٦-١١٣٧.

(٢) هو الصحابي جندب بن عبد اللَّه بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد اللَّه، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، له صحبة ليست بالقديمة، سكن الكوفة ثم البصرة، وروى عنه كثير من أهلهما، بقي إلى حدود سنة: (٧٠هـ). انظر: الإصابة ١/٢٨٤- ٢٨٥، الاستيعاب ص: (١٥٤)، السير ٣/١٧٤- ١٧٥.

عملك) أو كما قال[١]. فمن تألَّى على الله ﷻ على جهة الإعجاب بالنفس وتحجَّر رحمة الله تعالى "فقد أساء الأدب معه، وتحجر فضله، وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد؛ فالتألي على من هو عظيم يعتبر تنقصاً في حقه"[٢].

سابعاً: أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مملوءان بإثبات العظمة لله جل وعلا:

من تدبر القرآن والسنة وحدق النظر فيهما وجدهما ينطقان بتعظيم الرب جل وعلا ويمجدانه أعظم التمجيد، وفيهما ذِكْرُ نعوتِ الرب سبحانه وتعالى وصفاتِه العظيمة الجليلة وكمالِه المطلق، وأنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله وقدرته.

كما في سورة الفاتحة، وفي آية الكرسي، وسورة الإخلاص وغيرها من سور القرآن.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

و قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾[الحديد: ١ - ٦].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٦٦٢٤) كتاب البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى ١٦/٣٩٠.

(٢) القول المفيد ٢/٤٩٩، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: (٥٧٤- ٥٧٦).

وقال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، بل لاتكاد تجد آية من آيات القرآن الكريم إلا وفيها الثناء على الله تعالى وذكر بعض أسمائه وصفاته.

ومن ذلك: نصوص الحمد والثناء على الله سبحانه، وتسبيحه، وبيان قدرته وقوته وعزته، وحاجة جميع الخلق إليه، وغناه عنهم. وهي كثيرة جداً في القرآن.

قال ابن القيم رحمه الله: " تأمل خطاب القرآن تجد ملِكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أَزِمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه ومردها إليه، مستوياً على سرير ملكه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالماً بما في نفوس عبيده، مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع ويرى، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقِب، ويكرِم ويهين، ويخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي ويدبِّر، الأمور نازلة من عنده، دقيقها وجليلها، وصاعدة إليه، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه .

فتأمل كيف تجده يثني على نفسه، ويمجِّد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه... "[١].

وقد استدل بعض الباحثين الغربيين على صحة القرآن الكريم، وأنه كتاب منزل بما فيه من كثرة تعظيم الله ﷻ، فقال: ليس هناك كتاب حوى من التعظيم والثناء والحمد والتقديس لله تعالى مثل ما حواه القرآن، وهذا يدل على أنه من عند الله تعالى؛ لأنه لو كان من افتراء محمد لجعل محمد لنفسه شيئاً من هذا التعظيم الإلهي، وهذا ما لا نجده في القرآن[٢].

---

(١) الفوائد ص: (٣٩- ٤٠).

(٢) انظر كتاب: تعظيم الله، للمزيد ص: (٨١).

وفي سنة رسول الله ﷺ تجد من تعظيم الله جل وعلا الشيءَ الكثير:

مثل قوله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**– وَفِي رِوَايَة– **النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**)[١].

وقوله ﷺ: (**يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟**)[٢].

وقوله ﷺ: (**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**)[٣].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله بعد ذكر بعض هذه الأحاديث:" وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرَّف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على

---

(١) رواه مسلم برقم: (٤٤٤) كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام...١٦/٣– ١٧ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم: (٦٩٨٢) كتاب صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار ١٢٩/١٧ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤١١)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ٤٨١/١٣ – ٤٨٢، ورواه مسلم برقم: (٢٣٠٦) في كتاب: الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَة، من حديث أبي هريرة ﵁.

الإسلام والإيمان. وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي ﷺ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله..."[١].

ومن ذلك أيضاً: إنكار النبي ﷺ على من قال أو فعل شيئاً يخدش تمام التعظيم لله جل وعلا.

ومن دلائل ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (**أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده**)[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: (**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**)[٣].

فنهاهم النبي ﷺ عن هذا؛ لأن التسليم على الله تعالى يوهم أنه قد يلحقه عيب أو نقص، والله عز وجل بريء من أن يلحقه ذلك، ولهذا كان البديل أن يقولوا: (**التحيات لله**...)، كما جاء في بعض ألفاظ الحديث[٤].

وعن عبد الله بن الشخير[٥] رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: (**السيد الله تبارك وتعالى**) ، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: (**قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان**)[٦].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١٣٠٥/٢.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٤).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٧).

(٤) تقدم تخريجه ص: (٥٧).

(٥) هو الصحابي الجليل: عبد الله بن الشخير بن عوف العامري ثم الحرشي وهم بطن من بني عامر بن صعصعة. سكن البصرة، له صحبة ورواية، وهو والد مطرف الفقيه. انظر: الاستيعاب ص: (٤٦٢)، الإصابة ٢٠٦٧/٢ .

(٦) رواه أحمد في المسند برقم: (١٦٣١١) ٢٣٧/٢٦، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٢١١) ص: (٩٠)، وأبو داود في سننه، برقم: (٤٨٠٦) كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح ص: =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد، وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن، وفيها الذل له الناشئ عن عظمته وكبريائه، ففيها إجلاله وإكرامه، وهو سبحانه المستحق للإجلال والإكرام، فهو مستحق غاية الإجلال وغاية الإكرام"[1].

ثامناً: ومن الأدلة على عظمة الباري تبارك وتعالى: ما يُشاهد من عظمة بعض المخلوقات، وما يشاهد من بديع صنعه في خلقه؛ فإن من رأى السمواتِ والأرضَ وعظيمَ خلقهما، وما فيهما من المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبشر؛ وما عليه هذا الكون من نظام بديع وتناسق عجيب علِم علْم اليقين أن لهذا الكون خالقاً عظيماً حكيماً مقتدراً، هو أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، لا يعجزه شيء، فإنَّ من أعطى هذه المخلوقات العَظَمة هو أحق بها سبحانه. ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وسيأتي الكلام على هذه المسألة بأوسع مما هنا بإذن الله تعالى[2].

---

(٧٢٢)، قال الحافظ في الفتح (١٧٩/٥): "رجاله ثقات، وقد صححه غير واحد". وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في أحكامه على سنن أبي داود .

(١) مجموع الفتاوى: (٢٥١/١٠).

(٢) انظر: ص: (١٦٠).

المبحث الثاني:

أن التعظيم حق لله تعالى، والفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

التعظيم حق لله تعالى

حق ربنا سبحانه وتعالى على العباد أن يعظموه ويعبدوه، وأن يطيعوه فلا يعصوه، وأن يذكروه فلا ينسوه، وأن يشكروه ولا يكفروه، وأن يذلوا لعظمته، ويخضعوا لجبروته وكبريائه، وأن لا يستنكفوا أو يستكبروا عن عبادته؛ فهذا ما أوجبه الله على عباده وأمرهم به، وخلقهم من أجله، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ومن المعلوم أن العبادة هي أعظم مراتب التعظيم ونهاية درجاته، إذ العبادة هي الذل والخضوع والانقياد للمعظَّم، فالعبادة مبنية على ذل العابد وخضوعه مع كمال محبته وإجلاله لمعبوده، قال ابن القيم رحمه الله: "وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد"[(١)].

ومما يبين أن العبادة هي حق الله تعالى على العباد الذي خلقهم من أجله: حديث معاذ رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ: فَقَالَ: (**يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟**) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: (**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**) قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: (**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**)[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين: (٢/٤٩٥).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٤٨).

ومن الأدلة التي بينت أن العظمة على وجه الكمال لا يستحقها إلا الله تعالى، وأن التعظيم على ذلك المعنى خاص بالرب عز وجل، قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٧] .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له الكبرياء في السماوات والأرض، يعني أنه المختص بالعظمة والكمال والجلال والسلطان في السماوات والأرض؛ لأنه هو معبود أهل السماوات والأرض الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه وتمجيده والخضوع والذل له.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٤ - ٨٥].

فقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾، معناه: أنه هو وحده الذي يُعظم ويُعبد في السماوات والأرض ويُكبر ويُخضع له ويُذل.

وقوله: ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧].

فقوله: ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، معناه: أن له الوصف الأكمل الذي هو أعظم الأوصاف وأكملها وأجلها في السماوات والأرض"[١].

وفي التشهد شرع لنا نبينا ﷺ أن نقر ونعترف بأن غاية التعظيم ومنتهاه حق لله ﷻ، فيقول المسلم: "**التحيات لله والصلوات والطيبات**"، ومعنى التحيات لله: أي أنواع التعظيم له[٢].

(١) أضواء البيان: (٧/٣٦١)، وانظر: تفسير القرطبي ١٤/٢٣، الحجة في بيان المحجة: (١/١٤١).

(٢) انظر: فتح الباري: (٢/٤٠٤).

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (**العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**)[1].

قال شيخنا العلامة عبد المحسن بن حمد العباد حفظه الله في شرح جامع لهذا الحديث: "الكبرياء والعظمة إنما هي لله ﷻ، وهو الكبير العظيم المتعالي سبحانه وتعالى، والتعالي والترفع والتكبر والتعاظم من الخلق مذموم؛ لأن المطلوب في حقهم أن يكونوا عبيداً لله مستضعفين، فعليهم أن يتواضعوا لله ﷻ، وألا يتعالوا ويتكبروا على غيرهم... (قال الله ﷻ: **العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني في شيء منهما قذفته في النار**). قوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: (**العظمة إزاري والكبرياء ردائي**) يعني: أن هذه من الخصائص التي يختص بها سبحانه وتعالى، وهي ملازمة لله، وليس لغيره أن يبحث عنها وأن يتطلبها؛ لأن هذه من خصائص الله ﷻ. وقوله: (**إزاري، وردائي**) الشاهد من الحديث: أن الله تعالى مختص بها، وأنه لا ينازعه أحد فيها، كما أن من يكون له إزار ورداء من الخلق فإن ذلك الإزار والرداء مختص به ليس لأحد غيره مشاركته فيه. ومن صفات الله ﷻ (صفة العظمة) و(صفة الكبرياء)، وذكر الإزار والرداء إشارة إلى الاختصاص، وإلى عدم الأحقية في المنازعة فيها، فلا يقال: إن لله إزاراً. ويُسْكَت عن التفصيل، وإنما يقال: إن لله الكبرياء وله العظمة، وأن الله ﷻ بيّن أنه مختص بها كما أن من يكون من الناس عليه إزار ورداء ؛ فإن إزاره ورداءه مختصان به، فدل هذا على أن ذلك من خصائص الله سبحانه وتعالى، وأن ليس لأحد أن يتعاطى ذلك، أو يتطلَّب ذلك، أو يبحث عن ذلك، أو يؤمل أن يحصل له ذلك؛ لأن هذا خصائص الله سبحانه وتعالى. وهذا اللفظ الذي جاء في هذا الحديث من جنس اللفظ الذي جاء عن النبي ﷺ في الأنصار في غزوة حنين لما وجدوا في أنفسهم أنهم

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٦٦٢٣)، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الكبر، (٣٨٩/١٦)، والبخاري في الأدب المفرد، برقم: (٥٥٢)، ألا أن فيه بدل العظمة (العز)، ورواه أحمد بلفظ العظمة في مسنده في عدة مواضع منها برقم: (٨٨٩٤) ٤٧٣/١٤، ورواه أبو داود برقم: (٤٠٩٠) كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ص: (٦١١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الشيخ الألباني.

لا يحصل لهم ما حصل للناس، فجمعهم في مكان وتحدث معهم، وقال: (**بلغني أنكم وجدتم في أنفسكم، إذ لم يحصل لكم ما حصل للناس)** ، قالوا: نعم، يا رسول الله! قال: (**أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ ثم قال: الأنصار شعار، والناس دثار**)[١] يعني: الأنصار بمنزلة الشعار، وهو ما يلي الجسد من الثياب، لقربهم منه ولاتصالهم به، (**والناس دثار**) يعني: مثل الثوب الذي بَعْدَ الشعار وليس ملاصقاً للجسد، فهذا بيان للقرب والاختصاص به، وأن لهم الصلة الوثيقة بالرسول ﷺ. وهذا الذي في الحديث، فيه اختصاص الله ﷻ بالكبرياء، وأنه ليس لأحد أن ينازعه فيها سبحانه وتعالى، فهو الكبير المتعالي ذو الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، والعظمة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى "[٢].

ومما يدل على أن تعظيم الله حق له تعالى على عباده: أنه سبحانه وتعالى تعرف عليهم في كتبه وعلى ألسنة رسله، وأخبرهم بأنه "موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، كما قاله ابن عباس وغيره[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى، وهو العلي العظيم: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ ﴾ الآية[الشورى: ٥][٤].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٤٣٣٠) كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ٥٩/٨، ومسلم برقم: (٢٤٤٣) كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ١٥١/٧- ١٥٢ عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) شرح سنن أبي داود: (دروس صوتية مفرغة من موقع الشبكة الإسلامية) (٤٥٩/٣). وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان: (٧٤/٥).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٠).

(٤) الحق الواضح المبين ص: (٢٧- ٢٨).

فتعرّف عليهم سبحانه بذلك، وأخبرهم بهم ليعتقدوا ذلك، وليعظموا ربهم ويجلّوه ويذعنوا لعظمته ويخضعوا، وليقوموا بحقه تعالى عليهم، وهو عبادته لاشريك له.

ومما يدل على أن التعظيم حق لله تعالى: "أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه: أن يتقى حق تقاته، فيطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر"[(١)].

(١) المرجع السابق ص: (٢٨).

المطلب الثاني:

الفرق بين تعظيم الخالق وتعظيم المخلوق

جاءت النصوص في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ آمرة وموجبة لتعظيم الله تعالى، ونطقت بالأمر بإجلاله تعالى وتقديسه عن كل عيب ونقص، وبالخضوع لجبروته وكبريائه سبحانه، والذل له، وكيف لا يُعَظَّم الرب جل وعلا، ويخضع ويذل له، وهو الخالق العظيم القاهر فوق عباده، الذي ما من شيء إلا يسبح بحمده، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره، وما من شيء إلا وهو فقير إليه فقراً ذاتياً ملازماً له، وهو سبحانه الغني الغنى المطلق، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥]، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته، وهو المعبود بحق سبحانه. وكذلك جاءت النصوص آمرة بتعظيم بعض المخلوقات وإجلالها ومعرفة قدرها، ولكنْ يجب أن يُعْلم أن تعظيم تلك المخلوقات ليس كتعظيم الخالق جل وعلا، فمن الفروق بين التعظيمين:

١- أنه لا يستحق التعظيم المطلق إلا الله عز وجل.

ربنا سبحانه هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال، وكمالَ الخضوع والذل له سبحانه؛ لأنه الرب الخالق المالك المدبر، وهو المتصف بكل صفات الكمال والجلال والجمال سبحانه، هو المستحق لأن يُعَظَّم ويجل بالقلب واللسان والجوارح فوقَ إجلالِ وتعظيمِ كلِّ أحد من الخلق مهما كانت منزلة ذلك المخلوق وعظمته، ومهما كان له من الفضل والإحسان ؛ فإن إحسان الرب تعالى وفضله أعظم وأسبق من إحسان كل أحد، وهو سبحانه الذي سخر ذوي الفضل والإحسان وحرّكهم إلى الرحمة والشفقة على من أحسنوا إليه، ولذا كان من أحب أحدًا كمحبة الله تعالى وساوى بينه وبين الله تعالى فيها فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، فضلاً عمن أحب أحدًا أشد من محبة الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] فمن أحب أحدًا مع الله كمحبة الله فقد اتخذ مع الله نداً وأشرك به، قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن تحدث عن تعظيم النبي ﷺ وإجلاله، وما ملأ اللهُ القلوبَ من الهيبة له والمحبة قال: " ولما كان الله سبحانه وتعالى أحق بهذا من كل

أحد كان المستحق لأن يعظَّم ويكبَّر ويهاب، ويحب ويود بكل جزء من أجزاء القلب، ولا يجعل له شريك في ذلك، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه: أن يسوي بينه وبين غيره في هذا الحب والتعظيم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥]؛ فأخبر أن من أحب شيئا غير الله مثل حبه لله كان قد اتخذه نداً. وقال أهل النار في النار لمعبودهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقوا السماوات والأرض، أو خلقوهم، أو خلقوا آباءهم، وإنما سووهم برب العالمين سبحانه وتعالى في الحب لهم كما يُحب الله تعالى، فإن حقيقة العبادة هي الحب والذل، وهذا هو الإجلال والإكرام الذي وصف به نفسه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم، والإكرام هو الحب..."[١].

٢- أنه ليس شيء يستحق التعظيم لذاته إلا الله عز وجل:

فالله ﷻ هو الذي يستحق التعظيم لذاته لكونه الخالقَ الرازقَ المالكَ المدبِّرَ، الذي ما من خير وصل إلى الخلق إلا وهو المنعم به والمتفضل، وما من شر دفع إلا وهو الدافع له، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل:٥٣]، وهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته؛ فلا يلحقه عيب ولا نقص، وهو المستحق للعبادة دون من سواه.

أما من شُرع تعظيمه من المخلوقين كالرسل والملائكة والصالحين والأزمنة والأمكنة الفاضلة فتعظيمها من تعظيم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج:٣٢]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ

---

(١) جلاء الأفهام ص: (٢٠٣-٢٠٤)، وانظر: مدارج السالكين ٢٠/١، الجواب الكافي ص: (٣٠٤- ٣٠٥)، تجريد التوحيد للمقريزي ص: (٤٦-٤٧).

﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج:٣٠] فتعظيم هذه الأشياء من تعظيم الله تعالى؛ لأنه هو الذي شرع لنا تعظيمها وأمرنا به، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: من تقوى القلوب لربها، وأضاف الحرمات في الآية الأخرى له سبحانه لكونه هو الذي جعل لها الحرمة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " **وليس شيء يستحق التعظيم لذاته إلا الله تعالى، وكل ما أمر الله أن يُحَب ويُعظَّم فإنما محبته لله، وتعظميه عبادة لله،** فالله هو المحبوب المعظم في المحبة، والتعظيم المقصود المستقر الذي إليه المنتهى، وأما ما سوى ذلك فيحب لأجل الله؛ أي: لأجل محبة العبد لله يحب ما أحبه الله؛ فمن تمام محبة الشيء محبة محبوب المحبوب، وبغض بغيضه... فمن أحب شيئاً لذاته أو عظَّمه لذاته غير الله ؛ فذاك شرك به..."[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: "**وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه؛** فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه؛ فإن أمته يحبونه لحب الله تعالى له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له؛ فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان، ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله لهم"[2].

٣- **أن الله سبحانه هو العظيم أبدًا في كل وقت وحين،** ولا انتهاء لعظمته، ولا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، أما المخلوق فقد يكون عظيمًا في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيمًا في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبته، وقد يكون ملكاً أو كبيراً في قومه أو غنياً فيذهب ملكه ومنزلته وغناه[3].

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية ٢/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) جلاء الأفهام ص: (٢٠٥)، وانظر: معارج القبول ٢/٥١٣ فإنه مهم.

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ١/٢٨٤.

قال الحليمي[(١)] رحمه الله في معنى اسم الله (العظيم):" ومعناه: الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق؛ لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدرون على مقاومته ومخالفة أموره، إلا أنه وإن كان كذلك، فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده فتوهنه وتضعفه، حتى يستطيع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله جل ثناؤه قادر لا يعجزه شيء..."[(٢)].

فربنا سبحانه لم يزل عظيمًا جليلاً كبيراً، وهذه الصفات وغيرها من صفاته العظيمة ثابتة في حقه، قديمة بقِدَمِه، أزلية بأزليته، دائمة بدوامه، لا انتهاء لعظمته وجلاله ولا لصفة من صفاته.

٤- أن المخلوق يعظَّم لمعنى دون معنى أي: لصفة ظاهرة فيه قد اتصف بها، وحلاّه الرب سبحانه بزينتها، ووهبه الله إياها، وأعطاه من فضله، فيعظَّم لتوفر تلك الصفة فيه؛ فمن الناس "من يعظَّم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى، والله عز وجل يعظَّم في الأحوال كلها"[(٣)].

٥- أن الله عَجَلَّ سمى نفسه بالعظيم والجليل والجميل والكبير والقدير والقهار والعزيز والجبار وغيرها من الأسماء الدالة على عظمته وجلاله، واتصف تعالى بصفات دلت عليها تلك الأسماء، وأمر تعالى بتعظيم بعض المخلوقات كرسله عليهم الصلاة والسلام، وأطلق

---

(١) هو القاضي العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الشهير بالحليمي البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب، وكان سيال الذهن، مناظراً، طويل الباع في الأدب والبيان، وله مصنفات. توفي سنة: (٤٠٣ هـ). انظر: السير ٢٣١/١٧- ٢٣٤، طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٣/٤- ٣٤٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٧٨/١- ١٧٩.

(٢) المنهاج ١٩٥/١.

(٣) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم التيمي ١٤١/١-١٤٢.

على بعض خلقه بأنه عظيم؛ ومن ذلك أن الله تعالى وصف عرشه بالعظمة، قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦]. وكما وصف اليوم الآخر بأنه عظيم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥] ووصف سِحرَ سحرةِ فرعون بأنه عظيم ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦] ، ووصف كيد النساء بالعظمة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يوسف: ٢٨] ، ووصف الكبش الذي فدى به إسماعيل عليه السلام بالعظمة ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الصافات: ١٠٧]، ووصف خلق نبينا محمد ﷺ بالعظمة ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

ولكن عظمة الرب عز وجل ليس كعظمة المخلوق؛ فإن الاتفاق في اللفظ بين المسميات، والاتفاق أيضاً في المعنى الكلي للصفة لا يلزم منه المماثلة في المسميات والموصوفات، فليس هناك تماثل ولا تقارب أيضاً بين اتصاف الله تعالى بصفة العظمة، واتصاف بعض المخلوقات بها . جاء في فتاوى اللجنة الدائمة قولهم: " والله تعالى جليل كريم، ذو الجلال والإكرام على وجه الإطلاق، وكل نبي كريم جليل، وليست جلالة كل نبي وكرمه كجلالة غيره من الأنبياء وكرمه، ولا مثل جلال الله وكرمه، بل لكلٍ من الجلالة والكرم ما يخصه.."[(١)].

وهذا كما أن الله عز وجل سمى نفسه سميعاً بصيراً وسمى الإنسان سميعاً بصيراً، قال تعالى عن نفسه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤]، وقال عن الإنسان: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]، ولكن ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، فإن الله ﷻ نفى أن يكون سمعُ مخلوقٍ أو بصرُه أو سائرُ صفاته كسمع الله تعالى وبصره وسائر صفاته، فقال ﷻ في آية عظيمة تعتبر قاعدة

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٦٣/٣ ط: الخامسة.

من قواعد باب الأسماء والصفات، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. فالرب سبحانه متصف بصفات عظيمة جليلة، ومنها السمع والبصر، فالواجب إثباتها لله، لكن لا يخطر ببالك أن سمعه كسمع المخلوقات أو بصره كبصر المخلوقات، ولذلك قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

وعن عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يحشر الناس يوم القيامة أو قال: العباد عراة غرلاً بهماً**) قال: قلنا: وما بُهما؟ قال: (**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه مَن قَرُب كما يسمعه مَن بَعُدَ: أنا الملك أنا الديّان**)[١].

ففي هذا الحديث بيان أن صوت الله لا يشبه صوت المخلوقين؛ لأن صوت الرب عز وجل يسمعه القريب والبعيد على حد سواء، أما صوت المخلوق فإنه لا يستوي في سماعه القريب والبعيد، بل قد يكون البعيد لا يسمعه أصلاً، فبطل أن يكون اتفاق الأسماء أو الصفات دالاً على المثلية، ومن ذلك صفة العظمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم: فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجودُ هذا مثلَ وجودِ هذا، بل وجودُ هذا يخصه، ووجودُ هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلَهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتقييد والتخصيص ولا في غيره. فلا يقول عاقل إذا قيل: إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود: إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ

---

(١) علقه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[سبأ: ٢٣] ٥٦٠/١٣، ووصله في الأدب المفرد برقم: (٩٧٠) ص: (٣٥٨- ٣٥٩)، كما وصله الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٦٠٤٢) ٤٣١/٢٥- ٤٣٢، وحسن إسناده محققه، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة تحت حديث رقم: (٣٢٥٠) ٧٥٧/٧، وفي أحكامه على الأدب المفرد.

معنى مشتركاً كلياً هو مسمى الاسم المطلق. وإذا قيل: هذا موجود، وهذا موجود؛ فوجود كل منهما يخصه، لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما.

ولهذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء؛ فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص؛ ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

فقد سمى الله نفسه حياً فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وسمى بعض عباده حياً؛ فقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم: ١٩]، وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله: ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ اسم لله مختص به، وقوله: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجرّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدراً مشتركاً بين المسميين، وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق"(١).

٦- أن اتصاف الرب سبحانه وتعالى بالعظمة والكبرياء هو من كماله سبحانه المقدس، أما تعاظم المخلوق وتكبره فهو من علامات نقصه، وهو معصية منه للعظيم الجليل سبحانه، موجبة لسخطه تعالى وغضبه وانتقامه، وهو منازعة لله تعالى في صفتين لا يجوز أن تكونا إلا له تعالى.

ففي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: (**العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**)(٢).

---

(١) التدمرية ص: (٢٠-٢٢)، وقد مثل شيخ الإسلام لهذه المسألة بأمثلة كثيرة جداً، انظرها من ص: (٢١-٣٠).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦٦).

فالعظمة والكبرياء من خصائص الرب جل وعلا، ويختص بهما تبارك وتعالى دون أي أحد من خلقه، فمن تعاظم أو تكبر فقد نازع الله في شيء خاص به[١]، وكيف يتكبر العبد وينازع الرب في صفة من صفاته وهو فقير إلى ربه ومحتاج إليه في جلب مصالحه ودفع المضار عنه، ولا حول له ولا قوة إلا به، ولو تأخر عنه لطف الله عز وجل طرفة عين لهلك؟، وكيف يليق بهذا المخلوق الضعيف أن ينازع ربه في صفة مختصة به؟ وإنما الواجب عليه أن يتواضع لله سبحانه وتعالى، وأن يتذلل له ويستكين لجلاله وكبريائه، وأن يعرف قدر نفسه ومبدأها ومنتهاها، وأن يخفض جناحه لعباد الله المؤمنين.

٧- أن تعظيم الرب تبارك وتعالى هو عبادته وإخلاص الدين له، ومحبته والذل له والخضوع لعظمته وجلاله، أما من دونه فإنه لا يعظَّم إلا إذا أمر الله تعالى بتعظيمه، ويكون تعظيمه على وفق ما ورد في الشرع بدون غلو ولا إفراط يؤدي إلى تعظيمه تعظيم العبادة الذي هو خاص بالله تعالى.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبي ﷺ، ليضع كلَّ شيء في موضعه، على ضوء ما جاء به النبي ﷺ في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

وإذا عرفت ذلك فاعلم: أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله.

فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي لا يجوز إلا لله وحده، لأنه من خصائص الربوبية؛ فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته، وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ ؛لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا ...[٢].

---

(١) انظر ما تقدم حول شرح هذا الحديث ص: (٦٦).

(٢) أضواء البيان ٦١٨/٧، وانظر معارج القبول ٥١٤/٢.

ويقول الشيخ د. محمد بن خليفة التميمي:" والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء. مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركاً، وبعضهم يقصِّر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر.

والصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو القيام بما أمر الله به ورسله في هذا وهذا"(١).

---

(١) حقوق النبي ﷺ على أمته ٢/٦٦٥ وانظر تتمة الكلام فيه.

المبحث الثالث:

أن الدين كله قائم على تعظيم الله تعالى

إن من نظر وتأمل بعين البصيرة في دين الإسلام الذي بعث به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام يجد أن هذا الدين في كل تشريعاته من العقائد والأحكام والآداب قائم على تعظيم الله جل وعلا وتقديسه سبحانه، وسوف أبين هذا الأمر بشيء من الإجمال في هذا الموضع؛ لأن جميع المباحث القادمة من هذه الرسالة مبينة لهذا الأمر ومُجلِّية له بحول الله.

المطلب الأول:

قيام العقيدة على تعظيم الله تعالى

إن العقيدة الإسلامية قائمة على تعظيم الله تعالى، وإثبات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، وعلى وجوب إفراده بالعبادة والتألُّه.

ويظهر ذلك جلياً في الأمثلة التالية:

١- القرآن والسنة اللذان هما مصدرا الدين، ومنهما تستمد العقائد والأحكام مملوءان بتعظيم الله ﷻ، ناطقان بتمجيده وإجلاله وتكبيره وتسبيحِه، وتنزيهِه عن النقائص والعيوب، ومن شواهد ذلك من القرآن الكريم:

- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن كثير في معنى الآية:"وما قدر المشركون الله حق قدره حيث عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير ١١٣/٧.

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [فصلت: ٩].

- وفي سورة الفاتحة أمّ القرآن أبلغ التعظيم لله ﷻ، ولذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: (**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد** ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة: ٣] **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:** ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الفاتحة: ٤] **قال: مجدني عبدي...**)[(١)]. ففي الفاتحة حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده، وكلها تعظيم له جل وعلا.

- وقال الله مخبراً عن عدد من أسمائه تعالى، وكل اسم منها متضمن لصفة أو أكثر من صفاته عز وجل التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

- وقال تعالى: مخبراً عن قول الجن: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣]. ومعنى ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾أي عظمة ربنا.

- وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ

(١) يأتي تخريجه ص: (٨٥).

فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

وكم في القرآن الكريم من آيات الحمد والتسبيح والتكبير والتهليل، وهذا يتضمن تعظيم الله جل وعلا والثناء عليه وتمجيده.

ومن السنة شواهد عديدة على ذلك:

- كقوله ﷺ: (**يد الله ملأ لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**)[١].

- وقال ﷺ: (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[٢].

- وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**)[٣].

- وكان النبي ﷺ يقول عند الكرب: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**)[٤].

- وكان النبي ﷺ يدعو من الليل: (**اللهم لك الحمد، أنت رب السموات والأرض، لك الحمد أنت قَيِّم السموات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السموات**

(١) تقدم تخريجه ص: (٦١).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦١).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب ١١/١٧٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والأرض، قولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله لي غيرك)(١). فكم تضمنت هذه الكلمات النبوية الكريمة من إجلال الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه.

والشواهد على هذا من السنة كثيرة أيضاً لاتحصى إلا بمشقة.

٢- أن توحيد الله ﷻ، وإفراده بالربوبية، وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، واعتقاد أن له الكمال في ذلك، ونفي ما نفاه عن نفسه من النقائص والعيوب مع إثبات كمال الضد، وإفراده وحده بالعبادة والتأله؛ هذا هو تعظيمه جل وعلا الذي جاء به كتابه الكريم، وسائر الكتب السماوية، وهو الذي بعث الله به رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

"وأصل دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم إنما هو عبادة الله وحده لا شريك له، المتضمنة لكمال حبه وكمال الخضوع والذل والإجلال والتعظيم، ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى"(٢).

ودلالة أنواع التوحيد الثلاثة؛ وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية على تعظيم الله تعالى سيأتي مفصلاً في هذه الرسالة بحول الله وقوته.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٧٣٨٥)كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٧٣] ١٣/٤٥٤ ورواه مسلم برقم (١٨٠٥)كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٦/٢٩٦- ٢٩٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الداء والدواء ص: (٤٦٤).

المطلب الثاني:

قيام العبادات على تعظيم الله عز وجل

فكما قامت العقيدة الإسلامية على تعظيم الرب ﷻ وإجلاله؛ فكذلك العبادات جميعاً إنما شرعت لتعظيم الله وتكبيره، يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج:٦٢] قال:" ومن كبريائه أن العبادات كلها الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار كالصلاة وغيرها"[(١)].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم؛ فذلك حقيقة الحمد"[(٢)].

ومن الأمثلة على ذلك:

الصلاة: فالصلاة هي عمود الإسلام، وهي أعظم أركانه بعد الشهادتين، وفيها من تعظيم الله عز وجل وإجلاله والخضوع له والذل له ما يصعب وصفه، ويعسر حصره؛ بل هي قائمة على تعظيم الله عز وجل، فينادى لها بتكبير الله وتعظميه والشهادة له بالوحدانية، وهذا فيه أعظم التقديس لله سبحانه والإجلال له، وعند إقامة الصلاة كذلك، وتحريمها عند الشروع فيها تكبير الله عز وجل، ثم أدعية الاستفتاح تتضمن تعظيمَ الله عز وجل والثناءَ عليه وإجلاله وتمجيدَه وتنزيهَه عن النقائص والعيوب جل وعلا، ولنا أن نستعرض بعض أنواع هذه الاستفتاحات: فمنها: ما ثبت أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: (**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**)[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٦٣٥).

(٢) مدارج السالكين ٢/٤٩٥.

(٣) رواه أبو داود برقم: (٧٧٥) كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح ب: سبحانك اللهم... ص: (١٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ورواه بعده مباشرة من حديث أم المؤمنين عائشة =

فقوله: (**سبحانك**) تنزيه لله تعالى عن كل نقص وسوء وعيب، وتقديس له عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى، ولا شك أن نفي النقص والعيب عن الرب تعالى هو تعظيم له، وجاء في الأثر أن رجلاً سأل علياً رضي الله عنه عن (سبحان الله) فقال: " تعظيم جلال الله"[(١)].

وقال الطبري رحمه الله عن قول الله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة: ٣٠]" فإنه يعني: إنا نعظِّمك بالحمد لك والشكر"[(٢)].

وقوله: (**وتبارك اسمك**) "أي كثرت بركة اسمك إذا وَجَدَ كلَّ خير من ذَكَر اسمَك، وقيل: تعاظم ذاتك، أو هو على حقيقته؛ لأن التعاظم إذا ثبت لأسمائه تعالى فأولى لذاته..."[(٣)].

وقوله:(**وتعالى جدك**) أي علا وارتفع عظمتك على عظمة غيرك غاية العلو والارتفاع[(٤)].

وكان ﷺ يقول:(**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا**

رضي الله عنها، ورواه الترمذي برقم: (٢٤٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ص: (٧٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ورواه بعده من حديث عائشة رضي الله عنها، والنسائي برقم: (٨٩٩، ٩٠٠) كتاب الافتتاح، باب رقم(١٨) نوع آخر من الذكر، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه برقم: (٨١١) كتاب إقامة الصلاة، باب افتتاح الصلاة ١/٢٤٧، ورواه في نفس الكتاب والباب برقم: (٨١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(١) رواه الطبراني في الدعاء ص: (٥٠٠).

(٢) تفسير الطبري ١/٢٤٠.

(٣) تحفة الأحوذي ١/٥٠٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/٥٠٩.

أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي، وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ. وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)[١].

وكان من استفتاح النبي ﷺ لصلاة الليل أنه كان يقول: (**اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفرلي ما قدمت وأخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت**)[٢].

فسبحان الله؛ كم في هذه الاستفتاحات من الثناء على الله تعالى وتمجيده وتعظيمه والإيمان به.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٠٩)كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٦/٢٩٩ - ٣٠٢ من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٨١).

وهناك استفتاحات أخر، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: "أن أعظم الاستفتاحات وأعلاها ما كان مشتملاً على الثناء على الله جل وعلا وتمجيده وتعظيمه"[(١)].

ثم يقرأ المسلم في كل ركعة من ركعات صلاته سور الفاتحة والتي هي أم الكتاب، وهي من أعظم ما عظم به الرب تبارك وتعالى، ففيها الثناء على الله تعالى، وتمجيده وتعظيمه، والثناء عليه، وسؤاله، والتضرع إليه، والتذلل لجبروته، وطلب العون منه، ويتضمن طلب العون التبرؤ من الحول والقوة إلا به سبحانه، ولذا جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: (**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ٣] **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:**﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤] **قال: مجدني عبدي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي . فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**[(٢)]. **فَإِذَا قَالَ:**﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)**[(٣)].

وفي الصلاة أيضاً تكبير الله تعالى في كل خفض ورفع.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٢/٣٧٦-٣٨٩).

(٢) قال القرطبي رحمه الله: " جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى ". تفسير القرطبي ١/١٣٠.

(٣) رواه مسلم، برقم: (٨٧٦)، كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٤/٣٢٤ – ٣٢٥ من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي الركوع تسبيح الله تعالى بذكر اسمه سبحانه العظيم، فعن عقبة بن عامر[١] رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الواقعة:٧٤] قال رسول الله ﷺ: (**اجعلوها في ركوعكم**)، فلما نزلت:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[الأعلى:١] قال: (**اجعلوها في سجودكم**)[٢].

وكان ﷺ إذا ركع قال: (**سبحانك ربي العظيم**) ثلاث مرات، وإذا سجد قال: (**سبحان ربي الأعلى**) ثلاث مرات[٣]، وقال عليه ﷺ: (**فأما الركوع فعظموا فيه الرب**

(١) هو الصحابي المشهور عقبة بن عامر بن عبس الجهنيّ، روى عن النبيّ ﷺ كثيراً، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس، وأبو أمامة، وغيرهم، كان قارئاً، عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه على الصحيح سنة: (٥٨ هـ) انظر: الاستيعاب ص: (٥٢٠)، الإصابة ٢/١٢٧٠- ١٢٧١، الوافي بالوفيات ٢٠/٦٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم: (١٧٤١٤) ٢٨/٦٣٠، وأبو داود برقم: (٨٦٩) كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ص: (١٣٩)، وابن ماجه برقم: (٨٩٥) كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود، ورواه الحاكم في المستدرك في عدة مواضع منها برقم: (٨١٧) ١/٢٩٨وقال الذهبي عن أحد رواته ليس بمعروف، وبرقم: (٨١٨) ١/٢٩٩، وقال الحاكم صحيح الإسناد، ولم يتكلم عنه الذهبي، ورواه برقم: (٢٧٨٣) ٢/٥٩٨ وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وضعفه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود، وأورده في ضعيف سنن ابن ماجه ص: (٧١- ٧٢). وقال محقق المسند: إسناده محتمل للتحسين.

(٣) رواه الترمذي، برقم: (٢٦٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب ماجاء في التسبيح في الركوع والسجود ص: (٧٥)، وابن ماجه، برقم: (٨٩٦) كتاب إقامة الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود ١/٢٦٨ من حديث حذيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني.

ﷻ، **وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء؛ فقمن أن يستجاب لكم)**[(١)]. أي: خليق وجدير وحري[(٢)].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:"(**أما الركوع فعظموا فيه الرب**)؛ أي: قولوا: سبحان ربي العظيم؛ لأن الركوع تعظيم بالفعل، وقول سبحان ربي العظيم تعظيم بالقول؛ فيجتمع التعظيمان، بالإضافة إلى التعظيم الأصلي، وهو تعظيم القلب لله؛ فيجتمع في الركوع ثلاث تعظيمات: ١- تعظيم القلب ٢- تعظيم الجوارح ٣- تعظيم اللسان"[(٣)].

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**)[(٤)].

وكان ﷺ يقول أيضاً في ركوعه وسجوده:(**سبوح قدوس، رب الملائكة والروح**)[(٥)]، ومعنى السبوح: المنزه عن كل عيب[(٦)]، ومعنى القدوس: الطاهر من العيوب المنزه عن الأنداد والأولاد، والقدس: الطهارة، وقيل معنى القدوس: المبارك[(٧)].

فعندما يردد العبد في صلاته هذا التسبيح لله تعالى فكأنه يقول: الذل والتواضع وصفي، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ياربِّ[(٨)].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٥٣).

(٢) انظر: النهاية ص: (٧٧٢).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٣/٣٥٣- ٣٥٤.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٥٠).

(٥) رواه مسلم برقم: (١٠٩١) كتاب الصلاة، باب مايقال في الركوع والسجود ٤/٤٢٧ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٦) شأن الدعاء للخطابي ص: (١٥٤).

(٧) انظر: النهاية ص: (٧٣٦)، شرح النووي على مسلم ٤/٤٢٧- ٤٢٨ .

(٨) نظر: الذل والانكسار ضمن رسائل الحافظ ابن رجب ١/٣٠٥.

وأيضاً الذكر بعد الركوع فيه تعظيم الله جل وعلا والثناء عليه، فقد كان ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع: (**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**)[(١)].

وكذلك التشهد في آخر الصلاة مشتمل على تعظيم الله جل وعلا وتبجيله فيقال: (**التحيات لله والصلوات والطيبات**)[(٢)]، ومعنى: (**التحيات**) قيل فيها عدة معاني ترجع إلى التعظيم، ومن أهل العلم من نص على أن معنى (**التحيات**): التعظيمات.

قال الحافظ ابن حجر[(٣)] رحمه الله: "التحيات جمع تحية، ومعناها: السلام، وقيل: البقاء، وقيل: العظمة، وقيل: السلامة من الآفات والنقص، وقيل: الملك، ... وقال ابن قتيبة[(٤)]: لم يكن يحيا إلا الملك خاصة، وكان لكل ملك تحية تخصه، فلهذا جمعت، فكأن

---

(١) رواه مسلم برقم: (١٠٧١) كتاب الصلاة، باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع ٤/٤١٥ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٨٣٥) كتاب الأذان، بَاب مَا يُتَخَيَّرُ مِنْ الدُّعَاءِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ٢/٤١٤، ورواه مسلم برقم: (٨٩٨) كتاب الصلاة، بَاب التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ ٤/٣٣٨.

(٣) هو الحافظ الفقيه المؤرخ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. تصانيفه كثيرة جليلة، منها: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لسان الميزان، فتح الباري، وغيرها، توفي سنة: (٨٥٢ هـ) انظر: الضوء اللامع للسخاوي٢/٣٦ -٤٠.

(٤) هو الإمام العلامة، القاضي، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب التصانيف المشهورة، كان عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن، ومعانيه، والفقه، والشعر، من تصانيفه: غريب القرآن، وغريب الحديث، وعيون الأخبار، وغيرها كثير، توفي سنة(٢٧٦هـ) انظر: الفهرست لابن النديم ص: (١١٥- ١١٦)، السير ١٣/٢٩٦- ٣٠٢ .

وكلام ابن قتيبة الذي نقله الحافظ هو في كتابه غريب الحديث ١/١٦٩- ١٧٠ بمعناه.

المعنى: التحيات التي كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله، وقال الخطابي[١] ثم البغوي[٢]: ولم يكن في تحياتهم شيء يصلح للثناء على الله، فلهذا أبهمت ألفاظها واستعمل فيها معنى التعظيم، فقال: (**قولوا التحيات لله**) ، أي: أنواع التعظيم له"[٣].

والذكر بعد الصلاة مشتمل على التسبيح الدال على تنزيه الله جل وعلا عن النقائص والعيوب التي تضاد كماله وتنافي عظمته، ومشتمل على تحميد الرب جل وعلا لعظمته وكبريائه وكماله وجلاله، قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧]، كما يحمد الرب جل وعلا لإحسانه إلى عباده وإمداده لهم بالنعم.

ومشتمل على التكبير، والتكبير معناه التعظيم، لكنه غير مرادف له، والتكبير أعظم[٤].

يقول ابن الجوزي رحمه الله: " واعلم أن المقصود بالصلاة إنما هو تعظيم المعبود، وتعظيمه لا يكون إلا بحضور القلب في الخدمة، وقد كان في السلف من يتغير إذا حضرت الصلاة ويقول: أترون بين يدي من أريد أن أقف؟. وأنت تعلم أن من حضر قلبه في تعظيم سلطانه، فحضر بين يديه من يعرف من إلى جانبه امتلأ بهيبة المعظم، فإذا أردت استجلاب

---

(١) هو الإمام الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة؛ كشرح السنن، والغنية عن الكلام وأهله، وشأن الدعاء، توفي ببست سنة: (٣٨٨ هـ) انظر: السير ١٧/٢٣- ٢٨.

(٢) هو: الإمام المحدث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي، الفقيه الشافعي الكبير، المحدِّث المفسَّر، يلقب بمحيي السنة وركن الدين، له تفسير مشهور، وله: شرح السنة، وكان عالماً زاهداً قانعاً، توفي سنة: (٥١٦ هـ). انظر: السير ١٩/٤٣٩ - ٤٤٣، طبقات السبكي ٧/٧٥ - ٨٠، وكلامه هذا في شرح السنة له: (٣/١٨١).

(٣) فتح الباري: (٢/٤٠٤)، وانظر: النهاية لابن الأثير، ص: (١٠٥)، وانظر: شرح زاد المستقنع لابن عثيمين: (٣/١٤٦-١٤٧).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام: (١٠/٢٥٣).

حضور قلبك الغائب؛ ففرغه من الشواغل مهما استطعت. وقد كان أرباب التفكر من السلف يشاهدون في كل شيء عبرة؛ فيذكرون بالأذان نداء العرض، وبطهارة البدن تطهير القلب، وبستر العورة طلب ستر القبائح من عيوب الباطن، وباستقبال القبلة صرف القلب إلى المقلِّب. فمن لم تكن صلاته هكذا فقلبه غافل. يا هذا إذا صليت والقلب غائب وجوده؛ فالصلاة كالعدم، وهو بالروم مقيم وله بالشام قلب. يا ذاهل القلب في الصلاة، حاضر الذهن في الهوى، جسده في المحراب وقلبه في بلاد الغفلة "[١].

كما شرع للمسلمين التكبير عند إكمال العدة من شهر رمضان، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[البقرة: ١٨٥].

والحج من العبادات التي يظهر فيها تعظيم الله في كثير من أفعاله كالتلبية[٢] والطواف والسعي ورمي الجمار وذبح الهدي وغير ذلك من أعمال الحج، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ولذا كانت العبادة يتفاوت الناس فيها على قدر تعظيم الله عز وجل في تلك العبادات، ويعظم أجرهم على قدر تعظيمهم لله تعالى فيها، فكان أعظم الناس أجراً في كل عبادة أكثرهم لله ذكراً فيها، فقد سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله؟ فقال: **(أكثرهم لله ذكرًا)**. فقال: فأيُّ الصّائمين أكثرُهم أجراً؟ قال: **(أكثرهم**

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٢٢- ٢٢٣، وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي ١/٨٥، ١/٢٦٨، الصواعق المرسلة لابن القيم ٤/١٤٧٤- ١٤٧٥ .

(٢) انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود١٠/٢٥٣ فقد ذكر ما اشتملت عليه كلمات التلبية من القواعد والفوائد.

لله ذكرًا)، ثمّ ذكر الصّلاة والزكاة والحجّ والصّدقة، كلُّ ذلك يقول رسول الله ﷺ: (**أكثرُهم لله ذكرًا**). فقال أبو بكر لِعُمر رضي الله عنهما: ذهب الذّاكرون بكلّ خير. فقال رسول الله ﷺ: (**أجَل**)(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: " أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز و جل؛ فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً لله عز و جل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحاج أكثرهم ذكراً لله عز و جل، وهكذا سائر الأحوال ..."(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم: (١٥٦١٤) ٣٨٠/٢٤- ٣٨١، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٤٠٧)١٨٦/٢٠، والدعاء ١٦٤٢/٣، قال الهيثمي في المجمع ٧٤/١٠: " وفيه زبان بن فائد، وهوضعيف وقد وثق، وكذلك ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات، وللحديث شواهد يصلح بها للاحتجاج كما ذكر شيخنا أ.د.عبد الرزاق البدر حفظه الله، منها: مارواه ابن المبارك في الزهد برقم: (١٤٢٩) ص: (٥٠١) من رواية أبي سعيد المقبري مرسلاً، وشاهد آخر ذكره ابن القيم في الوابل الصيب ص: (١٨٢) عند ابن أبي الدنيا. ومعناه الذي دل عليه حق لا ريب في صحته. انظر: فقه الأدعية والأذكار ٣٥/١- ٣٦.

(٢) الوابل الصيب ص: (١٨١-١٨٢).

المبحث الرابع:

الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى

إن العبد بحاجة ضرورية لأنْ يعظم ربه تبارك وتعالى وأن يجله، وأن يملأ قلبه هيبة له وإيماناً به، وذلك حتى يؤمن به إيماناً صادقاً كما أوجب الله تعالى عليه، وليكون أسرع في تنفيذ أوامر الله تعالى وامتثالها على الوجه الأكمل على حسب الاستطاعة، وليكون أكثر ابتعاداً عما نهى الله تعالى عنه واجتناباً له.

فمن هنا كان المسلم بحاجة ماسة لمعرفة الأسباب والوسائل الموصلة إلى تعظيم ربه تبارك وتعالى. ومن هذه الأسباب:

١- معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، فللرب تعالى الأسماء الحسنى والصفات التي لا أحسن منها ولا أعظم ولا أجمل، وهذه الأسماء والصفات هي التي أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله محمد ﷺ في سنته، وكلها صفات جلال، ونعوت كمال وجمال، دالة على أن له تعالى الكمال المطلق. وللعلم بها شأن عظيم، فالعلم بها أشرف العلوم وأفضلها، وأرفعها منزلة ومكانة لشرف متعلقه؛ فهي أسماء الرب تعالى وصفاته.

ومن عرف هذه الأسماء والصفات دعاه ذلك إلى تعظيم الله تعالى وإجلاله وحبه وخشيته، والإقبال على طاعته وعبادته، وإخلاص الدين له، وعلى قدر معرفة العبد بربه يكون تعظميه له وإجلاله، فكلما زاد الإنسان معرفة بربه زاد إجلالاً وتعظيماً.

يقول ابن القيم رحمه الله في منزلة (التعظيم): "وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً"[(١)].

فإذا علِم العبدُ جلالَ الله تعالى وعظمته وعزته وجبروته فإن هذا يحمله على الخضوعِ لله والذلِ له، والاستكانةِ لعظمته، والخوفِ من غضبه وانتقامه، فيتوجه لطاعته وعبادته،

---

(١) مدارج السالكين ٤٩٥/٢، وانظر: الذل والانكسار للعزيز الجبار من مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ٢٩٣/١.

ويَنْكَفُّ عن معصيته، وهذا هو عنوان سعادةِ العبد وفلاحِه، ولذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨] والخشية هي الخوف مع استعظام المخوف.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله شارحاً لهذه الآية: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم، الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل؛ كانت الخشية له أعظم وأكثر"(١).

فإذا عرف العبد تفردَّ الله سبحانه بالخلق والملك والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع؛ فإن هذا يجعله يعظم الرب تبارك وتعالى، ويتوكل عليه، ويعلِّق به جميعَ حاجاته، ويتضاءل في عينه كلُّ مخلوق أن يتوكل عليه أو أن يتعلق قلبه به، وإذا عرف العبد أن له رباً قيوماً قاهراً فوق عباده، يرضى ويغضَب، ويثيب ويعاقِب، ويحِب ويبغِض، هو أكبر من كل شيء، وأعلى من كل شيء، وهو القادر على كل شيء أثمر له ذلك إجلالَ الله وهيبتَه ومراقبتَه والاستقامةَ على أمره.

وإذا عرف بأن الله سبحانه يسمع السر وأخفى، وأن سمعه قد وسع الأصوات كلها، سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، السر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، يرى دبيب النملة السوداء على الصفاة الملساء في الليلة الظلماء، ويرى نياط عروقها، ومجاري القوت في أعضائها، إذا عرف ذلك عظَّم الرب تبارك وتعالى، وهابه من كل قلبه، وراقب الله في كل ما يأتي وما يذر، فلا يرى ولا يسمع ولا يعمل ولا يتكلم إلا بما يرضي الله عز وجل، تجده سائراً إلى الله تعالى "في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه، وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في واد والناس في واد"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٥٤٤ .

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٥٣.

قال ابن القيم رحمه الله في كلام متين نافع مبيناً أهمية البصيرة والعلم في باب أسماء الله تعالى وصفاته: "وعقد هذا: أن يشهد قلبُك الربَّ تبارك وتعالى مستوياً على عرشه، متكلماً بأمره ونهيه، بصيراً بحركات العالم علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعاً لأصواتهم، رقيباً على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال، منزهاً عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقاً وعدلاً، وجَلَّت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شَبَهاً ومثلاً، وتعالت ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً، ووسعت الخليقةَ أفعالُه عدلاً وحكمة ورحمة وإحساناً وفضلاً، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد، أول ليس قبله شيء، وآخر ليس بعده شيء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن ليس دونه شيء، أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه، لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ولا ترك الإنسان سُدى عاطلاً، بل خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه يتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته، تعرف إلى عباده بأنواع التعرفات، وصرّف لهم الآيات، ونوّع لهم الدلالات، ودعاهم إلى محبته من جميع الأبواب، ومدَّ بينه وبينهم من عهده أقوى الأسباب، فأتم عليهم نعمه السابغة، وأقام عليهم حجته البالغة، أفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمَّن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه "[1].

(١) مدارج السالكين ١/١٢٤-١٢٥، وانظر: نفس المرجع ٣/٢٥٢-٢٥٤، ٣/٢٦٨-٢٧٠.

ولشرف العلم بأسماء الله تعالى وصفاته جاء الترغيب في إحصاء تسعة وتسعين من أسماء الله، وأن ذلك من أسباب دخول الجنة، فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر**)[١].

وقد تعددت الأقوال في المراد بالإحصاء الوارد في الحديث[٢]، ومن أحسن الأقوال في هذا قول الإمام ابن القيم رحمه الله حيث ذكر أن إحصاء أسماء الله تعالى الوارد في الحديث على مراتب:

المرتبة الأولى: إحصاء لفظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهو مرتبتان: **أحدهما**: دعاء عبادة، **والثاني**: دعاء طلب ومسألة[٣].

ومعنى دعاء الله بأسمائه الحسنى دعاء عبادة: أن يثني العبد على ربه بأسمائه الحسنى، ويعظمه ويمجده بها، وأن يتعبد لله تعالى بما يقتضيه ذلك الاسم، فمثلاً: إذا عرف العبد أن لربه سبحانه اسمَ التواب، تاب إليه وأناب، وإذا عرف أن له اسم السميع البصير، راقب الله في كلامه وفي أفعاله وهكذا.

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٦٤١٠) كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد ٢٥٦/١١، ومسلم برقم: (٦٧٥٠) كتاب الدعوات: الذكر والدعاء... باب في أسماء الله ٨/١٧ .

(٢) انظر: شأن الدعاء للخطابي ص: (٢٦- ٢٩)، شرح النووي لصحيح مسلم ٨/١٧، فتح الباري ٢٦٤/١١.

(٣) بدائع الفوائد ٢٨٨/١.

ومعنى دعاء الله بأسمائه الحسنى دعاء مسألة: أن يختار العبد في دعائه من أسماء الله عز وجل ما يناسب طلبه وحاجته، فإذا أراد التوبة إلى الله قال: يا تواب تب علي، وإذا سأله الرزق توسل إليه باسمه الرزاق، وإذا سأل ربه الشفاء توسل إليه باسمه الشافي وهكذا.

٢- ومن الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى: قراءة القرآن الكريم بتدبر وتأمل، وقد أمر الله بتدبر آياته في غير ما آية، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩] .

وبين تعالى أن هذا القرآن يهدي لأقوم الطرق وأحسنها في كل أمر من الأمور قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

فمن أعظم الأسباب الجالبة لتعظيم الله: تدبر آيات القرآن الكريم، وإمعان النظر في سُوَرِه وآياته، فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره ناطق بتعظيم الله جل وعلا وتمجيده والثناء عليه وداعٍ إلى ذلك، ومن نظر في القرآن الكريم وجد ذلك جلياً، فإن" القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته: فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات، ويذوب الكِبْر كما يذوب الملح في الماء.

وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال الدال على كمال الذات، فيستنفد حبُّه من قلب العبد قوةَ الحبِّ كلَّها بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله ؛ فيصبح فؤاد عبدِه فارغاً إلا من محبته. فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء؛ كما قيل:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل[1].

فتبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً.

وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد، وانبسط أمله، وقوي طمعه، وسار إلى ربه، وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره، وكلما قوي

(١) البيت للمتنبي انظر: ديوانه ١٥٣/٣.

الرجاء جد في العمل؛ كما أن الباذر كلما قوي طمعه في المِغَلّ[١] غلَّق أرضه في البذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر.

وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة، وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات، وانقبضت أعنة رعوناتها؛ فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع ؛ انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره، والتبليغ لها، والتواصي بها، وذكرها وتذكرها، والتصديق بالخبر، والامتثال للطلب، والاجتناب للنهي.

وإذا تجلى بصفات السمع والبصر والعلم انبعث من العبد قوة الحياء فيستحيي ربَّه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه؛ فتبقى حركاتُه وأقوالُه وخواطرُه موزونةً بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد، وسَوْقِ أرزاقهم إليهم، ودَفْعِ المصائب عنهم، ونصرِه لأوليائه وحمايته لهم ومعيته الخاصة لهم؛ انبعثت من العبد قوة التوكل عليه والتفويض إليه، والرضا به في كل ما يجريه على عبده ويقيمه فيه مما يرضى به هو سبحانه. والتوكل معنى يلتئم من علم العبد بكفاية الله، وحسن اختياره لعبده، وثقته به، ورضاه بما يفعله به ويختاره له.

وإذا تجلى بصفات العز والكبرياء أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذل لعظمته، والانكسار لعزته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب والجوارح له؛ فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته، ويذهب طيشه وتَوْقُه وحِدَّتُه"[٢].

---

(١) من الغَلّة، وهي الدخل الذي يحصل من الزروع والثمار. انظر: لسان العرب ٧٧/١١.

(٢) الفوائد لابن القيم ص: ٩٨-١٠٠، وانظر: مدارج السالكين ٤٥١/١-٤٥٢، وانظر: مفتاح دار السعادة ٢٦٥/١- ٢٦٦ ط: بشير عيون.

وقد قال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، فإذا كان هذا حال الجبال والصخور الصم لو أنزل عليها القرآن أن تخشع وتتصدع وتذل وتفتت؛ فكيف الحال الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان الضعيف المكون من لحم ودم؟

وإن الناظر في القرآن الكريم يجد فيه من العلوم والمعارف ما يجلب له تعظيم الله تبارك وتعالى الذي تكلم بهذا القرآن؛ فإن الله قد أنزله ليكون هدى للناس ورحمة وبشرى وضياء ونوراً، ويعرفهم بربهم ومعبودهم وماله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ويخبرهم بحقه تعالى عليهم، ويحدد لهم الطريقة المثلى الموصلة للسعادة في الدنيا والآخرة، ولذلك كان أهل الإيمان والخشية تقشعر قلوبهم عند سماع تخويفه وإنذاره خوفاً من الله جل وعلا وتعظيماً وإجلالاً له، فإذا ماتليت عليهم آيات الرجاء والترغيب لانت قلوبهم، وطمعوا في فضل الله تعالى ونواله وجزيل إحسانه، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

ويسجدون لله تعالى حباً وتعظيماً له إذا تلي عليهم آيُ القرآن لما رأوا من شواهد الكبرياء والجلال وصفات العظمة والجمال، قال الله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣] .

قال الإمام الآجري رحمه الله: " ألا ترون رحمكم الله إلى مولاكم الكريم ؛ كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه

الواجب، فحذِر مما حذَّره مولاه الكريم، ورغِب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن، وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همه عند تلاوة السورة إذا افتتحها: متى أتعظ بما أتلوه ؟، ولم يكن مراده متى أختم السورة، وإنما مراده: متى أعقل عن الله الخطاب ؟، متى أزدجر ؟، متى أعتبر ؟، لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق"[(١)].

٣- ومن أسباب تعظيم الله عز وجل: التأمل في الآيات الكونية، والمراد بالآيات الكونية: هي مخلوقات الله الدالة عليه وعلى عظمته وحكمته، وهي كثيرة مبثوثة في هذا الكون العظيم، في السماء والأرض وما بينهما مما لا يحيط به إلا الله سبحانه وتعالى؛ كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والدواب والبحار والأنهار وبني آدم وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا يحصيها إلا هو.

فإن التأمل في مخلوقات الله عز وجل والتفكر فيها طريق للإيمان بالله وتعظيمه وإجلاله، قال ابن جُزي المالكي[(٢)] رحمه الله: "التفكر هو ينبوع كل حال ومقام؛ فمن تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم، ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل...)[(٣)].

ومما يدل على أن التفكر في هذه الآيات العظيمة والمخلوقات البديعة سبيل إلى تعظيم خالقها سبحانه: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

---

(١) أخلاق أهل القرآن للآجري ص: (٣٦- ٣٧).

(٢) هو الشيخ الفقيه الأصولي اللغوي: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، وكنيته أبو القاسم، من أهل غرناطة. من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تقريب الوصول إلى علم الأصول، التسهيل لعلوم التنزيل وغيرها، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، فُقِد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف سنة: (٧٤١ هـ) .انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ٣/١٠- ١٣، الدرر الكامنة ٥/٨٨- ٨٩، الأعلام ٥/٣٢٥ .

(٣) القوانين الفقهية ص: (٢٨٤).

تَعۡبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧]، فلما بين تعالى أن هذه المخلوقات لا تستحق أن يسجد لها ويعبد لأنها مخلوقة، أمر بأن يكون السجود والعبادة له سبحانه لأنه الخالق لهذه الأشياء العظيمة والقاهر والمسخر والمدبر لها.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فبين تعالى أن التأمل في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار دال على عظمة الله عز وجل وطريق إلى تعظيمه وإجلاله؛ ولهذا ينفي أهل الإيمان أن يكون خلق هذه الأشياء باطلاً وعبثاً، وينزهون الرب ويعظمونه عن ذلك، ولا يملكون إلا أن تنطق ألسنتهم بتسبيح الله تعالى وتنزيهه عن كل نقص وعيب، ثم يتوجهون إليه داعين مخبتين.

قال ابن كثير رحمه الله: "ومعنى الآية أنه يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، من كواكب سيارات وثوابت، وبحار، وجبال، وقفار، وأشجار، ونبات، وزروع، وثمار، وحيوان، ومعادن، ومنافع، مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص. ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما وتَقَارضهما الطول والقصر، فتارة يطُول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم ؛ ولهذا قال: ﴿ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البُكْم الذين لا يعقلون، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾ [يوسف:١٠٥، ١٠٦].

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ أي: ما خلقت هذا الخلق عَبَثًا، بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ أي: عَنْ أن تخلق شيئاً باطلاً ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: يا من خَلَق الخلق بالحق والعدل، يا من هو مُنزه عن النقائص والعيب والعبث، قِنا من عذاب النار بحولك وقوتك، وَقيّضْنَا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم)[1].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عن نفس الآية، وهي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران: ١٩٠]: " وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم.

... ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/١٨٤ – ١٨٦ .

أن الله لم يخلقها عبثاً، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق"[١].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "عرض لي في طريق الحج خوف من العرب فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري، فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها.

فصحت بالنفس: ويحك اعبري إلى البحر وانظري إليه وإلى عجائبه بعين الفكر، تشاهدي أهوالاً هي أعظم من هذه، ثم اخرجي عن الكون والتفتي إليه فإنك ترينه بالإضافة إلى السموات والأفلاك كذرة في فلاة.

ثم جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتَلَمَّحِي ما في الجنان والنيران.

ثم اخرجي عن الكل والتفتي إليه، فإن تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد.

ثم التفتي إليك فتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية، وليس إلا العدم، وفيما بعد البِلى وليس إلا التراب.

فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأَ والمنتهى ؟.

وكيف يغفل فعل القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم ؟.

بالله لو صَحَتِ النفوس عن سكر هواها لذابت من خوفه، أو لغابت في حبه.

غير أن الحس غلب فعظمت قدرة الخالق عند رؤية جبل، وإن الفطنة لو تَلَمَّحَتِ المعاني لدلت القدرة عليه أوفى من دليل الجبل)[٢].

٤- **ومن أسباب تعظيم الله عز وجل:** ملاحظة فضله وإنعامه على عباده:

---

(١) تفسير ابن سعدي ص: (١٧٢)، وانظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان له ص: (٥٥- ٥٦).

(٢) صيد الخاطر ص: (١٦٩- ١٧٠).

فإن من لاحظ فضل الله تعالى وشهد بِرَّه ولطفَه وكرمَه وإحسانَه إلى عباده فإنه لا بد أن يحب الله تعالى ويعظمَه ويجلَّه، ويزيدَه ذلك شكراً لله تعالى وحمداً له، وامتثالاً لأمره واجتناباً لنهيه.

فإذا تأمل الإنسان كثرة نعم الله وتواليها عليه كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[النحل: ١٨] ورأى أن كل نعمة مصدرها من الله ﷻ وهي محض مِنَّته وفضله، هو الذي خلقها وهيأها له، وأعده للانتفاع بها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣] إذا عرف ذلك أحب الله من كل قلبه، وزاده ذلك إيماناً بالله ومحبةً له وشكراً وتعظيماً وإجلالاً وذلاً لربه وخضوعاً، وبرئ من حوله وقوته، وتعلق قلبه بالله عز وجل، وأيس مما في أيدي المخلوقين، وسخر تلك النعم لرضا المنعم بها، واستعان بها على طاعته، ولهج بذكره وشكره مع اعترافه بتقصيره في حق ربه.

قال ابن القيم رحمه الله: "فجدير بمن له مُسْكة من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والآلاء، ويكررَ ذكرها لعله يوقفه على المراد منها ما هو، ولأي شيء خلق، ولماذا هيئ؟ وأي أمر طلب منه على هذه النعم؟ كما قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩]؛ فَذِكْرُ آلائه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سببُ الفلاح والسعادة؛ لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمداً وشكراً وطاعة"(١).

فإذا تفكر العبد في إحسان الرب إليه وجَدَه أعظمَ من كل إحسان؛ فإن إحسان الرب على عبده في كل نَفَسٍ ولحظة، ولا سبيل إلى ضبط أجناس هذا الإحسان فضلا عن عد أنواعه وأفراده، ويكفي أن من بعض أنواعه نعمة النَّفَس التي لا تكاد تخطر ببال العبد، وله عليه في كل يوم وليلة أربعة وعشرون ألف نعمة؛ فإنه يتنفس في اليوم والليلة أربعة وعشرين

---

(١) مفتاح دار السعادة ٣٢٣/١ .

ألف نفس، وكل نفسه نعمة منه سبحانه[(١)]، فما هو الظن بما فوق ذلك وأعظم منه؟ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]. أضف إلى هذا ما يصرف عنه من المضرات وأنواع الأذى التي تقصده والعبد لا شعور له بها أصلاً. وخَلَق للعباد ما في السماوات والأرض، وما في الدنيا والآخرة، وكرمهم، وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وشرع لهم شرائعه، وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا، وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب، ويفرح بتوبة عبده إذا تاب أعظم الفرح مع غناه عن طاعته وعمله[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله عن نعمة الله على بني آدم: " فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها من العقل والعلم، والبيان والنطق، والشكل والصورة الحسنة، والهيئة الشريفة، والقد المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة من البر والطاعة والانقياد، فكم بين حاله وهو نطفة في داخل الرحم مستودع هناك، وبين حاله والملك يدخل عليه في جنات عدن، فتبارك الله أحسن الخالقين؛ فالدنيا قرية، والمؤمن رئيسها، والكل مشغول به، ساع في مصالحه، والكل قد أقيم في خدمته وحوائجه، فالملائكة الذين هم حملة عرش الرحمن ومن حوله يستغفرون له، والملائكة الموكلون به يحفظونه، والموكلون بالقطر والنبات يسعون في رزقه ويعملون فيه، والأفلاك سخرت منقادة دائرة بما فيه مصالحه، والشمس والقمر والنجوم مسخرات جاريات بحساب أزمنته وأوقاته وإصلاح رواتب أقواته، والعالم الجوي مسخر له برياحه وهوائه وسحابه وطيره وما أودع فيه، والعالم السفلي كله مسخر له، مخلوق لمصالحه، أرضه وجباله وبحاره وأنهاره وأشجاره وثماره ونباته وحيوانه وكل ما فيه ..."[(٣)].

---

(١) انظر: طريق الهجرتين ٦٨٥/٢، التبيان في أيمان القرآن ص: (٦٢٠- ٦٢١)، شفاء العليل ٣٤٥/١ .

(٢) انظر: طريق الهجرتين ٦٨٥/٢-٦٨٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ٣٦٧/١-٣٦٨ ط: بشير عيون.

ثم راح ابن القيم يديل الفكر في أعضاء الإنسان وحواسه وما فيها من الأسرار وما في خلقها من العجائب في كلام مفيد تحسن مراجعته، ولو لا خشية الإطالة لنقلته(١).

ويقول ابن عقيل الحنبلي رحمه الله ذاكراً بعض نعم الله على الإنسان التي تستوجب منه أن يعظم ربه: " لقد عظم الله سبحانه الحيوان، لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، وخوف الضرر على نفسه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]. من قدَّم حرمة نفسك على حرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتحامي عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لحقيق أن تعظم شعائره، وتقر أوامره، وزواجره.

وعَصَمَ عرضَك بإيجاب الحدّ بقذفك، وعَصَم مالك بقطع مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقًا عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدًّا لرمقك، وحفظًا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحد عاجلٍ، ووعيد آجل، وَخَرق العوائد لأجلك، أنزل الكتب إليك. أيحسن بك – مع هذا الإكرام – أن تُرى على ما نهاك منهمكاً، وعما أمرك متنكِّباً، وعن داعيه معرضاً، ولسنته هاجراً، ولداعي عدوك فيه مطيعاً؟ يعظمك وهُوَ هُو، وتهمل أمره وأنت أنت. هو حَطَّ رُتَبَ عبادِه لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجُدها لك "(٢).

٥- **ومن أسباب تعظيم الله عز وجل:** كثرة ذكره عز وجل:

والمراد بذكر الله عز وجل: ذكر أسمائه وصفاته وأمره ونهيه وأحكامه قولاً أو عملاً، وذكر إنعامه وإحسانه على عباده بالقلب وباللسان أو بهما معاً(٣).

---

(١) المرجع السابق ١/٣٦٨-٣٩٧.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١/٦١ .

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ص: (٢١٧).

أنواع الذكر:

- **الذكر يكون: بذكر أسماءِ الله تعالى وصفاتِه**، والثناءِ عليه بها، وتنزيهِه وتقديسِه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهو نوعان:

أحدهما: إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع نحو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وثانيهما: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا تخفى عليه من أعمالهم خافية.

وأفضل هذا النوع: الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، أو أثنى به عليه رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

- **والذكر يكون بذكر أمر الله ونهيه وأحكامه**، وهو أيضاً نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأَحَبَّ كذا، وسخط كذا، ورضي عن كذا.

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه.

- **والذكر يكون بذكر آلاء الله تعالى وإنعامه** وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده.

فهذه خمسة أنواع للذكر، وهي تكون بالقلب واللسان تارة، وهو أفضل الذكر، وبالقلب وحده تارة، وهي الدرجة الثانية، وباللسان وحدة تارة، وهي الدرجة الثالثة[(١)].

وبهذا يعلم خطأ من يظن أن الذكر مقصور على التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد ونحو ذلك، فالذكر أعم من كونه مقصوراً على ذلك.

---

(١) الوابل الصيب ص: (٢١٦-٢٢١) بتصرف واختصار، وانظر: جلاء الأفهام ص: (٥٢٩-٥٣٠).

ومن أعظم الذكر الذي يجلب للعبد تعظيم الله عز وجل ويزيده حباً له وخشية وإجلالاً: **تعليم العلم الشرعي وتعلمه**، فالعلم الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فيه الخبر عن الله تبارك وتعالى وأفعاله وأسمائه وصفاته، وأن له الكمال المطلق في ذلك، وفيه بيان حقه تعالى على عباده، ودعوة الناس إلى الخير، وتذكيرهم بأمر الله ليفعلوه، وبنهيه ليجتنبوه.

وذكر الله ﷻ من أفضل الأعمال والقربات، وله من الفوائد والعوائد على الذاكر في دنياه وأخراه ما لا يمكن حصره، ومن تلك الفوائد: غرس محبة الله وإجلاله في قلب العبد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] فالله تعالى ينادي أهل الإيمان داعياً لهم لأن يذكروه سبحانه، ولا ينسوه أو يغفلوا عن ذكره، وأمرهم أن يكون هذا الذكر كثيراً لا قليلاً، وأمر بتسبيحه وهو تنزيهه عن النقائص وتعظيمه وتقديسه، في البكرة وهي أول النهار، وفي الأصيل وهو آخر النهار.

وقال تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧ – ١٨] فهذا أمر بذكر الله وتسبيحه وحمده في كل وقت وحين، والحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، والثناء عليه لإنعامه، وكلما كانت صفات كمال المحمود أعظم كان أكثر لحمده، وكان حمده أكمل.

وقال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٥٢] فأمر تعالى بذكره، ووعدهم إنْ ذكروه أن يذكرهم، ولا شك أن هذا شرف عظيم للذاكر لايدانيه شرف، وفضل للذكر لا يقاربه فضل، وقد جاء هذا المعنى في السنة النبوية فقد قال ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**)[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨] ١٣/٤٦٩-٤٧٠، ومسلم برقم (٦٧٤٦) كتاب الدعوات باب الحث على ذكر الله ١٧/٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبين تعالى أن الذكر أفضل الأعمال وأكبرها وأجلها؛ قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت: ٤٥] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**سبق المفردون**) قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: (**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**)[١]. قيل في معنى المفرِّدين: الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، فبقوا يذكرون الله تعالى "[٢].

وأفضل الذكر القرآن الكريم، وذلك لأنه كلام الله تعالى، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه. ولأنه مشتمل على الثناء على الله وتمجيده وتحميده وتسبيحه؛ ولأنه معرِّف بالرب عز وجل وأسمائه وصفاته وأحكامه وشرعه؛ فهو مذكر بأصول الدين وفروعه.

وكلما كان الإنسان أكثر ارتباطاً بالذكر في ليله ونهاره، قائماً وقاعداً وعلى جنبه وفي جميع أحواله؛ كان ذلك دليلاً على تعظيمه لربه، وعلى عظم مدى الصلة بينه وبين معبوده؛ إذ لا يغفل عن ذكره أبداً، مستمداً منه العون والتوفيق والحفظ والكلاءة في كل وقت، فإن كثرة ترداد الشيء وعدم الغفلة عنه دليل على استعظامه وإجلاله وحبه. وقال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ومعنى طمانينة القلب: راحته وسكونه وامتلاؤه بالإيمان، قال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال سعيد بن جبير[٣] رحمه الله: أي لأزداد إيماناً مع إيماني[٤].

---

(١) رواه مسلم برقم (٦٧٤٩) كتاب الدعوات والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى ٧/١٧ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) شرح النووي على مسلم ٧/١٧ نقلاً عن ابن قتيبة وغيره.

(٣) هو الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، سعيد بن جبير بن هشام الوالبي الأسدي مولاهم، أحد الأعلام، وأكابر العلماء، أكثر روايته عن ابن عباس، وروى عن عدد من الصحابة غيره كعبد الله بن مغفل وعائشة وأبي هريرة وغيرهم ﷺ، قتله الحجّاج بن يوسف سنة: (٩٥ هـ). انظر: الطبقات لابن سعد ٦/٢٥٦- ٢٦٧، السير ٤/٣٢١- ٣٤٣ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٣/٦٣.

قال الصحابي عمير بن حبيب الخطمي[١] رضي الله عنه: "الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه سبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلناه ونسينا فتلك نقصانه"[٢].

فهذا يدل ويؤكد على أن ذكر الله تعالى من أسباب زيادة التعظيم لله ﷻ والإيمان به، فإن من لهج بذكر شيء، وجعله منه على ذُكْر، ولم ينسه؛ دل ذلك على استعظامه له وحبه إياه محبة عظيمة، وأثمر ذلك زيادة التعظيم في نفسه ولا بدّ.

٦- **ومن أسباب تعظيم الله عز وجل:** النظر والتأمل في شرع الله ودينه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، وما جعل الله عليه هذا الدين من الكمال، والشمولية، والحسن، والسماحة.

فإن هذا الدين القويم جمع المحاسن كلها، فلا دين أحسن منه ولا أكمل ولا أجمل، جمع من العقائد أصحَّها وأسهلَها وأوفقَها للعقول السلمية والفطر المستقيمة، ومن الأحكام أحسنَها وأعدلَها وأبعدها عن المشقة والشدة التي لا تطاق، ودعا إلى أكمل الأخلاق وأجملِها مما يبهر العقول ويحملها على الاعتراف بكماله، وعلى التعظيم لمن هذا شرعه، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " هذه أكبر نعم الله ﷻ على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا

---

(١) هو الصحابي عمير بن حبيب بن خماشة(بضم المعجمة وتخفيف الميم)، وقيل: حباشة، الأنصاري، له صحبة، وذُكر أنه ممن بايع تحت الشجرة، وليس له رواية عن النبي ﷺ من وجه ثابت. انظر: الاستيعاب ص: (٥٨١)، الإصابة ١٣٧٥/٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان ص: (٢٠)، وفي مصنفه ١٣/١١، ورواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٦٢٤) ٣١٦/١- ٣١٧ والآجري في الشريعة برقم: (٢١٥) ٥٨٣/٣ .

حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ ﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾؛ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه "[١].

فمن تأمل هذا الدينَ وتشريعاتِه وأحكامَه وجدها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، شاملة لكل ما يحتاجه الناس من أمور دينهم، وتنظيم حياتهم، والحكم بينهم، بدون أن يكون تناقض أو اختلاف في هذه الشريعة، أو أن يكون فيها ما يخالف العقل، ولم يأت علم صحيح ينقض شيئاً من أخبار هذا الدين، مما يدل على أنه كله حق وصدق وعدل؛ قال الله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٤ - ١١٥] .

" أي: قل يا أيها الرسول: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ أحاكِم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. ﴿ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾أي: موضَّحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قيلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة"[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٦.

(٢) تفسير السعدي ص: (٣٠١- ٣٠٢)، وانظر: إعلام الموقعين ٢/٣- ١٧٥، الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للسعدي رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله: "وإذا تأملت الحكمة الباهرة في هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها، ولا يدرك الوصف حسنها، ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم فوقها، وحسب العقول الكاملة الفاضلة إن أدركت حسنها، وشهدت بفضلها، وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها؛ فهي نفسها الشاهد والمشهود له، والحجة والمحتج له، والدعوى والبرهان، ولولم يأت الرسول ببرهان عليها لكفى بها برهاناً وآية وشاهداً على أنها من عند الله، وكلها شاهدة له بكمال العلم، وكمال الحكمة، وسعة الرحمة والبر والإحسان، والإحاطة بالغيب والشهادة، والعلم بالمبادئ والعواقب، وأنها من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، فما أنعم عليهم بنعمة أجلّ من أن هداهم لها، وجعلهم من أهلها، وممن ارتضاهم لها؛ فلهذا امتن على عباده بأن هداهم لها؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤] ، وقال معرّفاً لعباده ومذكراً لهم عظيم نعمته عليهم، مستدعياً منهم شكره على أن جعلهم من أهلها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية. وتأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال، والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام، إيذاناً في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل، ولا شيء خارجاً عن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حسنه وجلالته. ووصف النعمة بالتمام إيذاناً بدوامها واتصالها، وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها، بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار، وفي دار القرار"(١).

٧- **ومن الأسباب الجالبة لتعظيم الله تعالى:** النظر في أحوال المعظِّمين لله ﷻ وقراءة سيرهم.

فإن النظر في أحوال الصالحين يدعو إلى التزام طريقتهم والاقتداء بهم، وإن التشبه بالكرام فلاح.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/٤١٥-٤١٦ ط: بشير عيون.

وكذلك من قرأ كلمات سلفنا الصالح التي قالوها في تعظيم الله ﷻ، ونظر في أحوالهم التي اتصفوا بها، أثمر ذلك لمن اطلع عليه زيادةَ إيمانٍ وخشيةٍ لله وتعظيمٍ وإجلالٍ له.

تعظيم النبي ﷺ للرب عز وجل:

وأول هؤلاء المعظمين للرب ﷻ ومقدمهم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ؛ فقد كان أشد الناس تعظيماً لربه، وأشد الناس تواضعاً لله عز وجل وأدباً مع الله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو من الليل: (**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**)(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ - النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**)(٢).

وكان ﷺ يقول في ركوعه: (**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**)(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (**يأخذ الله ﷻ سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك**) حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط برسول الله ﷺ؟(٤).

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٨١).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦١).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٠).

(٤) رواه مسلم برقم (٦٩٨٣) كتاب صفة القيامة والجنة والنار ١٧/١٣٠.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: قوله: (**ثم يهزهن**[١]) أي: هزاً حقيقياً، ليبين للعباد في ذلك الموقف العظيم عظمته وقدرته، وكان الرسول ﷺ يقرأ هذا الآية[٢]، ويقبض أصابعه ويبسطها، فصار المنبر يتحرك ويهتز، لأنه ﷺ كان يتكلم بهذا الكلام وقلبه مملوء بتعظيم الله تعالى"[٣].

ومن تعظيم النبي ﷺ لربه ﷻ: إنكاره على من أخل بشيء من تعظيم الله تعالى ولو في اللفظ، ومما يدل لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: (**أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده**)[٤].

فالنبي ﷺ أنكر عليه هذه الكلمة المقتضية للتسوية في اللفظ، وأنكر عليه إنكاراً شديداً، وأرشده إلى أن يقول: ما شاء الله وحده، مع أنه يجوز أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، وهذا تأدب من النبي ﷺ مع ربه، وإرشاد للأكمل والأحسن، وليبعد الرجل عن ذريعة الشرك. والأمثلة على هذا كثيرة.

تعظيم السلف الصالح للرب عز وجل:

وقد سار السلف الصالح على هذا النهج النبوي في تعظيم الله ﷻ، فحموا العقيدة الإسلامية، ونشروها في الآفاق، ودعوا الناس إليها، لا لشيء إلا أن تكون كلمة الله هي العليا.

ونشر العقيدة الصحيحة وبثها في الناس هو من تعظيم الله عز وجل، كما كانوا يعظمون الله عز وجل في ألفاظهم وفي أفعالهم.

---

(١) جاءت في بعض روايات الحديث.

(٢) يقصد قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

(٣) القول المفيد ٢/٥٣١.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٣٤).

وقف ابن عباس رضي الله عنهما على بعض الذين وقعوا في الجدل والمراء فأبى أن يجلس معهم، وقال:" ما علمتم أن لله عباداً أصمتهم خشية الله تعالى من غير عي ولا بكم، وإنهم لهم العلماء الفصحاء النبلاء الطلقاء، غير أنهم إذا تذاكروا عظمة الله ﷻ طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، فأين أنتم منهم؟"[١].

قال الحافظ ابن رجب[٢] رحمه الله بعد ما ذكر بعض الأحاديث عن النبي ﷺ في الأدب مع الله ﷻ:"فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم ألبتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء، ويقول: أنا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله، ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون، بل راضون بذلك، فإن المحب ربما يتلذذ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: (١٤٩٥) ص: (٥٢٦)، والهروي في ذم الكلام وأهله ٤/٢٥٨، والآجري في الشريعة برقم: (١٢٩، ١٣٠) ١/٤٤٦- ٤٤٩ .

(٢) هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، شيخ الحنابلة في وقته، من حفاظ الحديث، ومن الفقهاء المحققين، ومن أئمة أهل السنة، ولد في بغداد، ونشأ وتوفي في دمشق، له مؤلفات كثيرة منها: جامع العلوم والحكم، وهو المعروف بشرح الأربعين النووية في الحديث، فضائل الشام، لطائف المعارف، فتح الباري شرح صحيح البخاري، توفي رحمه الله سنة: (٧٩٥ هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٣/١٠٨، المقصد الأرشد لابن مفلح ٢/٨١- ٨٢، الأعلام ٣/٢٩٥.

بما يصيبه من الأذى في رضا محبوبه؛ كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز[١] رضي الله عنهما يقول لأبيه في خلافته إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل:" يا أبت، لوددتُ أني غلت بي وبك القدور في الله ﷻ"[٢].

وقال بعض الصالحين: " وددتُ أن جسمي قرض بالمقاريض، وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل"[٣]؛ فعرض قولُه على بعض العارفين، فقال: إن كان أراد بذلك النصيحة للخلق وإلا فلا أدري، ثم غشي عليه. ومعنى هذا: أن صاحب هذا القول قد يكون لحَظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله، وأحب أن يفديهم من عذاب الله بأذى نفسه، وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة، فوَدَّ أن الخلق قاموا بذلك، وإن حصل له في نفسه غاية الضرر..."[٤].

وعن الإمام إبراهيم النخعي[٥] رحمه الله قال: " كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار"[٦].

---

(١) هو عبد الملك ابن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي، الشاب الناسك، كان معيناً لأبيه في رد المظالم، توفي سنة: (١٠١هـ). انظر: تاريخ دمشق ٣٨/٣٧- ٥٣، الوافي بالوفيات ١٢٤/١٩، الأعلام ١٦١/٤.

(٢) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز ص: (٥١)، تاريخ دمشق ٤٦/٣٧.

(٣) انظر: حلية الأولياء ١٥٠/١٠.

(٤) شرح حديث (**ماذئبان جائعان**) ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ٧٧/١-٧٨.

(٥) هو الإمام العلم، الحافظ، الفقيه، إبراهيم بن يزيد النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أبو عمران، روى عن عبيدة السلماني، والربيع بن خثيم، وخيثمة بن عبد الرحمن، وسويد بن غفلة وغيرهم، وهو من التابعين، كان بصيراً بعلم ابن مسعود ﷺ، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، توفي سنة: (٩٦ هـ) انظر: الطبقات لابن سعد ٢٧٠/٦- ٢٨٤، السير ٥٢٠/٤- ٥٢٩.

(٦) رواه البخاري في موضعين: رواه برقم: (٢٦٥٢) كتاب الشهادات، باب لا يَشهد على شهادة جور إذا أُشهد ٣١٩/٥، كما رواه برقم: (٣٦٥١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل =

"فهذا فيه تأديب السلف لأولادهم ولذراريهم على تعظيم الله جل وعلا؛ فإن الشهادة والعهد يجب أن يقترنا بالتعظيم لله جل وعلا، والخوف من لقائه، والخوف من الظلم، فكانوا يؤدبون أولادهم على ذلك حتى يتمرنوا وينشؤوا على تعظيم توحيد الله، وتعظيم أمر الله ونهيه"[(١)].

وعن ربيع بن عتاب[(٢)] قال: كنت أمشي مع زياد بن حدير[(٣)] فسمع رجلاً يحلف بالأمانة، قال: فنظرت إليه وهو يبكي، قلت: ما يبكيك؟ فقال: أما سمعت هذا يحلف بالأمانة؟ فلأن تحك أحشائي حتى تدمى أحب إلي من أحلف بالأمانة[(٤)].

وعن خناس بن سحيم[(٥)] قال أقبلت مع زياد بن حدير من الكناسة[(٦)]، فقلت في كلامي: لا والأمانة. فجعل زياد يبكي ويبكي حتى ظننت أني أتيت أمراً عظيماً، فقلت له:

أصحاب النبي ﷺ ٦/٧، ورواه مسلم برقم: (٦٤١٧) كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٣٠٢/١٦، قال الحافظ في الفتح ٣٢١/٥: "هو موصول بالإسناد المذكور، ووهِم من زعم أنه معلّق".

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله ص: (٥٦٦).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) هو زياد بن حُدَيْر (بالتّصغير)، الأسدي، نزيل الكوفة، له إدراك، وكان كاتباً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على العشور، وكان من الفقهاء الأتقياء، وله رواية عن بعض الصحابة.انظر: الإصابة١/٦٤٤- ٦٦٥، وانظر: حلية الأولياء ١٩٦/٤ – ١٩٨، وقد صُحف اسمه فيه إلى زياد بن جرير.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٩٦/٤ .

(٥) قال البخاري في التاريخ الكبير ٢١٨/٣: " خناس بن سحيم، سمع زياد بن حدير، روى عنه شريك عن سليمان الشيباني". ولم يزد ابن حبان في الثقات ٢٧٥/٦، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣٩٥/٣ على ما قال البخاري .

(٦) الكناسة هي محلة بالكوفة.معجم البلدان لياقوت ١٥٣/٤ .

أكان يُكره ما قلت؟ قال: نعم، كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي[(١)].

تعظيم الحيوانات والجمادات لله عز وجل:

أخبر الله ﷻ أن كل ما في السماوات وما في الأرض يعظم الرب سبحانه، ويسبحه وينزهه عن النقائص والعيوب، ويسجد له ويخضع، ويذل لجبروته وكبريائه وعظمته.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء:٤٤].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحج:١٨].

وأصح الأقوال في هذا السجود والتسبيح أنه سجود حقيقي وتسبيح حقيقي يعلمه الله عز وجل لا مجرد الخضوع لقهر الله[(٢)].

وأخبر الله سبحانه عن إنكار الهدهد للشرك بالله عز وجل والسجود لغير الله، ونطقه بعظمة الرب جل وعلا وكمال قدرته وعلمه، وأنه المعبود بحق سبحانه، قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل: ٢٢-٢٦].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: (٢١٣) ص: (٧٠- ٧١) وأبو نعيم في الحلية ١٩٦/٤ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣٠٥/١.

وأخبر تعالى أن السماوات تكاد أن تتفطر وتتشقق لعظمة الرب جل وعلا، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾[الشورى: ٥] .

قيل معنى قوله تعالى:﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ أي: يتصدعن ويتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن(١).

وتكاد السماء أن تتفطر والأرض أن تتشقق تعظيماً لله وإجلالاً له لمّا ادعى من ادعى أن لله ولداً – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٨٨-٩٠].

قيل في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ " يتشققن من عظمة الله"(٢).

وأخبر تعالى أنه لو أنزل هذا القرآن العظيم على الجبال لخشعت وتدكدكت تعظيماً الله تبارك وتعالى وخوفاً منه، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ٢١] .

وأخبر تعالى عن هبوط بعض الحجارة من رؤوس الجبال خشية لله ومهابة له، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٧٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢/٢٥، تفسيرالقرطبي ٧/١٦.

(٢) انظر: الدرالمنثور ٥/٥٤٤.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في معنى الآية: "ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال من خشية الله وتعظيمه"[١].

فإذا كان هذا هو تعظيم الحيوانات والجمادات لله ﷻ، فما هو الحال الذي يجب أن يكون عليه الإنسان الذي شرفه الله بالعقل، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليهم الكتب لهدايته؛ ألا يجب أن تكون هذه المنح الإلهية وغيرها جالبة لتعظيم العبد لربه تعالى؟ بلى والله.

---

(١) تفسير السعدي ص: (٨٨) .

المبحث الخامس:

أثر تعظيم الله على إيمان العبد

إن تعظيم الله جل وعلا إذا وجد في نفس الإنسان فإن له آثاراً حميدة على إيمان الشخص وتوحيده، وإقباله على طاعة الله عز وجل، وانكفافه عن معاصي الله، ومراقبته لربه سبحانه في السر والعلانية.

ومن آثار تعظيم الله على إيمان العبد:

١- تحقيق التوحيد لله عز وجل، وتعلق القلب بالرب سبحانه وتعالى وحده، فلا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ويخلص له الرهبة والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة، ويرى أن كل نعمة هي من الله.

فمن عظَّم الله عز وجل فإنه يخلص الدين لله، ويحقق التوحيد ويصفيه عن شوائب الشرك، ويصرف العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له، وينقطع طمعه في ثناء الناس عليه وشكرهم له وإعطائِهم ومنعِهم ومشاهدتِهم لعمله، فلا يبتغي بعمله إلا وجه الله وثوابه، ويخضع لله تعالى، ويذل لعظمته وجلاله.

فلما قوي في نفسه تعظيم الله عز وجل، تضاءل في قلبه عظمة كل مخلوق، فإن الله عز وجل هو الخالق وما سواه مخلوق، هو الرازق وما سواه مرزوق، هو الذي يملك الضر والنفع، وغيره لا يملك شيئاً؛ فإذا كان هذا هو حال المخلوق؛ فكيف يليق بإنسان أن يصرف له شيئاً من العبادة أو يلاحظه ويطلب مدحه وجزاءه في عبادة من العبادات؟.

ولهذا كان الشرك هو أظلم الظلم، لأن المشرك قد صرف خالص حق الله إلى غيره، وعدل به بعض خلقه، فكانت عقوبة المشرك هي الخلود في النار والحرمان من الجنة، والعياذ بالله.

٢- زيادة الإيمان: من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهله متفاضلون فيه، ليسوا على درجة واحدة، ولتلك الزيادة والنقص أسباب كثيرة تراجع في الكتب التي بينت هذه المسألة[١].

ومن أسباب زيادة الإيمان: تعظيم الله عز وجل، فإن من عظم الله عز وجل بأقواله وأفعاله واعتقاداته زاد إيمانه وعظم، فكلما تنامى التعظيم وزاد، تنامى الإيمان وزاد، بل إن ذلك التعظيم هو نفسه إيمان، فإذا قوي التعظيم كان هذا دليلاً على قوة الإيمان، وإذا خف التعظيم وضعف كان في هذا دليل على نقص الإيمان وضعفه.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] .

يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "فوصف الله المؤمنين بهذه الصفات المتضمنة للقيام بأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه؛ فإنه وصفهم بالإيمان به إيماناً ظهرت آثاره في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة..."[٢].

قال الإمام ابن مندة[٣] رحمه الله: "والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي فمنها قيل: يزيد وينقص"[٤].

---

(١) ومن أشملها كتاب شيخنا أ.د.عبد الرزاق البدر حفظه الله الموسوم بـ"زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه".

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص: (١٧).

(٣) هو الإمام، الحافظ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، واسم منده: إبراهيم بن الوليد بن سندة بن بطة بن أستندار، كان إماماً عَلَماً، قويَّ التمسك بالسنة، شديداً على المبتدعة، له التصانيف الكثيرة في الحديث والعقائد وغيرها، توفي سنة: (٣٩٥ هـ). انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٦٧/٢، السير ٢٨/١٧- ٤٣.

(٤) الإيمان لابن منده ٣٠٠/١.

٣- حصول التقوى لله عز وجل والخوف منه سبحانه والمراقبة له:

فمن عظَّم الله عز وجل اتقاه في أوامره بامتثالها، وفي نواهيه باجتنابها، وتجنب معصية الله عز وجل وكل ما يغضب مولاه سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

فبين تعالى أن تعظيم شعائره سبحانه مؤد إلى تقوى القلب وعلامة عليه.

وشعائر الله التي أمرنا بتعظيمها: قيل: هي أعمال الحج وأماكنه، وقيل: هي أعلام الدين وما أشعر الله وأعلم بتعظيمه[١].

قال الشيخ السعدي في تفسير الآية: "والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨ ومنها: الهدايا والقربان للبيت، وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها: الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه. فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله"[٢].

وقال النبي ﷺ عن الإحسان: (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[٣].

والذي يورث هذه المراقبة لله عز وجل في العبادات هو تعظيم الله عز وجل، واستشعار اطلاعه ورؤيته للعمل، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

---

(١) انظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي) ٣٨٤/٥، تفسير ابن كثير ٤٢١/٥.

(٢) تفسير السعدي ص: (٦٢٨).

(٣) جزء من حديث جبريل عليه السلام المشهور، رواه البخاري برقم: (٥٠)كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل ١٥٢/١، ومسلم برقم: (٩٣) كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ١٠١/١-١١١..

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " فقوله ﷺ في تفسير الإحسان: (**أن تعبد الله كأنك تراه**) إلخ، يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: (**أن تخشى الله كأنك تراه**) . ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها"(١).

قال أبو القاسم التيمي(٢) رحمه الله: "فينبغي لمن عرف حق عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت"(٣).

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي(٤):"إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم، ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه، وذَكَر المقامَ غداً بين يديه، وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذَكَرَ

---

(١) جامع العلوم والحكم ١٢٦/١.

(٢) هو الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل، الحافظ الكبير، أبو القاسم التيمي الطلحي، المعروف بالجوزي (بضم الجين وسكون الواو وبعدها زاي) الملقب بقوام السنة، سمع كثيراً بعدة بلاد، وجاور بمكة، روى عنه السمعاني وابن عساكر وأبو موسى المديني وجماعة، وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، له كتاب الحجة، والترغيب والترهيب وغيرها، توفي سنة: (٥٣٥ هـ)انظر: السير ٨٠/٢٠- ٨٨، الوافي بالوفيات ١٢٧/٩ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ١٤١/١-١٤٢.

(٤) هو الإمام الحافظ المحدِّث، أبو عبد الله، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، مولده: ببغداد، في سنة: (٢٠٢ هـ)، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، وكان أبوه مروزياً، كان إمام عصره في الحديث، وكان أحد العُبّاد، له الكتب الكثيرة، مثل: الإيمان، تعظيم قدر الصلاة، اختلاف الفقهاء، السُّنة، وغيرها، وكان إماماً مجتهداً، توفي سنة: (٢٩٤ هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٦/٢- ٢٥٥، السير ٣٣/١٤- ٤٠.

دوام إحسانه إليه، وقلةَ الشكر منه لربه، فإذا غلب ذِكْر هذه الأمور على قلبه هاج منه الحياء من الله، فاستحى الله أن يطلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه يتحرك بما يكره، فطهَّر قلبَه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه"(١).

وبيَّن تعالى ما للإيمان بعظمته سبحانه من أثر على المخلوقات خوفاً منه سبحانه وهيبةً وإجلالاً ولَهَجاً بذكره وتسبيحه واستغفاره؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [الشورى: ٤ -٥].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآيتين: "﴿ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ بذاته وقدره وقهره. ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي من عظمته ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ ﴾ على عظمها وكونها جماداً، ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، ﴿ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه، مع أنه تعالى هو ﴿ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ الذي لولا مغفرته ورحمته لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة.

وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموماً، وإلى محمد - صلى الله عليهم أجمعين- خصوصاً، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمالِ الباري تعالى ووصفِه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرفِ جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول اتخاذ أنداد للّه من دونه، ليس

---

(١) تعظيم قدر الصلاة ٢/٨٢٥.

بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، ولهذا عقّبه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الشورى: ٦] "[١].

٤- تعظيم الله وتعظيم حرماته فيه حصول الخير للإنسان في الدارين:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج: ٣٠] .

وقد قيل في معنى حرمات الله أنها: معاصي الله وما نهى عنه، وتعظيمها ترك الوقوع فيها.

وقيل: حرمات الله: ما لا يحل انتهاكها.

وقيل: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرم التفريط فيه.

وقيل: هي المناسك، بدلالة ما يتصل بها من الآيات، فقيل هي: البيت الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام[٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله مبيناً أن الآية تشمل كل ما ذُكر: "﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرنا لكم من تلك الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله وإجلالها وتكريمها، لأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي مَن عظّمها وأجَلَّها أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه ودنياه وأخراه عند ربه.

وحرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم، والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها. فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل"[٣].

فتعظيم حرمات الله ﷻ من تعظيم الله سبحانه لأن الله ﷻ هو الذي جعل لها هذه الحرمة، وأمر بتعظيمها بامتثالها إذا كانت أمراً، وباجتنابها إذا كانت نهياً، وبالقيام بما شرع تجاهها إذا كانت زماناً أو مكاناً، فمن حصَّل ذلك اجتمع له الخير بحذافيره.

---

(١) تفسير السعدي ص: (٨٨٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي) ٥/٣٨٢- ٣٨٣، زاد المسير ٣/٢٣٥.

(٣) تفسير السعدي ص: (٦٢٨)، وانظر: مدارج السالكين ٢/٧٤ فقد ذكر أن الآية تعم ذلك كله.

٥- البعد عن المعاصي:

فإذا عظم العبد ربه سبحانه وأجَلَّه، وامتلأ قلبه بمحبته وهيبته وخوفه، وقَدَره حق قَدْره ابتعد عن معاصي الله تعالى، وعن كل ما يغضب مولاه عليه؛ لأن القلب مع الجوارح هو بمثابة الملك المتصرف مع جنوده، فإذا عظم القلبُ اللهَ ﷻ انحبست الجوارح عن المعصية وأقبلت على الطاعة، وإذا فَرَطت منه معصية فإنه سرعان ما يؤوب منها، ويرجع، ويندم على تفريطه في حق الله عز وجل.

وحتى مع وقوع الإنسان المعظم لله جل وعلا في الذنب؛ فإن تأثير ذلك الذنب عليه أخف من تأثيره على قلب المتهاون بمن عصاه، ضعيفِ الإجلال والتعظيمِ له والخوفِ منه، لكن إنْ هو استمر على المعصية ولم يتب منها فإن من عقوبات الذنوب والمعاصي أنها تضْعف تعظيمَ العبد لربه عز وجل، وتقلل هيبته في قلبه، وتجرئه على التعدي على حرماته.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومن عقوبات الذنوب: أنها تُضعِف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولابد، شاء أم أبى.

ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه.

وربما اغتر المغتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي. وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب. فالمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظّمه ويكبرّه، ويرجو وقاره، ويجلّه من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل.

وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيمُ الله جل جلاله وتعظيمُ حرماته، ويهون عليه حقه.

ومن بعض عقوبة هذا: أن يرفع الله ﷻ مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به كما هان عليه أمره، واستخف به؛ فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته يعظم الناس حرماته. وكيف ينتهك عبد حرماتِ الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه

حق الله، ولايهوّنه الله على الناس؟ أم كيف يستخف بمعاصي الله، ولا يستخف به الخلق؟ وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه أركس أربابها بما كسبوا، وغطى على قلوبهم، وطبع عليها بذنوبهم، وأنه نسيهم كما نسوه، وأهانهم كما أهانوا دينه، وضيعهم كما ضيعوا أمره؛ ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ [الحج: ١٨] ؛فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به، ولم يفعلوه، أهانهم؛ فلم يكن لهم من مكرم بعد إن أهانهم؛ ومن ذا يكرم من أهانه الله، أو يهين من أكرمه الله؟"[١].

وأعظم المعاصي التي يبتعد عنها المعظم لله تعالى: الشرك بالله سبحانه؛ لأن الشرك فيه أعظم التنقص لله رب العالمين، وفيه سوء ظن بالله ﷻ، كما أن فيه تشبيهَ اللهِ تعالى بخلقه.

ومن المعاصي العظيمة التي يبتعد منها المعظم لله جل وعلا: التكبر والتعاظم والخيلاء، يقول ابن القيم رحمه الله: "وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصافه بها ظلم؛ إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدَّه"[٢].

وقال: "مَن كمُلت عظمة الحق تعالى في قلبه عَظُمت عنده مخالفتُه، لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها، وفقْرَها الذاتي إلى مولاها الحق في كل لحظة ونَفَس، وشدة حاجتها إليه؛ عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونَفَس .

(١) الداء والدواء ص: (١٧٠- ١٧٢).

(٢) طريق الهجرتين ٢٧٥/١. وانظر: الداء والدواء ص: (٢٨٧-٢٨٨).

وأيضاً: فإذا عرف حقارتها مع عظم قدر من خالفه عظمت الجناية عنده؛ فشمّر في التخلص منها، وبحسب تصديقه بالوعيد ويقينه به يكون تشميره في التخلص من الجناية التي تلحق به"(١).

ومن أعظم ما يحمل الإنسان على البعد عن معصية الله تعالى هو يقينه باطلاع الله تعالى ومراقبته له، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمره، فهذا هو (الواعظ الأكبر) عن اجتراح المعاصي والسيئات، يقول الشيخ العلامة محمد الأمين رحمه الله: " قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ [هود: ٥] .

يبين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر، وما يُعلَن وما يُسَرّ، والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً، كقوله: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ... ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى.

تنبيه مهم: اعلم أن الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظاً أكبر، ولا زاجراً أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن، مِنْ أنه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه، رقيب عليهم، ليس بغائب عما يفعلون. وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكاً قتّالاً للرجال، سفاكاً للدماء، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلماً، وسيّافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دماً، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحداً من الحاضرين يهم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟ ! لا، وكلا! بل جميع الحاضرين

---

(١) مدارج السالكين ١/١٤٤-١٤٥.

يكونون خائفين، وجِلَة قلوبهم، خاشعة عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفاً من بطش ذلك الملك.

ولا شك (ولله المثل الأعلى) أن ربَّ السموات والأرض جل وعلا أشد علماً، وأعظم مراقبة، وأشد بطشاً، وأعظم نكالاً وعقوبة من ذلك الملك، وحِماه في أرضه: محارمه، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه، وأنه مطلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه، وخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله جل وعلا... "(١).

٦ - أداء العبادات للغرض الذي من أجله شرعت:

فإن العبادات جميعاً وسائر ما أمر الله به عز وجل المقصود منه تعظيم الله ﷻ، وغرس الهيبة له والإجلال في النفوس، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤] . فالصلاة وسائر الطاعات إنما شرعت لذكر الله عز وجل وتعظيمه في النفوس. وقال تعالى مخبراً عن بعض الحكم من شرعية الحج، فذكر منها ذكرَ الله ﷻ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨] . والحج يتضمن أعمالاً كثيرة شرعت لإقامة ذكر الله تعالى؛ ولهذا جاء في الحديث: (**إنما جُعل رميُ الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله**)(٢).

وقد سبق أن أشرت أن الدينَ جميعَه يقوم على تعظيم الله جل وعلا، وكلما قوي تعظيم الله عز وجل في العبادة كان ذلك هو المتسق مع الغرض من مشروعيتها، فتعظيم الله عز وجل فيها هو روحها، وهو الذي يجعل العبادة مقبولة عند الله، ويكثر الثواب عليها بقدر قوة تعظيم لله عز وجل فيها.

---

(١) أضواء البيان ٣/٩-١٠.

(٢) رواه أبو داود برقم: (١٨٨٨) كتاب المناسك، باب في الرمل ص: (٢٨٨)، والترمذي برقم: (٩٠٢) كتاب الحج، باب ما جاء كيف ترمى الجمار ص: (٢١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حسن صحيح. وضعفه الشيخ الألباني.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وروح العبادة هو الإجلال والمحبة؛ فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت"[(١)].

٧ - الذل والافتقار لله عز وجل:

فإذا عظَّم العبدُ اللهَ تعالى وتقدس؛ شهد فقره ومسكنته وحاجته إلى ربه، وأبصر ذله بين يديه، وأنه عاجز ضعيف لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وأنه وجميع الخلائق لا غنى لهم عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل من ذلك، ويتبرأ من حوله وقوته ويفوضهما إلى من هما بيده، ويقول بقلب حاضر مفتقر إلى الله جل وعلا: (اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت)[(٢)].

ويقول: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، وأصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)[(٣)].

ويستحضر تمام الاستحضار قول الله عز وجل: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] أي: "أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنياً حميداً أمر ذاتي له؛ فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه. وفقر من سواه إليه أمر ثابت لذاته لا لأمر أوجبه.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٩٥.

(٢) هو من أدعية الكرب رواه أحمد برقم (٢٠٤٢٩) ٣٤/٧٥، وأبو داود برقم (٥٠٩٠) كتاب الأدب، باب مايقول إذا أصبح ص: (٧٦٢- ٧٦٣) من حديث أبي بكرة ﷺ، وحسنه الألباني، والأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٣) هو من أذكار الصباح والمساء رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (٤٨) ص: (٤٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم: (٢٢٧) ١/٤٤٩-٤٥٠.

فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير؛ فحاجة العبد إلى ربه لذاته، لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب ﷻ لذاته، لا لأمر أوجب غناه ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازم أبداً ... كما الغنى أبداً وصف له ذاتي[١].

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات، لا بعلة، وكل ما يذكر ويقدر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة، لا علل لذلك؛ إذ ما بالذات لا يعلل. فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته؛ فما يذكر من إمكان وحدوث واحتياج فهي أدلة على الفقر، لا أسباب له"[٢].

فإذا فهم ذلك واستحضره تصاغرت نفسه وتطهرت من الكبرياء، وأقبل بكليته على ربه عز وجل، واستسلم لأمره ونهيه، وتعلق قلبه بربه، وأسرع إلى مرضاته وفعل محبوباته، وتضرع بين يديه، وسأله وحده جميعَ حاجاته، واستغنى عما في أيدي المخلوقين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حباً وحرية عما سواه.

والقلب فقير بالذات إلى الله من وجهين: من جهة العبادة، وهي العلة الغائية . ومن جهة الاستعانة والتوكل، وهي العلة الفاعلية.

فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه . ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه"[٣].

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٥٢٤/١- ٥٢٥، المستدرك على مجموع الفتاوى لابن قاسم ١٤٤/١.

(٢) طريق الهجرتين ١٢/١-١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٩٣/١٠-١٩٤، وانظر: مفتاح دار السعادة ٣٩٨/١-٤٠٥، طريق الهجرتين ١٦/١-١٩.

ومما يبين أن تعظيم العبد لله ﷻ يسبب ذل العبد لربه وافتقاره إليه: أن الصلاة التي هي أعظم الأركان العملية مبنية كلها على تعظيم الله جل وعلا، ومتضمنة لتذلل العبد، وافتقاره إلى ربه، وإظهار مسكنته بين يديه؛ فتجد المصلي حقاً يقف في الصلاة بسكينة وخشوع، مطرقاً ببصره نحو الأرض، ينظر إلى موضع سجوده كأنه خادم واقف أمام سيده من البشر، ويركع وينحني لربه عز وجل، ويسجد ويخر على الأرض، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه على الأرض على مواطئ الأقدام، ويقول عند ركوعه: سبحان ربي العظيم، وعند سجوده: سبحان ربي الأعلى، فكأنه يقول: إن العظمة والعلو وصفك يا رب، والذل والمسكنة وصفي أنا العبد الفقير، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ في ركوعه: (**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي**)[١].

(١) رواه مسلم برقم: (١٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٦/٢٩٩-٣٠٢ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بأسمائه وصفاته

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه. وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: كمال العظمة لله تبارك وتعالى بكمال أسمائه وصفاته، وبيان الاسم الأعظم، وفيه ثلاثة مطالب

المبحث الثالث: دلالة عظمة بعض المخلوقات على عظمة خالقها سبحانه.

المبحث الرابع: تعظيم الله تعالى بنفي مماثلته لأحد من خلقه.

المبحث الخامس: تعظيم الله تعالى بترك التسمي بالأسماء والاتصاف بالصفات التي فيها منازعة لعظمة الله تعالى.

المبحث السادس: التعطيل والتمثيل في الصفات قدح في عظمة الله تعالى، وفيه مطلبان.

قبل الشروع في فصول هذا الباب يجدر أن أُعرّف بالتوحيد وأذكر أقسامه ؛ لأن تقسيم هذه الفصول مبني على أقسام التوحيد الثلاثة، فأقول مستعيناً بالله عز وجل:

التوحيد لغة: مصدر وحّد، قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد"[(١)].يقال وحّده توحيداً أي اعتقده واحداً[(٢)].كما يقال: وحّده توحيداً أي جعله واحداً[(٣)] . وهذا المعنى الأخير من العلماء من اعترض عليه بأن وحدانية الله ﷻ ذاتية ليست بجعل جاعل[(٤)].

ويمكن أن يجاب عليه بأن العبد جعل اللهَ ﷻ واحداً بإخلاص عمله وتألهه لله وحده؛ فوحّد العبدُ المعبودَ سبحانه بأفعاله هو، فمن معاني "جعل" الحكم بالشيء للشيء[(٥)]، فالعبد حكم بوجوب إخلاص العبادة لله، وعمل بمقتضى ذلك الحكم.

التوحيد اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهذا حقيقة التوحيد وهو أن لا يشركه شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه"[(٦)].

وقريب من هذا ما قاله العلاّمة العثيمين رحمه الله: "هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختصّ به"[(٧)].

وقال الإمام السعدي: اعلم أن التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة[(٨)].

---

(١) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص: (١٠٨٤).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٦٦ – ١٦٧.

(٣) انظر: القاموس المحيط ص: (٣٢٤)، الحجة في بيان المحجة١/٣٣١، القول المفيد للعثيمين١/٨.

(٤) لوامع الأنوار البهية ١/٥٧ .

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص: (١٠١).

(٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣/٧٤.

(٧) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ص: (٣٩).

(٨) القول السديد ص: (١١).

وهو ثلاثة أقسام:

● **توحيد الربوبية:** هو إفراد الله ﷻ بالخلق والملك والتدبير[(١)]. والأدلة على هذا النوع كثيرة كقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

● **توحيد الأسماء والصفات:** وهو إفراد الله ﷻ بما له من الأسماء والصفات؛ وهذا يتضمن شيئين: **الأول:** الإثبات؛ وذلك بأن نثبت لله ﷻ جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ مع إثبات كمال الضد.

الثاني: نفي المماثلة؛ وذلك بأن لا نجعل لله مثيلاً في أسمائه وصفاته كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][(٢)].

● توحيد الألوهية: هو إفراد الله ﷻ بالعبادة[(٣)].

وهذا النوع من التوحيد هو أساس دين الإسلام، وحقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وهو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وهو الذي خلقت الخليقة من أجله، ومن أجله بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ومن أجله قام سوق الجهاد، وانقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، وأشقياء وسعداء، ومن أجله خلقت الجنة والنار، وهو الذي فيه الخصومة بين الرسل عليهم السلام وبين أقوامهم .

والأدلة عليه كثيرة جداً، ومنها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) القول المفيد١/٩، وانظر: مجموع الفتاوى١٠/٣٣١، أعلام السنة المنشورة ص: (٥٥)، القول السديد ص: (١٣).

(٢) القول المفيد ١/١٦ –١٧، وانظر: مجموع الفتاوى ٣/٣، أعلام السنة المنشورة ص: (٥٧).

(٣) القول المفيد ١/١٤، وانظر: مجموع الفتاوى ٣/١٠١، أعلام السنة المنشورة ص: (٥١)، القول السديد ص: (١٣).

تعريف الأسماء والصفات

الأسماء جمع اسم والاسم: مشتق من السمو، وهو العلو.

أو من السِّمة، وهي العلامة[١].

وتعريف أسماء الله الحسنى: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها[٢].

الصفات جمع صفة، **والصفة في اللغة**: الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته، والهاء عوض من الواو في وصف[٣].

وتعريف صفات الله ﷻ: ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها، ووردت به نصوص الكتاب والسنة[٤].

ومذهب السلف الصالح ﷺ في باب الأسماء والصفات يقوم على ثلاث قواعد هي:

١) الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله ﷺ.

٢) تنزيه الله ﷻ عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات الخلق.

٣) قطع الطمع عن إدراك كيفيتها[٥].

---

(١) انظر: معجم المقاييس لابن فارس ص: (٤٩٠)، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص: (١٢٩٦).مادة: (س م و)، تفسير القرطبي ١/١٣٨.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص: (٩).

(٣) انظر: المفردات ص: (٥٤٠)، لسان العرب ١٥/٢٢٣.

(٤) كتاب الصفات الإلهية، للتميمي ص: (١٢).

(٥) مِن أقدم مَن نص على هذه القواعد مجتمعة: الهروي في كتابه منازل السائرين ص: (١٢٦)، ونقلها عنه ابن القيم في مدارج السالكين ٣/٣٤٥، وممن ذكرها: الشيخ الشنقيطي كما في رسالته: منهج ودراسات ص: (٣ - ٢٦)، وفي كتابه: آداب البحث والمناظرة - القسم الثاني ص: (١٢٧-١٢٩)، والشيخ محمد أمان الجامي في الصفات الإلهية ص: (٦٥ -٦٦).

المبحث الأول:

تعظيم الله تعالى يكون بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

بيان الواجب تجاه نصوص الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ

إن الواجب على كل مسلم تجاه نصوص الصفات من القرآن والسنة هو إمرارها على ظواهرها اللائقة بالله ﷻ مع نفي المشابهة والمماثلة بين الله تعالى وبين خلقه، فتُمر كما جاءت، ولا يتعرض لها بالتأويل الباطل، وهو صرفها عن معانيها المرادة منها، وبلا عدول بها عن الحق الثابت لها، اقتداءً برسول الله ﷺ وبسلف هذه الأمة الذين كان دأبهم في هذه النصوص أنهم لا يتعرضون لها بالتحريف والتأويل الباطلين، بل كانوا يمرونها على ظواهرها مع إيمانهم بما دلت عليه تلك النصوص من أسماء الله تعالى وصفاته ونعوت جلاله كما يليق بعظمته.

وقد جاءت نصوص كثيرة عن سلف هذه الأمة في وجوب إمرار آيات وأحاديث الصفات على ظاهرها اللائق بالله تعالى وعدمِ تأويلها؛ واتفقت كلمتهم على إثبات الصفات لله ﷻ كما جاء في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف

ولا تمثيل ؛ قال الإمام الأوزاعي[(١)] رحمه الله: "كان الزهري[(٢)] ومكحول[(٣)] يقولان: أمروا هذه الأحاديث (أي أحاديث الصفات) كما جاءت"[(٤)].

وقال الوليد بن مسلم[(٥)]: "سألت الأوزاعي والليث بن سعد[(٦)] ومالكاً[(٧)] والثوري[(٨)]،

---

(١) هو الإمام عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، عالم أهل الشام، أبو عمرو، كان يسكن بمحلة الأوزاع في ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً إلى أن مات. وكان خيِّراً، فاضلاً، مأموناً كثير العلم والحديث، فقيهاً، حجة، توفي سنة: (١٥٧ هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٨٨/٧، السير ١٠٧/٧- ١٣٤.

(٢) هو الإمام العلم حافظ زمانه: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر، المدني نزيل الشام الفقيه الحافظ المحدث المكثر من الرواية، التابعي الجليل، العابد الزاهد. توفي سنة: (١٢٣)، وقيل: (١٢٤) هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٣٨٨/٢-٣٨٩، السير ٣٢٦/٥ -٣٥٠.

(٣) هو الفقيه الشامي: مكحول، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو أيوب، وقيل: أبو مسلم الدمشقي، الفقيه، أرسل عن النبي ﷺ أحاديث، وأرسل عن عدة من الصحابة لم يدركهم، كان ثقة، كثير الإرسال، اختلف في سنة وفاته؛ فقيل: مات سنة: (١١٢هـ)، وقيل: (١١٣هـ)، وقيل غير ذلك . انظر: الطبقات الكبرى ٤٥٣/٧- ٤٥٤، السير ١٥٥/٥- ١٦٠.

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٧٣٥) ٤٧٨/٣ ورواه البيهقي في الأسماء والصفات برقم: (٩٥٤) ٣٧٧/٢. وقال محققه: إسناده حسن.

(٥) هو الإمام عالم أهل الشام: الوليد بن مسلم، أبو العباس الدمشقي، الحافظ، مولى بني أمية ثقة كثير التدليس، صنف في الحديث وتصدى للإمامة وارتفع شأنه، توفي سنة: (١٩٥هـ) . انظر: الطبقات الكبرى ٤٧٠/٧- ٤٧١، السير ٢١١/٩-٢٢٠.

(٦) هو الإمام الحافظ الفقيه، عالم الديار المصرية ومحدثها وفقيهها، أبو الحارث، الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم، قرين الإمام مالك، وكان جواداً متصدقاً . توفي سنة: (١٧٥ هـ). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥١٧/٧، السير ١٣٦/٨-١٦٣.

(٧) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبد الله المدني، أحد الأئمة الأربعة، ولد على الأصح في سنة: (٩٣ هـ)، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل، وطلب العلم وهو حدث، كان معظماً للسنة محارباً للبدعة، له كتاب الموطأ، ت: (١٧٩هـ). انظر: السير ٤٨/٨- ١٣٥، البداية والنهاية ١٩٩/١٠، الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ٨٢/١- ١٣٩ .

(٨) هو الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، الفقيه الحافظ المجتهد، سيد العلماء العاملين في زمانه، طلب العلم وهو حدث، كان ذكياً قوي الحفظ، قيل: إن شيوخه بلغوا ستمائة شيخ، توفي سنة: (١٦١ هـ).انظر: الطبقات الكبرى ٣٧١/٦- ٣٧٤، السير ٢٢٩/٧- ٢٧٩.

عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك؛ فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية "[١].

" فقولهم رضي الله عنهم: "أمروها كما جاءت" رد على المعطلة، وقولهم: "بلا كيف" رد على الممثلة... وأيضاً فقولهم: "أمروها كما جاءت " يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه؛ فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول "[٢].

قال الإمام ابن قدامة[٣] رحمه الله: "وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن؛وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وتَرْكِ التعرضِ له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل... وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله.

وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبِرْنا أنها من الضلالات... وهكذا من لم يسعه ما وسع رسولَ الله ﷺ وأصحابَه والتابعين لهم بإحسان

---

(١) رواه الآجري في الشريعة برقم: (٧٢٠) ١١٤٦/٣، ورواه البيهقي في الاعتقاد ص: (١٢١)، وقال محققه: إسناده حسن، وفي الأسماء والصفات برقم: (٩٥٥) ٣٧٧/٢.وقال محققه: إسناده صحيح، والذهبي في العلو ٩٥٩/٢، وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو ص: (١٤٢-١٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩/٥- ٤٢.

(٣) هو الإمام القدوة العلامة المجتهد، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي، أحد أعلام مذهب الإمام أحمد رحمه الله، ومن بحور العلم وأذكياء العالم،كان حسن الخلق، عابداً،له كتاب "المغني "شرح لمختصر الخرقي من أعظم الكتب الفقهية،له لمعة الاعتقاد، ذم التأويل،توفي سنة: (٦٢٠ هـ) انظر: السير ١٦٥/٢٢- ١٧٣.

والأئمةَ من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات، وقراءةِ أخبارها، وإمرارِها كما جاءت فلا وسع الله عليه "[١].

والصحابة رضي الله عنهم وسلف هذه الأمة لم يختلفوا في مسائل الاعتقاد ومنها آيات الصفات مع وجود بعض الاختلاف بينهم في المسائل الاجتهادية الفقهية، وهذا يدل على أن الله سبحانه قد تولى بيان هذا الأمر بياناً شافياً ولم يُعْوِز أحداً لأن يستنبط ذلك بعقله أو اجتهاده، وبينه أيضاً رسوله ﷺ أيما بيان، ففهمه السلف الصالح الفهم الصحيح، فوجب الوقوف عند فهمهم والوقوف حيث وَقَفوا. قال ابن القيم رحمه الله: " تنازع الناس[٢]في كثير من آيات الأحكام، ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً، وأن العناية ببيانها أهم؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين، وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس ولا إشكال يوقع الراسخين في العلم"[٣].

---

(١) لمعة الاعتقاد مع شرحها للشيخ الفوزان ص: (٣٥-٧٠)، وانظر: الاقتصاد للحافظ عبد الغني المقدسي ص: (٢١٤- ٢٢٣).

(٢) يريد بالناس: الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان. وفي أصل الصواعق١/٢٠٨ - ٢١٠ ذكر خلاف الصحابة في بعض الأحكام الفقهية ثم أورد هذا بدون ذكر كلمة الناس.

(٣) مختصر الصواعق ١/٣٩ - ٤٠، وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/٨٨ - ٨٩، منازل الأئمة الأربعة ص: (١٠٧ – ١٠٨)، معارج القبول ١/٣٥٦ - ٣٦٦.

المطلب الثاني:
وجوب الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

إن الواجب تجاه ما دلت عليه تلك النصوص من الصفات الإلهية أن تثبت لله تعالى بحقيقة الإثبات كما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ من غير أن يتعرض لها بتحريف ولا تعطيل، ولابتكييف ولا تمثيل، بل أن تثبت لله تعالى كما وردت، وأن يؤمن العبد بها، وأن يترك معارضتَها بالعقل والرأي والقياس؛ لأنها من أمور الغيب التي لا تعرف على التفصيل إلا من طريق الوحي، والله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠] ولا يصف اللهَ تعالى أحد من الخلق أفضل من وصف الرسول ﷺ لربه؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، بل بما أوحى الله تعالى إليه.

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم الذين أمرنا باتباعهم لاينفون شيئاً مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ولم يؤثر عن أحد منهم أبداً أنه نفى شيئاً من أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه كتب العقائد وكتب التفسير شاهدة بذلك .

كما كان السلف الصالح لا يكيفون صفات الله تعالى؛ لأن الله ﷻ أخبرنا عن صفاته فعقلنا معانيها، ولم يُخبرنا عن كيفياتها، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما أعلمهم به؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[طه: ١١٠].

وكذلك فإن من مذهب سلف الأمة عدم تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه؛ فكما أن لله تعالى ذاتاً لا تشبه الذوات فإن أسماءه وصفاته كذلك؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١].

ويجب أن لا يفهم أن معنى إمرار الصفات على ظاهرها هو التمثيل، وأن صفات الله تعالى وأسماءه من جنس صفات المخلوقين وأسمائهم؛ فإن هذا باطل، ومناقض لقول الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ومناقض لقول الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم: ٦٥]. وغير ذلك من الأدلة .

كما أن السلف الصالح رضوان الله عليهم ينفون مانفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ في سنته ؛ فإن مانفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله هو من النقائص والعيوب التي يتنزه الرب تبارك وتعالى عنه، ويعظَّم سبحانه عن أن يوصف بها .

وكل نفي في صفات الله تعالى فإنه يتضمن إثبات كمال الضد لله تبارك وتعالى، وليس هو نفيا محضاً ؛ لأن النفي المحض ليس بمدح .

وهذا مثل ما قال الله سبحانه عن نفسه: ﴿ وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ؛ فإنه متضمن لإثبات كمال القوة والقدرة لله تعالى .

وقال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ؛ فإنه متضمن لإثبات كمال الحياة والقيومية لله تعالى .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]فإنه متضمن لإثبات كمال العدل لله تعالى .

المطلب الثالث:

دلالة مذهب السلف في الصفات على تعظيم الله تعالى

مذهب السلف الصالح في الصفات وهو إثبات ما أثبته الوحيان المطهران عن الباطل هو التعظيم الحقيقي لله عز وجل، لامذهب من نفى تلك الأسماء والصفات أو بعضها زاعماً أنه بهذا يعظّم الله تعالى .

ومما يدل على أن هذا هو التعظيم الحق لله عز وجل:

أولاً: أن منهج السلف في الأسماء والصفات الإلهية هو عين ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وعين ما نطق به الكتاب والسنة اللذين هما مصدرا الدين، لم يحيدوا عنهما قدر أنملة، وهو من الإيمان بالله عز وجل ؛ إذ الإيمان بالله تعالى يتضمن ثلاثة أمور: الإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بألوهيته، وأنه هو المعبود بحق .

ويشملها جميعاً قولُ الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

ثانياً: أن من منهج أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ؛ أي يتوقف فيها على ما ورد به النص من الكتاب والسنة ؛ ولاتثبت بالعقول والأقيسة والآراء، ولاشك أن هذا من أعظم مايدل على قيام هذا المنهج السلفي على تعظيم الله عز وجل ؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ومن قال في شيء من الأسماء والصفات برأيه فقد فاه بما ليس له به علم، وقفا ما لايدرك بعقل بشري قاصر؛ قال تعالى عن نفسه: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ﴾ [طه: ١١٠].

وقال تعالى ناهياً عن اقتفاء ما ليس للإنسان علم به: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ونهى الله سبحانه عن التقدم بين يديه ويدي رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ [الحجرات: ١].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: " هذا متضمن للأدب مع الله تعالى، ومع رسول الله ﷺ، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا حتى يقول، ولا يأمروا حتى يأمر، فإن هذا حقيقة الأدب الواجب مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان "(١). ومن أثبت لله اسماً أو صفة لم ترد في الكتاب والسنة فقد تقدم بين يدي الله ورسوله.

ثالثاً: أن التسليم لخبر الله ورسوله هو من تعظيم الله تعالى، ونفي ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ متضمن للاعتراض على الله تعالى؛ فأي جراءة وأي ظلال أعظم من أن يقول العبد عن شيء أثبته الله لنفسه إن هذا لايليق بك ياربي وأنت منزه عنه؟ فهذا فيه التنقص لله تعالى المضاد لتعظيمه، وكيف " يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض، ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك، ويلزمه من النقص كذا وكذا؛ فأنا أؤوله وألغيه، وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم "(٢).

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: " فمن تقدم بين يدي الله ورسوله، وتجرأ على الله، فنفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات العظيمة وما وصفه به رسول الله ﷺ، وقال: هذا الذي وصفت به نفسك ووصفك به رسولك لا يليق بك ! وفيه من النقص كذا وكذا ! ! فأنا أؤوله وألغيه وآتي ببدله من تلقاء نفسي؛ كما قال بعضهم:

---

(١) تفسير السعدي ص: (٩٤٣).

(٢) منهج ودراسات للشنقيطي ص: (٤).

وكل نص أوهم التشبيها ** أَوِّلْه أو فَوِّضْ وَرُمْ تنزيها[١]

فلا أرجع إلى كتابك ولا إلى سنة نبيك في ذلك؛ لأن فيها ما يوهم التشبيه، وإنما أرجع إلى قواعد المتكلمين وأقاويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ! فهل يكون يا عباد الله هذا مؤمناً بالله وبكتابه وسنة رسوله ؟ ! وهل يكون معظماً لربه ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم"[٢].

رابعاً: أن نفي ما أثبته الله لنفسه سوء ظن بالله عز وجل، فمن ظن أنه ليس لله اسم ولاصفة، أو نفى شيئاً منها فقد أساء الظن بالله تعالى، لأنه اعتقد أن هذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ لاتليق بالله تعالى وأنه يلزم من إثباتها لوازم باطلة من التشبيه والتمثيل ونحو ذلك، وأن الله أخبر بما ظاهره باطل وكفر، قال ابن القيم رحمه الله: " ومَن ظن به أنه أخبرَ عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل، وتشبيه وتمثيل، وترك الحقَّ لم يُخبر به، وإنما رَمزَ إليه رموزاً بعيدة، وأشار إليه إشاراتٍ مُلْغِزةً لم يُصرِّح به، وصرَّح دائماً بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد مِن خلقه أن يُتعِبُوا أذهانَهم وقُواهم وأفكارَهم في تحريفِ كلامه عن مواضعه، وتأويلهِ على غير تأويله، ويتطلَّبوا له وجوهَ الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائِه وصفاتِه على عقولهم وآرائهم، لا على كتابِه، بل أراد منهم أن لا يحمِلوا كلامَه على ما يعرِفُون من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يُصَرِّحَ لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويُريحَهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل، بل سلك بهم خلافَ طريق الهدى والبيان، فقد ظنَّ به ظنَّ السَّوْءِ، فإنه إن قال: إنه غيرُ قادر على التعبير عن الحقِّ باللَّفظ الصريح الذى عبَّر به هو وسلفُه، فقد ظن بقُدرته العجز، وإن قال: إنه قادِرٌ ولم يُبَيِّن، وعدَلَ عن البيان، وعن التصريح بالحقِّ إلى ما يُوهم، بل يُوقِعُ في الباطل المحال، والاعتقاد الفاسد، فقد ظنَّ بحكمته ورحمته ظَنَّ السَّوءِ، وظنَّ أنه هو وسلفُه عبَّروا عن الحقِّ

---

(١) جوهرة التوحيد لبرهان الدين اللقاني (مع شرحها تحفة المريد للبيجوري) ص: (١٠٣).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (١٥١- ١٥٢).

بصريحه دُونَ الله ورسوله، وأن الهُدى والحقَّ في كلامهم وعباراتهم. وأما كلام الله، فإنما يؤخذ مِن ظاهره التشبيه، والتمثيل، والضلال،

وظاهِر كلام المتهوِّكين[1] الحيارى هو الهُدى والحق، وهذا من أسوأ الظن بالله، فَكُلُّ هؤلاءِ من الظانين بالله ظن السَّوْءِ، ومن الظانين به غير الحق ظن الجاهلية ..."[2].

خامساً: التزام منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب له الأثر الكبير في تعظيم العبد لربه عز وجل واستقامته على دين الله وشرعه وتعظيمه لأمر الله تعالى ونهيه، وخوفه وخشيته من ربه ومراقبته له في السر والعلن، وذلك بسبب ما علمه العبد واعتقده من أسماء الله وصفاته، وقد قال بعض السلف: " من كان بالله أعرف كان له أخوف "[3]، وهذا من علامات صدق هذا المنهج، وأنه السبيل الوحيد لتعظيم الله تعالى، أما من انحرف عن هذا المنهج السوي فإنه يسبب له ولابد البعدَ عن تعظيم الله تعالى وتعظيم أوامره ونواهيه، ويضعف في قلبه أو يتلاشى الخوفُ من الله وتعظيمُه وخشيتُه . يقول ابن القيم رحمه الله: " وتجد أضعف الناس بصيرة أهل الكلام الباطل المذموم، الذي ذمه السلف لجهلهم بالنصوص ومعانيها، وتمكن الشبه الباطلة من قلوبهم . وإذا تأملت حال العامة – الذين ليسوا مؤمنين عند أكثرهم– رأيتهم أتم بصيرة منهم، وأقوى إيماناً، وأعظم تسليماً للوحي وانقياداً للحق "[4].

سادساً: أن أهل السنة والجماعة أثبتوا ماورد في الوحيين من الأسماء والصفات وفهموا معانيها؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلسان عربي مبين، ولم يجعلوها ألفاظا جامدة لاتدل على معان، ولم يجعلوا تفسيرها وبيان معانيها في لغة العرب ممنوعاً، أما الكيفيات التي عليها تلك

(١)التهوك هو الوقوع في الأمر من غير رويَّة، وقيل هو التحيُّر. انظر: النهاية لابن الأثير ص: (١٠١٥).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٠٧/٣ – ٢٠٨.

(٣) الرسالة للقشيري ص: (١٤١).

(٤) مدارج السالكين ١٢٥/١.

الصفات فلم يخوضوا فيها، بل وكلوا علمها إلى الله جل وعلا ؛ لأن الله تعالى أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفياتها، ولاشك أن هذا يتضمن تعظيم النصوص باعتقاد مادلت عليه وأخبرت به، وبالوقوف عندها وعدم التعدي عليها، كما يتضمن تعظيمَ الرب سبحانه بعدم تكييف صفاته والقول فيها بغير علم . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠].

المبحث الثاني:

كمال العظمة لله تبارك وتعالى بكمال أسمائه وصفاته، وبيان الاسم الأعظم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

كل أسماء وصفات الرب تعالى كاملة لانقص فيها بوجه من الوجوه

فكل ما ورد في القرآن والسنة من أسماءِ الله تعالى وصفاته فهي كاملة لانقص فيه بوجه من الوجوه، ولا يتطرق إليها شيء من النقص .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الكمال ثابت للَّه، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابتٌ لِلرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقِيضِه؛ فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوتُ العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلَة العقلية والبراهين اليقينية مع دلالة السَّمْعِ على ذلك. ودلالة القرآن على الأمور نوعان:

أَحدهما: خبر اللَّه الصادق، فما أخبر اللَّهُ وَرَسُولُهُ به فهو حق كما أخبر اللَّهُ بهِ.

والثاني: دلالةُ القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب، فهذه دلالةٌ شرعيةٌ عقليةٌ؛ فهي " شرعية " لأن الشرع دل عليها وأَرشد إليها، " عقلية " لأنَّها تعلم صحتها بالعقل، ولا يقال: إنها لم تعلمْ إلا بمجرد الخبر.

وإذا أخبر اللَّهُ بالشيء ودل عليه بالدلالات العقلية: صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليله العقلي الذي يُعْلَمُ به، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن اِلتي تسمَّى " الدلالة الشرعية "[(١)].

(١) مجموع الفتاوى ٦/٧١ - ٧٢.

ومن الأدلة على أن للرب تعالى الكمال المطلق في أسمائه وصفاته ﷻ:

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: ١٨٠]

والحسنى، تأنيث الأحسن، يقال: الاسم الأحسن، كالكبرى تأنيث الأكبر[١].

فيخبر تعالى أن أسماءه كلها حسنى؛ أي: قد بلغت الغاية في الحسن التام المطلق، فلا أحسن منها؛ لما تدل عليه من صفات الكمال والعظمة ونعوت الجلال والكبرياء ؛ فهي أحسن الأسماء وأكملها وأعظمها وأجلها.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى " فجعل سبحانه مثل السوء – المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال – لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى – المتضمن لإثبات الكمال كله – لله وحده، فمن سلب صفة الكمال عن الله تعالى فقد جَعَل له مثلَ السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق المتضمِّن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثرَ في الموصوف وأكملَ كان بها أكملَ وأعلى من غيره.

ولما كانت صفاتُ الرب تعالى أكثرَ وأكملَ كان له المثل الأعلى، وكان أحقَّ به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان؛ لأنهما إن تكافآ من كل وجه لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير"[٢].

ومن الأدلة على كمال صفات الله ﷻ: آيات التنزيه والتسبيح، وكذلك آيات الحمد، وقد جمع الله تعالى بينهما في موطن واحد؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١٢٣/٤، تفسير القرطبي ٢٨٦/٧.

(٢) شرح الطحاوية ٢٠٨/١، وانظر: مختصر الصواعق ٣٩٤/٢ – ٣٩٨.

﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات: ١٨٠- ١٨٢]؛ " فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب "[١]، ثم حمد الرب ﷻ نفسه، و" الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه والخضوع له؛ فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له. وكلما كانت صفاتُ كمالِ المحمود أكثرَ كان حمدُه أكملَ، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها. ولهذا كان الحمدُ لله حمداً لا يحصيه سواه؛ لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه؛ لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه"[٢].

ومن الأدلة على كمال صفات الله تعالى: أنه سبحانه تمدَّح بها، وأثنى على نفسه بها، وقد يتمدح تلك الصفات الكاملة العظيمة ابتداءً، وقد يتمدح بها في حال تقرير أنه المعبود بحق وبيان بطلان المعبودات من دونه، وقد يتمدح بها عند الأمر والنهي والترغيب والترهيب.

يقول ابن القيم رحمه الله: " وبيّن [أي: الله تعالى] أن ما وصف به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سواه، فجاحده جاحد لكمال الرب ؛ فإنه يُمدح بكل صفة وصف بها نفسه، وأثنى بها على نفسه، ومجّد بها نفسه، وحمد بها نفسه، فذكرها سبحانه على وجه المِدْحة له والتعظيمِ والتمجيدِ، وتعرَّفَ بها إلى عباده ليعرفوا كمالَه وعظمتَه ومجدَه وجلالَه، وكثيرا ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها من دونه وجعلوها شركاء له، فيذكر سبحانه من صفات كماله وعلوه على عرشه وتكلمه وتكليمه وإحاطة علمه ونفوذ مشيئته ما هو منتف عن آلهتهم ؛ فيكون ذلك من أدل الدليل على بطلان آلهيتها وفساد عبادتها من دونه، ويذكر ذلك عند دعوته عباده إلى ذكره وشكره وعبادته، فيذكر لهم من أوصاف كماله ونعوت جلاله ما يجذب قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته والمسارعة إلى طاعته والتنافس في القرب منه .

---

(١) الواسطية مع شرحها للهراس ص: (٢٨).

(٢) مدارج السالكين ١/ ٢٥.

ويذكر صفاته أيضا عند ترغيبه لهم وترهيبه وتخويفه ليعرِّف القلوبَ من تخافه وترجوه وترغب إليه وترهب منه .

ويذكر صفاته أيضا عند أحكامه وأوامره ونواهيه ؛ فقل أن تجد آية حكم من أحكام المكلفين إلا وهي مختتمة بصفة من صفاته أو صفتين، وقد يذكر الصفة في أول الآية ووسطها وآخرها كقوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[المجادلة: ١]... فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف تجدها كلها قد أثبتت الكمال للموصوف بها، وأنه المتفرد بذلك الكمال، فليس له فيه شبه ولا مثال، وأي دليل في العقل أوضح من إثبات الكمال المطلق لخالق هذا العالم ومدبره وملك السموات والأرض وقيومها ؟ فإذا لم يكن في العقل إثبات جميع أنواع الكمال له فأي قضية تصح في العقل بعد هذا ؟ ومن شك في أن صفة السمع والبصر والكلام والحياة والإرادة والقدرة والغضب والرضا والفرح والرحمة والرأفة كمال فهو ممن سُلب خاصة الإنسانية وانسلخ من العقل..."[١].

ومن الأدلة العقلية على إثبات الكمال لله تعالى:

أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني (صفة النقص) باطل بالنسبة للرب الكامل المستحق للعبادة؛ ولهذا أظهر الله بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعيب"[٢]، فدل على أن الرب المعبود لا بد أن يكون متصفاً بصفات الكمال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[النحل: ٢٠- ٢١]، وأخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه احتج على أبيه بنقص معبوده من دون الله، وهو مع ذلك يأمره بعبادة الرب الكامل وحده وهو الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾[مريم: ٤٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ

(١) الصواعق المرسلة ٣/٩٠٩ – ٩١٦.

(٢) القواعد المثلى ص: (٥٣).

عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٤٨]. فعاب الله آلهة المشركين ومعبوداتهم من دونه بالنقص في الصفات؛ فدل على أنه الرب الكامل المستحق للعبادة دون من سواه.

ومن الأدلة العقلية أيضاً: أننا نشاهد في المخلوقات كمالاً، والله تعالى هو الذي أعطاها ذلك الكمال، ومعطي الكمال أولى به، فلابد من أن يكون خالقها أعظم منها وأكمل، بل لابد أن يكون له الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.

دلالة الفطرة على إثبات الكمال لله تعالى:

فإن النفوس مجبولة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمتْ أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته ؟[1]، فكما أن الناس مفطورون على الإقرار بالخالق جل وعلا؛ فهم مفطورون على أنه أكمل وأجل وأعظم من غيره.

وأيضاً: فإن الإنسان مفطور على الإقرار بالخالق وعبادته، وعلى الإقرار بكماله وعظمته، وإقرارهم بأنه خالق معبود هو إقرار بأنه كامل عظيم.

---

(١) القواعد المثلى ص: (٥٤).

المطلب الثاني:

أنه لكمال صفات الرب ﷻ وعظمتها لا يحاط بها

فلا يعلم أحد كيفية اتصاف الرب بالصفات وكيف هو إلا الله ﷻ، مع أن الله تبارك وتعالى تعرّف بتلك الصفات إلى عباده بما بثه في كتابه العظيم وبما أخبر به رسوله ﷺ في سنته؛ فالعباد "يعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه"(١)؛ أما كيفية ذات الله عز وجل وكيفية صفاته فهي من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل البشري القاصر فيها؛ لأن الله سبحانه غيب عنا، وإنما أخبرنا بصفاته، ولم يخبرنا بكيفيتها وكنهها، والشيء لا تعرف كيفيته إلا بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل؛ فوجب بطلان تكييفها(٢)، فالواجب على العباد أن يثبتوا الصفات لله عز وجل إثباتَ وجودٍ لا إثباتَ كيفية، مع القطع أن لها كيفية لا يعلمها إلا الله، فيفوضوا علم الكيفية له.

والأدلة على نفي العلم بكيفية ذات الله ﷻ وكيفية صفاته كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ﴾[طه: ١١٠] .

ففي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأن العباد لا يمكنهم الإحاطة به تعالى ولا بصفاته الجليلة العظيمة.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[الإسراء: ٣٦] .

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص: (١٦١).

(٢) انظر: القواعد المثلى ص: (٦٦).

ففي هاتين الآيتين أن من جملة المحرمات أن يقول الإنسان على الله مالا يعلم، وأن يقفوَ ما ليس له به علم، ومن جملة ذلك كيفية صفات الله ﷻ؛ لأن الله أخبرنا بصفاته ولم يخبرنا بكيفيتها .

أما العلم بمعنى الصفة فمطلوب من العبد؛ فقد جاء في النصوص ذكر كثير من صفات ربنا ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٢- ٢٤]، فكل اسم من هذه السماء متضمن لصفة أو أكثر.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[الكهف: ٥٨]وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن: ٢٦ - ٢٧]وغير ذلك من النصوص الواردة بذكر أسماء الرب المتضمنة لصفاته، أو الواردة بالتنصيص على الصفة. قال الإمام الشافعي رحمه الله: " ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه خلقه "[(١)].

قال الإمام أبو الحسن الأشعري[(٢)] رحمه الله حاكياً مذهب أهل السنة والجماعة: " وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيُّه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم "[(٣)].

---

(١) الرسالة ص: (١٠١).

(٢) هو الإمام أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، إليه ينتسب الأشاعرة،كان قوي الذكاء قوي الفهم، وكان معتزلياً،ثم كلابياً ثم تاب منه ورجع إلى مذهب أهل السنة،له كتب منها: الموجز، اللمع، مقالات الإسلاميين، توفي سنة: (٣٢٤ هـ) انظر: السير١٥/٨٥- ٩٠.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر ص: (٢٤٥).

وهناك من المخلوقين ما لا نعرف كيفيتَه مع قرب المخلوقين من بعضهم البعض، واشتراكهم في الإمكان والحدوث ؛ فكيف بصفات الله تعالى ؟، وهي صفات عظيمة، والتباين بينها وبين صفات المخلوقين أعظم وأكبر، فالتباين بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين كتباين ذات الله تعالى وذوات المخلوقين، فإذا كان في صفات المخلوقين ما لا تعرف كيفيته؛ فصفات الله تعالى أعظم وأجل من أن يصل مخلوق إلى معرفة كيفياتها، فهو من المحال.

ومن المخلوقات التي لا نعرف كيفياتها: الروح؛ فإن الإنسان لا يعرف حقيقتها وكيفيتها وهي روحه التي بين جنبيه، وهي عين موجودة، ومتصفة بصفات لا نعرف كيفياتها، مع أننا نقطع أن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تسل من البدن وقت النزع كما ورد في النصوص.

قال شيخ الإسلام: "والمقصود، أن الروح إذا كانت موجودةً حيةً عالمة قادرةً سميعةً بصيرةً تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته، أو بمشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفةً بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات، فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته، وأهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها.

فإذا كان مَن نَفَى صفاتِ الروح جاحداً معطلاً لها، ومن مثَّلها بما يشاهده من المخلوقات جاهلاً ممثلاً لها بغير شكلها، وهي مع ذلك ثابتة بحقيقة الإثبات مستحقة لما لها من الصفات؛ فالخالق ﷻ أولى أن يكون من نفى صفاته جاحداً معطلاً،ومن قاسه بخلقه جاهلاً به ممثلاً، وهو سبحانه ثابت بحقيقة الإثبات، مستحق لما له من الأسماء والصفات"[1].

---

(١) التدمرية ص: (٥٦ — ٥٧).

ومن صفات المخلوقين التي لا يعرف المخلوقون كيفياتها: حقائق اليوم الآخر، وما يكون فيه، ولم يمنع ذلك من التصديق والإقرار الجازم بها، وذلك كنعيم القبر وعذابه، وصفات ما يكون في المحشر مما لم نخبَر بكيفيته، وما يكون في الجنة والنار. " فإن الله ﷻ أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات، من أصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن، فأخبرنا أن فيها لبناً وعسلاً وخمراً وماءً ولحماً وحريراً وذهباً وفضةً وفاكهةً وحوراً وقصوراً.وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما:"ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء "[1].

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقة في الأسماء للحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا؛ إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق. وهذا بين واضح "[2].

(١) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٢٠٠.

(٢) التدمرية ص: (٤٦ — ٤٧).

المطلب الثالث:

الاسم الأعظم

دلت الأدلة على أن أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته متنوعة ومتفاضلة، فمن أسماء الله تبارك وتعالى ما يدل على جملة أوصاف كاسم الله تعالى (المجيد)، واسمه (العظيم)، واسمه (الصمد)، فكل واحد منها دال على عدد من الصفات العظيمة لله تبارك وتعالى . ومما يدل على تفاضلها مجيء بعضها بصيغة التكثير كالقهار والغفار والجبار والخلاّق، وكذلك مجيء بعضها بصيغة أفعل التفضيل كالأعلى والأكرم.

ومما يدل على تفاضلها من النصوص: قول النبي ﷺ: (**لله تسعة وتسعون اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر**)[١]. فدل على أن لله تعالى أسماءً اختصت بهذا الفضل من بين سائر أسمائه تبارك وتعالى .

وصفات الله تعالى تتفاضل فمثلاً " الرضا عن النبيين أعظم من الرضا عمن دونهم، والرحمة لهم أكمل من الرحمة لغيرهم، وتكليم الله لبعض عباده أكمل من تكليمه لبعض"[٢].

ومما يدل على تفاضل صفات الله تعالى: قول النبي ﷺ: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده **فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي**)[٣].

ولله سبحانه وتعالى الاسم الأعظم الذي ورد أن من دعا الله تعالى به أجابه. ومما يدل على إثبات الاسم الأعظم لله تعالى:

١ – عنْ عَبْد اللَّهِ بْن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى ٢١٢/١٧.

(٣) رواه البخاري برقم: (٧٤٢٢) كتاب التوحيد، باب: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧] ٤٩٧/١٣، ورواه مسلم برقم: (٦٩٠٣) كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى ٧١/١٧ . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: (**لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**)(١).

٢ - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (**لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**)(٢).

٣ - وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ** ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ** (١٦٣) ﴾ [البقرة: ١٦٣] وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿ **الٓمٓ** (١) **اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** (٢) ﴾)(٣).

---

(١) رواه أبو داود برقم: (١٤٩٣) كتاب الصلاة، باب الدعاء ص: (٢٣٠)، والترمذي برقم: (٣٤٧٥) كتاب الدعوات، باب ماجاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ ص: (٧٩٨)، والبغوي في شرح السنة برقم: (١٢٥٩) ٥/٣٧ -٣٨ . ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير برقم: (١٨٥٨) ١/٦٦٠ -٦٦١ وصححه ووافقه الذهبي .وقال الترمذي: حسن غريب . وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في أحكامه على سنن أبي داود وسنن الترمذي.

(٢) رواه أبو داود برقم: (١٤٩٥) كتاب الصلاة، باب الدعاء ص: (٢٣٠)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٧٠٥) باب الدعاء عند الاستخارة ص: (٢٥٣)، والبغوي في شرح السنة برقم: (١٢٥٨) ٥/٣٦ . ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير برقم: (١٨٥٦) ١/٦٦٠ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في أحكامه على سنن أبي داود وسنن الترمذي.

(٣) رواه أبو داود برقم: (١٤٩٦) كتاب الصلاة، باب الدعاء ص: (٢٣٠ -٢٣١)، والترمذي برقم: (٣٤٧٨) كتاب الدعوات، باب ماجاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ ص: (٧٩٠)، وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله كما في أحكامه على سنن أبي داود وسنن الترمذي.

ففي هذه الأدلة أن لله تعالى اسماً هو أعظم الأسماء وأن الدعاء به من أسباب إجابة الدعاء.

وقد اختلف العلماء في تحديد الاسم الأعظم وتعددت اجتهاداتهم فيه على أقوال كثيرة.

فقيل: هو لفظ الجلالة (الله)، وهذا ماعليه أكثر العلماء.

وقيل: هو ذو الجلال والإكرام.

وقيل: هو الحي القيوم.

وقال آخرون: هو لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وقيل: هو الله الرحمن الرحيم.

وقيل هو ربِّ ربِّ.

وقيل: هو مخفي في الأسماء الحسنى[1] .

والأخير هو أقوى الأقوال، وأنه مخفي في الأسماء الحسنى، ولايوجد دليل قطعي في المسألة، ولعل من حكمة إخفاء هذا الاسم أن يجتهد العباد في طلبه، ويبذلوا جهدهم في تحصيله، كما أخفيت ليلة القدر وساعة الإجابة يوم الجمعة . والله أعلم.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٢٦٨/١١ – ٢٦٩، تحفة الذاكرين للشوكاني ص: (٥١ – ٥٣)، التوحيد لابن منده ٢١/٢، شأن الدعاء ص: (٢٥، ٣٠ –٣١)، الدر المنظم ص: (٣١ – ٣٦)، غذاء الألباب ١٠/١، اسم الله الأعظم ص: (١٣٠ – ١٣٧) فقه الأسماء الحسنى ص: (٧٢).

المبحث الثالث:

دلالة عظمة بعض المخلوقات على عظمة خالقها سبحانه.

إن من تأمل ماخلق الله تعالى عليه بعض خلقه من العِظَم فإنه يستدل بذلك على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأن الذي وهبها تلك العظمة هو أحق بها، فالذي جعل غيره عظيماً هو أحق منه بالعظمة، بل إن العظمة في ذلك المخلوق العظيم هي من أثر عظمة الرب الخالق، الذي لا أعظم ولا أجل ولا أكبر منه .

فيستدل على عظمة الرب بالعظمة التي أوجدها في بعض مخلوقاته ؛ فيتبين للعباد أنه أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأن الأشياء وإن كبرت وعظمت فإنها تصغر أمام جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وإذا كنا نقف عاجزين عن أن نحيط وندرك عظمة بعض المخلوقات؛ فنحن عن أن ندرك ونحيط بعظمة الرب جل جلاله وعظم سلطانه أعجز.

قال الله تعالى عن أحد مخلوقاته وهو الكرسي : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

ويلاحظ هنا أن الله سبحانه لما ذكر عظمة كرسيه، وذكر كمال قدرته على حفظ العالم العلوي والسفلي على عظمته واتساعه بدون اكتراث ولامشقة أعقب ذلك بذكر أنه سبحانه هو العظيم الذي له العظمة المطلقة؛ تنبيهاً على أنه مهما عظُمت بعض المخلوقات وكبُرتْ فالرب سبحانه أجل منها وأكبر وأعظم .

ولما ذكر الله اعتداد قوم عاد بقوتهم، وأنه حملهم ما رأوا من قوتهم على الاستكبار في الأرض؛ رد الله تعالى عليهم بذكر مبتدأهم ونشأتهم، وأنهم مخلوقون لله تعالى، وأنه هو الذي أمدهم بالقوة، فهو أشد منهم قوة، فمعطي القوة أحق بها، قال تعالى:﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥].

وقال النبي ﷺ: (**ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**)[١].

وقال ﷺ: (**يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟**)[٢].

قال الإمام المزني[٣] تلميذ الإمام الشافعي[٤] رحمهما الله قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٥/٣، وابن أبي شيبة في العرش برقم: (٥٨) وابن حبان في صحيحه برقم: (٣٦١)٧٦/٢- ٧٧، وأبو نعيم في الحلية ١٦٦/١، والبيهقي في الأسماء والصفات برقم: (٨٦١) ٢٩٩/٢-٣٠٠، وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (١٠٩) ٢٢٣/١. وانظر: فتح الباري٥٠٦/١٣ .

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦١).

(٣) هو الإمام الفقيه، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري، تلميذ الشافعي. حدث عن الشافعي، ونعيم بن حماد وغيرهما.وهو قليل الرواية، ولكنه كان رأساً في الفقه، وكان مناظراً قوي الحجة، زاهداً ورعاً، حدث عنه ابن خزيمة، والطحاوي، وخلق. ومن تصانيفه: المختصر المشهور، توفي سنة: (٢٦٤هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٩٣/٢- ١٠٩، سير أعلام النبلاء ٤٩٢/١٢ – ٤٩٦ .

(٤) هو الإمام العَلَم محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، ناصر الحديث، فقيه الملة، وكان بصيراً باللغة ولسان العرب، صنف التصانيف، ودوّن العلم، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة، وله كتاب الرسالة، والأم وغيرهما. توفي سنة: (٢٠٤ هـ). انظر: الفهرست لابن النديم ص: (٢٩٤- ٢٩٧)، الوافي بالوفيات ١٢١/٢- ١٢٧، السير ٥/١٠ - ٩٩.

مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك، فما الذي عندك ؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت ؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون.

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك ؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجماً في السماء ؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق ؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه ؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤] فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. قال: فتبت"[١].

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٣١ — ٣٢، وذكره بألفاظ مقاربة ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص: (٣٤٢)، وتاريخ دمشق ٥١/٣٨١- ٣٨٢.

المبحث الرابع:

تعظيم الله تعالى بنفي مماثلته لأحد من خلقه.

الله ﷻ منزه عن أن يماثل شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، فهو أجل وأعظم وأكبر من ذلك، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[النحل: ٧٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل: ١٧]،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم: ٦٥]. ففي هذه الأدلة وأمثالها بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يماثله أو يشابهه أو يساويه أحد من خلقه في أي صفة من صفاته، بل له سبحانه الوحدانية في كل ما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وذات الله سبحانه لا تشبه الذوات، ومباينةٌ لها أعظم المباينة، فهو سبحانه أكمل وأجل وأعظم من أن تماثل أو تشابه ذاتُه شيئاً من ذوات الخلق.

وكذلك أفعاله وصفاته، لا تشبه أفعال المخلوقين ولا صفاتهم؛ فأفعاله كقبض الأرض وطي السماء يوم القيامة، وصفاته كعلمه المحيط، وقدرته الشاملة، وسمعه الذي وسع الأصوات، وبصره المُدرِك لكل المبصرات؛ كل ذلك يدل على عظمته وجلاله سبحانه، وأنه ليس كمثله شيء.

قال أبو حنيفة[١] رحمه الله: "لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه،... وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا "[٢].

وقال نعيم بن حماد[٣] رحمه الله: "من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف اللهُ به نفسَه ورسولُه تشبيه"[٤].

وقال الإمام الطحاوي[٥] رحمه الله: " ولاشيء مثله ".

---

(١) هو الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أول الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة يقال: إنه من أبناء الفرس، ولد سنة: (٨٠ هـ) في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم الكوفة،توفي سنة: (١٥٠ هـ).انظر: فهرست ابن النديم ص: (٢٨٤-٢٨٥)، الوافي بالوفيات ٨٩/٢٧- ٩٤، السير ٣٩٠/٦ - ٤٠٣.

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه لمحمد الخميس ص: (٢٢، ٣٧، ٤٠). ونقله ابن أبي العز في شرح الطحاوية ١٧٨/١. عدا الجملة الأخيرة (ويسمع...).

(٣) هو الإمام نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث، الإمام الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي، صاحب التصانيف، أخذ عن: أبي حمزة السكري وهُشيم وابن المبارك وغيرهم، وأخذ عنه: البخاري، وأبوداود، والترمذي، وابن ماجه بواسطة، وابن معين، أُخذ بسبب محنة خلق القرآن حتى مات في القيد سنة: (٢٢٨ هـ) انظر: السير ٥٩٥/١ - ٦١٢.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٩٣٦) ٥٨٧/٢- ٥٨٨، العلو للذهبي ١٠٩٣/٢.

(٥) هو الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحَجْري المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف كشرح معاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وهو من أهل قرية (طحا) من أعمال مصر، مات سنة: (٣٢١ هـ). انظر: فهرست ابن النديم ص: (٢٩٢)، السير ٢٧/١٥ -٣٣.

قال شارح الطحاوية في شرحه لهذه الجملة: " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله "(١).

وقال ابن القيم: لاشيء يشبه ذاتَه وصفاتِه   سبحانه عن إفك ذي البهتان(٢).

ويُنبَه هنا على مسألة مهمة وهي أن كل موصوفين بينهما قدر مشترك من الصفة، وهو مسمى الوجود أو الحياة أو السمع أو البصر ونحو ذلك، فمثلاً: الله سبحانه موصوف بالسمع، والمخلوق موصوف بالسمع، لكن سمع الله ﷻ يليق بكماله وعظمته، وسمع المخلوق يليق بعجزه وضعفه، وليس هذا تشبيه أو تمثيل؛ لأن القدر المشترك لا يوجد في الخارج إلا مقيداً مختصاً، فهو وجود في الأذهان لا في الأعيان، والقدر المشترك يفيد صحة الوصف بتلك الصفة، ويفيد فهم الأمور الغائبة، ولولا المعنى المشترك لما أمكن ذلك(٣).

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي: " يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه، ويجيب عن جميع الأسئلة، وهو: أن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، **امتلأ صدره من التعظيم**، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، **فيكون القلب منزّهاً معظّماً له جل وعلا**، غير متنجّس بأقذار التشبيه ؛ فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها، أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ على غرار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، **والشر كل الشر في عدم تعظيم الله**، وأن يسبق في ذهن

---

(١) شرح الطحاوية ١/١٥٤.

(٢) الكافية الشافية (النونية) ٣/٧٠٧، وانظر: التوحيد لابن منده مع تعليق د. الفقيهي ٣/١٦-١٨، بيان تلبيس الجهمية ١/٢٩٢ - ٢٩٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣/٧٤ - ٧٦، شرح الطحاوية ١/١٥٩- ١٦٤.

الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة"[١].

فتمثيل أو تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه قدح في عظمة الله تعالى، وقدح في التعظيم الواجب لله ﷻ وتنقص له . وهل هناك أعظم من تنقصِ مَنْ جَعَل المخلوقَ الناقصَ من كل الوجوه مماثلاً للرب تعالى الكامل من جميع الوجوه؟ ؛ فإن هذا من أعظم الظلم والافتراء والتنقص لرب العالمين سبحانه.

---

(١) منهج ودراسات للشنقيطي ص: (٢٠).

المبحث الخامس:

تعظيم الله تعالى بترك التسمي بالأسماء والاتصاف بالصفات التي فيها منازعة لعظمة الله تعالى.

من تعظيم الله سبحانه وتعالى: الحذر من التسمي بأسماء فيها منازعة لله تعالى في اسم من أسمائه، أو الاتصاف بصفة فيها منازعة لله تعالى في صفة العظمة.

فلايجوز أن يسمي شخص نفسه أو يسميه غيره باسم مختص بالله عز وجل مثل: الله والخالق والبارئ والقيوم، والرب معرفاً ب: أل، ومثل ملك الأملاك وقاضي القضاة وسلطان السلاطين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**) زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ: (**لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**)[١]. وفي رواية: (**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ: رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ**)[٢].

قال النووي رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: "واعلم أن التسمي بهذا الاسم حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به ؛ كالرحمن والقدوس والمهيمن وخالق الخلق ونحوها"[٣].

فمن تسمى بهذا الاسم وماشابهه كقاضي القضاة وحاكم الحكام وسلطان السلاطين؛ فقد كذب وتعدى، وادعى ماليس له، ونازع الله تعالى فيما لايجوز أن يكون إلا له.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٦٢٠٦) كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله ٧٢١/١٠، ورواه مسلم برقم: (٥٥٧٥) كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ٣٤٧/١٤.

(٢) رواه مسلم برقم: (٥٥٧٦) كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ٣٤٨/١٤.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٣٤٨/١٤.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله[1] رحمه الله: " فالذي تسمى بهذا الاسم [يعني: ملك الأملاك] قد كذب وفجر، وارتقى إلى ما ليس له بأهل، بل هو حقيق برب العالمين؛ فإنه المِلك في الحقيقة؛ فلهذا كان أذل الناس عند الله يوم القيامة... فالذي تسمى ملك الأملاك أو ملك الملوك قد بلغ الغاية في الكفر والكذب، ولقد كان بعض السلاطين المساكين يفتخر بهذا الاسم فأذله الله "[2].

– أما إذا كان للاسم معنى كلي تتفاوت فيه أفراده ؛ وليس خاصاً بالله عز وجل ؛ فتجوز التسمية به مثل: ملك وعزيز ورحيم ورؤوف[3].

– كما أنه إذا قصد بالاسم معنى الصفة فالتسمية به ممنوعة ؛ فعن أبي شريح هَانِئٍ بن يزيد ﵁ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟**) فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) هو الإمام سليمان بن عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه، له مؤلفات منها: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا لما دخل الدرعية، فأحضره، وأظهر بين يديه آلات اللهو إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة، وأمر العسكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً، فمزقوا جسمه رحمه الله وتقبله في الشهداء، وكان ذلك سنة: (١٢٣٣ هـ).انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ٢١٢/١، الأعلام ٢٩٥/٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١٠٥٨/٢ – ١٠٥٩، وانظر: الفروق للقرافي ٢٤/٣ – ٢٥، تجريد التوحيد ص: (٦٦).

(٣) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٣٤٨/١٤، تيسير العزيز الحميد ١٠٦٥/٢، القول المفيد ٢٦٠/٢ – ٢٦١، ٢٦٣ - ٢٦٤، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (١٤٧).

ﷺ: (**مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟**) قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ . قَالَ: (**فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟**) : قُلْتُ: شُرَيْحٌ . قَالَ: (**فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**)(١).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: " غيّره النبي ﷺ لأمرين:

الأول: أن الحكم هو الله، فإذا قيل: يا أبا الحكم! كأنه قيل: يا أبا الله!.

الثاني: أن هذا الاسم الذي جعل كنية لهذا الرجل، لوحظ فيه معنى الصفة وهي الحكم؛ فصار بذلك مطابقاً لاسم الله، وليس لمجرد العلمية المحضة، بل للعلمية المتضمنة للمعنى، وبهذا يكون مشاركا لله – سبحانه وتعالى – في ذلك، ولهذا كنّاه النبي ﷺ بما ينبغي أن يكنى به"(٢). وقال: " وأما ما لا يختص بالله؛ فإنه يسمى به غير الله إذا لم يلاحظ معنى الصفة، بل كان المقصود مجرد العلمية فقط؛ لأنه لا يكون مطابقاً لاسم الله، ولذلك كان في الصحابة من اسمه (الحكم) ، ولم يغيره النبي ﷺ ؛ لأنه لم يقصد إلا العلمية، وفي الصحابة من اسمه (حكيم) وأقره النبي ﷺ ؛ فالذي يحترَم من أسمائه تعالى ما يختص به، أو ما يقصَد به ملاحظة الصفة"(٣).

قالت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالمملكة العربية السعودية: " ما كان من أسماء الله تعالى علم شخص كلفظ (الله) امتنع تسمية غير الله به ؛ لأن مسماه معين لا يقبل الشركة، وكذا ما كان من أسمائه في معناه في عدم قبول الشركة ؛ كالخالق والبارىء ؛ فإن الخالق من يوجد الشيء على غير مثال سابق، والبارىء من يوجد الشيء بريئاً من العيب، وذلك لا يكون إلا من الله وحده؛ فلا يسمى به إلا الله تعالى، أما ما كان له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده من الأسماء والصفات؛ كالملك، والعزيز، والجبار، والمتكبر، فيجوز تسمية غيره بها، فقد سمى الله نفسه بهذه الأسماء، وسمى بعض عباده بها مثال: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٨١١) ص: (٢٩١)، وأبو داود برقم: (٤٩٥٥) كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح ص: (٧٤٢).

(٢) القول المفيد ٢/٢٦٣.

(٣) القول المفيد ٢/٢٦٤.

ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١]، وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥]، إلى أمثال ذلك، ولا يلزم التماثل، لاختصاص كل مسمى بسمات تميزه عن غيره[(١)].

وقالوا في جواب تابع للجواب الأول مفرَّعٍ عليه: " ... وبناء على ذلك لا يجوز تسمية المخلوق بالقيوم ؛لأن القيوم هو المستغني بنفسه عن غيره، المفتقر إليه كل ما سواه ؛ وذلك مختص بالله لا يشركه فيه غيره"[(٢)].

وفي الصفات: لايجوز أن يصف أحد نفسه أو يصفه غيره بصفة خاصة بالله عز وجل كعلم الغيب .

أما الصفات التي لها معنى كلي عام فلابأس بالوصف بها، لكن على أن يكون لكل من الخالق والمخلوق من الخصائص ما يليق به، وذلك كأن يوصف شخص بأنه عزيز أو ملِك، أو رحيم، أو أنه سميع بصير ونحو ذلك[(٣)].

وهناك من الصفات ماهي خاصة بالله عز وجل ونهي عن الاتصاف بها ؛ لما فيها من منازعة الله تعالى في صفاته، ومن ذلك:

صفة العظمة والكبرياء: فإنهما خاصتان بالله، فمن رام الاتصاف بواحدة منهما فقد نازع الرب تعالى في صفة من صفاته، وقد توعده الله تعالى بالعذاب المهين. ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**قال الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته**)[(٤)].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الثانية –برقم: (١١٨٦٥) ٢/٣٦٨ – ٣٦٩ ط: الأولى. وانظر منها ٢/٣٤٠ –٣٤١، وانظر منها أيضا: ٣/١٦٢ – ١٦٤ ط: الخامسة.

(٢) المرجع السابق٢/٣٧٠.

(٣) انظر ماتقدم ص: (٧٢) حيث ذكرت أمثلة على ذلك.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٦٦).

يقول الإمام المقريزي[١] رحمه الله: " فمن تعاظم وتكبر، ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته؛ فقد تشبه بالله، ونازعه في ربوبيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقِهِ"[٢].

ومن ذلك: صفة التصوير: فإن الله تعالى هو المصور، وله صفة التصوير ؛ فمن صور ذوات الأرواح فقد ضاهى الله تعالى في خلقه وتشبه به، وهذا مما حرمه الشرع وشدّد فيه تشديداً بليغاً ؛ قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾** ﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾** ﴾ [آل عمران: ٦].

وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾** ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**قَالَ اللَّهُ** عز وجل: **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً**)[٣].

---

(١) هو العلامة أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، أبو العباس، مؤرخ الديار المصرية.أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة، وعرض عليه القضاء فأبى. من تآليفه: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بخطط المقريزي)، البيان والإعراب، تجريد التوحيد المفيد وغيرها. توفي سنة: (٨٤٥ هـ). انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢/٢١– ٢٥.

(٢) تجريد التوحيد المفيد ص: (٦٥).

(٣) رواه البخاري برقم: (٥٩٥٣) كتاب اللباس، باب نقض الصور، ورواه مسلم برقم: (٥٥٠٩) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ١٤/٣١٩ – ٣٢٠.

وعن عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ[١] ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**)[٢] .

وعَنْ عَائِشَةَ[٣]رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً[٤] لِي بِقِرَامٍ[٥] فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ، وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: (**يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ**)[٦].

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، حليف بني زهرة، أمه أم عبد الله بنت ود أسلمت وصحبت، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه. وحدث عن النبي ﷺ بالكثير، هو أول من جهر بالقرآن بمكة، وفضائله كثيرة، قيل: مات بالمدينة سنة: (٣٢)، وقيل: (٣٣ هـ)، وقيل: مات بالكوفة، والأول أثبت. انظر: الإصابة ١١٢٢/٢– ١١٢٤.

(٢) رواه البخاري برقم: (٥٩٥٠) كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة ٤٦٩/١٠، ورواه مسلم برقم: (٥٥٠٣) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ٣١٧/١٤ – ٣١٨.

(٣) هي أم المؤمنين، زوج وحبيبة سيد المرسلين، الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر الصديق. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ﷺ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع، وقبض وهي بنت ثمان عشرة سنة، ولم ينكح بكراً غيرها، وكانت تكنى: أم عبد الله فقيل: إنها ولدت من النبي ﷺ ولداً فمات طفلاً ولم يثبت هذا. وقيل: كناها بابن أختها عبد الله بن الزبير، كانت من أفقه الناس وأعلمهم وأحسنهم رأياً، وهي من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ. ماتت سنة: (٥٨ هـ)، ودفنت بالبقيع. انظر: الإصابة ٢٥٧٣/٤ –٢٥٧٦.

(٤) السَّهوة هي: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً، شبيه بالمخدع والخزانة. وقيل هو كالصّفّة تكون بين يدى البيت، وقيل شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء. النهاية ص: (٤٥٧).

(٥) القرام هو: الستر الرقيق. وقيل: الصفيق من صوف ذي ألوان، وقيل: القرام: الستر الرقيق وراء الستر الغليظ. انظر: النهاية ص: (٧٤٦)، شرح صحيح مسلم للنووي ٣١٤/١٤ .

(٦) رواه البخاري برقم: (٥٩٥٤) كتاب اللباس، باب ما وطئ في التصاوير ٤٧٤/١٠، ومسلم برقم: (٥٤٩١) كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ٣١٤/١٤.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "ذكر النبي ﷺ العلة، وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة ؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [السجدة: ٧ - ٩] ؛ فالمصور لمّا صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أوبهيمة صار مضاهياً لخلق الله ؛ فصار ما صَوَّر عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذاباً ؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب"(١).

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمة الله عليه في ذكر بعض فوائد حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المتقدم: " وجوب احترام جانب الربوبية، وأن لا يطمع أحد في أن يخلق كخلق الله عز وجل لقوله: (**يضاهئون بخلق الله**) ، ومن أجل هذا حُرِّم الكِبْر؛ لأن فيه منازعةً للرب عز وجل، وحُرِّم التعاظم على الخلق؛ لأن فيه منازعة للرب –سبحانه وتعالى–، وكذلك هذا الذي يصنع ما يصنع فيضاهي خلق الله، فيه منازعة لله ﷻ في ربوبيته، في أفعاله ومخلوقاته ومصنوعاته؛ فيستفاد من هذا الحديث وجوب احترام جانب الربوبية"(٢).

ومن ذلك: علم الغيب . فإن علم الغيب وصف خاص بالله جل وعز ؛ فمن ادعى ذلك فقد نازع الله تعالى في صفة من صفاته، وذلك كفر مخرج من الدين. وقد تقدم الكلام على هذه المسألة(٣) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١٢٣٣/٢ – ١٢٣٤، وانظر: تجريد التوحيد ص: (٦٥ – ٦٦).

(٢) القول المفيد ٤٤٤/٢ وانظر: إعانة المستفيد للشيخ العلامة د. صالح الفوزان حفظه الله ٢٦٣/٢، وانظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن ٤٨٩/٤– ٤٩٩.

(٣) انظر: ص: (٢١٣) من هذا البحث.

المبحث السادس:

التعطيل والتمثيل في الصفات قدح في عظمة الله تعالى.

وفيه مطلبان:

التعطيل والتمثيل بدعتان متقابلتان في باب أسماء الله تعالى وصفاته، فالمعطلة بالغوا في التنزيه حتى أدى بهم الأمر إلى التعطيل والنفي، والمشبهة بالغوا في الإثبات حتى شبهوا صفات الله تعالى بصفات خلقه، فمن قال: لله بصر كبصر المخلوق وسمع كسمع المخلوق، أو قال: نزول الله كنزول المخلوق ونحو ذلك؛ فقد وقع في التشبيه تعالى الله عما يقول الظالمون والأفاكون علواً كبيراً، ومن المتقرر أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، فبدعة المعطلة تقابلها بدعة المشبهة أو الممثلة، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وهدى الله أهل السنة إلى القول الوسط والصواب؛ فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه مع نفي مشابهة الله لخلقه؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] ؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾رد على المشبهة والممثلة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على النفاة المعطلة.

المطلب الأول:

التعطيل قدح في عظمة الله تعالى

التعطيل هو نفي الصفات الإلهية كلها أو بعضها .

يقول الإمام أبو زُرعة الرازي[١] رحمه الله: " المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله ﷻ التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، ويُكذّبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات، ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة "[٢].

والله سبحانه منزه عما زعمه نفاة الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ، ومن نفى الصفات عن الله تعالى فقد نفى ما أثبته الله لنفسه، وكفى بهذا تعدياً وظلماً وتنقصاً وتقولاً على الله بغير علم، وكيف " يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض، ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك، ويلزمه من النقص كذا وكذا؛ فأنا أؤوله وألغيه، وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتاب أو سنة، سبحانك هذا بهتان عظيم "[٣].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " وأصل عبادته: معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عبدوه حق عبادته . والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ في ثلاث

---

(١) هو الإمام الحافظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد المخزومي مولاهم، أبو زرعة الرازي، أحد الأئمة الأعلام من أهل السنة، كان أعجوبة في الحفظ والذكاء.توفي سنة: (٢٦٤ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/٦٥– ٨٥، تقريب التهذيب ص: (٦٤٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١/٢٠٢ – ٢٠٣.

(٣) منهج ودراسات للشنقيطي ص: (٤).

مواضع ؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله على رسله؛ فقال في الزمر: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية [الزمر: ٦٧] . وقال في الحج: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤] ، وقال في الأنعام: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١]. وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار؛ فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر اللهَ حق قدره..."[١].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " من نفى صفات الكمال عن الرب تعالى خشية ما يتوهمه من التشبيه والتجسيم؛ فقد جاء من التنقص بضد ما وصف الله سبحانه به نفسه من الكمال "[٢].

ومما يدل على أن نفي الصفات تنقص لله تعالى: أن من نفى الصفات عن الله تعالى فإنه في حقيقة الأمر لا يعبد شيئاً موجوداً، وإنما يعبد عدماً مفقوداً؛ كما قيل: الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً. وهل هناك في التنقص أعظم من هذا ؟ ولازم هذا القول نفي وجود الله تعالى ؛ إذ ما لا صفة له فلا وجود له.

قال حماد بن زيد[٣] رحمه الله: "مثل الجهمية مثل رجل قيل له: في دارك نخلة ؟ قال: نعم . قيل: فلها خوص ؟ قال: لا . قيل: فلها سعف ؟ قال: لا . قيل: فلها كرب ؟ قال: لا . قيل: فلها جذع ؟ قال: لا . قيل فلها أصل ؟ قال: لا . قيل: فلا نخلة في دارك،

(١)مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠- ١٦١.

(٢) إغاثة اللهفان ١/٦٣.

(٣) هو العلامة الحافظ الإمام، حماد بن زيد بن درهم الأزدي، أبو إسماعيل، مولى آل جرير بن حازم البصري، الأزرق، الضرير، أحد الأعلام، كان من الحفاظ الأثبات ومن العلماء بالسنة، ومن أهل الديانة والعبادة، توفي سنة: (١٧٩ هـ). انظر: حلية الأولياء ٧/٢٥٧- ٢٦٧، السير ٧/٤٥٦- ٤٦٦.

هؤلاء الجهمية قيل لهم: لكم رب يتكلم؟ . قالوا: لا . قيل: فله يد؟ . قالوا: لا . قيل: فيرضى ويغضب ؟ قالوا: لا . قيل: فلا رب لكم"[١] .

ومما يدل على أن نفي الصفات تنقص لله تعالى: أن لازمه تكذيب للوحي، ورد لخبر الله تعالى.

فمن المعلوم أن أسماء الله تعالى وصفاته جاء بها كتابه وسنة رسوله ﷺ، وأنه لايخبِر عن الله أصدق من الله تعالى، وبعد خبر الله تعالى يأتي خبر رسوله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى، والواجب على كل مسلم إذا عرف الخبر عن الله تعالى من هذين المصدرين أن يعتقد موجبه وما دل عليه، لكنْ أن يقابله أحد يدعي الإسلام بالرد فهذا تكذيب لنصوص الوحيين . وتكذيب نصوص الوحي بعد البلاغ وبدون شبهة يعذر بها كفر مخرج من ملة الإسلام .

فعن أبي مطيع البلخي[٢] قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[طه:٥] ، وعرشه فوق سماواته، فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال: لا يدري العرش في السماء أو في الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر"[٣].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: " لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو

---

(١) رواه أبو حفص بن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة برقم: (٣٥) ص: (٣٤)، وذكره أبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١/٤٧٧ .

(٢) هو الفقيه، الحكم بن عبد الله، أبو مطيع البلخي، تفقه بأبي حنيفة، ولي قضاء بلخ، وكان بصيراً بالرأي، وكان من المرجئة، وهو ضعيف الحديث، توفي سنة: (١٩٩)، وقيل: (١٩٧هـ). انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/٢٦٥- ٢٦٦، الوافي بالوفيات ١٣/٧٠- ٧١.

(٣) ذكره الذهبي في العلو للعلي العظيم برقم: (٣٣٢) ٢/٩٣٥، وانظر: مختصر العلو ص: (١٣٦).

كافر، أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحدٌ إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها"(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مفصلاً الحكم في إنكار شيء من أسماء الله تعالى وصفاته: " **والإنكار نوعان:**

الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحداً أنكر اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: ليس لله يد، أو أن الله لم يستو على عرشه، أو ليس له عين، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع .

الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا ينكرها، ولكن يتأولها إلى معنى يخالف ظاهرها، وهذا نوعان:

١. أن يكون للتأويل مسوِّغ في اللغة العربية، فهذا لا يوجب الكفر .

٢.أن لا يكون له مسوِّغ في اللغة العربية؛ فهذا حكمه الكفر؛ لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار في الحقيقة تكذيباً ... "(٢).

ومما يدل على إنكار الأسماء والصفات تنقص لله تعالى: أن هذا المعطل للصفات لم يقع في التعطيل إلا بعد أن انقدح في ذهنه أن إثبات الصفات لله عز وجل يقتضي تشبيهه بخلقه ؛ فمثل أولاً وعطّل ثانياً. فجمع السوأتين: التعطيل والتمثيل، وتَنقَّصَ الرب تعالى بالتمثيل ثم بالتعطيل .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:" أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات؛ فقد جمعوا بين التعطيل

---

(١) ذكره ابن قدامة في إثبات صفة العلو ص: (١٨١)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص: (١٢٢)، والذهبي في العلو ١٠٦٢/٢ مختصراً، وأورده مطولاً في السير ٧٩/١٠ –٨٠، وانظر: الشريعة ٩٨٢/٢، ٩٨٦– ٦٨٧، مجموع الفتاوى ٤٨٦/٦، مختصر العلو ص: (١٧٧).

(٢) القول المفيد ١٨٣/٢، وانظر: مجموع الفتاوى ٥٣٨/٧ .

والتمثيل، مثلوا أولاً وعطلوا آخراً، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى"(١).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " من نفى عنه سبحانه الفرح والمحبة والرضى والغضب والكراهة والمقت والبغض، وردَّها كلها إلى الإرادة ؛ فإنه فهم فرحاً مستلزماً لخصائص المخلوق، من انبساط دم القلب وحصول ما ينفعه، وكذلك فهم غضباً هو غليان دم القلب طلباً للانتقام، وكذلك فهم محبة ورضى وكراهة ورحمة مقرونة بخصائص المخلوقين؛ فإن ذلك هو السابق إلى فهمه، وهو المشهود في علمه الذي لم تصل معرفته إلى سواه، ولم يحط علمه بغيره، ولما كان ذلك هو السابق إلى فهمه لم يجد بداً من نفيه عن الخالق تعالى، والصفة لم تتجرد في عقله عن هذا اللازم، فلم يجد بداً من نفيها"(٢).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "وكل هذا الشر [يعني تعطيل الصفات]...إنما جاء من مسألة، وهي: نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه؛ فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفةً من صفات الكمال أثنى الله بها على نفسه؛ كنزوله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، وكاستوائه على عرشه، وكمجيئه يوم القيامة، وغير ذلك من صفات الجلال والكمال ؛ أول ما يخطر في ذهن المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجساً بأقذار التشبيه، **لا يقدر الله حق قدره، ولا يعظم الله حق عظمته** ؛ حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق ؛ فيكون فيها أولاً نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه، فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق. فيكون فيها أولاً: مشبهاً، وثانياً: معطلاً، ضالاً ابتداءً وانتهاءً، متهجماً على رب العالمين، ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٥.

(٢) طريق الهجرتين ٥١٥/٢.

... والشر كل الشر في **عدم تعظيم الله**، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق؛ فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة "(١).

ومما يدل على أن إنكار الأسماء والصفات تنقص لله تعالى مايترتب على قول النفاة من اللوازم الباطلة: ومن المعلوم أن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " لوازم هذا القول معلومة البطلان بالضرورة من دين الإسلام، وهي من أعظم الكفر، وبطلان اللازم يستلزم بطلان ملزومه ؛ **فإن من لوازمه**: ألا يستفاد من خبر الرسول عن الله في هذا الباب علم ولا هدى ولا بيان للحق في نفسه.

ومن لوازمه: أن يكون كلامه متضمناً لضد ذلك في ظاهره وحقيقته.

ومن لوازمه: القدح في علمه ومعرفته، أو في فصاحته وبيانه، أو في نصحه وإرادته ...

ومن لوازمه: أن يكون المعطلة النفاة أعلم بالله منه، أو أفصح أو أنصح.

ومن لوازمه: أن يكون أشرف الكتب وأشرف الرسل قد قصر في هذا الباب غاية التقصير، بل أفرط في التجسيم والتشبيه غاية الإفراط، وتنوع فيه غاية التنوع..."(٢).

ويقول ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة، الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة، بل يوجد على خلاف الحق عندهم إما نصاً وإما ظاهراً، بل دالاً عندهم على الكفر والضلال لزم من ذلك لوازم باطلة:

منها: أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه ﷺ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره، ويوقعهم في التشبيه والتمثيل.

ومنها: أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزاً وألغزه إلغازاً لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد.

---

(١) منهج ودراسات ص: (١٩-٢٠).

(٢) مختصر الصواعق ٢/٤٥٩ - ٤٦٠.

ومنها: أن يكون قد كلّف عباده أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلّفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك .

ومنها: أن يكون دائماً متكلماً في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب ... "[(١)].

وكل من نفى أسماء الله تعالى أو صفاته كلياً أو جزئياً فهو معطل بحسب وبقدر نفيه وتعطيله، يجمعهم التعطيل وتتفاوت درجاتهم فيه.

وهذا الوصف يصدق على الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن سار في فلكهم وقال بقولهم.

وسبب انحرافِ هؤلاء المعطلة عن الصراط المستقيم في هذا الباب ونفيِهم لما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ هو اعتمادهم على العقل، وجعله طريق الوصول إلى الحق في هذا الباب، وأنه لا يوجد طريق سواه.

فالفلاسفة يقوم مذهبهم على البحث في طبائع الأشياء المشاهدة بالعقول؛ لمعرفة عللها الخفية وراء ظواهرها، ولو أنهم توقف بحثهم عند ذلك ولم يتجاوزوا الأشياء المشاهدة أو المحسوسة في الكون لكان الأمر أسهل، لكن هذا جَرَّهم إلى ما هو أبعد منه، وما ليس هو في مكنتهم ولا قدرتهم أساساً؛ فأخذوا يبحثون فيما وراء الطبيعة وما يسمونه (الإلهيات)، ومعلوم أن هذا من أمور الغيب التي لا تدرك على التفصيل إلا من طريق الوحي الإلهي، فلذلك غلطوا في هذا الباب أغلاطاً فاحشة، وجاءوا بشر مستطير.

والمتكلمون شاركوهم أيضاً في هذا الأصل، وورثوه عنهم، وحسبهم ضلالاً السير خلف أولئك واقتفاء آثارهم، فصار المتكلمون يعتمدون في إثبات العقائد على العقل، ويقدمونه على النقل والشرع، ويوهمون أنفسهم بوجود التعارض بينهما؛ يقول القاضي عبد

---

(١) طريق الهجرتين ٢/٥١٥.

الجبار[١] وهو من شيوخ المعتزلة: "الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل "[٢].

ويقول الجويني[٣] الأشعري: " وإن كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفاً لقضية العقل؛ فهو مردود قطعاً "[٤].

تعريف موجز بمذاهب المعطلة في الأسماء والصفات:

أولاً: مذهب الفلاسفة في أسماء الله تعالى وصفاته:

الفلاسفة هم أبعد الناس عن الحق في هذا الباب؛ فهم " يدأبون حتى يثبتوا (واجب الوجود)، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة له ولا نعت، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السموات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئاً، ولا شك أن الذي كان عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون من هذا؛ فعُبّاد الأصنام كانوا يثبتون رباً خالقاً عالماً قادراً حيّاً، وإن كانوا يشركون معه في العبادة، وفساد أقوال الفلاسفة في الله لا يضاهيها فساد؛ فهم ينفون جميع الأسماء والصفات "[٥].

---

(١) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار من أئمة المعتزلة، شافعي المذهب الفقهي. ولي قضاء الري، له تصانيف كثيرة في بيان مذهب الاعتزال ونصرته، توفي سنة: (٤١٥ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص: (٨٨).

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، من كبار الأشاعرة، وله تصانيف منها: الإرشاد، العقيدة النظامية، توفي سنة: (٤٧٨ هـ) . انظر: السير ١٨/٤٦٨ - ٤٧٧.

(٤) الإرشاد ص: (٣٥٩ — ٣٦٠).

(٥) مواقف الطوائف للتميمي ص: (٧٤).

وهم على ثلاثة أقوال:

١ – طائفة من الفلاسفة كالفارابي[(١)] وابن سينا[(٢)] وأمثالهما: وطريقتهم: أنهم ينفون عن الله تعالى الأسماء والصفات، ولا يثبتون لله تعالى إلا وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق[(٣)]، يقول ابن سينا عن الله ﷻ: " إنه لا جنس له ولا ماهية ولا كيفية ولا كمية ولا أين، وهو يوصف بسلب المشابهات عنه، وبإيجاب المضافات كلها إليه، وليس هو شيئاً من الأشياء بعده "[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هؤلاء: " ثم منهم من يقول: هو وجود مطلق، إما بشرط الإطلاق كما يقوله (ابن سينا) وأتباعه، مع أنهم قد قرروا في المنطق ما هو معلوم لكل العقلاء: إن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون موجوداً في الأعيان، بل في الأذهان، وكان حقيقة قولهم: أن الموجود الواجب ليس موجوداً في الخارج، مع أنهم مقرون بما لم يتنازع فيه العقلاء من أن الوجود لابد فيه من موجود واجب الوجود بنفسه"[(٥)].

---

(١) الفارابي هو: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي المنطقي، أبو نصر، من كبار الفلاسفة، من الأذكياء، يلقب بالمعلم الثاني، صاحب تصانيف في الحكمة والمنطق، توفي بدمشق سنة: (٣٣٩ هـ). انظر: السير ١٥/٤١٦– ٤١٨.

(٢) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، فيلسوف طبيب شاعر، ويلقب بالشيخ الرئيس، لم يأت بعد الفارابي من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام مثله في الفلسفة، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، له مؤلفات منها: الشفا، الإشارات، القانون. ت: (٤٢٨ هـ). انظر: السير ١٧/٥٣١ – ٥٣٧، البداية والنهاية ١٢/٤٦ – ٤٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣/٨، الرسالة الصفدية ص: (١٢٠).

(٤) الشفا لابن سينا ١/٣٦٨.

(٥) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/٥١٦ – ٥١٧.

ولم يصفوا الله تعالى إلا بالسلوب والإضافات وما تركب منهما[١]:

والمراد بالسلوب: جمع سلب، وهو النفي، أي نفي ضد الصفة عنه؛ مثل قولهم: ليس بجاهل، ليس بعَرَض، ليس بعاجز.

والمراد بالإضافات: الأمور المتضايفة التي لا يعقل الواحد منها إلا بتعقل مقابله، وذلك مثل قولهم: "إن الله مَبْدَأ الكائنات وعلة الموجودات"أي هو سبب وجودها.

والمراد بالمركبة منهما: التي تكون سلبية باعتبار ومركبة باعتبار آخر، مثال ذلك: (الأول) فليس معناه عندهم ثبوت صفة الأولية له ﷻ، وإنما معناه انتفاء الحدوث عنه، وهي بهذا المعنى سلبية، وكذلك أن الأشياء كائنة بعده وهي بهذا المعنى إضافية[٢].

٢ . قول الفلاسفة الباطنية: وهم ينفون الأسماء والصفات كسابقيهم إلا أنهم يزيدون على ذلك بنفي النقيضين؛ فيقولون: لا موجود ولا معدوم، ولا حيّ ولا ميت، ولا عالِم ولا جاهل... لأن في كل منهما تشبيهاً له، أي أنهم إذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، وإذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، فوقعوا فيما هو شر مما فروا منه حيث شبهوه بالممتنعات[٣].

٣ . قول الفلاسفة الاتحادية: وهم ينفون عن الله تعالى أسماءه وصفاته أيضاً ويزعمون أن الله تعالى له الوجود المطلق، وليس له صفة سوى صفة الأحدية؛ يقول إمامهم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٤/١٥٠، التسعينية له ١/١٧٢.

(٢) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ص: (٨٢)، التحفة المهدية ص: (٥٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣/٧ – ٨، ١٠٠، التسعينية ١/١٧٢.

ابن عربي[١]: " وأما الأحدية الإلهية فما لواحد فيها قدم؛ لأنه لا يقال لواحد منها شيء ولآخر منها شيء؛ لأنها لا تقبل التبعيض، فأحديته مجموع كله بالقوة "[٢].

ويقول آخر: " وللمتصور من حيث هو لا من جهتها لا وصف ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا حد، وإن كان له شيء من ذلك كله، ولكن بأول مرتبة صورية إطلاقية فله الإطلاقات الأحدية... "[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومنهم من يقول: هو مطلق لا بشرط كما يقوله القونوي[٤] وأمثالُه؛ فهؤلاء يجعلونه الوجود الذي يصدق على الواجب والممكن، والواحد والكثير، والذهني والخارجي، والقديم والمحدث، فيكون: إما صفة للمخلوقات، وإما جزءاً منها، وإما عينها.

وأولئك[٥] يجعلونه الوجود المجرد الذي لا يتقيد بقيد؛ فلزمهم أن لا يكون واجباً ولا ممكناً، ولا عالماً ولا جاهلاً، ولا قادراً ولا عاجزاً، وهم يقولون مع ذلك: إنه عاقل ومعقول، وعاشق ومعشوق، فيتناقضون في ضلالهم، ويجعلون الواحدَ اثنين، والاثنين واحداً، كما أنهم يريدون أن يثبتوا وجوداً مجرداً عن كل نعت، مطلقاً عن كل قيد، وهم مع ذلك يخصونه بما لا يكون لسائر الموجودات؛ ولهذا يقول بعضهم: إن العالِمَ والعلمَ واحد، وإنه نفس العلم،

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، ابن عربي، نزيل دمشق، له تواليف، ومن أردأ تواليفه: الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، وهو من كبار القائلين بوحدة الوجود. قيل عنه: شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجاً.انظر: السير ٢٣/٤٨- ٤٩.

(٢) فصوص الحكم ١/٩٠.

(٣) نقله عن ابنِ سبعين شيخُ الإسلام ابن تيمية في بغية المرتاد ص: (٤١٩).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الملاطي ثم القونوي، تلميذ ابن عربي، شافعي المذهب، له كتاب إعجاز البيان وغيره، توفي سنة: (٦٧٣هـ) . انظر: الوافي بالوفيات ٢/١٤١، طبقات الشافعية للسبكي ٨/٤٥، الأعلام ٦/٣٠.

(٥) يقصد بهم شيخ الإسلام: ابن سينا وأتباعه الذين تقدم الكلام عليهم.

فيجعلون العالِم بنفسه هو العالِم بغيره، والموصوفَ هو الصفة، ويتناقضون أشد من تناقض النصارى في تثليثهم واتحادهم اللذين أفسدوا بهما الإيمان بالتوحيد والرسالة "[١].

ثانياً: مذهب الجهمية في أسماء الله تعالى وصفاته:

ينكر الجهمية أسماء الله ﷻ وصفاته[٢]، وإمامهم الجهم بن صفوان امتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو مريد أو عالِم، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومريد ونحو ذلك، وذُكِر عنه أنه وصفه بأنه قادر وموجِد وفاعل وخالق ومحيي ومميت؛ لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده[٣].

وفي الحقيقة أنه سمى الله تعالى بأنه: القادر والموجِد والخالق والفاعل لغرض في نفسه ونصرة لمذهبه فقد كان جبرياً[٤] يزعم أن الإنسان مجبور على فعله ولا قدرة له في الحقيقة[٥]، وأما تسميته لله تعالى بأنه الحي؛ فإن ذلك على سبيل المجاز؛ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام[٦].

---

(١)مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/٥١٦ – ٥١٧، وانظر: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ص: (٧٦ – ٧٩).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص: (١٦١)، الملل والنحل ١/٩٧ – ٩٨.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق ص: (١٦١)، الملل والنحل ١/٩٧ – ٩٨، مقالات الإسلاميين ١/٢٥٩، ٣٣٨.

(٤) الجبرية هم الذين غلوا في إثبات القدر ؛ فأنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، وإنما تسند إليه الأفعال على سبيل المجاز،وهوكالريشة في مهب الريح.انظر: مقالات الإسلاميين١/٣٣٨، مجموع الفتاوى ٨/١٣١ – ١٣٢، ٣٩٣ – ٣٩٥، ٤٦٢ – ٤٦٣، التعريفات للجرجاني ص: (١٣٧).

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/٥٢٦ – ٥٢٧ .

(٦)مجموع الفتاوى ١٢/٣١١.

ثالثاً: مذهب المعتزلة في أسماء الله تعالى وصفاته:

المعتزلة يثبتون الأسماء لله تعالى دون ما تتضمنه من الصفات، كما نفوا سائر صفات الله تعالى، ومنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفة، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع... فأثبتوا الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، ولا شك أن نفيهم لمعاني الأسماء وما تتضمنه من الصفات يقدح في إثباتهم للأسماء[١].

وغالب هذه الفرق المتقدمة (الفلاسفة والجهمية والمعتزلة) فيما ينسبونه إلى الله تعالى من الصفات إنما هي من الصفات السلبية أو الإضافية أو المتركبة منهما، وقد تقدم ذكر ذلك عند الكلام على مذهب الفلاسفة في الصفات[٢]؛ لأن مبدأ هذه الأمور منهم وغيرهم تبع لهم فيها.

رابعاً: مذهب الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله تعالى وصفاته:

الذي استقر عليه مذهب الأشاعرة، وما عليه الماتريدية في باب الأسماء والصفات أنهم يثبتون لله الأسماء، ومن الصفات يثبتون سبعاً، وهي الحياة والكلام النفسي والبصر والسمع والإرادة والعلم والقدرة، وبعضهم يزيد صفة ثامنة وهي صفة الإدراك، ويزيد الماتريدية على تلك الصفات السبع بصفة ثامنة، وهي التكوين، وأثبتوا هذه الصفات لأن العقل قد دل عليها، وما عداها نفوه لعدم دلالة العقل عليه، وخوفاً من التشبيه[٣].

---

(١)مجموع الفتاوى ٨/٣، وانظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١٣٤/١- ١٣٩، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص: (٣٨).

(٢) انظر ص: () من هذا البحث.

(٣) انظر: الإرشاد للجويني ص: (٦١- ١٣٨)، الاقتصاد للغزالي ص: (٥٣- ٨٣)، نهاية الأقدام للشهرستاني ص: (١٠٥)، الماتريدية لأحمد الحربي ص: (٢٣٩).

وبعض هؤلاء المعطلة كان قصدهم من نفي الصفات هو إرادة تعظيم الله تعالى، حيث رأوا أن إثبات هذه الصفات يلزم منه تشبيه الله تعالى بخلقه؛ فلذا لجؤوا إلى نفي هذه الصفات، وتأويل النصوص الواردة في إثباتها. لذا يقول أحدهم:

وكل نص أوهم التشبيها ** أَوِّلْه أو فَوِّضْ وَرُمْ تنزيها(١)

والرد عليهم من وجوه كثيرة منها:

أولاً: أن الواجب في نصوص الصفات هو إمرارها على ظواهرها اللائقة بالله ﷻ دون تحريف، مع نفي المشابهة والمماثلة بين الله تعالى وبين خلقه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١](٢).

ثانياً: أن الله تعالى أنزل الكتاب والسنة ليكونا مصدري هداية؛ وقد ذُكر فيهما صفاتٌ كثيرة لله تعالى؛ فالقول بأن ظاهر نصوصهما تشبيه الله تعالى بخلقه قدح فيهما، ولازم هذه المقالة أنهما مصدرا ضلالة لا هداية.

ثالثاً: أن ظواهر نصوص الصفات حق موافق لمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ(٣)، "لأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة"(٤).

رابعاً: أنهم إذا صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معنى زعموا أن العقل يوجبه، فإنه يلزمهم في هذا المعنى نظير ما يلزمهم في المعنى الذي نفوه، مع ارتكابهم تحريف الكتاب والسنة. مثال ذلك: إذا قالوا: المراد بيد الله ﷻ: القوة دون حقيقة اليد؛ لأن إثبات حقيقة اليد يستلزم التشبيه بالمخلوق الذي له يد. فنقول لهم: يلزمكم في إثبات القوة نظير ما

---

(١) جوهرة التوحيد لبرهان الدين اللقاني (مع شرحها تحفة المريد للبيجوري) ص: (١٠٣).

(٢) وقد تقدم تقرير هذه المسألة انظر ص: (١٣٩).

(٣) انظر: الشبهة التي قام عليها مذهب التعطيل في صفات الله تعالى، للدكتور الدبيخي (بحث في مجلة الدراسات العقدية – العدد: الثامن) ص: (٩٣- ١٠٥).

(٤) القواعد المثلى لابن عثيمين ص: (٧٥).

يلزمكم في إثبات اليد الحقيقية؛ لأن للمخلوقات قوة، فإثبات القوة لله تعالى يستلزم التشبيه على قاعدتكم[١].

خامساً: قولهم: إن إثبات الصفات يستلزم التشبيه قول ممنوع؛ لأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات[٢]. وهذا كما أن الله تعالى سمى نفسه سميعاً بصيراً، وسمى الإنسان سميعاً بصيراً، قال تعالى عن نفسه:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[النساء: ١٣٤]، وقال عن الإنسان:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[الإنسان: ٢]، ولكن ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر. وسمى الله نفسه حياً فقال تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وسمى بعض عباده حياً؛ فقال:﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[الروم: ١٩]، وليست حياة الله تعالى مثل حياة المخلوق. والأمثلة على هذا كثيرة[٣].

وقد دل على ذلك بالإضافة إلى الشرع: العقل والحس:

"أما العقل: فمن المعلوم بالعقل أن المعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه، فكما أن الأشياء مختلفة في ذواتها؛ فإنها كذلك مختلفة في صفاتها وفي المعاني المضافة إليها؛ فإن صفة كل موصوف تناسبه، لا يفهم منها ما يقصر عن موصوفها أو يتجاوزه.

ولهذا نَصِفُ الإنسان باللين، والحديد المنصهر باللين، ونعلم أن اللين متفاوت المعنى بحسب ما أضيف إليه.

وأما الحس: فإننا نشاهد للفيل جسماً وقدماً وقوة، وللبعوضة جسماً وقدماً وقوة، ونعلم الفرق بين جسميهما، وقدميهما، وقوتيهما.

---

(١) تقريب التدمرية ص: (٢٦- ٢٧).

(٢) انظر: التدمرية ص: (٢١- ٣٠)، تقريب التدمرية ص: (٢٧)، الشبهة التي قام عليها مذهب التعطيل ص: (١٠٦- ١١٤).

(٣) انظر: ما تقدم ص: (٧٢).

فإذا علم أن الاشتراك في الاسم والصفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كون كل منها مخلوقاً ممكناً، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجلى، بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع"[١].

سادساً: أنه إذا انتفت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص؛ فإن كل موجود في الخارج فلا بد له من صفة، فإذا انتفت عنه صفات الكمال لزم أن يكون متصفاً بصفات النقص، وبهذا ينعكس الأمر على هؤلاء النفاة، ويقعون في شرٍّ مما فروا منه[٢].

سابعاً: وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحًا أو كمالا. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال[٣].

ثامناً: ومن دلائل بطلان قول أهل التعطيل ونفي الصفات: ما يترتب على هذا القول من اللوازم الباطلة. كما تقدم في هذا المطلب[٤].

---

(١) تقريب التدمرية ص: (٢٢).

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص: (٨٧)، وانظر: النفي في باب صفات الله تعالى ص: (٢٤٤-٢٦٥)، وانظر: ما تقدم ص: (١٧٥) من هذا البحث.

(٣) التدمرية ص: (٥٧- ٥٨)، وانظر: الشبهة التي قام عليها مذهب التعطيل ص: (١١٧- ١١٨)، النفي في باب صفات الله تعالى ص: (٢٦٦-٢٧٨).

(٤) انظر ص: (١٨٠)، وانظر: القواعد المثلى ص: (٨٦- ٨٨).

المطلب الثاني:

تمثيل أو تشبيه الله عز وجل بخلقه قدح في عظمة الله تعالى

التشبيه لغة: مشابهة الشيء للشيء في بعض الأمور، ويطلق أيضا على التمثيل (مع أن التمثيل في الأصل يطلق على المماثلة في جميع الوجوه)، يقال: أشبه الشيءُ الشيءَ أي: ماثله[(١)].

والمراد بالتشبيه هنا جعل صفات الله مماثلة لصفات المخلوقين، وهي على نوعين: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق في الصفات أو في الأفعال.

والتشبيه المراد هنا: هو الزعم بأن صفات الله تعالى من جنس صفات المخلوقين[(٢)]، بأن يقول: يد الله كيدي أو مثل يدي، سمع كسمعي ونحو هذا[(٣)].

وهو مسلك باطل، ولا يُعرف على التحقيق عن طائفة معينة، وإنما ينسب لأشخاص.

وأهل العلم يطلقون التشبيه ويريدون التمثيل، فيكون التشبيه كالتمثيل في كلام أهل العلم، إلا أن المشبهة لا يقولون بأن الخالق جل وعلا كالمخلوق في جميع الصفات، وإنما يقولون بالتماثل في بعض الصفات دون بعض.

والتعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١][(٤)].

والتشابه بين الخالق والمخلوق أو التماثل منتف قطعاً، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

---

(١) انظر: معجم المقاييس ص: (٥٤٨)، لسان العرب ١٧/٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/٦، وانظر: مقالة التشبيه ٧٩/١-٨٥.

(٣) انظر: سنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة ص: (١٦٧) قول إسحاق بن إبراهيم (ابن راهويه)، درء تعارض العقل والنقل ١٤٥/٤، الفتاوى ١٦/٣.

(٤) القواعد المثلى ص: (٦٥)، وانظر: مجموع الفتاوى ١٦٦/٣.

فالله عز وجل منزَّه عن أن يماثل شيءٌ من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، فله تعالى الوحدانية المطلقة في أسمائه وصفاته وفي ربوبيته وألوهيته؛ ومَنْ مَثّله بخلقه فقد تنقصه، وكيف يسوَّى المخلوق من تراب برب الأرباب سبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ٤] .

قال أبو حنيفة رحمه الله: " لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا"[(١)].

وتشبيه الله عز وجل بخلقه كفر مخرج من الملة لما فيه من تنقص الرب جل وعلا، ووصفِه بما يضاد كمالَه، ومن أظلم ممن شبه الرب الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص من جميع الوجوه ؟. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فكل من جعل مخلوقا مِثْلاً للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق؛ فهو مشرك، سوَّى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعدل بربه. والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمي له ولا مثل له، ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء؛ فإنه معطل ممثل، والمعطل شر من المشرك "[(٢)] .

وقد ذكر أهل العلم أن مقالة التشبيه مقالة كفرية والعياذ بالله.

قال نعيم بن حماد رحمه الله: " من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه"[(٣)].

وقال إسحاق بن راهويه[(٤)] رحمه الله: " من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم"[(٥)].

---

(١) تقدم ص: (١٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٣-١٦٤.

(٣) تقدم ص: (١٦٤).

(٤) هو الإمام الكبير الحافظ: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، أبو محمد، قرين الإمام أحمد، ثقة حافظ إمام، من أئمة أهل السنة، توفي سنة: (٢٣٨ هـ).انظر: السير: ١١/٣٥٨ - ٣٨٣، تقريب التهذيب ص: (١٢٦).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/٥٨٨.

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: " ومن وصف اللهَ بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر "(١).

وعقد الإمام اللالكائي(٢) رحمه الله باباً بعنوان: سياق ما روي في تكفير المشبهة(٣)، وذكر فيه الأثرين السابقين وغيرهما.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فمن قال: إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته، ومحبته، ورضاه، وغضبه مثل إرادتي، ومحبتي، وغضبي، أو استواءه على العرش كاستوائي، أو نزوله كنزولي، أو إتيانه كإتياني ونحو ذلك، فهذا قد شبَّه الله ومثَّله بخلقه تعالى الله عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل، بل كافر "(٤).

والذي جعل بعض هؤلاء المشبهة يقعون في هذه المقالة هو إرادة تعظيم النصوص؛ فقالوا: إن الله تعالى خاطبنا بما نعقل، ولا نعقل من نصوص الصفات إلا التشبيه.

والرد عليهم من وجوه كثيرة، منها:

١- أن الله تعالى أخبرنا عن صفاته، وبيّن لنا أنها لا تشبه صفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١] . وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص: ٤].

٢- أن العقل يدل على بطلان تمثيل الله تعالى بخلقه، من وجوه:

---

(١) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢٨٣/١-٢٨٤.

(٢) هو الإمام الحافظ المجود، المفتي، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي، اللالكائي، من أئمة الحديث والسنة،له مؤلفات منها: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، توفي سنة: (٤١٨ هـ) انظر: السير ٤١٩/١٧-٤٢٠.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٥٨٣/٢.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٨٢/١١، و للتوسع في الكلام على التشبيه انظر: المختار في أصول السنة ص: (٨١ – ٨٥) ، وانظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها فقد أجاد وأفاد.

"الأول: التباين بين الخالق والمخلوق في الذات والوجود، وهذا يستلزم التباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، فالمعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه.

الثاني: أن القول بالمماثلة بين الخالق والمخلوق يستلزم نقص الخالق سبحانه؛ لأن تمثيل الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

الثالث: أن القول بمماثلة الخالق للمخلوق يقتضي بطلان العبودية الحق؛ لأنه لا يخضع عاقل لأحد ويذل له على وجه التعظيم المطلق إلا أن يكون أعلى منه"(١).

٣-أن الحس أيضاً يبطل هذه المقالة؛ "فإننا نشاهد في المخلوقات ما تشترك أسماؤه وصفاته في اللفظ، وتتباين في الحقيقة، فللفيل جسم وقوة، وللبعوضة جسم وقوة، والتباين بين جسميهما وقوتيهما معلوم، فإذا جاز هذا التباين بين المخلوقات كان جوازه بين الخالق والمخلوق من باب أولى، بل التباين بين الخالق والمخلوق واجب، والتماثل ممتنع غاية الامتناع"(٢).

٤-وأما قولهم: "إن الله تعالى خاطبنا بما نعقل ونفهم" فصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الزخرف: ٣] . وقوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] ... ولولا أن الله أراد من عباده عقل وفهم ما جاءت به الرسل لكان لسان قومه ولسان غيرهم سواء، ولماَ حصل البيان الذي تقوم به الحجة على الخلق"(٣).

٥- وأما قولهم: "إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد" فجوابه من وجهين:

---

(١) تقريب التدمرية ص: (٢٣- ٢٤)، وانظر: القواعد المثلى ص: (٦٤)، مقالة التشبيه ٣٦٩/١.

(٢) تقريب التدمرية ص: (٢٤)، وانظر: القواعد المثلى ص: (٦٤- ٦٥).

(٣) تقريب التدمرية ص: (٢٤)، وانظر: مقالة التشبيه ٣٦٨/١.

أحدهما: أن ما أخبر الله به عن نفسه إنما أخبر به مضافاً إلى نفسه المقدسة، فيكون لائقاً به لا مماثلاً لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة إلا من لم يعرف الله تعالى، ولم يقدره حق قدره، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

الثاني: أنه لا يمكن أن تكون المماثلة مرادة لله تعالى؛ لأن المماثلة تستلزم نقص الخالق جل وعلا، واعتقاد نقص الخالق كفر وضلال، ولا يمكن أن يكون مراد الله تعالى بكلامه الكفر والضلال، كيف وقد قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾[الزمر: ٧]"[١].

٦- أن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر، كما ذكر كثير من العلماء، وقد تقدم حكاية أقوالهم[٢].

٧-كما أن تشبيه الله تعالى بخلقه متضمن لتنقص الرب تعالى الكامل من جميع الوجوه بالمخلوق الناقص من جميع الوجوه. وقد تقدم بيان هذه المسألة.

---

(١) تقريب التدمرية ص: (٢٤).

(٢) انظر: ص: ().

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بالربوبية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعظيم الله تعالى بإفراده بالخلق والملك والتدبير، وفيه تمهيد ومطلبان:

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى بالبعد عن كل ما يمس جناب الربوبية، وفيه اثنا عشر مطلباً:

المبحث الثالث: بيان أن المشركين في الربوبية أعظم القادحين في عظمة الله تعالى.

المبحث الأول:

تعظيم الله تعالى بإفراده بالخلق والملك والتدبير.

وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد: من تعظيم الله ﷻ ومن الإيمان به إفراده بالربوبية، واعتقاد أنه تعالى رب كل شيء، لايخرج شيء عن ربوبيته، وأن ربوبيته شاملة لكل شيء فلاربَّ غيره، قال الله تعالى مبيناً عموم ربوبيته لكل شيء: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [فصلت: ٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

ففي هذه الآيات بيان لتفرد الله سبحانه وتعالى بالربوبية لكل شيء، وأنه لايخرج شيء عن ربوبيته، وليس لأحد مشاركة له في ذلك بوجه من الوجوه، بل كل ماعداه فإنه مربوب له مقهور لايملك لنفسه فضلاً عن غيره ضراً ولانفعاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في كلام متين نافع ماتع: " لا ريب أن الله رب العالمين، رب السموات والأرضين وما بينهما، ورب العرش العظيم، ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٩] ﴿ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ الدخان: ٨ رب الناس ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [الناس: ٢ - ٣]. وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، ﴿ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦] وهو رب كل شيء ومليكه، وهو مالك الملك ؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، ﴿ لَهُۥ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [طه: ٦] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير،﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦] .

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه .

وهو الذي أضحك وأبكى وأغنى وأقنى، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها، ويبث فيها من كل دابة .

وهو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الأنعام: ١٢٥] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠] وهو﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وهو القائم بالقسط القائم على كل نفس بما كسبت، الخالق البارئ المصور، ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وما شاء الله لا قوة إلا بالله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه . فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته وملكه وخلقه ورزقه وهدايته ونصره وإحسانه وبره وتدبيره وصنعه، ثم ما يتصل بذلك من أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح

الملحين، يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء . فهذا كله حق . وهو محض توحيد الربوبية، وهو مع هذا قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين .

وهذا صنع الله الذي أتقن كل شيء، والخير كله بيديه، وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها..."[١].

وتنتظم جميع معاني الربوبية في ثلاثة أمور، هي: الخلق والملك والتدبير. وقد جمعها الله تعالى في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [الفرقان: ٢].

فالخلق في قوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ والملك في قوله: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والتدبير في قوله: ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٣٩٨-٤٠٠.

المطلب الأول:

أدلة تفرد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير

أدلة تفرد الله تعالى بالخلق:

وقد جاءت الأدلة مبينة تفرد الله تعالى بالخلق، وأنه الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق، ومن أنواع الأدلة في ذلك:

١. ماجاء بصيغة تعريف الطرفين: وذلك من أساليب الحصر والقصر ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

٢. ماجاء بصيغة أدوات العموم ؛كما قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]. وهذا عام لايخرج عنه إلا الخالق سبحانه وصفاته.

٣. ماجاء بصيغة تقديم ماحقه التأخير ؛كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فتقديم الجار والمجرور يدل على الحصر والقصر.

٤. ما ورد بصيغة نفي الشركة في الخلق ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الفرقان: ٣].

٥. ماورد من إقرار المشركين بأن الله ربهم وخالقهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ؛ فمشركوا قريش الذين بعث فيهم النبي ﷺ مقرون بأن الله ربهم وخالقهم، وهذا حال جميع الكفار مقرون لله بالربوبية إلا من شذ وكابر عقله مع أنه في قرارة نفسه مقر بأن الله ربه وخالقه، وهذا كحال فرعون الذي زعم كِبراً وتعالياً أنه الرب الأعلى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٤] . وقال تعالى مخبراً عن خطاب نبيه موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] .

أدلة تفرد الله تعالى بالملك:

وقد جاءت الأدلة مبينة بأن الله تعالى هو المَلِك، وله صفة المُلْك، فهو الذي يملك كل شيء، فكما أنه الخالق لكل شيء؛ فلا يخرج شيء عن أن يكون مملوكاً له تعالى .

ومن أنواع الأدلة في هذا:

١. ماجاء بصيغة تعريف الطرفين، وهذا من أدلة الحصر، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣]. و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤].

٢. ما جاء بصيغة ذكر عموم ملك الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ف: أل في ﴿ ٱلْمُلْكِ ﴾ لاستغراق الجنس .

٣. ماجاء بصيغة تقديم ماحقه التأخير ؛كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١٣].و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١].

٤. ما ورد بصيغة نفي الشركة في الملك ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾[سبأ: ٢٢]. و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[الإسراء: ١١١].

٥. ماورد من إقرار المشركين بأن الله تعالى هو مالكهم ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

أدلة تفرد الله تعالى بالتدبير:

جاءت الأدلة المتكاثرة على أن الله تعالى هو المدبر لأمور خلقه جميعاً؛ فكما أنه لايخرج شيء عن خلقه وملكه، فلا يخرج شيء عن تدبيره، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لاتتحرك ذرة إلا بإذنه، ولاتسقط ورقة إلا بأمره، والخلق جميعاً مقهورون تحت قبضته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى مبيناً إقرار المشركين بأن الله تعالى هو مدبر أمور الخلائق جميعاً: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس: ٣١].

ومن تدبير أمور الكون: الخلق والإماتة ومايقع بينهما من أطوار، وما يقع بعد الموت من البعث؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر: ٦٧ - ٦٨].

ومن التدبير: تقليب الليل والنهار وإدخال بعضهما على بعض ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥].

ومن التدبير: تقدير أمور الخلائق وقضاؤها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

المطلب الثاني:

دلالة إفراد الله تعالى بالخلق والملك والتدبير على تعظيم الله ﷻ

١. أن من اتصف بأنه الخالق المالك المدبر للأشياء كلها وإن عظمت وكبرت، القاهر لكل شيء؛ فهو العظيم الذي لا أعظم منه ولا أجل ولا أكبر، ويدل ذلك على أن كل شيء تحت ملكه وقهره وتدبيره . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " ووصف نفسه بأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، وأنه له الملك وله الحمد، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، ونحو ذلك من خصائص الربوبية، ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا مَلَكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً بشيء من الخصائص التي يختص بها، التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى "[(١)].

٢. أن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون من سواه، والعبادة هي منتهى التعظيم وكماله ؛ فتوحيد الربوبية هو من أدلة توحيد الألوهية، بل هو أعظم أدلته، والاستدلال به هو طريقة القرآن الكريم ؛ فكما أنه الرب الخالق المالك المدبر وحده لاشريك له في ذلك؛ فيلزم أن يكون هو المعبود وحده لاشريك له في ذلك . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ –٢٢]. فأمرهم أولاً أن يعبدوه؛ لأنه ربهم وخالقهم وخالق من قبلهم، والمتفضل عليهم بالنعم، ثم نهاهم أن يشركوا في عبادته وهم يعلمون بأنه هو ربهم وخالقهم والمتفضل عليهم .

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٧ –٣٢٨ ط: دار الفضيلة .

وكثيراً مايحتج الله تعالى على المشركين بإقرارهم بالربوبية على ما أنكروه وهو الألوهية؛ لأنهم يسلِّمون بالربوبية وينازعون في الألوهية ؛ والأدلة على ذلك كثيرة جداً، ومنها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٧] . أي كيف يصرفون عن عبادة الله وإفراده بالتأله وهم مقرون بأنه خالقهم وخالق السموات والأرض وهو المسخِّر والمدبِّر لهذا الكون ؟.

ففي هذه الآيات الاحتجاج على المشركين بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ؛ فإن من تفرد بالخلق والملك والتدبير يلزم أن يكون هو الإله المعبود.

٣. أن إفراد الله بالربوبية يدل على انحطاط كل ماهو مخلوق مملوك مدبَّر عن مرتبة الخالق المالك المدبِّر، وأنه لايصلح أن يُجعل نداً لله تعالى في ربيوبيته وأسمائه وصفاته وعبادته، ولهذا يبين الله تعالى في آيات كثيرة أن من لايخلق ولايملك ولايدبِّر لايصلح أن يكون إلهاً ومعبوداً ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٣] .فنفى عن المعبودات من دونه صفة الخلق في قوله: ﴿ لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ونفى عنهم صفة الملك في قوله: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ فإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً فلأن لايملكون ذلك لغيرهم أولى . ونفى عنهم صفة التدبير في قوله: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢ –٢٣].

فبين تعالى أن هؤلاء المعبودين من دونه لايملكون شيئاً ولو قل، وليس لهم في هذه المخلوقات شركة ولو قلَّت، كما أنهم ليسوا معاونين لله تعالى، ولاتنفع شفاعتهم إلا بإذن الله تعالى؛ فليس فيهم مايصحح التمسك بهم ودعائهم من دون الله تعالى .

٤ . كما يدل إفراد الله في ربوبيته على إثبات صفات الكمال والجلال والعظمة لله عز وجل؛ لأن أفعال الرب تعالى صادرة عن أسمائه وصفاته جل وعلا، فإن رزقه للعبد من آثار اسمه الرزاق، ورحمته وبره بهم وإمدادهم بما فيه قوام حياتهم من آثار أسمائه: الرحيم، والكريم، واللطيف، والقيوم، والعليم، وإجابة دعواتهم من آثار اسمه السميع وهكذا.

المبحث الثاني:

تعظيم الله تعالى بالبعد عن كل ما يمس جناب الربوبية.

والذي يمس جناب الربوبية وينافي تعظيم الله تعالى أو ينافي كماله أشياء كثيرة ؛ منها ماهو من قبيل الشرك الأكبر، ومنها ماهو معدود من الشرك الأصغر. وسأذكر أهمها في المطالب التالية، **وهي اثنا عشر مطلباً**.

المطلب الأول:

الإلحاد ونفي وجود الله عز وجل

فنفي وجود الله جل وعلا وإنكاره من شر الأقوال الكفرية، وهي مقالة أهل الإلحاد، الذين ينفون وجود خالق لهذا الكون، وهم شرذمة قليلة من الخلق، ولهذه المقالة أمثلة:

١- **مقالة الفلاسفة الملاحدة** الذين يقولون: إن الكون تكَوَّنَ من مادة أزلية أبدية، وهذه المادة كانت دائمة الحركة، وبسبب حركتها الدائمة اصطدم بعضها ببعض فأنتجت من خلال هذا التصادم الوجود[1].

٢- **مقالة أهل وحدة الوجود** الذين يقولون: ما ثَمَّ خالق ولا مخلوق، بل الوجود كله شيء واحد[2]؛ فهذا المذهب الكفري[3] يصح أن يجعل مثالاً على مقالة نفي وجود الرب عز وجل، إذ فيه عدم التمييز بين الخالق والمخلوق.

٣-**إلحاد فرعون** إذ قال كما أخبر الله تعالى عنه:﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢٣].

---

(١) قول الفلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية ص: (٢٠٧) بحث لشيخنا الأستاذ الدكتور سعود الخلف حفظه الله في مجلة الجامعة الإسلامية العدد: (١٢٠)، وانظر: المذاهب الفكرية لشيخنا الدكتور غالب عواجي حفظه الله ١٠٠٣/٢، الموسوعة الميسرة ٨٠٣/٢ -٨٠٦.

(٢) انظر: الجواب الكافي ص: (٢٩٩- ٣٠٠)، النفي في باب صفات الله عز وجل ص: (٧٩).

(٣) انظر: الإعلام بقواطع الإسلام ص: (٢٠٤ - ٢٠٥).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[غافر: ٣٦- ٣٧][1].

١- **إلحاد زعماء وساسة الشيوعية الحديثة**[2]، الذين يزعمون أن المادة (الطبيعة) هي أصل الحياة، وليس لها (بزعمهم الكاذب) خالق ولا مبدع ولا متصرف[3].

بطلان قول أهل الإلحاد:

هذه أمثلة للإلحاد الذي وجد في العالم، وهو " فكرة شيطانية لا يقبلها عقل ولا منطق، غذّاها اليهود لتحطيم حضارات وأديان العالم كلهم لإقامة حكمهم في الأرض"[4].

ولا شك أن بطلان قول أهل الإلحاد واضح، والأدلة المبطلة له لاتحصر، ولولا أنه وجد من بني الإنسان من يعتقده لما احتجنا إلى إقامة الدليل على وجود الرب الخالق سبحانه:

وهل يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل؟؟[5] .

ومما يبين بطلان هذه المقالة الشنيعة:

أ- أن الإلحاد يصادم الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها من الإيمان به تعالى والركون إليه، والإيمان بالجزاء والحساب والثواب والعقاب[1]، وعلى إنكار الإلحاد يتفق

---

(١) انظر: الجواب الكافي ص: (٢٩٩)، النفي في باب صفات الله عز وجل ص: (٧٩).

(٢) هي الشيوعية الماركسية وهي: حركة فكرية واقتصادية يهودية إباحية، وضعها كارل ماركس، تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء. انظر: الموجز في الأديان ص: (٩٧).

(٣) انظر: الموجز في الأديان ص: (٩٩)، المذاهب الفكرية للدكتور غالب عواجي ١٠٠٣/٢، ١٠٠٩-١٠١٠.

(٤) الموجز في الأديان ص: (١٠٣).

(٥) البيت لأبي الطيب في ديوانه ١٤٢/٢، وفيه: الأفهام بدل الأذهان خلاف ماهو مشهور.

المسلمون واليهود والنصارى وجُلُّ بني آدم، ولا يتبنى القول بالإلحاد إلا شرذمة قليلة جداً[٢]، فشعوب الأرض كلها مطبقة على إثبات وجود الله تعالى إلا تلك الشرمذة المرذولة.

ب- قول الفلاسفة الملاحدة في تكوّن العالم ما هو إلا دعوى تخمينية، ليست قائمة على أي مبدأ علمي سليم، فهم لم يروا من الوجود إلا ما يحيط بهم من الأرض وأنفسهم؛ فكيف يزعمون أن الكون مكون مما ذكروا، مع أن ما لا يرونه وما لا يبصرونه من الكون أوسع وأعظم بملايين المرات مما رأوه ؟، بل ما رأوه لا يعد شيئاً في مقابل ما لم يروه من الكون[٣] وهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الجاثية: ٢٤]، فليس عندهم إلا مجرد الظن والتخمين.

ج-أن هذا الكون المنظم من أصغر ذرة فيه إلى أكبر جرم فيه لا بد أن يكون له موجِد، ولا بد أن يكون هذا الموجِد أعظم منه وأكبر، وله صفات الكمال؛ لأنه لا يمكن أن يوجد هذا التنظيم وهذا الضبط بفعل حركة غير عاقلة؛ فإن الحركة التي لا يضبطها منظِّم لها لا يمكن أن يوجد منها شيء ذو معنى...، وقد أقام الله عز وجل الحجة في ذلك بآية مكونة من كلمات قليلة، وذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الطور: ٣٥- ٣٦]. فكونهم خُلقوا من غير خالق مردود بداهة، وليسوا هم الخالقين لأنفسهم؛ لأن المعدوم لا يمكن أن يوجد نفسه، ولا أن يوجد غيره، وهم كذلك لم يخلقوا السموات والأرض، فلم يبق إلا أن يكون هنالك خالق أوجد هذا الكون[٤].

د- يوجد ممن تظاهر بالإلحاد وتزعمه من يقر بوجود الخالق في الباطن، وإنما أنكره عناداً واستكباراً في الظاهر؛ قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ

(١) انظر: الموجز في الأديان ص: (١٠١).

(٢) انظر: قول فلاسفة اليونان ص: (٢٠٨).

(٣) قول فلاسفة اليونان ص: (٢٠٨).

(٤) المرجع السابق ص: (٢٠٨-٢٠٩) بتصرف يسير.

ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾ [النمل: ١٤] . وأخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢].

هـ- الأدلة الدالة على وجود الله تبارك وتعالى لا يمكن حصرها؛ فكل شيء في الكون يدل على أن له موجداً وخالقاً حكيماً. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٢٠- ٢١] .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[١].

وفي كل يوم يخرج الله عز وجل من براهين وجوده ودلائل وحدانيته ما يبهر العقول، ويدعوها إلى الإيمان به، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فصلت:٥٣].

وقد شهد كثير من مفكري الغرب وغيرهم على بطلان الإلحاد بما رآه من أدلة لا محيد عنها[٢]. لكن الأمر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن الجوزي رحمه الله: " قد أوهم إبليسُ خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكوِّن، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه، وهل يشك عقول في وجود صانع؟ **فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً عَلِم أنه لا بد له من بانٍ بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا**

---

(١) نُسِبَ البيت لأبي نواس انظر: وفيات الأعيان١٣٨/٧،ونسب لأبي العتاهية.انظر: الأغاني ٣٥/٤.

(٢) انظر: المذاهب الفكرية للدكتور غالب عواجي ١١٥٦/٢-١١٦٦.

السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية على وجه الحكمة أما تدل على صانع؟، وما أحسن ما قال بعض العرب: إن البعرة تدل على البعير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكَفَتْ دليلاً وشَفَتْ غليلاً، فإن في هذا الجسد من الحِكَم ما لا يسع ذكره في كتاب... "[١].

(١) تلبيس إبليس ٢/٣٠١-٣٠٢ بتحقيق د.المزيد، وانظر: نفس المرجع ٢/٣٠٧-٣٠٩، ٣١٦-٣٢٠. وانظر: في الرد على أهل الإلحاد: كتاب: الربوبية. لشيخنا أ.د. محمد بن عبد الرحمن أبو سيف حفظه الله ص: (٨٨ – ١٢٦) .

المطلب الثاني:

الشرك سواء كان في الربوبية أو في الألوهية.

الشرك معناه: التسوية بين الله تعالى وبين خلقه في شيء من خصائص الرب؛ فمن فعل ذلك فقد تنقص الله جل وعلا، وهذا مضاد لتعظيمه تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الإسلام يتضمن العدلَ، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المتفاضلين من المخلوقات، إذ ذلك من الإسلام لله ربِّ العالمين وحدَه، فإنه إذا كان الدين كله للهِ، وكانت كلمةُ الله هي العليا كان الله يأمر بالعدل وينهى عن الظلم. وأصل العدل هو القسط، والقسط هو الإقساط في حق الله تعالى بأن لا يُعدَلَ به غيرُه ولا يُجعَلَ له شريك، كما قال النبي ﷺ لمعاذ: "**حقُّ اللهِ على عبادِهِ أن يعبدوه لا يُشرِكون به شيئاً**"[1]. فإذا لم يُسلِموا له بل عَدَلوا به غيرَه كان ذلك ظلمًا عظيمًا، وإذا فعلوا هذا الظلمَ في حق الله فهم في حقوقِ العباد أظلم، والتسوية بين المتفاضلين ظلم، كما أن التفضيل بين المتماثلين ظلم، والشركُ من نوع الأول؛ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الشعراء: ٩٨]، والاستكبار قد يكون من نوع الثاني، والإسلام يتضمن العدلَ كلَّه، كما أنه ينافي الشرك والكبر"[2] .

وسيأتي مزيد بيان لهذا بمشيئة الله تعالى في موضعه وإنما هذه مجرد إشارة[3] .

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٤٨).

(٢) جامع المسائل ٦/٢٣١ .

(٣) انظر لبيان التنقص في الشرك في الربوبية ص: (٢٤٨) من هذا البحث، ولبيان التنقص في توحيد الألوهية ص: (٣٠٤).

المطلب الثالث:

الكهانة وادعاء علم الغيب

الغيب مصدر غاب، يقال: غابت الشمس إذا استترت عن العيون، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان، بمعنى الغائب، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾[النمل: ٧٥].

ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض[١].

والمراد بالغيب: كل ما خفي علمه عن حواس الناس من الأمور الكائنة أو التي ستكون أوالعلوم والمعارف[٢].

من صفات الله عز وجل أنه علاّم الغيوب سبحانه؛ فيعلم كل شيء سبحانه سواء ما غاب عن الناس أو شهدوه، ولا يَخْفى عليه شيء سبحانه.

ولا يعلم الغيب إلا هو سبحانه، أما المخلوقون فلا يعلمون الغيب، ومن ادعى أنه يعلم الغيب فقد نازع الله تعالى في صفة من صفات ربوبيته، وهو كاذب في دعواه، وقد كفر بالله تعالى وتقدس. قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

---

(١) المفردات ص: (٣٦٩-٣٧٠) بتصرف يسير، وانظر: النهاية ص: (٦٨٤).

(٢) انظر: التعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف ص: (٢٤٩ — ٢٥٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: (**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**)[1].

والغيب قسمان:

١- **غيب مطلق**: وهو المراد عند إطلاق علم الغيب، وهذا العلم لا يعلمه إلا الله سبحانه تعالى، وهو الذي جاءت فيه النصوص المتقدمة وأثبتته صفة لله عز وجل.

٢- **غيب نسبي**: وهو الذي يغيب علمه عن بعض المخلوقين ويطلع عليه آخرون فمثلا: أنا لا أعلم بما في قبضة فلان من الناس وهو غيب عني لا أعلمه، بينما هو ومن بجانبه مثلا يعلمون ما في قبضته فهو غيب بالنسبة لي أنا، وشهادة بالنسبة لهم[2].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٧٣٧٩) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾[الجن: ٢٦] ١٣/٤٤٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/١١٠، ١٤/٥٢-٥٣، الشرك ومظاهره ص: (١٣٧ – ١٣٨).

بعض من ضل في هذا الباب:

– يزعم الرافضة[١] وغلاة الصوفية[٢] أن أئمتهم ومن يزعمون أنهم أولياء يعلمون الغيب.

وهذا كذب صراح تكذبه الآيات والأحاديث المذكورة،وتكذبه الوقائع المروية في أحوالهم، وهذا غلو منهم، وتنقص للرب تعالى ومنازعة له في صفة من صفاته، وهي علمه تعالى بالمغيبات.

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦- ٢٧].

فأخبر تعالى أنه عالم الغيب، وأنه لا يُطلع أحداً من خلقه على علم الغيب إلا من ارتضاه من رسول ملكي أو بشري؛ فيطلعه على ما أراد أن يطلعه عليه بطريق الوحي.

وإمام الأئمة المتقين وسيد الأولياء والمرسلين لم يكن يعلم الغيب ؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فمن تكهن وادعى علم الغيب فقد نازع الله تعالى في صفة من صفات ربوبيته، وهي علمه تعالى بالمغيبات.

---

(١) قال الكليني في كتاب الحجة من الكافي ٢٠٣/١: باب أن الأئمة يعلمون علم ماكان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء . وقال: باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لايموتون إلا باختيار منهم. ٢٨٥/١.

(٢) يقول علي حرازم في جواهر المعاني ٦٣/١ – ٦٤ عن شيخه التيجاني: "فيعرف أحوال قلوب الأصحاب وتحول حالهم...ويعرف ماهم عليه ظاهراً وباطناً ...حتى إذا جالسناه كلنا يخاف على نفسه الفضيحة".وانظر منه ٥٨/١. وانظر: الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (١٣٠)، وانظر: من المراجع التي أثبتت زعمهم أن أولياءهم يعرفون الغيب مع الرد عليهم: تقديس الأشخاص ١٨٤/١، الصوفية في حضرموت ص: (٦٦٩-٦٧١).

يقول الشيخ حافظ الحكمي[١] رحمه الله في بيان وجوه كفر الكاهن: " الثامن: وهو أعظمها تشبهه بالله ﷻ في صفاته، ومنازعته له تعالى في ربوبيته ؛ فإنَّ علْم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه ؛ فلا سمي له ولامضاهي ولا مشارك"[٢] .

- **وممن ضل في هذا الباب وزعم أن أحداً غير الله يعلم الغيب**: السحرة والكهنة والمنجمون ونحوهم الذين يدعون علم المغيبات، وهذا من الوجوه التي تدل على كفرهم، بالإضافة إلى ما يحصل منهم من التقرب إلى الشياطين والخضوع لهم وعبادتهم، واستخفافِهم بالكتاب العزيز والنيل منه وإهانته.

---

(١) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه من علماء (جازان)، لما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم، حتى صار عالماً يشار إليه، عين مديراً للمعهد العلمي بسامطة سنة: (١٣٧٤ هـ) إلى أن توفي. من كتبه المطبوعة: (الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة)، (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، (معارج القبول) شرح لها، (أعلام السنة المنشورة) توفي بمكة سنة: (١٣٧٧ هـ) انظر: الأعلام١٥٩/٢، وانظر ترجمة له بقلم أحد أبنائه في صدر عدد من كتبه انظر: معارج القبول ١١/١ - ٢٦.

(٢) معارج القبول ٥٧١/٢.

المطلب الرابع:

اعتقاد أن أحداً غير الله تعالى يجلب النفع ويدفع الضر

من قال في أحد من الناس أو اعتقد فيه أنه ينفع أو يضر من دون الله استقلالاً فهو مشرك بالله تعالى شركاً أكبر؛ لأن الذي يملك النفع والضر هو الله عز وجل وحده، وهو المتصرف في خلقه والمدبر لأمورهم، أما غيره تعالى فلا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان:٣].

وقال الله تعالى عن أكرم الخلق وإمام الأولياء رسولِ الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ [الجن: ٢١- ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

وأخبر تعالى أن جميع المدعوين من دون الله تعالى لا يملكون شيئاً، وإنما الذي يملك كلَّ شيء هو الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر:١٣].

والقطمير هو اللفافة التي تكون على النواة، يبين تعالى أن أولئك المدعوين من دون الله لا يملكون لمن دعاهم نفعاً ولا ضراً، وأنهم عجزة ضعاف، لا يملكون من السموات والأرض ولا بمقدار هذا القطمير[1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٦/٥٤٠ - ٥٤١.

وقال النبي ﷺ: (**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**)[١].

وإذا عرف الإنسان ذلك فإنه لا يلتفت إلى أحد من الخلق، ولا يطلب منهم شيئاً من المطالب العالية؛ كالمغفرة والرحمة والرزق والنصر والشفاء وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، بل يطلب ذلك من الله عز وجل، فهو الذي يملك كل شيء، وهو النافع الضار، الذي بيده خزائن كل شيء، وهو القدير الذي لا يعجزه شيء، وقد اعترف كفار قريش بهذه الحقيقة، وأن الله هو الضار والنافع، المعطي المانع، المالك لكل شيء؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

بينما يوجد ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم من يزعم أن الأولياء يتصرفون في الكون، وأنهم يقولون للشيء كن فيكون، وأنهم يعلمون الغيب ومافي الصدور، وأنهم ينفعون من دعاهم واستغاث بهم، وأن من تنقصهم أو بخس حقوقهم بالنهي عن دعائهم وعبادتهم والاستغاثة بهم وقت الشدائد فإنهم سيضرونه وسيصله عاقبة سوء عمله بَعُد أو قَرُب، وهذا رفع لهم إلى مقام الربوبية وهذا شرك قبيح في الربوبية والألوهية معاً[٢].

وكيف يقول هذا أو يعتقده بعض من ينتسب إلى الإسلام، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في نفيه عن غير الله عز وجل؟.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق باب رقم (٥٩) ص: (٥٦٦- ٥٦٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي عنه: "حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي.

(٢) انظر: جواهر المعاني لعلي حرازم الصوفي٢/٧٦-٧٧، تجريد التوحيد ص: (٦٣)، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/١٣٤-٢٢٠،القبورية لأحمد المعلم ص: (١٩٤-١٩٩)، وكل بدعة ضلالة ص: (٥٤-٥٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦- ١٠٧]. ففي هذه الآية نهي عن دعاء كل من سوى الله، والحال أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وبيان أن ذلك ظلم، والظلم هنا هو الشرك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، فالمدعو والمستغاث به يجب أن يكون يملك الضر والنفع، وإلا فكيف يعطي ويغيث وهو لا يملك ذلك ؟.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[يونس: ١٠٧].

قال الإمام الشوكاني[1] رحمه الله: " وقد علِم كلُّ عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا تعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب إليها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا

(١) هو العلامة: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، وولي القضاء والفتوى في صنعاء وما حولها، ودرّس العلوم الكثيرة من سن مبكرة، وكان له في اليوم أكثر من عشرة دروس، له مؤلفات كثيرة، منها: نيل الأوطار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الدر النضيد. فتح القدير في التفسير، توفي سنة: (١٢٥٠هـ).انظر: البدر الطالع له ٢/٢١٤ - ٢٢٥ فقد ترجم فيه لنفسه ترجمة وافية، الأعلام ٦/٢٩٨.

كان في حرم الله، أو في مسجد من المساجد أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً ولم يحلف بالميت الذي يعتقده.

وأما اعتقادهم أنها تضر أو تنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يَدْعُ أحد منهم ميتاً أو حياً عند استجلابه لنفع، أو استدفاعه لضر قائلاً: يا فلان افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك"(١).

---

(١) الدر النضيد ص: (١٨-١٩)، وانظر: مفيد المستفيد ص: (٣٦)، الرد على شبهات المستغيثين بغير الله ص: (٥٥٠-٥٥٣).

المطلب الخامس:

سب الله تعالى والاستهزاء به تعالى وتقدس

الواجب على العباد في حق الله تعالى: الإيمان به ومحبته وتعظيمه، وسب الله تعالى مما يضاد الإيمان به من كل وجه، ولايمكن أن يقع من قلب معظم لله عز وجل، فهو استخفاف بالرب عز وجل وازدراء وتنقص له . يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فالسب إهانة واستخفاف، و الانقياد للأمر إكرام و إعزاز، و محال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم أو يستخف به .

فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام ؛ فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس؛ فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولاً، ولكن لم ينقد للأمر، ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصار كافراً"[(١)].

ويقول: " وأما الساب فإنه مظهر للتنقص والاستخفاف والاستهانة بالله، منتهك لحرمته انتهاكاً ... فلا شبهة تدعوه إلى هذا السب، ولا شهوة له في ذلك، بل هو مجرد سخرية واستهزاء واستهانة وتمرد على رب العالمين، تنبعث عن نفس شيطانية ممتلئة من الغضب، أو من سفيه لا وقار لله عنده ؛كصدور قطع الطريق والزنا عن الغضب والشهوة ..."[(٢)].

ويقول الشيخ العلامة ابن سعدي رحمه الله: " الاستهزاء باللّه وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ **لأن أصل الدين مبني على تعظيم اللّه، وتعظيم دينه ورسله**، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة "[(٣)].

---

(١) الصارم المسلول ص: (٤٩٨)، وانظر: منه ص: (٥٠١).

(٢) الصارم المسلول ص: (٥٢٥).

(٣) تفسير السعدي ص: (٣٩١).

من الأدلة على أن سب الله تعالى كفر مخرج من الإسلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٦٤ –٦٦]. فحكم الله تعالى عليهم بالكفر بسبِّهم لله تعالى ورسوله ﷺ، وأثبت لهم إيماناً قبل أن يقولوا ماقالوا .

وأيضاً: فقد أجمع المسلمون على كفر ساب الله تعالى: قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: "وقد أجمع المسلمون أن من سب الله ﷻ أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبياً من أنبياء الله تعالى أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله"[(١)].

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٣٤٣/٥، وانظر: الشفا للقاضي عياض ص: (٤٦٩)، تيسير العزيز الحميد ١٠٧١/٢.

المطلب السادس:

الحلف بغير الله تعالى

الحلف لغة: اليمين، وأصلها العقد بالعزم والنية[١] .

واصطلاحاً: توكيد المحلوف عليه بذكر معظم على وجه مخصوص[٢].

ومن حلف فالمشروع له أن يحلف بالله تعالى وبأسمائه وصفاته ؛ لأن الحلف بالشيء والقسم به تعظيم له، وهذا التعظيم حق لله تعالى فلا يصرف إلى غيره، فمن حلف بغير الله كأن يقول: وحياتي، وحياتك، والنبي، والكعبة ... فقد أشرك.

حكم الحلف بغير الله تعالى:

الحلف بغير الله تعالى محرم تحريماً شديداً، وهو شرك أصغر لما فيه من التعظيم لغير الله تعالى .وهذا هو الأصل فيه، وقد يكون شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى أو أشد[٣] .

والحلف بغير الله غير منعقد؛ فمن حلف بغير الله تعالى فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفره، وأن لا يعود إلى ذلك، ويمينه التي حلف فيها بغير الله تعالى غير منعقدة، فلا تنعقد اليمين إلا بالحلف بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة ... فمن حلف بشيخه أو بتربته أو بحياته أو بحقه على الله، أو بالملوك، أو بنعمة السلطان أو بالسيف أو بالكعبة أو أبيه أو تربة أبيه أو نحو ذلك كان منهياً عن ذلك، ولم تنعقد يمينه باتفاق المسلمين "[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب ٦٩٦/١.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٤٣٥/١٣.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢٢٤/١.

(٤) مجموع الفتاوى ٥٠٦/١١، وانظر: المبسوط للسرخسي ٢٤/٧، ١٣٥/٨، ١٤٣، بدائع الصنائع للكاساني ١٦/٣، التمهيد لابن عبد البر ٣٦٦/١٤، الحاوي للماوردي ٢٦٢/١٥- ٢٦٣، روضة الطالبين للنووي ٦/١١- ٧، المغني لابن قدامة ٤٧٢/١٣، كشاف القناع للبَهوتي ٢٥٢/٦.

ومن الأدلة على أن الحلف بغير الله تعالى شرك أصغر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: " الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها "فلان". هذا كله به شرك"(١).

وعن عبد الله بن عمر(٢) رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب، وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: **(ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)**(٣) .

وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يحلف: لا والكعبة، فقال له ابن عمر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من حلف بغير الله فقد أشرك)**(٤) .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢/١، وانظر: تفسير ابن كثير ١٩٦/١.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، أمه وأم أخته حفصة زينب بنت مظعون، أسلم مع أبيه وهو صغير، استصغره النبي ﷺ في بدر وأحد، وأول مشاهده الخندق، وهو من المكثرين عن النبي ﷺ، توفي سنة: (٧٢) وقيل: (٧٣هـ) وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب ص: (٤٧٣- ٤٧٥)، الإصابة ١٠٩٥/٢- ١٠٩٨ .

(٣) رواه البخاري برقم: (٦١٠٨) كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً ٦٣٤/١٠، ومسلم برقم: (٤٢٣٣) كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله ١٠٨/١١.

(٤) رواه أبو داود برقم: (٣٢٥١) كتاب الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء ص: (٤٩٧)، والترمذي برقم: (١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان، باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود والترمذي.

وقد أجمع المسلمون على ذلك ؛ قال الحافظ ابن عبد البر[١] رحمه الله: " لا يجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال. وهذا أمر مجمع عليه"[٢].

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: " لا يجوز الحلف والقسم إلا بِاللهِ تعالى أو باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته سبحانه؛ لأن الحلف يقتضي التعظيم الذي لا يشاركه فيه أحد، وهذا لا يصرف إلا لله تعالى؛ ولهذا كان الحلف بغير الله تعالى من المخلوقين كافة: شركاً بالله، كما قال النبي ﷺ: (**منْ حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**) أي: شركاً أصغر؛ لأن من يؤمن بالله إذا حلف بغيره، لا يقصد أن عظمة المخلوق المحلوف به مثل عظمة الله الخالق سبحانه، وبهذا التعليل صرف علماء التوحيد ظواهر هذه النصوص من الحديث المذكور وما في معناه إلى هذا المعنى: (الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الملة) ، أما إذا اعتقد المساواة فهو شرك أكبر"[٣].

---

(١) هو الحافظ العلامة الإمام، حافظ المغرب، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة كالتمهيد والاستذكار، وجامع بيان العلم وفضله، أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووَثَّق وضَعَّف، وسارت بتصانيفه الركبان، توفي سنة: (٤٦٣ هـ). انظر: السير ١٥٣/١٨ – ١٦٣، الديباج المذهب لابن فرحون ٣٦٧/٢– ٣٧٠.

(٢) التمهيد ٣٦٦/١٤، وانظر: بدائع الصنائع للكاساني ١٦/٣، مجموع الفتاوى ٢٩٠/١.

(٣) معجم المناهي اللفظية ص: (٥٦٥ – ٥٦٦).

المطلب السابع:

الاستسقاء بالأنواء

تعريف الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء: طلب السقيا.

الأنواء: جمع نوء، وهي منازل القمر، وهي ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل منزلة منها في ثلاثة عشر ليلة، وتنتهي بانتهاء السنة، قال الإمام النووي: " وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح[١] رحمه الله فقال: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءاً أي: سقط وغاب. وقيل: أي: نهض وطلع. وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاثة عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما..."[٢].

معنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء[٣]؛ بأن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا .

وقال بعض العلماء مضيفاً إلى ذلك: أن تطلب منها أن تسقيك؛ كأن يقول: يا نوء كذا اسقنا أو أغثنا، وما أشبه ذلك[٤].

---

(١) هو الإمام عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي، تقي الدين، المعروف بابن الصلاح، شافعي المذهب، أحد أئمة المسلمين عِلْماً وديناً، وكان إماماً كبيراً فقيهاً محدِّثاً زاهداً ورعاً، وهو صاحب المقدمة المشهورة في مصطلح الحديث، توفي بدمشق سنة: (٦٤٣ هـ) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣٢٦/٨- ٣٣٦، وفيات الأعيان ٢٤٣/٣ - ٢٤٥.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢٤٩/٢، وانظر: النهاية ص: (٩٤٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٧٩٩/٢ .

(٤) القول المفيد للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ١٨/٢ .

حكم الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء بالأنواء من اعتقادات الجاهلية، والأصل في هذه المسألة وهو الذي أخبر النبي ﷺ ببقائه في الأمة أنهم يعتقدون أن النوء سبب لنزول المطر[(١)] مع اعتقادهم أن الله هو الخالق الفاعل فهذا شرك أصغر؛ لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً، لا بشرعه ولا بقدره؛ فهو مشرك شركاً أصغر.

وقد يكون شركاً أكبر، وله صورتان:

الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، كأن يقول: يا نوء كذا اسقنا أو أغثنا، وما أشبه ذلك؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه دعا غيرَ الله، ودعاءُ غير الله من الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن:١٨].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على النهي عن دعاء غير الله، وأنه من الشرك الأكبر.

الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنواء على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدْعُها؛ فهذا شرك أكبر في الربوبية، والأول في العبادة؛ لأن الدعاء من العبادة، وهو متضمن للشرك في الربوبية؛ لأنه لم يدعها إلا وهو يعتقد أنها تفعل وتقضي الحاجة[(٢)].

أما إذا جعل النوء وقتاً وزمناً وظرفاً لنزول المطر ونحوه، أي بمعنى مطرنا في نوء كذا وكذا؛ فهذا جائز .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٢/٨٠٤ .

(٢) القول المفيد للعلامة العثيمين رحمه الله ٢/١٧- ١٨، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٢/٨٠٤.

الأدلة على أن الاستقساء بالأنوار شرك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢] عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ **يقول شكركم** ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ **تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا)**[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**)، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾[الواقعة: ٧٥]حتى بلغ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الواقعة: ٨٢][2].

وعن زيد بن خالد الجهني[3] رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية[4] في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (**هل**

---

(١) رواه الترمذي برقم: (٣٢٩٥) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الواقعة ص: (٧٤٤)، وقال: حسن غريب. وقال الألباني في أحكامه على سنن الترمذي: ضعيف الإسناد.

(٢) رواه مسلم برقم: (٢٣١) كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ٢/٢٥٠ .

(٣) هو الصحابي زيد بن خالد الجهنيّ، مختلف في كنيته فقيل: أبو زرعة، وقيل: أبو عبد الرّحمن، وقيل: أبو طلحة، روى عن النبيّ ﷺ، وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وشهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، وحديثه في الصّحيحين وغيرهما. قيل: مات سنة: (٧٨)، وقيل: (٦٨هـ) وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب ص: (٢٨٩)، الإصابة ١/٦٤٦- ٦٤٧ .

(٤) الحديبية بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها، وقيل: كلّ صواب، وهي قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. انظر: معجم ما استعجم ٢/٤٣٠، معجم البلدان ٢/١٢٦. وهي على بعد (٢٢) =

تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**)[(١)].

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: " قوله: (**مؤمن بي وكافر**) المراد بالكفر هنا: هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزل له، بدليل قوله في الحديث: (**فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته**) إلى آخره، فلو كان المراد هو الأكبر لقال: أنزل علينا المطر نوء كذا، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سبباً ... "[(٢)] .

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة السؤال التالي: ما حكم الذين يتوقتون بالنجوم مثل يقول شخص: إذا كان هذا النجم في هذا المكان فإنه سوف تأتي أمطار غزيرة؟.

فأجابت: " بناء الأحكام على مواقيت النجوم كما في السؤال لا يجوز، وهذا القائل إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك وكفر، وإما أن يعتقد أن المؤثر هو الله وحده ولكنه أجرى العادة بوجودها عند سقوط ذلك النجم فهذا محرم، فلا يجوز للعبد أن يثبت ما هو من خصائص الله إلى كائن مسخر لا على سبيل الحقيقة ولا على سبيل المجاز، والأصل في ذلك عموم قوله ﷺ: (**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر**

كيلاً غرب مكة على طريق جدة القديم. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص: (٩٤).

(١) رواه مسلم برقم: (٢٢٨) كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء ٢٤٨/٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٨١٠/٢ .

بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت) .

الحديث رواه مسلم في صحيحه[١] ... "[٢] ثم ذكروا حديث زيد بن خالد ﷺ المتقدم.

فمن نسب السقيا إلى الأنواء فقد تنقص الرب تعالى وأشرك به، وأضاف نعمته إلى غيره ممن لايملك شيئاً .

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢١٥٧) كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة ٤٧٥/٦ من حديث أبي مالك الأشجعي ﷺ.

(٢) فتاوى اللجنة ٣٠٣/٢ رقم الفتوى: (٣٥٤٣) .

المطلب الثامن:

قول ماشاء الله وشئت

تمهيد: لا تجوز التسوية بين المخلوق والخالق بوجه من الوجوه، وكيف يساوى بين المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وبين الخالق سبحانه الذي خَلَقَ كل شيء، ويملك كل شيء، ويدبر كل شيء، وبيده النفع والضر، والحياة والموت، والإعطاء والمنع، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، فلا تجوز التسوية بين الخالق والمخلوق ولو باللفظ دون الاعتقاد، ولا في بعض الأمور الخفية التي قد يقولها بعض الناس دون نظر وتأمل فيها .

ومن ذلك قول: ما شاء الله وشئت، أو ما شاء الله وشاء فلان .

حكم قول ما شاء الله وشئت:

لا يجوز لأحد أن يقول: ما شاء الله وشئت، أو ما شاء الله وشاء فلان ؛ فإن في ذلك تسويةً بين الخالق والمخلوق في اللفظ، وهو شرك أصغر ؛ لأن الواو تقتضي التشريك والمساواة؛ فإذا قلت جاء زيد وعمرو فإنك بذلك قد سويت بينهم في المجيء، وهذا فيه ضعف تعظيم لله عز وجل . وقد يكون من الشرك الأكبر إن اعتقد أن المعطوف مساو لله تعالى، وهذا مناف لتعظيم الله عز وجل كل المنافاة؛ لأنه جعل لله نداً ومثيلاً ونظيراً يتصرف في الأمور كما يفعل الله تعالى[١].

والتسوية بين الله تعالى وبين خلقه في القول والاعتقاد كفر أكبر مخرج من الملة، وذكر الله تعالى في كتابه أن الكفار يوم القيامة يعترفون وهم في نار جهنم بأنهم كانوا في أشد الضلال عندما ساووا بين الله تعالى وبين خلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٦ – ٩٨] .

---

(١) انظر: القول المفيد للعلامة العثيمين رحمه الله ٢/٢٢٨.

ومن **الأدلة على أن قول ما شاء الله وشئت من الشرك الأصغر**:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها:" الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ،وقول الرجل:لولا الله وفلان. لا تجعل فيها "فلان".هذا كله به شرك"[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت قال: **(أجعلتني لله نداً؟، ما شاء الله وحده)**[(٢)].

وعن قُتيلة الجهنية[(٣)] رضي الله عنها: (أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة ؛ **فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون ما شاء الله ثم شئت)**[(٤)].

قال الشيخ العلاَّمة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: " قوله: (إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت) هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً و شركاً، ونهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٢٣).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٤).

(٣) هي قُتيلة بنت صيفي الجهنية، ويقال الأنصارية. كانت من المهاجرات الأول (والقول بأنها أنصارية يرد ذلك) روى عنها عبد الله بن يسار. انظر: الاستيعاب ص: (٩١٤)، الإصابة٤/٢٦١١- ٢٦١٢ .

(٤) رواه النسائي برقم: (٣٧٧٣) كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، والحاكم في المستدرك برقم: (٧٨١٥) كتاب الأيمان والنذور، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: (١٣٦) ١/٢٦٣.

استعمال اللفظ البعيد من الشرك، وهو قول: ما شاء الله ثم شئت، وإن كان الأولى قول: ما شاء وحده؛ كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره ... "(١) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: " ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره ... ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: (**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**) وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله:﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير: ٢٨] ؛ فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك؟؛ فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله نداً لله بها؛ فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء – بل لعله أن يكون من أعدائه – نداً لرب العالمين "(٢) .

تصحيح هذه العبارة:

تقدم أنه لا يجوز أن يقول أحد: ما شاء الله وشئت، أو ما شاء الله وشاء فلان، ولتصحيح هذه العبارة واتقاءً للشرك على من أراد أن يعطف مشيئة العبد على مشيئة الله أن يأتي بحرف (ثم) بأن يقول القائل إذا أراد هذا المعنى: ما شاء الله ثم شئت، أو ما شاء الله ثم شاء فلان، وذلك لأن العطف بثم يقتضي الترتيب والتراخي فمثلاً إذا قلت: جاء زيد ثم عمرو أفاد ذلك أن مجيء عمرو متأخر ومتراخ عن مجيء زيد، وكذلك إذا قلت: ما شاء الله ثم شئت اقتضى ذلك أن مشيئة العبد متراخية عن مشيئة الله تعالى، وأن مشيئة الله ﷻ مقدمة على مشيئة العبد.

والأولى أن يقول: ما شاء وحده؛ كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١٠٣٤/٢ .

(٢) الجواب الكافي ص: (٣١٠- ٣١٢).

المطلب التاسع:

ألفاظ أخرى تفيد التسوية بين الله وبين خلقه في اللفظ

هذه الألفاظ مثل: قول: لولا الله وفلان، لولا الله وأنت، أنا بالله وبك، مالي إلا الله وأنت، هذا من الله ومنك، أنا متوكل على الله وعليك، ونحوها من الألفاظ ...[(١)].

حكم هذه الألفاظ:

تقدم أن الواو تقتضي التشريك والمساواة بين المعطوف والمعطوف عليه دون تراخ في المرتبة، وعلى هذا: فإن في هذه الكلمات تسويةً بين الخالق والمخلوق في اللفظ، وهو شرك أصغر؛ أما إذا اعتقد أن المعطوف يساوي الله ﷻ في التدبير والمشيئة؛ فهو شرك أكبر.

كيف تصحح هذه الألفاظ؟:

لتصحيح العبارة ثمت درجتان: درجة كاملة، ودرجة جائزة، وغير ذلك لا يجوز:

فالدرجة الأولى - وهي الكاملة -: أن يقول: لولا الله لما حصل كذا .

والدرجة الثانية - وهي الجائزة -: أن يقول: لولا الله ثم فلان لما حصل كذا، فهذه جائزة ولا تقدح في التوحيد؛ لجعله مرتبة (فلان) نازلة ومتراخية عن مرتبة إنعام الله، ولكن هذا ليس هو الكمال؛ لأن الكمال أن تقول: لولا الله لأتانا اللصوص، ولولا نعمة الله لما حصل كذا، ولولا فضل الله لما حصل كذا، هذه هي المرتبة الكاملة .

والجواز أن تقول: لولا الله ثم فلان .

وأما الذي لا يجوز فهو أن يقول: لولا الله وفلان، بالواو[(٢)].

---

(١) انظر: الروح ص: (٢٦٣)، الجواب الكافي ص: (٣١٠- ٣١٢).

(٢) انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: (٤٥٤ - ٤٥٥) .

أما عبارة أنا متوكل على الله وعليك ؛ فقد ذكر أهل العلم أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ؛ فلا يجوز أن يقول أحد: أنا متوكل على الله وعليك، ولا أن يقول: أنا متوكل على الله ثم عليك[١] .

لأن التوكل عبادة خاصة بالله تعالى، لا يجوز صرفه لغيره سبحانه، أما التوكيل وهو أن يوكل شخص شخصاً في عمل من الأعمال يعمله له فليس هو من هذا الباب ؛ لأمور:

- لأن التوكل هو اعتماد القلب مع فعل الأسباب، أما التوكيل فهو مجرد إنابة في أداء عمل من الأعمال .
- أن التوكل يصحبه اعتماد القلب وتفويض الأمر إلى الله تعالى، بخلاف الوكالة فليس فيها اعتماد القلب على الموَكَّل أو تفويض أمر الإنسان إليه .
- أن توكل فعل لازم، أما وكّل فهو فعل متعدٍ فليسا سواء .
- أن الواجب على المسلم إذا وكّل غيره في أمر من الأمور أن يتوكل على الله عز وجل في إنجاح طِلبته وقضاء شأنه، فالتوكل على الله واجب في جميع الأمور، ومحتاج إليه في الوكالة وغيرها.

ومن الأدلة على أن قول لولا الله وفلان ونحوه من الشرك الأصغر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها:" الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٢/٨٦٧ – ٨٦٨، فتاوى الإمام محمد بن إبراهيم ١/١٧٠، معجم المناهي اللفظية ص: (٢٠٧)، التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: (٣٧٤).

لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها "فلان"، هذا كله به شرك"[١].

وكان إبراهيم النخعي يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويرخص أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول: لولا الله وفلان، ويرخص أن يقول: لولا الله ثم فلان"[٢] .

قال الشيخ العلاَّمة سليمان بن عبد الله:" وذلك والله أعلم لأن الواو تقتضي مطلق الجمع فمُنع منها؛ لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من جمع اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، و (ثم) إنما تقتضي الترتيب فقط فجاز ذلك لعدم المانع"[٣].

---

(١) تقدم ص: (٢٢٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم: (٣٤٤) ص: (١٨٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد ١٠٢٦/٢ .

المطلب العاشر:

إضافة النعمة إلى السبب بقول: لولا فلان لم يحصل كذا ونحوها من العبارات

تمهيد: الواجب على العبد أن يعتقد أن كل النعم من الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وأن يعلم أن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إليه تعالى، وأن إضافة النعم إلى غير الله قد يعدُّ نقصًا في كمال التوحيد، ونوع شرك بالله تعالى كما سيأتي بيانه.

ومن الألفاظ التي فيها التفات إلى السبب، ورفع له فوق مرتبة السببية مع نسيان المسبِّب وهو الله تعالى، قول: لولا فلان لم يحصل كذا. كقول القائل: لولا الطيار لذهبنا في هلكة، ولولا أن سائق السيارة كان ماهراً لذهبنا في كذا وكذا، أو يقول: لولا أن الشيخ كان معلماً وأفهمنا هذه المسألة لما فهمناها أبداً، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها تعليق حصول الأمر بهذه الواسطة . والأمر إنما حصل بقضاء الله وبقدره، وإنما بفضل الله وبنعمته تحصل النعم، ويندفع المكروه والنقم، والأسباب لا تستقل بالتأثير، والذي أجرى تلك الأسباب هو الله تعالى، وهو الذي جعلها يترتب عليها مسبباتها؛ ولهذا يجب على العبد أن يوحّد فيقول: لولا الله ثم فلان، فيجعل مرتبة السبب متراخية؛ لأن الله – جل وعلا – هو المسدي للنعم المتفضل بها[١] .

حكم قول: لولا فلان لم يكن كذا:

الواجب نسبة النعم إلى الله عز وجل ابتداءً، وأن تضف إلى من لولاه لم تكن وهو الله تبارك وتعالى. ومن أضاف النعمة إلى غير مسديها فهو جاحد لها وكافر بها.

وهذا القول من قائله فيه تفصيل: إن أراد به الخبر، وكان الخبر صدقاً مطابقاً للواقع؛ فهذا لا بأس به.

---

(١) انظر: التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص: (٤٤٩ – ٤٥٠).

وإن أراد بها السبب؛ فلذلك ثلاث حالات:

الأولى: أن يضيفه إلى ما يعتقده سببًا، وهو سبب خفيٌّ لا تأثير له إطلاقاً، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا، فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفاً في الكون مع أنه ميت، فهو تصرف سري خفي.

الثانية: أن يضيفه إلى سبب صحيح ثابت شرعاً أو حساً؛ فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، وأن لا يتناسى المنعم بذلك.

الثالثة: أن يضيفه إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً ولا حساً؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل: التِّولة[١]، والقلائد التي يقال: إنها تمنع العين، وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً، فكان مشاركاً لله في إثبات الأسباب.

ويدل لهذا التفصيل أنه ثبت إضافة (لولا) إلى السبب وحده بقول النبي ﷺ في عمه أبي طالب: (**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**)[٢]، ولا شك أن النبي ﷺ أبعد الناس عن الشرك، وأخلص الناس توحيداً لله تعالى، فأضاف النبي ﷺ الشيء إلى سببه، لكنه شرعي حقيقي[٣].

---

(١) التِّوَلة- بكسر التاء وفتح الواو-: شيء يصنع يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، وهو ضرب من السحر. انظر: النهاية ص: (١١٣)، فتح الباري لابن حجر ٢٤١/١٠، تيسير العزيز الحميد ٣٢٩/١.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها: برقم: (٣٨٨٣) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٢٤٢/٧-٢٤٣، ومسلم برقم: (٥٠٩) كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ٧٩/٣ من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٣) القول المفيد للعلامة العثيمين رحمه الله ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

ومن الأدلة على أن قول لولا كذا لم يحصل كذا مع أنه لم تثبت سببيته لاشرعاً ولاقدراً من الشرك الأصغر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها:" الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفَاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطّ في الدار لأتى اللصوص... هذا كله به شرك"[(١)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[النحل: ٨٣] .

قال عون بن عبد الله بن عتبة[(٢)]: " إنكارهم إياها: أن يقول الرجل: لولا فلان ماكان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا"[(٣)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " وأما قول الآخر: لولا فلان لما كان كذا؛ فيتضمن قطع إضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن، وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً، وغايته أن تكون جزءاً من أجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يديه، والسبب لا يستقل بالإيجاد، وجعله سبباً هو من نعم الله، فهو المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها؛ فالسبب والمسبب من إنعامه، وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب، وقد ينعم

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٢٣).

(٢) هو الإمام القدوة العابد: عون بن عبد الله بن عتبة، أبو عبد الله الهذلي، الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله، حدث عن: أبيه، وأخيه، وابن المسيب، وابن عباس، وطائفة، وحدث عن: عائشة، وأبي هريرة، لكن قيل: روايته عنهما مرسلة، قيل: كان يرى الإرجاء ثم رجع عنه، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر: السير ٥/١٠٣- ١٠٥.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ١٤/١٨٩، وابن أبي حاتم ٧/٢٢٩٦ وزاد السيوطي في الدر المنثور ٥/١٥٥ نسبته لسعيد بن منصور وابن المنذر.

بدونه، فلا يكون له أثر، وقد يسلبه سببيته، وقد يجعل لها معارضاً يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه؛ فهو وحده المنعم على الحقيقة "[١].

وهذه المسألة شائعة عند كثير من الناس بحيث يضيفون النعمة والخير الذي حصلوا عليه إلى السبب القريب المباشر، وتتعلق قلوبهم به ؛ فنجد من يعزو نجاحه في دراسته إلى اجتهاده ومذاكرته، وربحه في تجارته إلى ذكائه ومعرفته بطرق المكاسب، ونجاته من مصيبة كحادث سير ونحوه إلى حسن قيادته وحسن تصرفه، مع أن الواجب هو إضافة النعمة إلى خالقها المتفضل بها، والأسباب مهما عظمت إن لم يرد الله حصول مسبباتها فإنها لن تجدي شيئاً . قال الشيخ د.صالح الفوزان حفظه الله تعالى وأطال عمره في طاعته: " وهكذا كل[من[٢]] ينسب النعمة إلى من يعظمه من الآباء والآلهة والأشخاص، متناسين مصدرها الصحيح والمنعم بها على الحقيقة، وهو الله سبحانه، كما أن بعضهم ينسب نعمة السير في البحر والسلامة من خطره إلى الريح وحذق الملاح، فيقول: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً! .

ومثله اليوم ما يجري على ألسنة الكثير من نسبة حصول النعم واندفاع النقم إلى مجهود الحكومات أو الأفراد أو تقدم العلم التجريبي، فيقولون مثلا: تقدمُ الطب تغلب على الأمراض أو قضى عليها ! والمجهودات الفلانية تقضي على الفقر والجهل ! وما أشبه ذلك من الألفاظ التي يجب على المسلم أن يبتعد عنها ويتحفظ منها غاية التحفظ، وأن ينسب النعم إلى الله وحده، ويشكره عليها، وما يجري على يد بعض المخلوقين أفراداً أو جماعات من المجهودات إنما هي أسباب قد تثمر وقد لا تثمر، وهم يُشكَرون على قدر ما بذلوه، ولكن لا يجوز نسبة حصول النتائج إلا إلى الله سبحانه. وقد ذكر الله في كتابه الكريم عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله: إما إلى كونهم يستحقونها، أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم .

---

(١) شفاء العليل ١٥٣/١.

(٢) زيادة يقتضيها السياق هنا.

قال تعالى عن الإنسان: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠] ؛ فقوله: ﴿ هَٰذَا لِي ﴾ ؛ أي: حصلتُ على هذا بعلمي، وأنا محقوق به، لا أنه تفضل من الله ونعمة ليس بحول العبد ولا بقوته.

وقال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة فبغى على قومه، وقد وعظه الناصحون، وأمروه بالاعتراف بنعمة الله والقيام بشكرها؛ فكابر عند ذلك، وقال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ ﴾ [القصص: ٧٨] ؛ أي: حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى، فكانت عاقبته من أسوء العواقب، وعقوبته من أشد العقوبات، حيث خسف الله به وبداره الأرض لمّا جحد نعمة الله ونسبها إلى غيره، وأنه حصل عليها بحوله وقوته"[1].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (١١٤ — ١١٥).

المطلب الحادي عشر:

تعليق التمائم ونحوها

التميمة في اللغة: من تمَّ الشيء إذا كمل ؛ يقال: امرأة متم إذا اكتملت أيام حملها ؛ كأنهم يريدون أن التميمة من تمام الدواء والشفاء المطلوب[١].

التميمة في الاصطلاح: قال ابن عبد البر: " ماعلق على الأعناق من القلائد خشية العين أو غيرها من أنواع البلاء"[٢].

وقال الإمام ابن باز[٣] رحمه الله: " وأما التمائم: فهي ما يعلق على الصبيان والمرضى من الحلق والودع، والخرق، والأوراق المكتوب فيها بعض الطلاسم، أو الكتابات المجهولة[٤].

حكم اتخاذ التمائم:

التمائم نوعان: الأول: التمائم من القرآن الكريم: فهذه سيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

الثاني: التمائم من غير القرآن الكريم: فهذه جاء في الحديث عن النبي ﷺ مايبين أن اتخاذها ولبسها من الشرك، قال أهل العلم: إن اتخاذ التمائم قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر.

فيكون شركاً أكبر: إذا اعتقد أنها مؤثرة بنفسها من دون الله تعالى، وهذا شرك في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد أن أحداً يخلق ويدبر غير الله تعالى .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص: (١٦٨)، الصحاح للجوهري ١٥٢٦/٤، النهاية ص: (١١٢).

(٢) التمهيد ٣٢٧/١٥.

(٣) هو الإمام الفقيه المحدث أبو عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ولد سنة: (١٣٣٠هـ) بالرياض، ولي القضاء مدة طويلة، وعين رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ومفتياً للمملكة،وله مؤلفات كثيرة في الفرائض والعقائد والعبادات .انظر: ترجمته لنفسه في مجموع فتاويه٩/١.توفي رحمه الله وجزاه خير الجزاء عام: ١٤٢٠ هـ.

(٤) مجموع فتاوى ومقالات الإمام ابن باز ٤٥٤/٩.

ويكون شركاً أصغر: إذا اعتقد أنها سبب، لاتؤثر بنفسها؛ لأنه اعتقد ما ليس سبباً سبباً؛ وكل من جعل شيئاً سبباً ولم يجعله الله سبباً لا في شرعه ولا في قدره فقد أشرك شركاً أصغر[(١)].

قال الشيخ ابن باز:" وتعليق التمائم يعتبر من الشرك الأصغر ما لم يعتقد معلقها بأنها تدفع عنه الضرر بذاتها دون الله، فإذا اعتقد هذا الاعتقاد صار تعليقها شركاً أكبر"[(٢)].

وذكر رحمه الله علة أخرى لكون اتخاذ التمائم من الشرك، وهي تعلق قلب من تعلقها بها، وضعف توكله على الله تعالى . فقال رحمه الله: "والعلة في كون تعليق التمائم من الشرك هي- والله أعلم-: أن من علقها سيعتقد فيها النفع ويميل إليها، وتنصرف رغبتها عن الله إليها، ويضعف توكله على الله وحده ؛ وكل ذلك كاف في إنكارها والتحذير منها، وفي الأسباب المشروعة والمباحة ما يغني عن التمائم. وانصراف الرغبة عن الله إلى غيره شرك به، أعاذنا الله وإياكم من ذلك "[(٣)].

ويقول الشيخ العلامة ابن سعدي رحمه الله " فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك، لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر . وهو شرك في الربوبية؛ حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير .

وشرك في العبودية حيث تأله لذلك، وعلق به قلبه طمعاً ورجاءً لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء؛ فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر"[(٤)].

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين ١/١٦٤- ١٦٥ .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الإمام ابن باز ٢٥/٩٤- ٩٥ .

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الإمام ابن باز ٨/٣٠٤، ٢٥/٩٤.

(٤) القول السديد ص: (٣٥- ٣٦).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وطريق العلم بأن الشيء سبب:

إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩] ، وكقراءة القرآن فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وإما عن طريق القدر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعاً في هذا الألم أو المرض، ولكن لا بد أن يكون أثره ظاهراً مباشراً ؛ كما لو اكتوى بالنار فبرئ بذلك مثلاً؛ فهذا سبب ظاهر بيّن، وإنما قلنا هذا لئلا يقول قائل: أنا جربت هذا وانتفعت به، وهو لم يكن مباشراً؛ كالحلقة، فقد يلبسها إنسان وهو يعتقد أنها نافعة فينتفع؛ لأن للانفعال النفسي للشيء أثراً بيناً؛ فقد يقرأ إنسان على مريض فلا يرتاح له، ثم يأتي آخر يعتقد أن قراءته نافعة، فيقرأ عليه الآية نفسها فيرتاح له، ويشعر بخفة الألم، كذلك الذين يلبسون الحلق، ويربطون الخيوط، قد يحسون بخفة الألم، أو اندفاعه، أو ارتفاعه، بناءً على اعتقادهم نفعها. وخفة الألم لمن اعتقد نفع تلك الحلقة مجرد شعور نفسي، والشعور النفسي ليس طريقاً شرعياً لإثبات الأسباب، كما أن الإلهام ليس طريقاً للتشريع"[1].

الأدلة على أن اتخاذ التمائم من الشرك:

١ - عن زينب[2] امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: إن عبد الله رأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل

(١) القول المفيد ١/١٦٥.

(٢) هي زينب بنت عبد اللّه، وقيل: بنت معاوية الثقفية، ويقال بنت أبي معاوية، وبه جزم ابن السّكن، قال ابن فتحون: لعل اسمه عبد اللّه، وكنيته أبو معاوية، وهي امرأة عبد اللّه بن مسعود، روت عن النبي ﷺ، وعن زوجها ابن مسعود، وعن عمر رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب ص: (٥٨٢-٥٨٣)، الإصابة ٤/٢٥٢٢، ٢٥٢٤.

عبد الله لأغنياء عن الشرك،سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)(١).

والمراد بالرقى هنا ليس عمومها، وإنما المراد ماكان فيها شرك كاشتمالها على دعاء غير الله تعالى، أو كانت مشتملة على تمتمات وكلام غير مفهوم .

قال الإمام الخطابي في معنى هذه الجملة من الحديث:" فأما الرقى، فالمنهي عنه: هو ما كان منها بغير لسان العرب فلا يُدرى ما هو، ولعله قد يُدْخِلُه سحراً أوكفراً، فأما إذا كان مفهوم المعنى، وكان فيه ذكر الله تعالى؛ فإنه مستحب متبرك به. والله أعلم"(٢).

وقال الإمام ابن باز رحمه الله " ومعناها عند أهل العلم: إن الرقى التي تكون بألفاظ لا يعرف معناها، أو بأسماء الشياطين، أو ما أشبه ذلك ممنوعة"(٣).

وعن عبد الله بن عُكيم(٤) ﷺ مرفوعًا: (**من تعلق شيئاً وكل إليه**)(٥).

---

(١) رواه أحمد ٣٨١/١، وأبو داود برقم: (٣٨٨٣) كتاب الطب، باب في تعليق التمائم ص: (٥٨٣-٥٨٤)، وابن ماجه برقم: (٣٥٩٦) كتاب الطب، باب تعليق التمائم ١٨١/٣، والحاكم في المستدرك برقم: (٨٢٩٠) كتاب الرقى والتمائم ٥١٥/٤ وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن أبي داود .

(٢) معالم السنن للخطابي (شرح سنن أبي داود) ٢٢٦/٤ .

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الإمام ابن باز ٥٢/١ .

(٤) هو عبد الله بن عكيم الجهني، يكنى أبا معبد، قيل: له صحبة، واختلف في سماعه من النبي ﷺ، وقد أسلم بلا ريب في حياة النبي ﷺ، وقد حدَّث عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وروى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وهلال الوزان وغيرهما، توفي سنة: (٨٨هـ). انظر: الاستيعاب ص: (٤٧٣)، الإصابة ١٠٩٥/٢، السير ٥١٠/٣- ٥١٢.

(٥) رواه أحمد برقم: (١٨٧٨١) ٧٧/٣١- ٧٨، والترمذي برقم: (٢٠٧٢) كتاب الطب، باب ماجاء في كراهية التعليق ص: (٤٦٨)، والحاكم في المستدرك برقم: (٧٥٠٣) كتاب الرقى =

وعن عقبة بن عامر ﵁ مرفوعاً: **(من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)**[1].

وعن رويفع بن ثابت[2] ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **(يا رويفع لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمدًا بريء منه)**[3].

والتمائم ٢٦٣/٤ . قال صاحب الفتح الرباني ١٨٨/١٧: "لاتقل درجته عن الحسن لاسيما وله شواهد تؤيده". وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن الترمذي.

(١) رواه أحمد برقم: (١٧٤٠٤) مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر ٦٢٣/٢٨، والحاكم في المستدرك برقم: (٨٢٨٩) ٥١٥/٤، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (٨٢٠) ٢٩٧/١٧، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١٢٤٥/٣: إسناده جيد. وقال محقق المسند: إسناده حسن.

(٢) رويفع بن ثابت بن السّكن بن عديّ بن حارثة، من بني مالك بن النّجّار، روى عن النبي ﷺ، نزل مصر، وولّاه معاوية ﵁ على طرابلس سنة: (٤٦ هـ)، فغزا إفريقية، توفي ببرقة وهو أمير عليها سنة: (٥٦ هـ) انظر: الاستيعاب ص: (٢٦٧- ٢٦٨)، الإصابة ٥٩٨/١ .

(٣) رواه الإمام أحمد برقم: (١٦٩٩٥) مسند الشاميين، حديث رويفع بن ثابت ٢٠٤/٢٨- ٢٠٥، ورواه أبو داود في سننه برقم: (٣٦) كتاب الطهارة، باب ماينهى عنه أن يستنجى به ص: (١١). وقال الشيخ سليمان بن عبد الله عن بعض أسانيد الحديث: وهذا إسناد جيد. تيسير العزيز الحميد ٣٣٣/١ . وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

المطلب الثاني عشر:

نقض عهد الله تعالى

نقض عهد الله تعالى من الأمور التي تدل على الخلل في التوحيد وعلى قلة تعظيم الله تعالى، وخاصة إذا أُعطي أحدٌ عهد الله تعالى، فقيل له: لك عهد الله، أو لك ذمة الله بأن لانتعرض لك بسوء؛ فإنْ نقض أحد ذلك العهد، فقد خفر ذمة الله تعالى وعهده، وهذا تنقص لله تعالى، والواجب على العبد أن يعظم الله تعالى، وألا ينقض عهد الله وذمته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١] فأمر تعالى بالوفاء بالعهد، ثم قال: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ أي:" بعقدها على اسم الله تعالى، ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المتعاقدان ﴿كَفِيلًا ۚ﴾ فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلاً، فيكون ذلك ترك تعظيم الله، واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلاً. فكما ائتمنك وأحسن ظنه فيك فَلْتَفِ له بما قلت وأكدته"(١).

ومن وصايا النبي ﷺ لأمرائه على الجيوش والسرايا: " **وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله**)(٢).

---

(١) تفسير السعدي ص: (٥٢٠).

(٢) رواه مسلم برقم: (٤٤٩٦) كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم ٢٦٤/١٢ من حديث بريدة رضي الله عنه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " عدم الوفاء بعهد الله تنقص له، وهذا مخل بالتوحيد"[١].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ:" فإنه إذا كان يعطي بعهد الله ثم يخفر، فقد خَفَرَ عهدَ الله جل وعلا، وفَجَرَ في ذلك، وهذا مناف لكمال التوحيد الواجب؛ لأن الواجب على العبد أن يعظم الله جل جلاله، وألا يخفر عهده وذمته؛ لأنه إذا أعطى بذمة الله فإنه يجب عليه أن يوفي بهذه الذمة مهما كان، حتى لا ينسب النقص لذمة الله جل جلاله"[٢].

---

(١) القول المفيد ٢/٤٧٧.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: (٥٦٩).

المبحث الثالث:

بيان أن المشركين في الربوبية أعظم القادحين في عظمة الله تعالى.

مما يدل على أن الشرك في الربوبية فيه أعظم القدح لعظمة الرب تعالى:

- أن من الشرك في الربوبية مايتضمن الإلحاد وإنكار وجود الله تعالى، وأنه لم يخلق هذا الكون ومافيه، وهذا هو أعظم الكفر بالله، وهو أعظم القدح في رب العالمين سبحانه، وإنكار ربوبيته وألوهيته، وتعطيله عن الوجود وعن الخلق والفعل وعن الألوهية والعبادة؛ وهل هناك شرك أعظم من إنكار وجود الله تعالى بالكلية؟. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " ومن لم يعبد الله فإنه فاسد هالك، والله لا يغفر أن يشرك به فيُعبد معه غيره؛ فكيف بمن عطل عبادته فلم يعبده ألبتة كفرعون وأمثاله؟ وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: ٤٨]، والتعطيل ليس دون الشرك، بل أعظم منه؛ فالمستكبرون عن عبادته أعظم جرماً من الذين يعبدونه ويعبدون معه غيره، وهو لا يغفر لهم، فأولئك أولى"[1].

ومنه قول الفلاسفة بقدم العالم، أي: أن الله تعالى لم يخلق هذا العالم، وأن الفلك قديم أزلي بنفسه، حَدَث بلا مُحْدِث[2]، وهذه الأقوال الملحدة المنكرة لوجود الرب تعالى وخلقه للعالم لم يقل بها إلا الشذاذ من الخلق. وغالب أهل الشرك الذين ذكر الله قصصهم في القرآن الكريم لم يكن شركهم إلا في الألوهية، والمشركون الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا مقرين لله بالربوبية، ولكنهم أنكروا الألوهية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾[يوسف: ١٠٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من إيمانهم إذا قيل لهم: من

(١) منهاج السنة ٣٩٣/٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٤٧٧/١٤.

(٢) انظر لبيان هذه المقالة: تهافت الفلاسفة للغزالي ص: (٧٤)، منهاج السنة ٢٠٠/١-٢٠١، مجموع الفتاوى ٨٤/٨، ٢٢٧/١١، درء تعارض العقل والنقل ١٥٩/١ ط: دار الفضيلة.

خلق السماء؟ ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله، وهم مشركون"[١]. وقال مجاهد رحمه الله: "إيمانهم قولهم الله خالقنا، ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"[٢].

- ومما يدل على أن الشرك في الربوبية بجحد الخالق وتعطيله شر من الشرك في ألوهيته: أن المشرك في العبادة إنما أراد تعظيم الله تعالى بجعل وسائط بينه وبين الله؛ لأنه استعظم أن يسأل اللهَ تعالى مباشرة؛ لظنه أن سؤاله عن طريق الشفيع أجدى وأنفع، أو أنه لكثرة ذنوبه وتقصيره في حق الله يخجل من سؤال الله مباشرة، فيلجأ إلى اتخاذ واسطة بينه وبين الله في الدعاء، وهذا هو المعروف بشرك الوسائط، وهو ماحكاه الله تعالى عن عبدة الأصنام؛ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] . وقال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ١٨] . أما المعطل والنافي لوجود الله تعالى وربوبيته فإنه قد بلغ الغاية في الكفر وتنقص الرب تعالى . قال ابن القيم رحمه الله في النونية: فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك . ثم قال:

لكن أخو التعطيل شر من أخي ال***إشراك بالمعقول والبرهانِ

إن المعطل جاحد للذات أو*** لكمالها هذان تعطيلانِ

متضمنان القدح في نفس الألو***هة كم بذاك القدح من نقصانِ

والشرك فهو توسل مقصوده الز***لفى من الرب العظيم الشانِ

بعبادة المخلوق من حجر ومن*** بشر ومن قمر ومن أوثانِ

فالشرك تعظيم بجهل من قيا***س الرب بالأمراء والسلطانِ[٣]

---

(١) تفسير الطبري ٩٣/١٣.

(٢) المرجع السابق ٩٤/١٣.

(٣) نونية ابن القيم (الكافية الشافية) ص: (٢٥١) .

قال ابن عيسى[١] رحمه الله في شرحه: " ذكر رحمة الله في هذه الأبيات أن المعطل شر من المشرك . ثم بين ذلك بقوله: إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها. الخ . وذلك يتضمن القدح في الألوهية وأما الشرك: فهو توسل، أي: تقرُّبٌ مقصوده الزلفى، أي تقرباً من الرب سبحانه؛ وذلك بعبادة المخلوقات، سواء كانت حجراً أو قبراً أو بشراً أو وثناً. وأصل الشرك تعظيم الله سبحانه لكن بجهل؛ وذلك أن المشركين قاسوا الرب سبحانه بالملوك ؛ قالوا: إن الملك لا يحصل القرب منه إلا بتوسط الشفعاء؛ وهذا القياس من أبطل الباطل، وفساده ظاهر ببديهة العقل. ... "[٢].

ويقول ابن القيم رحمه الله أيضاً: " وأما الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشرك وأخف أمراً ؛ فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لاإله إلا الله، وأنه لا يضر وينفع ويعطي ويمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته ..."[٣].

- ومما يدل على أن الشرك في الربوبية فيه أعظم القدح لله رب العالمين سبحانه: أن من لم يأت بتوحيد الربوبية فلن يأتي بالأنواع الأخرى من التوحيد من باب أولى؛ وذلك لأن توحيد الربوبية هو قاعدة الملة وأساسها؛ فمن ضل فيه ضل في غيره ولابد؛ ولذلك فإن من أنكر ربوبية الله تعالى لخلقه لن يأتي بتوحيد العبادة؛ لأنه ينكر الرب أصلاً .

---

(١) هو الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، من قبيلة بني زيد القبيلة المشهورة بشقراء، أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وعن ابنه الشيخ عبد اللطيف، وله مؤلفات منها: شرح نونية ابن القيم، الرد على زيني دحلان فيما كتبه في تاريخه خلاصة الكلام عن الوهابية، تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والسندي والحلبي، ولي قضاء المجمعة، وتوفي بها سنة: (١٣٢٧ هـ). انظر: الأعلام للزركلي ٨٩/١، مشاهير علماء نجد ص: (١٨٥- ١٨٨).

(٢) شرح قصيدة ابن القيم (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم) ٤٥٢/٢.

(٣) الجواب الكافي ص: (٥٣٥- ٥٣٦).

ومن زعم أن الأنواء هي التي تنزل المطر، أو أنها سبب في نزوله فتجده يضعف أو ينعدم تعلق قلبه بالله تعالى وانتظار غوثه ورحمته. ومن أضاف النعمة إلى السبب المباشر، وتناسى المنعم وهو الله تعالى نقص أو انعدم حظه من الشكر والثناء على الرب تعالى .

أما النوعان الآخران من التوحيد [الألوهية، والأسماء والصفات]فلا يلزم من الضلال فيهما أن يكون الإنسان لم يأت بتوحيد الربوبية، كما كان كفار قريش قد ضلوا في الألوهية وأقروا بالربوبية، وإن كان الخطأ فيهما يدل على أن هذا الإنسان لم يأت بتوحيد الربوبية كما يجب؛ إذ لو أتى به على وجه الكمال لأتى بالنوعين الآخرين ولابد.

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الله تعالى بإفراده بالعبادة

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن مبنى العبادة على تعظيم الله تعالى، وفيه مطلبان:

المبحث الثاني: تعظيم الله تعالى بترك الأفعال التي تتنافى مع تعظيمه، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الثالث: تعظيم الله تعالى بالدعوة إلى شرعه وتعريف العباد بربهم وحقه عليهم، وفيه أربعة مطالب:

المبحث الرابع: تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب والجوارح، وفيه ثلاثة مطالب:

المبحث الخامس: بيان أن الشرك في العبادة يقدح في عظمة الله تعالى، وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد:

يحسن قبل الشروع في مباحث هذا الفصل أن أشير إلى مدى أهمية تعظيم الله تعالى بإفراده بالعبادة ؛ فأقول مستعيناً بالله جل في علاه:

مما يدل على عظم أهمية هذا النوع من التعظيم:

- أن الله ﷻ إنما خلق الخلق لأجله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].
- أنه حق الله ﷻ على عباده؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: (**يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟**) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: (**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**)(١).
- أن العباد في أشد الحاجة إليه وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ فلا حياة لقلوبهم في الدنيا ولا نجاة لهم في الآخرة إلا به.

يقول ابن القيم رحمه الله: " فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها "(٢).

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٤٨) .

(٢) طريق الهجرتين ص: (١٢٠).

- وهذا النوع من التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به أنبياءه ورسله فإن حقيقة دين الله عز وجل أن يعبد الله وحده لاشريك له، وأن لايدعى إلا إياه، ولايتوكل إلا عليه، ولايُصرف شيء من العبادة لغيره.
- كما أن هذا النوع من التوحيد " هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، و به افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار"[(١)]. قال ابن القيم رحمه الله: " التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود لقومه: ﴿ **ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾[الأعراف: ٦٥]، وقال صالح لقومه: ﴿ **ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾[الأعراف: ٧٣]، وقال شعيب لقومه: ﴿ **ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾[الأعراف: ٨٥]، و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦]. فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: (**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً**

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١/١٢٤- ١٢٥، وانظر كلاماً مفيداً في: القواعد الحسان للسعدي ص: (١٩٢ – ١٩٣).

رسول الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة...)[(١)] وذكر الحديث.

وقال ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...**)[(٢)] ؛ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: (**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**)[(٣)] ؛ فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره[(٤)] .

- أن صحة الأعمال متوقفة عليه فمن لم يأت به، أو أتى بما يناقض أصله فأعماله مردودة، ولا يثاب عليها في الآخرة، بل هو من الخاسرين الخالدين في العذاب المقيم ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

---

(١)جزء من حديث رواه البخاري برقم: (١٣٩٥) كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ٣/٣٣٠، ومسلم برقم: (١٢١)،(١٢٢)،(١٢٣) كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين ١/١٤٦ - ١٤٩.

(٢)جزء من حديث رواه البخاري برقم: (٢٥) كتاب الإيمان،باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ١/١٠٢ - ١٠٣، ومسلم برقم: (١٢٨) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ١/١٥٧- ١٥٨ .

(٣) رواه أحمد برقم: (٢٢٠٣٤) ٣٦/٣٦٣ (ط: الرسالة)، وأبو داود برقم: (٣١١٦) ص: (٤٧٨). وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

(٤) مدارج السالكين ٣/٤٤٣ - ٤٤٤.

المبحث الأول:

بيان أن مبنى العبادة على تعظيم الله تعالى.

وهذا يتبين من أمور أجملها في مطلبين:

المطلب الأول:

تعريف العبادة، ودلالته على التعظيم.

العبادة في اللغة: هي الطاعة مع الخضوع والذل، ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء[1].

وفي الشرع: عرفت بتعاريف كثيرة منها:

قال الإمام الطبري رحمه الله: " معنى العبادة: الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة "[2].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: "عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة "[4].

وهذه التعاريف وإن كان يرى من ظاهرها أنها مختلفة لكن هذا راجع إلى أن **العبادة "تطلق على معنيين:**

أحدهما: التعبد وهو فعل العابد، فتكون بمعنى: التذلل للمعبود حباً وتعظيماً وهذان – أعني الحب والتعظيم – أساس العبادة، فبالحب يكون طلب الوصول إلى مرضاة المعبود بفعل ما أمر به، وبالتعظيم يكون الهرب من أسباب غضبه بترك ما نهى عنه.

---

(١) لسان العرب ١٠/١٠، وانظر: معجم المقاييس ص: (٧٢٨-٧٢٩)، المفردات ص: (٣٢٢).

(٢) جامع البيان ١/١٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/١٣٤، وانظر مجموع الفتاوى ١٠/١٥٣.

(٤) العبودية ص: (٣٨)، وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩.

الثاني: المتعبد به، فتكون اسماً جامعاً لكل ما يُتعبد به لله تعالى كالطهارة والصلاة والصدقة والصوم والحج وبر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك من أنواع العبادة "(١).

فتبين من هذا أن العبادة عموماً قائمة على تعظيم المعبود وتقديسه وحبه وإجلاله والخضوع له والذل، وإنما سميت العبادة بذلك لأن العباد يفعلونها لله تعالى خاضعين أذلاء.

قال الإمام ابن باز رحمه الله: " من الحكمة في إيجاد الخليقة: أن يعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته، وأنه على كل شيء قدير، وأنه العالم بكل شيء جل وعلا، كما أن من الحكمة في خلقهم وإيجادهم أن يعبدوه، ويعظموه، ويقدسوه، ويخضعوا لعظمته؛ لأن العبادة هي الخضوع لله جل وعلا والتذلل له، وسميت الوظائف التي أمر الله بها المكلفين – من أوامر وترك نواه – عبادة؛ لأنها تؤدى بالخضوع والتذلل لله عز وجل"(٢).

والمؤمنون المتعبدون لله تعالى وفق ماشرع في كتبه وعلى ألسنة رسله أشد حباً لله وتعظيماً وذلاً وخضوعاً له من حب المشركين وتعظيمهم وخضوعهم وذلهم لمعبوداتهم الباطلة.

---

(١) تقريب التدمرية ص: (١١٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ١/٣٢٥.

المطلب الثاني:

أن تعظيم الله تعالى هو روح العبادة.

فتعظيم الله تعالى هو روح العبادة ولبها، وهو الغرض الذي من أجله شرعت، والعبادة من غير تعظيم الله تعالى كالجسد بلا روح، وهل توجد حياة في الجسد بدون روح؟، كذلك العبادة لاتكون عبادة إلا إذا اشتملت على تعظيم الله تعالى وإجلاله والخضوع له، وليس المقصود من العبادة مجردَّ حركات أشبه ماتكون بحركة أهل الرياضة البدنية دون أن تؤثر في النفس خضوعاً لله تعالى وإجلالاً له ؛ فإن لم يعِ العبدُ المقصودَ من العبادة كان العمل الذي قام به هو صورة العبادة لاحقيقتها المرادة منها. ولذا يقول تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] . فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فإن ذلك علامة على أنه لم يأت بتلك الصلاة كما ينبغي من حضور القلب والخشوع فيها واستحضار عظمة الله تعالى وهيبته، وأنه واقف بين يديه أثناء صلاته .

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] .

فمدح الله عباده بالتواضع والذل والخشوع له والاستكانة لعظمته خضوعاً وذلاً وتعظيماً أوصلهم إلى كمال هذه الأحوال العظيمة، وهي وَجَل قلوبهم عند ذكر الله تعالى وخوفهم منه، وصبرهم على طاعته وصبرهم عن معصيته وعلى مايقدره عليهم من المصائب، وأيضاً: إقامتهم للصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، لامجرد الإتيان بها، وأيضاً: إنفاقهم مما أعطاهم الله من المال في وجوه الخير والبر. قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير جامع للآية: "﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده، ثم ذكر صفات المخبتين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خوفاً وتعظيماً، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره،

﴿وَٱلۡمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة "[١].

فتعظيم الله تعالى وإجلاله هو روح العبادة وقطب رحاها الذي تدور عليه، كما أنه بقدر تعظيم الله تعالى في العبادة يعظم أجر العابد .

قال ابن القيم رحمه الله: "وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت"[٢].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٦٢٨).

(٢) مدارج السالكين: (٢/٤٩٥).

المبحث الثاني:

تعظيم الله تعالى بترك الأفعال التي تتنافى مع تعظيمه.

هناك أمور كثيرة تتنافى مع تعظيم الله تعالى، أو تدل على قلة تعظيم الله في باب توحيد العبادة، **أجملها في ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول:

الشرك في العبادة

فالشرك في العبادة إذا كان شركاً أكبر يتنافى مع تعظيم الله تعالى بالكلية.

وهل هناك أعظم في التنقص ممن يصرف خالص حق الله تعالى إلى غيره؟

اللهُ سبحانه وتعالى يخلقه، ويرزقه، ويمده ويغذيه بالنعم، ثم يذهب يتعبد لإله باطل لايملك لنفسه فضلاً عن غيره شيئاً ولو قل، إنَّ هذا لهو أعظم التنقص لله تعالى . عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ[1] رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: " **إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أُبَلِّغَهُنَّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، وَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ، أَوْ ذَهَبٍ،**

---

(١) هو الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، صحابي، يكنى أبا مالك. انظر: الاستيعاب ص: (١٧٥)، الإصابة ٣١٤/١.

فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...)[(١)].

وسيأتي بمشيئة الله مزيد بيان لمسألة أن الشرك في العبادة فيه تنقص الرب عز وجل.

المطلب الثاني:

الرياء والسمعة

الرياء والسمعة من الشرك، وإذا وقعا من العبد فيدلان على نقص تعظيمه لله تعالى، وذلك لما وقع منه من ملاحظة المخلوقين في العبادة، وإهمال الإخلاص لله تعالى.

والعبادة يجب إخلاصها لله عز وجل، وأن لايكون للإنسان قصد حصول شيء من الناس له مقابل فعله للعبادة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان: ٩]

قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ أي: رجاءَ ثواب الله ورضاه ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها، ولا أن تشكرونا عند الناس "[(٢)].

تعريف الرياء والسمعة:

الرياء لغة: مشتق من الرؤية يقال: فعل ذلك رياء أي: ليراه الناس[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٧٨٠٠) مسند الشاميين، حديث الحارث الأشعري ٣٣٥/٢٩، ورواه الترمذي برقم: (٢٨٦٣) كتاب الأدب، باب ماجاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ص: (٦٤٠- ٦٤١)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٩/٨.

(٣) انظر: لسان العرب ٦٥/٦.

واصطلاحاً: إظهار الإنسان للعبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها[١].

والسمعة لغة: مشتقة من السماع والإسماع، وهو ما يسمع من صيت، ويقال فعل كذا رياء وسمعة أي بقصد أن يراه الناس ويسمعوا به[٢].

واصطلاحاً: إظهار الإنسان للعبادة لقصد سماع الناس لها فيحمدوا صاحبها[٣]، أو تحدثه بالعبادة التي عملها قصداً لحمدهم[٤].

والفرق بينهما: أن السمعة تتعلق بحاسة السمع، والرياء يتعلق بحاسة البصر[٥].

حكم الرياء والسمعة:

الرياء والسمعة يسيرهما من الشرك الأصغر، أما الرياء الخالص والسمعة الخالصة بحيث تكون أعمال الإنسان كلها يراد بها الناس؛ فهذا هو رياء المنافقين، ولا يكاد يصدر من مسلم[٦].

الأدلة على أن الرياء والسمعة من الشرك وخطورتهما:

من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) انظر: فتح الباري ٣٣٦/١١، الدين الخالص ٣٧٩/٢.

(٢) انظر: اللسان ٦٧/٧.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٣٦/١١، الدين الخالص ٣٧٩/٢.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ٩١٢/٢.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد ٩١٢/٢، فتح الباري ٣٣٦/١١.

(٦) انظر: مدارج السالكين ٣٤٤/١، جامع العلوم والحكم ٧٩/١، تيسير العزيز الحميد ٩٢٥/٢.

قال ابن القيم رحمه الله: " أي: كما أنه إله واحد لا إله سواه ؛ فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ؛ فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة "(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: " وهذان ركنا العمل المتقبل ؛ لا بد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السنة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾، والخالص أن يخلص من الشرك الجلي والخفي، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ "(٢) .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر: ١٠] .

ذكر ابن كثير رحمه الله عن عدد من المفسرين أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾: بأنهم المراؤون بأعمالهم، ثم قال: "يعني: يمكرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراؤون بأعمالهم، ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢]" .

وقيل: هم المشركون(٣).

ثم قال ابن كثير: " والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى"(٤).

---

(١) الجواب الكافي ص: (٣٠٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد ٩١٣/٢ .

(٣) انظر القولين في تفسير الطبري ١٤٤/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٧/٦ – ٥٣٨.

من السنة النبوية:

ومما يدل من السنة على أن الرياء من الشرك، وعظم خطورته أن النبي ﷺ سماه شركاً وخافه على أمته منه أشد الخوف، كما قال ﷺ: (**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**)، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟قال: (**الرياء**)[(١)].

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**من سمع سمَّع الله به ومن راءى راءى الله به**)[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله: " قال العلماء: معناه: من رايا بعمله، وسمَّعه الناسَ ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره؛ سمّع الله به يوم القيامة الناس وفضحه.

وقيل: معناه: من سمّع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه.

وقيل: أسمعه المكروه.

وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه.

وقيل: معناه: من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس، وكان ذلك حظه منه"[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٢٣٦٣٠) ٣٩/٣٩، وبرقم: (٢٣٦٣٦) ٤٣/٣٩ من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه. وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٧٤/١- ٧٥. وصححه الألباني في أحكامه على أحاديث الترغيب والترهيب.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٩٩) كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة ٧٥٢/٦، ومسلم برقم: (٧٤٠٢) كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٣١٦/١٨.

(٣) شرح النووي على مسلم ٣١٦/١٨ – ٣١٧ .

المطلب الثالث:

إرادة الإنسان بعمله الدنيا

المراد بإرادة الإنسان بعمله الدنيا: هو أن يريد الإنسان بالعمل الذي يُبتغى به وجه الله طمعاً من مطامع الدنيا(١).

حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

إرادة الإنسان بعمله الذي يُبتغَى به وجهُ الله شيئاً من متاع الدنيا كالمال والوظيفة أو الجهاد لتحصيل الغنيمة يقدح في الإخلاص الذي أمر الله تعالى به؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر: ٢ - ٣] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر: ١١ - ١٤].

فإرادة الإنسان بعمله الدنيا قادح في هذا الأصل الذي يقوم عليه دين الإسلام، وهو نوع من الشرك. كما أنه قادح في تعظيم الله عز وجل، إذا لو كان معظماً لله تعالى حقاً لعمل لله مخلصاً له، لكنه قل أو انعدم عنده تعظيم الله تعالى، وزادت عظمة الدنيا في قلبه وتعلق بها، ونسي ربه، وغفل عن آخرته ومعاده.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (١٢٢)، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٩٢٨/٢، إعانة المستفيد ٩٩/٢، المفيد في مهمات التوحيد ص: (١٨٤).

أقسام الناس في العمل للدنيا، وحكم كل قسم:

١. من يعمل الأعمال الصالحة يريد بها ثواب الدنيا ولايريد ثواب الآخرة، وليس له التفات ولا إرادة لثواب الله عز وجل. وهذا شرك أكبر، وهذا كحال المنافقين، ولايصدر من مسلم أبداً.

٢. من يعمل الأعمال الصالحة يريد بها الله تعالى لكن تخالط نيته إرادة الدنيا؛ كأن يطلب العلم الشرعي ليحصل على الوظيفة؛ وهذا شرك أصغر.

٣. من يعمل الأعمال الصالحة لله لكن تخالط نيته مراءاة الناس؛ فهذا كما تقدم يسيره من الشرك الأصغر.

٤. من يعمل الأعمال الصالحة مخلصاً لله تعالى فيها لكنه متلبس بناقض من نواقض الإسلام(١).

من الأدلة على أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا نوع من الشرك:

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هود: ١٥ - ١٦]. فأخبر تعالى أن من كان همه الدنيا ومتاعها فإنه يجازى بما عمل من حسنات في هذه الدنيا، ولايُنتقص عليه شيء منها، فإذا جاء يوم القيامة يجيء ولاحسنة له يجازى بها، فليس له عند ذلك إلا النار.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٢/٩٣٠ – ٩٣٢، فتح المجيد ٢/٦٢٨-٦٢٩، التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: (٤٠٥ – ٤٠٨)، المفيد في مهمات التوحيد ص: (١٨٥ – ١٨٦).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**تعس**[١] **عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة**[٢]**،إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس**[٣]**، وإذا شيك فلا انتقش**[٤])[٥].

فسماه النبي ﷺ عبداً للدينار والدرهم والخميصة؛ لأنه" لما كان ذلك هو مقصوده ومطلوبه الذي عمل له، وسعى في تحصيله بكل ممكن، حتى صارت نيته مقصورة عليه، يغضب ويرضى له؛ صار عبداً له"[٦].

---

(١) تعس: بمعنى سقط وعثر، وقيل: انكب على وجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. انظر: النهاية ص: (١٠٨)، فتح الباري ٦/١٠١ .

(٢) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلَّم. انظر: النهاية ص: (٢٨٦).

(٣) انتكس: بمعنى انقلب على رأسه، أي إذا سقط انشغل بسقطته حتى يسقط مرة أخرى، وهو دعاء عليه بالخيبة، أو انتكس بمعنى: عاوده المرض. انظر: النهاية ص: (٩٤١)، فتح الباري ٦/١٠٠ .

(٤) أي إذا دخلت فيه شوكة لا أَخرجها من موضعها، أو لاوجد من يخرجها عنه، وهذا دعاء عليه بعكس مقصوده حتى يعجز فينقطع عن السعي وراء الدنيا. انظر: النهاية ص: (٩٣٧)، فتح الباري ٦/١٠٠.

(٥) سبق تخريجه ص (٣).

(٦) تيسير العزيز الحميد ٢/٩٣٦ .

المبحث الثالث:

تعظيم الله تعالى بالدعوة إلى شرعه وتعريف العباد بربهم وحقه عليهم .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:

تعظيم الله بأن تكون الدعوة إلى شرعه ودينه لا إلى شيء آخر

يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يعظِّم الله تعالى بأن تكون الدعوة إليه سبحانه وحده، وإلى صراطه المستقيم وشرعه القويم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] ؛ فأمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله، وهو دينه وشرعه الموصل إليه .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ١٠٨] . فسبيل النبي ﷺ والدعاة الذين اتبعوه في منهجه أنهم يدعون إلى الله تعالى فيخلصون في دعوتهم لله .

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب(١) رحمه الله في مسائل مستنبطة من هذه الآية وغيرها: " التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده

---

(١) هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، المجدد المصلح، صاحب كتاب التوحيد وكشف الشبهات وغيرها من المؤلفات النافعة، ولد في العيينة بنجد سنة: ١١١٥هـ، رحل في طلب العلم للحجاز والبصرة، دعا الناس إلى التوحيد ونبذ البدع، وقيض الله تعالى له آل سعود فناصروه، فنفع الله بدعوته المباركة، ولا زلنا نتفيأ ظلالها- ثبتنا الله على الحق، وأعاذنا من الفتن وكيد الكائدين- توفي الشيخ رحمه الله سنة: (١٢٠٦ هـ). انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٨٩-٩٦، ١/١٤٠، الأعلام ٦/٢٥٧.

(٢) هي من مسائل باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، انظر: كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ١/٢٥٤.

بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء، ويقول: أنا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١).

فهذا هو ماتجب الدعوة إليه، لا أن يدعو الناس إلى اتباع نفسه، أو إلى اتباع فلان من الناسِ شخصِه أومذهبِه ورأيِه، أو أن ينضموا تحت الجماعة الفلانية أو الحزب الفلاني، بل الواجب على الداعية أن يكون هدفه هو دخول الناس في دين الله وتبصيرهم في شرع الله، فهذا من تعظيم الله تعالى، فإن الشخص إذا دعا الناس إلى الله تعالى وأخلص له في ذلك كان هذا تعظيم منه لله عز وجل، ودعوة للناس إلى أن يعظموا الله تعالى ويتعلقوا به سبحانه، وأن يستمدوا من كتابه ومن سنة نبيه عقيدتهم ومنهج حياتهم، وأن يستيقنوا بأن ذلك هو المصلح لأحوالهم، لا أن المصلح لهم هو اتباع فلان، أو أن المنقذ لهم الحزب الفلاني والجماعة الفلانية .

كما أن ترك الإخلاص لله ﷻ في هذه العبادة العظيمة - أعني الدعوة إلى الله تعالى- يدخل تحت مسمى الشرك الذي حرمه الله تعالى، فترك الإخلاص بهذا الاعتبار تنقص لله تعالى ينافي تعظيمه جل وعلا. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

قال ابن القيم رحمه الله: " فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيد بالسُّنة"(٢).

---

(١) شرح حديث (**ماذئبان جائعان**) ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ١/٧٧-٧٨.

(٢) الداء والدواء ص: (٣٠٠).

المطلب الثاني:

تعظيم الله تعالى بالبداءة بالدعوة إلى توحيده، والاشتغال بذلك، والاهتمام به

فيجب أن يبدأ الإنسان أولاً بتعلم التوحيد والتبصر فيه حتى يعرف ربه ومعبوده وحقه تعالى عليه، وأن يبدأ دعوة الناس إلى الله بالتوحيد، وأن يهتم به، ويوليه غاية العناية؛ فإنه إذا صح التوحيد ودان الناس بالعقيدة الصحيحة صحت جميع العبادات، وإذا فسد التوحيد والعقيدة فسدت جميع العبادات، وما الفائدة الحاصلة أن لو التزم الناس بفعل الأوامر وانكفوا عن النواهي ثم هم يقعون فيما يخالف التوحيد مما يحبط الأعمال ؟.

فالحاصل أن التوحيد هو أهم المهمات، وهو أول وأولى مايجب على الداعية أن يشتغل به، وأن يهتم بحمايته والوقاية من ضده فوق اهتمامه بكل أمر من الأمور، فإن كل أمر وإن كان مهماً إذا قورن بالتوحيد والعقيدة الصحيحة تصاغر أمامه.

وإن أي دعوة تقوم على غير الدعوة إلى التوحيد لهي دعوة فاشلة، وضررها أكبر من نفعها، ولن يستفيد الناس منها أمناً في أوطانهم واجتماعاً لكلمتهم وقوة على عدوهم، كما أنها لن تكون سبباً في نجاتهم من النار ودخولهم الجنة. كيف لا وقد خالفت تلك الدعوة منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين دعوا الناس إلى التوحيد، وعُنوا به أعظم العناية مع أن مجتمعاتهم تلك كانت تعاني من مشكلات كثيرة.

قال ابن القيم رحمه الله: " التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود لقومه: ﴿ **ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ** ﴾[الأعراف: ٦٥]، وقال صالح لقومه: ﴿ **ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾[الأعراف: ٧٣]، وقال شعيب لقومه: ﴿ **ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ** ﴾[الأعراف: ٨٥]، و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ** ﴾[النحل: ٣٦]. فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: (**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه**

عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة...)[١] وذكر الحديث.

وقال ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...**)[٢] ؛ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: (**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**)[٣] ؛ فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره"[٤] .

فتبين أن" أول ما يجب على العباد معرفة الأمر الذي خلقهم الله له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسبه تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"[٥] .

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

(٣) رواه أحمد برقم: (٢٢٠٣٤) ٣٦٣/٣٦، وأبو داود برقم: (٣١١٦) ص: (٤٧٨). وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

(٤) مدارج السالكين ٤٤٣/٣ - ٤٤٤. وانظر: شرح الطحاوية ١٢٢/١ -١٢٤، التمهيد في الكلام على التوحيد لابن عبد الهادي ص: (٨٥).

(٥) أعلام السنة المنشورة ص: (٣٣).

وكما أن التوحيد هو أول ما يجب على العبد هو التوحيد، فإنه أول شيء يجب الدعوة إليه. قال الإمام ابن باز رحمه الله: "الصواب ما ذكره المحققون من أهل العلم: أن أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله علماً وعملاً، وهو أول شيء دعا إليه الرسل..."[١].

ومن الأدلة على أنه أول ما يجب على الدعاة أن يبدؤوا به دعوتهم:

١ . قول الله ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١** ﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن الكريم (حسب ترتيب المصحف)، يأمر فيه الله تعالى بتوحيده سبحانه في العبادة.

٢ . وقال عز من قائل: ﴿ **وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ** ﴾ [النحل: ٣٦].

٣ . وقال ﷻ: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥** ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالدعوة إلى التوحيد هو موضوع دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن أجله بُعثوا، وإليه دَعوا، وكان له جل الاهتمام منهم.

٤ . وقال النبي ﷺ: (**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوه عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**)[٢] .

٥ . وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: (**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده...**)[٣].

---

(١) تعليقات سماحته على فتح الباري المطبوع بهامشه ٩٧/١.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

فهذه الأدلة تبين وجوب البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله ﷻ، كما أنها تبين أن أول واجب على العبد هو توحيد الله جل وعلا وشهادة أن لا إله إلا الله، فالآيات بينت أن التوحيد هو لب دعوة الرسل، وأنه أعظم ما أُمروا بالدعوة إليه.

وفي الحديثين نص من النبي ﷺ على البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله تعالى[١] .

أقوال أهل الكلام في أول واجب:

خالف المتكلمون الأدلةَ المتقدمة وغيرها من الأدلة على أن أول واجب على العبد هو شهادة أن لا إلا الله، ولما وقعوا في مخالفة الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة اختلفوا فيما بينهم ؛ فقال بعضهم: أول واجب هو النظر في المخلوقات المؤدي إلى معرفة الله ﷻ، وقال بعضهم: أول واجب القصد إلى النظر، ومنهم من قال: إنه الشك[٢].

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن بعض المتكلمين حكاية الإجماع على ذلك، ثم قال رحمه الله: "وفِي نقل الإجماع نظر كبير ومنازعة طويلة، حتى نقل جماعةٌ الإجماعَ في نقيضه، واستدلوا بإطباق أهل العصر الأَول على قبول الإسلام ممن دَخَلَ فيه من غير تنقيب، والآثار في ذلك كثيرة جدًّا. وأَجاب الأولون عن ذلك بأَن الكفار كانوا يذُبُّون عن دينهم ويقاتلون عليه، فرجوعهم عنه دليل على ظهور الحَق لهم. ومقتضى هذا أن المعرفة المذكورة يكتفى فيها بأدنى نظر، بخلاف ما قرروه. ومع ذلك فقول اللّه تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ

---

(١) انظر للتوسع: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله في كتاب التوحيد وشروحه، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة للإمام ابن باز رحمه الله، التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام للعلامة الألباني رحمه الله، الدعوة إلى التوحيد للشيخ د.صالح بن عبد العزيز سندي حفظه الله.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص: (٣٩)، الإنصاف للباقلاني ص: (٢٢، ٢٩)، الإرشاد للجويني ص: (٣)، المواقف للإيجي ص: (٣٢)، وانظر: فتح الباري لابن حجر ٩٧/١.

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]، وحديث (**كلّ مَوْلُود يُولَد عَلَى الْفِطْرَة**)[١] ظاهران في دفع هذه المسألة من أَصلها... وقد نقل القدوة أبو محمد بن أَبي جمرة[٢] عن أَبي الوليد الباجيّ[٣] عن أَبي جعفر السِّمْنَانِيّ[٤] - وهو من كبار الأشاعرة[٥] - أنه سمعه يقول: إن هذه المسألة من مسائل المعتزلة[٦] بقيت في المذهب (يقصد مذهب الأشاعرة) ، والله المستعان"[٧].

---

(١) رواه البخاري برقم: (١٣٨٥) كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ٣١٢/٣ وهذا لفظه. ورواه مسلم برقم: (٦٦٩٧) كتاب القَدر، باب معنى كل مولود.. ٤٢٣/١٦.

(٢) هو عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد، من العلماء بالحديث، مالكي، أصله من الأندلس ووفاته بمصر، من كتبه: جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرة، بهجة النفوس في شرح جمع النهاية، والمرائي الحسان في الحديث والرؤيا، توفي سنة: (٦٩٥هـ). انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦/١٣.

(٣) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث وارتحل في طلبه، ولي القضاء في بعض أنحاء الأندلس. من كتبه: السراج في علم الحجاج، إحكام الفصول في أحكام الأصول، التسديد إلى معرفة التوحيد. توفي سنة: (٤٧٤ هـ). انظر: السير ٥٣٥/١٨ - ٥٤٥.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني، أبو جعفر: قاض حنفي، نشأ ببغداد، وولي القضاء بالموصل حتى توفي بها،كان مقدم الأشعرية في وقته، له تصانيف في الفقه. توفي سنة: (٤٤٤ هـ). انظر: السير٦٥١/١٧- ٦٥٢.

(٥) الأشاعرة فرقة كلامية ينتسبون لأبي الحسن الأشعري، خالفوا السلف في الصفات والإيمان وأبواب أخرى من الاعتقاد. انظر في مذهبهم: التسعينية، النبوات، كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود، الفصل لابن حزم ١٤٤/٣- ١٦٥.

(٦) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم من رؤوس الضلال، وقد بنوا مذهبهم على أصول خمسة: التوحيد، والعدل، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لبسوا فيها الحق بالباطل، شأن أهل البدع. انظر: مجموع الفتاوى ٥٥/٧ -٥٦، ٢٠٩، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: (٣٨ – ٣٩).

(٧) فتح الباري ٩٧/١.

المطلب الثالث:

تعظيم الله تعالى بتعريف العباد بحقوق التوحيد ومكملاته، وأن الله تعالى أمر بكذا ونهى عن كذا

من تعظيم الله تعالى تبصير الناس في دينهم، وإرشادهم إلى عبادة الله عز وجل وفق ما شرع، وأمرهم بطاعته سبحانه، وترغيبهم فيها، وذكر الجزاء المترتب على فعلها، وترهيبهم من مخالفتها، ونهيهم عن معصية الله، وبيان ما أعد الله تعالى في الآخرة لمن ارتكب مانهاه الله عنه.

فإن هذا من تعظيم لله تعالى ومن حفظ التوحيد وبيان حقوقه ومكملاته، وهو من أعظم ذكر الله تعالى الدال على تعظيمه، وهو أعظم من الذكر المجرد بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، ولذا كانت المجالس التي يذكر فيها الحلال والحرام من أعظم مجالس الذكر وأنفعها للناس .

كان ابن مسعود ﷺ إذا ذكر أحاديث فضل مجالس الذكر قال: " أما أني لا أعني القُصّاص، ولكن حِلَق الفقه".

وقال عطاء الخراساني(١) رحمه الله: " مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع،وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق، وتحج، وأشباه هذا" .

---

(١) هو الإمام العلم عطاء بن أبي مسلم، واسم أبي مسلم: ميسرة، وقيل: عبد الله، كان محدثاً واعظاً ضعيف الحفظ، نزل دمشق والقدس، أرسل عن: أبي الدرداء، وابن عباس، والمغيرة بن شعبة، وطائفة، وروى عن: ابن المسيب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، ونافع، وعمرو بن شعيب، وغيرهم، توفي سنة: (١٣٥ هـ) انظر: السير ٦/ ١٤٠- ١٤٣.

وكان أبو السوار العدوي[1] في حلقة يتذاكرون العلم ومعهم فتى شاب فقال لهم: قولوا: سبحان الله والحمد لله، فغضب أبو السوار، وقال: ويحك، في أي شيء كنا إذاً؟!‏[2].

---

(١) أبو السوار العدوي البصري، قيل: اسمه حسان بن حريث، وقيل: حريث بن حسان، وقيل: حريف بالفاء. وقيل غير ذلك. روى عن جندب بن عبد الله، والحسن بن علي، وأبيه علي بن أبي طالب، وعمران بن حصين وغيرهم ﭫ، روى له البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم، كان هو وأبوه وجده قضاة البصرة، وكان صاحب سنة وعلم ومعرفة، توفي سنة: (٢٢٨ هـ). انظر: تهذيب الكمال ٣٩٢/٣٣، حلية الأولياء ٢٤٩/٢- ٢٥١، السير١٠/٤٣٤- ٤٣٥.

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ٢١/١ — ٢٢، وأثر عطاء ذكر أوله الحافظ أبو نعيم في الحلية ١٩٥/٥ والحافظ الذهبي في السير ١٤٢/٦، وأثر أبي السوار ذكره الإمام أحمد في كتابه: الزهد ص: (٣١٦).

المطلب الرابع:

التركيز في الدعوة على تعظيم الله تعالى لغرس ذلك في النفوس

من الأمور التي يجب على الداعية أن يركز عليها تركيزاً بليغاً، ويهتم بها غاية الاهتمام: غرس تعظيم الله تعالى في نفوس العباد وهيبته وإجلاله، ويكثر من ذلك في خطبه ومواعظه ومحاضراته .

ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ في ابتداء دعوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ [المدثر: ١ – ٣]

فهذا أمر من الله تعالى أن لنبيه ﷺ في مبتدأ الدعوة أن ينذر من أُمر بإنذاره، فيخوفهم عذاب الله تعالى وسخطه، وأن يكبر الله تعالى ويعظّمه، ويصدع بذلك ويعلنه ويجعله شعاراً له؛ فإن في تكبير الله تعالى وتعظيمه مخالفةً للمشركين الذين تنقصوا الله إذ عبدوا معه آلهة أخرى، ونسبوا إليه ما لايليق بجلاله وعظمته من الصاحبة والولد وغير ذلك.

قال الشوكاني رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾: " أي: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار، وأعظم من أن يكون له صاحبة أو ولد"[(١)].

وقال السعدي رحمه الله: ﴿ قُمۡ ﴾ أي: بجد ونشاط ﴿ فَأَنذِرۡ ﴾ الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذَر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته ...فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر إليه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعَظَّم اللهَ تعالى، ودعا الخلقَ إلى تعظيمه"[(٢)].

---

(١) فتح القدير ص: (١٨٤٨– ١٨٤٩).

(٢) انظر: تفسير السعدي ص: (١٠٥٦).

قال ابن عاشور[1] رحمه الله: " ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾: صف ربك بصفات التعظيم، وهذا يشمل تنزيهَه عن النقائص فيشمل توحيده بالإلهية وتنزيهه عن الولد، ويشمل وصفه بصفات الكمال كلها.

ومعنى (كبِّر): كبره في اعتقادك: وكبره بقولك تسبيحاً وتعليماً. ويشمل هذا المعنى أن يقول: «الله أكبر» لأنه إذا قال هذه الكلمة أفاد وصف الله بأنه أكبر من كل كبير، أي أجل وأنزه من كل جليل، ولذلك جعلت هذه الكلمة افتتاحاً للصلاة"[2].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً هدي النبي ﷺ في خطبه وتركيزها على توحيد الله تعالى وتعظيمه: "كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائِه، وذكرِ الجنة، والنار، وما أعدَّ الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعدَّ لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب مِن خُطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفةً بالله وأيامه، لا كخُطب غيره التي إنما تُفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النَّوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يُحصِّلُ في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون، وتُقسم أموالهم، ويُبلي الترابُ أجسامهم، فيا ليت شعري أيّ إيمان حصل بهذا؟! وأيِّ توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟!.

---

(١) هو الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، التحرير والتنوير وهو في تفسير القرآن الكريم. توفي سنة: (١٣٩٣ هـ)انظر: الأعلام ١٧٤/٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩٦/٢٩.

ومن تأمل خطب النبي ﷺ، وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذِكر صفات الربِّ جل جلاله، وأصولِ الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذِكر آلائه تعالى التي تُحبِّبه إلى خلقه وأيامِه التي تخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبهم إليه، فيذكرون مِن عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يُحبِّبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذِكره ما يُحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد، وخفي نور النبوة، وصارت الشرائعُ والأوامرُ رسوماً تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطَوْها صورها، وزيّنوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلالُ بها، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخُطب بالتسَجيع والفِقر، وعلم البديع، فَنقَص بل عَدمَ حظُّ القلوب منها، وفات المقصود بها"[١].

---

(١) زاد المعاد ٤٠٩/١ - ٤١٠.

المبحث الرابع:

تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب والجوارح.

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد: يستحق الرب سبحانه وتعالى أن يعظمه العباد بكل أنواع التعظيم والتبجيل التي شرعها لهم في كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام، كما يستحق سبحانه عليهم أن يوظفوا أنفسهم في عبادته وطاعته، فيعظموه بقلوبهم وبألسنتهم وبجوارحهم، ولابد لهم من تعظيم الله تعالى وإجلاله بهذه الأمور جميعاً، لا يجزئ بعض منها عن الآخر.

قال الشيخ العلامة ابن سعدي رحمه الله: "**فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم**؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والإنكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه: أن يتقى حق تقاته؛ فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر"[(١)].

وسأعرِض مسألة تعظيم الله تعالى بالقلب واللسان والجوارح في المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول:

تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب

يجب على العباد أن يعظموا الله تعالى بقلوبهم، وذلك بأن تمتلئ قلوبهم من محبة الله تعالى، وتعظيمه وتوقيره، والخوف منه وخشيته، ورجاء رحمته وفضله، وبالذل له والخضوع والاستكانة، وبالتوكل والاعتماد عليه وتفويض جميع الأمور إليه، والثقة به سبحانه، والرضا بما يفعله ويختاره له، وأن يستيقن الإنسان أنه لاغنى له عن ربه طرفة عين، وأن لايثق إلا برحمة الله ولطفه، وأن يتبرأ من حوله وقوته، ويفوضهما إلى من هما بيده سبحانه، وأن يعترف بقلبه لله بنعمه، وأن يستيقن أن كل نعمة هي من الله تعالى وحده.

---

(١) الحق الواضح المبين ص: (٢٨).

وتعظيم الله تعالى بأعمال القلوب، هو أهم أنواع التعظيمات وأساسها.

وسأذكر هنا نماذج لأعمال القلوب التي يتعبد لله تعالى بها ويعظَّم ويُجَلّ بإخلاصها له:

أولاً: التوكل:

التوكل من العبادات القلبية العظيمة التي يجب إخلاصها لله تعالى، وتوكل العبد على الله تعالى واعتماده عليه درجة عظيمة من تعظيم العبد لربه سبحانه؛ إذ يكون توكله على الله تعالى مبنياً على الثقة بالله تعالى، ومعرفة قدرته، وكفايته، وقيوميته،وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته وحسن الظن به[(١)].

تعريف التوكل:

التوكل لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: " الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك "[(٢)].

وجاء في المفردات: " والتوكل يقال على وجهين، يقال: توكلت لفلان؛ بمعنى: توليت له، ويقال: وكَّلته فتوكل لي، وتوكلت عليه بمعنى: اعتمدته"[(٣)].

وقال صاحب النهاية: " يقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي: ألجأته إليه، واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً؛ إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه "[(٤)].

ومما سبق يتبين أن التوكل في اللغة: الاعتماد على الغير وتوليته الأمر.

التوكل في الشرع: هو اعتماد القلب على الله ﷻ في حصول ما ينفع ودفع ما يضر مع فعل الأسباب المشروعة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين ١١٧/٢- ١٢١.

(٢) معجم مقاييس اللغة ص: (١١٠٢).

(٣) المفردات ص: (٥٤٦).

(٤) النهاية ص: (٩٨٧)، وانظر: الصحاح للجوهري ١٨٤٥/٥.

قال ابن القيم عنه: " اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب"(١).

ولابد مع التوكل على الله من فعل الأسباب؛ لأن مجرد الاعتماد على الله مع ترك الأسباب هو العجز المذموم، أما التوكل فهو فعل الأسباب مع عدم الاعتماد عليها، بل الاعتماد على خالق الأسباب جل وعلا ومقدرِها، والله تعالى أمر بالتوكل وأمر باتخاذ الأسباب؛ فدل على التلازم بينهما وعدم المنافاة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[النساء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]"(٢).

التوكل عبادة من العبادات التي يجب إخلاصها لله تعالى:

دلت الأدلة على أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ ﴾ [المائدة: ٢٣] . فقدم الجار والمجرور للدلالة على حصر وقصر التوكل عليه وحده، وأمر تعالى بالتوكل عليه وحده، وأخبر أنه لا إيمان لمن لم يتوكل عليه؛ فجَعَلَه شرطاً في الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة:١١]. فأخبر أن أهل الإيمان يتوكلون عليه لا على غيره؛ فدل على أن من توكل على غيره فليس بمؤمن.

---

(١) زاد المعاد ٤/١٤، وانظر: القول المفيد للعثيمين ٢/٨٧.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٤٩٨.

وكان من دعاء النبي ﷺ: (**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت...**)(١).

ولا يجوز التوكل على مخلوق بحال من الأحوال؛ فالتوكل عبادة خاصة بالله عز وجل، فمن توكل على مخلوق في جلب نفع أو دفع ضر كالحصول على الرزق أو النصر أو النجاة من مصيبة أو مهلكة ونحو ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر.

أما التوكل في الأسباب الظاهرة العادية؛ كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، ومثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، فهذا نوع من الشرك الخفي، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار، فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب(٢).

ولا يجوز أن يقول قائل: أنا متوكل على الله وعليك، كما أنه لا يجوز أن يقول: أنا متوكل على الله ثم عليك ؛ لأنه لا يصح صرف التوكل إلى مخلوق بحال من الأحوال.

ثانياً: المحبة: محبة الله تعالى من العبادات القلبية العظيمة، وهي درجة عالية رفيعة في العبودية، وهي أصل دين الإسلام، وهي المحرك لجميع العبادات، وبكمالها يكمل دين المرء وبنقصانها ينقص.

يقول ابن القيم رحمه الله عن عظم هذه العبادة الجليلة: " وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى عَلَمِها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبرَوْح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وهو العزيز الحكيم..) ٤٥١/١٣ مختصراً، ورواه مسلم برقم (٦٨٣٧) كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤١/١٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ٨٦٨/٢، القول المفيد ٨٩/٢، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله ص: (٧٩).

الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه... "[١].

تعريف المحبة:

المحبة لغة: هي نقيض البغض، والحب هو الوداد[٢].

المحبة في الاصطلاح: ليس هناك تعريف يصلح لأن تعرَّف به المحبة؛ وذلك لوضوحها وجلائها. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " لا تحد المحبة بحد أوضح منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدّها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة "[٣].

أقسام المحبة:

تنقسم المحبة إلى قسمين: مشتركة وخاصة.

القسم الأول: المشتركة: وهي ثلاثة أنواع:

الأول: محبة طبيعية: وهذه كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء، وكمحبة الزوجة ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

الثاني: محبة رحمة وإشفاق: وهي كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم .

---

(١) مدارج السالكين ٣/٦- ٧ .

(٢) انظر: لسان العرب ٤/٦-٧.

(٣) مدارج السالكين ٣/٩ .

الثالث: محبة أنس وإلف: وهذه كمحبة الشريك لشريكه والصديق لصديقه، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً[(١)]. وهذه الأنواع من المحبة لاتستلزم التعظيم والذل والخضوع، ولا يلام عليها الإنسان لأنها من مقتضى جبلته، ولاتقدح في المحبة المختصة بالله.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: " فهذه الأنواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه "[(٢)].

القسم الثاني: **المحبة الخاصة،** وهي محبة العبادة، وهذه هي التي لا تصلح إلا لله، ومتى صرفها العبد لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، وهذه المحبة مستلزمة للذل والخضوع والرجاء والتعظيم وكمال الطاعة وامتثال الأمر واجتناب النهي. فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً[(٣)]. ومن هذا النوع محبة عبدة القبور للمقبورين والتعلق بهم؛ فيكون في قلب ذلك الشخص من محبة ذلك المقبور وتعظيمه والرغبة إليه والحلف به ما لايجوز أن يكون إلا لله تعالى . وهذا النوع من المحبة هي التي صرفها المشركون لآلهتهم وساووهم بالله تعالى فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ويعترفون وهم في النار بأن كانوا ضالين إذ ساووا بين الله تعالى وبين آلهتهم الباطلة في المحبة والتعظيم؛ قال تعالى أنهم يقولون وهم في النار مع آلهتهم: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٨٢٥/٢، القول المفيد ٤٤/٢-٤٥، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله ص: (٧٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد ٨٢٥/٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ٨٢٥/٢ باختصار، وانظر: القول المفيد ٤٤/٢، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (٧٤ – ٧٥)، رسالة الشرك ومظاهره للميلي ص: (١٨٠)، دعوة التوحيد للهراس ص: (٤٠ – ٤٢).

﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[الشعراء: ٩٨] ؛ "ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا: إن آلهتهم خلقت السموات والأرض، وأنها تحيي وتميت، وإنما سووها به في محبتهم لها، وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها ..."(١).

الأدلة على وجوب أن يكون اللهُ تعالى أحبَّ إلى العبد مما سواه ﷻ:

أولاً: من القرآن الكريم:

من الأدلة على ذلك: الآية المتقدمة وهي قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾. فقد أخبر سبحانه أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فقد جعله لله نداً، وأشرك بالله عز وجل؛ فكيف بمن كان الند عنده أحب من الله؟؛ لأن هذا التنديد في المحبة تعظيم لذلك المخلوق تعظيماً لايصلح إلا لله تعالى.

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] . فتوعد الله عز وجل من كانت هذه الأمور أحبَّ إليه من الله؛ فالواجب على العبد أن يكون الله تعالى ورسوله ﷺ أحب إليه من كل شيء . قال ابن القيم رحمه الله: " ومحبة الرب تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وإفراده سبحانه بها؛ فإن الواجب له من ذلك أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده، بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه؛ فيكون إلهُه الحقُّ ومعبودُه أحبَّ إليه من ذلك كله. والشيء قد يحب من وجه دون وجه، وقد يحب لغيره، وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٦١/١.

وحده، ولا تصلح الألوهية إلا له، و﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع"[١].

ثانياً من السنة النبوية:

في الحديث عن النبي ﷺ قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار**)[٢].

ثالثاً: الخوف: فالخوف من الله عز وجل عبادة يجب إخلاصها لله تعالى وتعظيمه سبحانه بأن يصرف هذا النوع من العبادة له وحده، فلا يخاف خوف السر إلا من الله عز وجل، ومن خاف من مخلوق هذا الخوف فقد صرف شيئاً من العبادة لغير الله عز وجل، وعظّم المخلوقَ تعظيماً لايصلح إلا لله تعالى، ووقع في الشرك الأكبر.

تعريف الخوف:

الخوف لغةً: قال ابن فارس:"الخاء والواو والفاء أصل واحد، يدل على الذعر والفزع"[٣].

وفي الاصطلاح: " توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة"[٤].

وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف[٥].

---

(١) الداء والدواء ص: (٤٦٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٢١) كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر ٩٩/١، ومسلم برقم: (١٦٣، ١٦٤) كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان ٢٠٤/٢. من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) معجم مقاييس اللغة ص: (٣٣٦).

(٤) المفردات ص: (١٦٦).

(٥) مدارج السالكين ٥١٢/١.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يخافوه وحده؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ومدح الله تبارك وتعالى ملائكته الكرام بالخوف منه ﷻ قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠ ﴾ [النحل: ٥٠].

فالخوف من الله تعالى من العبادات العظيمة، ومقام من أفضل مقامات الدين(١)، وهو فرض على كل مكلف، فلا يُخاف خوفَ العبادة إلا من الله تعالى، ومن خاف من مخلوق هذا الخوف – خوف العبادة – فقد صرف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ، ووقع في الشرك الأكبر؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أقسام الخوف(٢):

١ – خوف السر أو خوف الشرك: وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة أو على سبيل الاستقلال، ومن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فقد وقع في الشرك الأكبر. وهذا الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وفي آلهتهم، قال تعالى: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وهو الواقع من عباد القبور اليوم فإنهم يخافون المقبورين والأولياء كما يخافون الله، بل أشد.

ويسمى هذا النوع: خوف العبادة والتذلل والخضوع، "وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركاً أكبر "(٣).

٢ – خوف المعصية: وهو الخوف من الناس الذي يجعل المسلم يقع فيما حرم الله، أو يترك طاعةً خوفاً من غير الله، من غير أن يصل التخويف إلى حد الإكراه الذي يُعذَر به،

---

(١) انظر: فتح الباري ٣٧٩/١١، دعوة التوحيد للهراس ص: (٤٢ – ٤٤).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٨٤٧/٢-٨٥٠، فتح المجيد ٥٧٣/٢- ٥٧٤، القول المفيد ٦٧/٢-٦٨.

(٣) القول المفيد ٦٨/٢.

وهذا هو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٧٥] .

٣ . **الخوف الواجب**: وهو خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وإنما يكون محموداً إذا لم يوقع في اليأس والقنوط من رَحمة الله.

٤ – **الخوف الطبيعي أو المباح**: كخوف الإنسان من عدو أو سَبُع، وهذا لا يلام عليه الإنسان، ولا يقدح في التوحيد، وهو كما ذكر الله ﷻ عن موسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[الشعراء: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾[التوبة: ٢٨].

رابعاً: **الرجاء**: الرجاء عبادة من العبادات القلبية التي يجب أن تكون خالصة لله تعالى؛ فلا يرجو العبد ولايؤمل حصول الخير ودفع الشر كجلب الرزق وشفاء المرض أو كشف الكرب أو دفع المصيبة، إلا من الله عز وجل، ولايصرف هذا الرجاء لغير الله تعالى.

تعريف الرجاء:

الرجاء لغة: هو التوقع والأمل، وهو نقيض اليأس(١).

قال في المفردات: والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة "(٢)

وقال صاحب التعريفات: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل "(٣).

(١) انظر النهاية ص: (٣٥١)، لسان العرب ١١٨/٦.

(٢) المفردات ص: (١٩٤).

(٣) التعريفات ص: (١٧٩).

ودلت الأدلة على أن الرجاء عبادة؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء: ٥٧]، وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[النساء: ١٠٤].

وفي دعاء النبي ﷺ: (**اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**)[1].

أنواع الرجاء: الرجاء منه ما هو عبادة يجب إخلاصها لله تعالى وصرفه لغيره شرك، ومنه ما هو رجاء طبيعي يجوز صرفه لغير الله تعالى.

النوع الأول: رجاء العبادة: وهو رجاء الله عز وجل، وهو ثلاثة أقسام:

قسمان محمودان، وقسم مذموم:

القسم الأول: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ لثوابه.

القسم الثاني: رجاء رجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها؛ فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى وعفوِه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

القسم الثالث: رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب[2].

النوع الثاني: الرجاء الشركي: وهو رجاء غير الله فيما لا يملكه إلا الله تعالى؛ كأن يرجو من أحد الشفاء، أو كشف الكرب، أو حصول الرزق ونحو ذلك. فمثل هذا الرجاء يجب أن يكون لله عز وجل، وصرفه لغيره شرك.

النوع الثالث: الرجاء الطبيعي: وهو أن ترجو من أحد شيئاً يملكه، أو حصول الأمل بأمر يسر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾[النور:٦٠]؛ فهذا الرجاء يصح إطلاقه على غير الله تعالى.

---

(١) رواه أبو داود برقم (٥٠٩٠)كتاب الأدب،باب ما يقول إذا أصبح ص: (٧٦٣)، من حديث أبي بكرة ﷺ، وحسنه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

(٢) مدارج السالكين ٣٦/٢.

المطلب الثاني:

تعظيم الله تعالى بأعمال الجوارح

تعظيم الله تعالى بأعمال الجوارح، وتسمى بالعبادات البدنية، كما تسمى بالعبادات العملية، وهي عبادات كثيرة ومتنوعة، وهي كل ماشرعه الله تعالى ورسوله مما يؤدَّى بالجوارح.

ومن هذه العبادات: الصلاة: وهي أول مافرض الله ﷻ على عباده من العبادات العملية، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة، وهي مشتملة على تعظيم الله تعالى وإجلاله من حين النداء لها إذ ينادى لها بالأذان المشتمل على تكبير الله تعالى وتعظيمه وأن لا إله غيره. ثم الصلاة نفسها فيها تعظيم الله تعالى كما في التكبير في أولها وحين الانتقال بين أفعالها، وكذلك الأذكار فيها مشتملة على ذلك أيضاً، وأفعالها كذلك فيها تعظيم الله تعالى بالركوع له والانحناء، والسجود على الأرض، وتعفير الوجه بالتراب خضعاناً لله تعالى وتعظيماً له. وقد تقدم الكلام على مافي الصلاة من تعظيم الله.

وكذلك الأمر في سائر أركان الإسلام وغيرها من العبادات يفعلها المسلم خاضعاً لله تعالى ذليلاً له معظِّماً.

ومن العبادات العملية التي يتجلى فيها تعظيم الله تعالى: عبادة الذبح:

فالذبح لله تعالى عبادة من أجَلِّ العبادات التي أمر الله تعالى بها، وأمر أن يعظَّم بأن تكون خالصة لوجهه الكريم، ويجتمع للمسلم عند الذبح إذا قَصَد به وجهَ الله عز وجل حسنُ الظن بالله تعالى، والثقةُ بخلفه، وتعظيمُ الله تعالى بإراقة الدم له وعلى اسمه، وشُرِعِ تكبير الله تعالى عند الذبح[1] إشارة لذلك.

تعريف الذبح:

الذبح لغة: الشق والفتق والقطع يقال ذبحه ذبحاً: أي قطع حلقومه، وذبح الشيء أي شقه وفتقه[2].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب التكبير عند الذبح ٢٩/١٠.

(٢) انظر: المفردات ص: (١٨٢)، القاموس المحيط ص: (٢١٧)، المعجم الوسيط ص: (٣٠٩).

والذبح اصطلاحاً: القطع في الحلق، وهو ما بين اللبة واللحيين من العنق[١].

والذبح أنواع[٢]:

أولاً: عبادة إما واجبة أو مستحبة، كما في الأضاحي والهدايا والعقائق والإيفاء بالنذور.

ثانياً: بدعي محرم، كأن يذبح لله عند قبر رجل صالح.

ثالثاً: ذبح مباح، وهو ما ذبح من أجل الفرح والإكرام، كالذبح للضيف أو للهدية، وهذا لم يقصد فيه التقرب والتعظيم بإراقة الدم وإزهاق الروح، وإنما

قُصد التكريم بتقديم اللحم، ومن الذبح المباح ذبح الجزار لبيع اللحم، أو الذبح للأكل فهذا مباح.

رابعاً: شرك أكبر، وهو أن يذبح لغير الله متقرباً له ومعظماً إياه بإراقة الدم وإزهاق الروح كالذبح للأصنام أو للجن. ومن هذا النوع ما يفعله بعض الناس من الذبح لأهل المشاهد والقبور، والتقربِ إليهم بإزهاق الروح وإسالة الدم، كما يقع من كثير من العوام والضُّلال من قصد أولئك المقبورين لقضاء الحاجات، وإغاثة اللهفات، وشفاء المرضى وإبراء ذوي العاهات، متقربين لهم بالذبح على أعتاب تلك المشاهد والقبور. وهذا عين الشرك بالله تعالى، وهو نظير ماكان يفعله أهل الجاهلية من الذبح لأصنامهم وأوثانهم ونحوها مما كفرهم الله تعالى به.

ومن الأدلة على أن الذبح لله تعالى عبادة من أجل العبادات وأن الذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً له بإراقة الدم وإزهاق الروح لأجله شرك أكبر، وأنه صرفُ عبادةٍ لغير الله تعالى:

---

(١) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ٢/ ١٠١.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين رحمه الله ص: (٦٦- ٦٧)، شرح الأصول الثلاثة للشيخ الفوزان ص: (١٥٣- ١٥٤) فوائد من شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد العزيز السدحان ص: (٣٣).

قول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر: ٢] ؛ أي: أخلص لله عز وجل صلاتك، وأخلص له نحرك فلا تذبح لغيره من الأوثان، واذكرِ اسمَه وحده عند النحر[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول هذه الآية: " أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدَتِه وأمره وفضله وخُلْفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر، وتركاً لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢]؛ والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه. والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله... وأجل العبادات المالية: النحر، وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص"[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]. قال ابن كثير رحمه الله: " يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله، ونسَكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر: ٢]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣٩٦/٣٠ - ٤٠٠، تفسير ابن كثير ٥٠٣/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٣١/١٦-٥٣٢.

أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحرافِ عما هم فيه، والإقبالِ بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى "[١].

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لعن الله من لعن والده، لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض)**[٢].

ففي هذا الحديث لعن من ذبح لغير الله تعالى؛ لأنه صرف تلك العبادة إلى غير مستحقها.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٨١-٣٨٢.

(٢) رواه مسلم برقم (٥٠٩٦) كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (١٣/١٤١).

المطلب الثالث:

تعظيم الله تعالى بأقوال اللسان .

تعظيم الله تعالى بأقوال اللسان هو بالقيام بالعبادات التي تتعلق باللسان، وتسمى بالعبادات القولية. وهي كثيرة ومتنوعة. وسأذكر هنا بحول الله نماذج لتلك العبادات.

أولاً: الدعاء:

دعاء الله تعالى من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه، بل لقد جعله النبي ﷺ هو العبادة كما قالﷺ: (**الدعاء هو العبادة**)[١]، والدعاء يحبه الله تعالى من عبده، ويثيبه عليه أعظم الثواب، ويجيبه عليه، ويغضب سبحانه إذا لم يدع، وصرف هذا العبادة العظيمة لغير الله تعالى بأن يدعو أحدٌ صنماً أو وثناً أو يدعو نبياً أو ولياً أو ملَكاً من الملائكة وغير ذلك من المخلوقات شرك بالله تعالى؛ لأنه صرف العبادة لغير مستحقها، وعظّم ذلك المخلوق تعظيماً لايجوز أن يكون إلا لله تعالى، ولا شك أن دعاء ذلك المخلوق وسؤاله ما لايقدر عليه إلا الله تعالى يتضمن أنه يعتقد فيه جلب النفع ودفع الضر، وهذا غلو في تعظيم المخلوق، ورفع له فوق المنزلة التي يجب أن يكون عليها.

تعريف الدعاء:

الدعاء لغةً: النداء والطلب والسؤال والرغبة[٢].

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٤٧٩) كتاب الصلاة، باب الدعاء ص: (٢٢٩)، والترمذي برقم: (٣٣٧٢) كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء ص: (٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة برقم (٣٨٩٦) كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ٢٥٢/٣، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وقال ابن حجر عن إسناده: جيد. الفتح ٦٩/١.

(٢) انظر: المفردات ص: (١٧٦)، القاموس المحيط: ص: (١٢٨٢).

ومعنى دعاء الله سبحانه: " استدعاء العبد ربه ﷻ العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه "(١).

والدعاء من أفضل العبادات ومن أعلى القربات، وهو سبب لتحصيل كل خير ودفع كل شر.

والدعاء نوعان:

الأول: دعاء عبادة: ويكون بفعل الأسباب التي يحصَّل بها المطلوب، فالمصلي والصائم والحاج وغيرهم يعبدون الله خوفاً وطمعاً، يرجون رحمته ويخافون عذابه، وإن لم يكن هذا بصيغة السؤال والطلب، وإلا فهو سائل لما يطلبه بامتثال الأوامر(٢).

وهذا مثل ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤]. والمعنى:" اعبدوه وحده، وأخلصوا عبادته، ولا تعبدوا معه غيره "(٣).

الثاني: دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه(٤). ويكون بصيغة السؤال فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني.

وهذا النوع مثل ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]"فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام، لأنه سميع لكل مسموع "(٥).

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص: (٤).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٤٢٤/١، مجموع الفتاوى ١٥/١٠-١١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/١٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/١٥، النبوات ٣٧٧/١، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٤٠٨/١، الآثار المروية عن السلف في العقيدة ٥١١/١-٥٢٦.

(٥) مجموع الفتاوى ١٤/١٥.

وأما قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]. فهذا الدعاء يتناول النوعين: دعاء العبادة ودعاء المسألة[(١)].

ونوعا الدعاء متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة[(٢)].

وجه كون دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة:

أن من عبدَ الله تعالى فلازم ذلك أنه سائل لله تعالى وراغب وراهب، وهو داع بأن يعطى ما رغب فيه، وأن يؤمَّن مما يرهب منه بلسان حاله.

أو بعبارة أخرى: أن من دُعي دعاءَ العبادة فلكونه يُعتقد فيه أنه يملك الضر والنفع، فداعيه دعاء العبادة يدعوه خوفاً من أن يأتيه الضرر من قبله، ورجاءً لحصول النفع منه، وهو داع بذلك بلسان الحال.

وجه كون دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة:

أن دعاء الله تعالى والطلب منه عبادة من أعظم أنواع العبادات، فمن دعا الله تعالى وسأله فقد عبده.

ودعاء العبادة لا يجوز أن يصرف لغير الله تعالى، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الدين، أما دعاء المسألة فالتوجه به إلى المخلوق لطلب ما لا يقدر عليه شرك أكبر، أما فيما يقدر عليه فدعاؤه والطلب منه جائز[(٣)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٥/١١- ١٢.

(٢) المرجع السابق ١٥/١١، وانظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن ص: (١٥٤- ١٥٨).

(٣) انظر: القول المفيد ٢٦١/١، ٢٦٣.

ومن الأدلة على أن دعاء العبادة لا يجوز صرفه لغير الله: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦]. ففي هذه الآية بيان بأن دعاء غير الله تعالى من الظلم، والمراد بالظلم هنا: الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥] .

ففي هذه الآية بيان أنه لا أحد أشد ضلالاً ممن دعا غير الله تعالى ممن لا قدرة له على الاستجابة لهم، و الواقع أنهم لا يشعرون بدعائهم لهم لاشتغالهم بأعمالهم كالملائكة، أو لكونهم أمواتاً كالأنبياء والصالحين، وإما لكون أولئك المدعوين أصناماً وأوثاناً[١] .

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال النبي ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: **(وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)**[٢].

ففي هذه الأدلة بيان أن الدعاء من العبادات، وأنه يجب أن يكون خالصاً لله عز وجل، فلا يجوز أن يسأل أحد غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن ذلك شرك أكبر.

وقد ثبت في النصوص أن الدعاء عبادة، وإذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غير الله يعد شركاً[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١/٤٤٠-٤٤١ بتصرف واختصار.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢١٧).

(٣) انظر هذه القاعدة في كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتابه: التوحيد مع شرح العثيمين القول المفيد ١/٢٤٩.

وقال النبي ﷺ: (**الدعاء هو العبادة ثم قرأ:** ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠](١).

فجعل النبي ﷺ الدعاء هو العبادة، وقرأ الآية التي تبين ذلك، وأنه نوع من أنواع العبادة.

أما تحريم دعاء غير الله تعالى دعاء مسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل كأن يدعو إنسان لينزل المطر، أو يأتي بالنصر، أو يأتي بالرزق، أو يسأله الجنة، أو مغفرة الذنوب مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فعموم الأدلة المتقدمة وغيرها.

وأما دعاء غير الله تعالى فيما يقدر عليه ذلك الغير بمعنى الطلب منه؛ كأن يقول إنسان لآخر حي حاضر قادر: اسقني ماءً، أو احمل معي متاعي؛ فإن ذلك جائز، قال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

وقال النبي ﷺ: (**ومن دعاكم فأجيبوه**)(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام في بيان حق المُسْلم على المُسْلم: (**وإذا دعاك فأجبه**)(٣).

فهذا دعاء حي حاضر قادر على إجابة دعوته فهو جائز من حيث الأصل.

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: "وكثير من عباد القبور ينادون الميت من مسافة شهر وأكثر، يسألونه حوائجهم، ويعتقدون أنه يسمع دعاءهم ويستجيب لهم، وتسمع عندهم حال ركوبهم البحر واضطرابه من دعاء الأموات والاستغاثة بهم ما لا يخطر

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٩٥).

(٢) رواه أبو داود برقم (٥١٠٩)، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل ص: (٧٦٥)، والنسائي برقم: (٢٥٦٧) كتاب الزكاة، باب من سأل بالله ﷻ ص: (٤٠٠). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني(نفس الإحالة).

(٣) رواه مسلم برقم (٥٦١٦) كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ١٤/٣٦٨. من حديث أبي هريرة ﷺ.

على بال، وكذلك إذا أصابتهم الشدائد من مرض أو كسوف أو ريح شديدة أو غير ذلك فالولي في ذلك نصب أعينهم، والاستغاثة به هي ملاذهم "[١].

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: " فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما استقلالاً أو مع الله تعالى، أو ناداه أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة، إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنوع العبادة، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً أو شجراً أو ملَكاً أو شيطاناً كما يفعل ذلك الجاهلية وبين أن يكون إنساناً من الأحياء أو الأموات، كما يفعله الآن كثير من المسلمين"[٢].

ثانياً: ذكر الله تعالى:

ومن العبادات القولية التي يحصل بها تعظيم الله تعالى: الذكر، فالذكر تعظيم لله تعالى ولَهَجٌ باسمه سبحانه، وبعد عن الغفلة عنه تعالى ونسيانه.

ومن الذكر: التسبيح، والتهليل، وهو قول: لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد ونحو ذلك.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٤٢٤/١، وانظر: القبورية في اليمن ص: (٣٠٥- ٣٠٦).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص: (١٨)" مطبوع ضمن الرسائل السلفية "، وانظر: إرشاد المسلمين في الرد على القبوريين ص: (٧ -٨)، طلب العلم وطبقات المتعلمين للشوكاني ص: (١٥٦)، تطهير الاعتقاد ص: (٦٨ – ٦٩)، طبعة الشيخ العباد، رسالة الشرك مظاهره لمبارك الميلي ص: (١٨٦)، القول المفيد ١٢١/١، ١٥٩ – ١٦٠، ٢٦٠ -٢٦١.

قال رسول الله ﷺ: (**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**)[١].

وأفضل هذه الكلمات الأربع وأعظمهن كلمة التوحيد (لاإله إلا الله) ، التي هي أفضل الذكر، وخير الدعاء، وهي التي من أجلها خُلق الخلق، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، ومن أجلها خُلقت الجنة والنار، وانقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء وأشقياء، وهي مفتاح الإسلام، ومفتاح دار السلام (الجنة).

ومما يدل على فضلها، وأنها أعظم ماذُكر الله تعالى به وعُظِّم ودُعي وسُئل:

قول النبي ﷺ: (**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**)[٢].

وقوله ﷺ: (**خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**)[٣].

ومن أعظم أنواع الذكر الجالب لحب الله تعالى وخشيته وتعظيمه: تعليم العلم الشرعي ونشره، وتبليغ دين الله تعالى، وحث الناس على فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، ودعوة الناس إلى الخير.

ومن أعظم الذكر: قراءة القرآن الكريم، وهو أفضل الذكر؛ لأنه كلام الله تعالى، وهو أحسن الكلام وأنفعه للعبد، وفضله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، كما أنه

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى... ١١/٦٩٠، ورواه مسلم موصولاً برقم: (٥٥٦٦) كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة ١٤/٣٤٣- ٣٤٤ من حديث سمرة بن جندب ﵁.

(٢) رواه الترمذي برقم: (٣٣٨٣) كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ص: (٧٦٨) من حديث أبي الدرداء ﵁، قال الترمذي: حسن غريب.وقال الألباني: حسن.

(٣) رواه الترمذي برقم: (٣٥٨٥) كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة ص: (٨١٤- ٨١٥). من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﵁، وقال: غريب. وقال الألباني: حسن.

سبب لصلاح القلب والهداية إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ۝٢٧ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

ففي هذه الآيات وغيرها أن القرآن فيه الهداية إلى الصراط المستقيم الموصل إلى رضا الله تعالى وجنته، كما أن فيها بياناً لفضل تلاوة القرآن الكريم، وما ادخره الله تعالى للتالين لكتابه المؤمنين به من الجزاء الوفير في الآخرة.

ومن الأدلة على فضل الذكر عموماً:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] فهذا أمر من الله تعالى بذكره، وأن يكون ذلك الذكر كثيراً، وأن يسبح الرب تعالى ويعظم وينزه عن النقائص والعيوب.

وقال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٥٢] فأمرهم تعالى بأن يذكروه ووعدهم إن فعلوا أن يذكرهم؛ فلو لم يكن في الذكر فضيلة إلا ذكر الله تعالى للذاكر لكفى بها.

وقال النبي ﷺ: (**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق**[١]**، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**)، قالوا: بلى، قال: (**ذكر الله تعالى**)[٢].

وقال النبي ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**)[٣].

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**سبق المفردون**) قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: (**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**)[٤].

وقد تقدم الكلام على الذكر وفضله، وبيان أنه قائم على تعظيم الله تعالى عند الكلام على الأسباب الجالبة للتعظيم[٥].

(١) الورق هي الفضة. انظر: النهاية ص: (٩٦٨).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر ص: (٧٦٦-٧٦٧). من حديث أبي الدرداء ﷺ. وقال عنه الألباني: صحيح.

(٣) تقدم تخريجه ص: (١٠٧).

(٤) تقدم تخريجه ص: (١٠٨).

(٥) انظر ص: (١٠٥).

المبحث الخامس:

بيان أن الشرك في العبادة يقدح في عظمة الله تعالى

قبل أن أشرع في هذا المبحث أحب أن أقدم مقدمة في تعريف الشرك وبيان أنواعه؛ فأقول مستعيناً بالله تعالى:

تمهيد: تعريف الشرك:

الشرك لغة: قال في معجم المقاييس: الشين والراء والكاف أصلان:

أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد.

والآخر يدل على امتداد واستقامة.

فالأول: الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما...

وأما الأصل الآخر: فالشَّرَك: لَقَمُ الطريق[١]، وهو شراكه أيضاً، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شَرَك الصائد، سمي بذلك لامتداده[٢].

وقال صاحب النهاية: " يقال: شركته في الأمر أَشْرَكُه، والاسم: الشرك، وشاركته إذا صرت شريكه، وقد أشرك بالله فهو مشرك، إذا جعل له شريكاً"[٣].

الشرك اصطلاحا: سئل النبيﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**)[٤]. فهذا ضابط للشرك، وتعريف له، وقد عرفه بذلك بعض العلماء[٥]، وعليه تدور التعريفات التي وضعها العلماء، واستقوها من هذا النص ومن غيره من النصوص.

---

(١) أي منهج الطريق ووسطه، انظر: معجم المقاييس ص: (٩٥٨-٩٥٩)، لسان العرب ٢٢٥/١٣.

(٢) معجم المقاييس ص: (٥٥٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ص: (٤٧٦).

(٤) رواه البخاري برقم (٤٤٧٧) كتاب التفسير، باب قوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً) ٢٠٥/٨، ومسلم برقم (٢٥٣) كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب ٢٦٦/٢، من حديث ابن مسعود.

(٥) انظر: الكبائر للذهبي ص: (٥).

ومن هذه التعريفات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل الشرك: أن تعدل بالله شيئاً من المخلوقاتِ "(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: " وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين"(٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله: " أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله"(٣).

والعلاقة بين المعنيين اللغوي والشرعي واضحة، فإن المشرك لم يفرد الله بالعبادة والحب والتعظيم، بل ساوى غيره به، وجعله شريكاً لله فيما هو من خصائصه سبحانه.

أنواع الشرك: الشرك نوعان: أكبر وأصغر(٤).

النوع الأول: الشرك الأكبر:

وهو أنواع: قال ابن القيم –رحمه الله–: " الشرك شركان:

---

(١) الاستقامة ص: (٢٥١).

(٢) مدارج السالكين ٣٣٩/١.

(٣) سؤال وجواب في أهم المهمات ص: (٦٥) ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته، وانظر: تعريفات أخر: الدر النضيد للشوكاني ص: (١٨)، تيسير العزيز الحميد ١٣٥/١.

(٤) من العلماء من جعل الشرك ثلاثة أنواع: أكبر وأصغر وخفي، انظر على سبيل المثال: أنواع التوحيد وأنواع الشرك للشيخ عبد الرحمن حسن ص: (٣٤١)(ضمن الجامع الفريد).والأقرب أن الخفي منه ما هو أكبر ومنه ما هو أصغر، ومن نَصَّ من أهل العلم على عد الخفي نوعاً مستقلاً فلعل مراده بيان خطورة الشرك فإن منه ما هو ظاهر وجلي ومنه ما هو خفي.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: " فاتضح بهذا أن الشرك شركان أكبر وأصغر، وكل منهما يكون خفياً كشرك المنافقين، وهو أكبر، ويكون خفياً أصغر؛ كالذي يقوم يرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله، أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو نحو ذلك " مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للإمام ابن باز ٤٧/١.

- شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته، وأفعاله.

- وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون إذ قال: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢٣] ...

النوع الثاني: شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة... "[١].

الشرك الثاني: الشرك في عبادة الله ومعاملته، وهو خمسة أقسام:

الأول: شرك الدعوة: وهو دعوة غير الله والالتجاء إليه والاستغاثة به لكشف الشدائد أو جلب الفوائد[٢].

ومن الأدلة على هذا النوع قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أي أنهم يشركون في حال الرخاء بدعاء غير الله والاستغاثة بسواه، أما في حال الشدة فيخلصون لله الدعاء.

الثاني: شرك المحبة: بأن يحب مخلوقاً كما يحب الله جل وعلا، أو يحبه أشد من محبة الله. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾[البقرة: ١٦٥]. قال ابن القيم رحمه الله: " فأخبر أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق

---

(١) الجواب الكافي ص: (٢٩٨- ٣٠٠).

(٢) انظر: الدرر السنية ٢٦٠/١.

والربوبية؛ فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية، بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم"[(١)].

الثالث: شرك الطاعة: بأن يطيع أحد إنساناً أو عالماً أو عابداً أو غيرهم في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، ويعتقد ذلك بقلبه اتباعاً لرؤسائه مع علمه أنهم مخالفون لدين الرسل[(٢)]. قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه[(٣)] قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**)، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قال:(**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئاً استحلوه، وإذا حرموا شيئاً حرموه**)[(٤)].

الرابع: شرك النية والقصد والإرادة: بأن تكون أعمال الإنسان مقصوداً بها الدنيا، وليس له التفات إلى الله والدار الآخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ

---

(١) مدارج السالكين ١/٢٠، وانظر: الجواب الكافي ص: (٣٠٤- ٣٠٥).

(٢) انظر: الدرر السنية ٢/٩، مجموع الفتاوى ٧/٦٩-٧٠.

(٣) هو الصحابي الجليل: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، وَلَدُ الجوادِ المشهور، صحابي شهير، كنيته أبو طريف، أسلم سنة: (٩)، وقيل: (١٠ هـ)، وكان نصرانياً، وهو ممن ثبت على الإسلام في الردة، حضر فتوح العراق، وسكن الكوفة، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، مات سنة: (٦٨هـ) انظر: الإصابة ٢/١٢٤٤- ١٢٤٦، الأعلام ٤/٢٢٠.

(٤) رواه الترمذي برقم: (٣٠٩٥) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة التوبة ص: (٦٩٤)، وقال الترمذي: غريب، وحسنه الشيخ الألباني.

إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

الخامس: شرك الخوف: وهو خوف السر؛ بأن يخاف من غير الله أن يصيبه بما شاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته...؛ لأن هذا من لوازم الألوهية، فمن جعل لله نداً في هذا فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدون في أصنامهم وآلهتهم"[(١)].

النوع الثاني: **الشرك الأصغر**: وعُرِّف بتعريفات منها:

قيل: جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك[(٢)].

لكن هذا التعريف ونحوه يعترض عليه بأنه تدخل فيه المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها؛ لأنها توصل إلى الشرك أيضاً كما يقال: المعاصي بريد الكفر.

ومن أحسن التعريفات التي وقفت عليها: كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركاً[(٣)].

فإن تقييده بـ: (جاء في النصوص تسميته شركاً) يخرج الذنوب صغيرها وكبيرها، والله أعلم.

ومن أمثلته: يسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، هذا من الله ومنك... وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب مقصد قائله[(٤)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٢/٨٤٧-٨٤٨.

(٢) القول السديد ص: (٢٤).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٧٤٨.

(٤) انظر: مدارج السالكين ١/٣٤٤.

المطلب الأول:

الشرك استخفاف بعظمة الله تعالى وتنقص له

في الشرك بالله سبحانه وتعالى أعظم التنقص له ﷻ والاستخفاف بحقه تعالى على عباده، ولذا كان هو أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، وأظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأخبر الله تعالى أنه لايغفره لمن مات عليه "وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين ... وكيف يقدره حق قدره من جعل له عِدلاً ونداً يحبه، ويخافه، ويرجوه، ويذل له، ويخضع له، ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته؟ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام:١] أي يجعلون له عِدْلاً في العبادة والمحبة والتعظيم. وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم، وعرفوا وهم في النار أنها كانت ضلالاً وباطلاً؛ فيقولون لألهتهم وهم في النار معهم:﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء:٩٨] ؛ ومعلوم أنهم ما سووهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا: إن آلهتهم خلقت السموات والأرض، وأنها تحيي وتميت، وإنما سووها به في محبتهم لها، وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها ... فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمدُه سبحانه وكمالُ ربوبيته أن لا يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية... وأما نجاسة الذنوب والمعاصي؛ فإنها بوجه آخر، فإنها لا تستلزم تنقيص الربوبية، ولا سوء الظن بالله عز وجل، ولهذا لم يرتب الله سبحانه عليها من العقوبات والأحكام ما رتبه على الشرك"(١).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: " الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته، وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بمن هو مالك

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٦٢/١-٦٣.

النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء، بل ليس له إلا العدم، عدم الوجود، وعدم الكمال، وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه"[(١)].

ويقول: " لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم يُنْعِم بمثقال ذرة من النِّعَم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم، وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟!

وهل أعظم ظلماً ممن خلقه اللّه لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب؟ جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً"[(٢)].

(١) تفسير السعدي ص: (٢٢٠).

(٢) المرجع السابق ص: (٧٦١).

المطلب الثاني:
في الشرك تشبيه لله تعالى بخلقه(١)

وذلك أن من يعتقد في بعض المخلوقين من الأنبياء والصالحين والملائكة مثلَ ما يعتقده في الله رب العالمين، فيعتقد أن الأولياء يعلمون الغيب أو يملكون الضر والنفع، وأنهم يغيثون من استغاث بهم وإن بعدت المسافة، وأنهم يقدرون على جلب الأرزاق ومنح الأولاد، ويشفون المرضى ويقضون الحاجات فقد تنقص الرب سبحانه، ومثّله بخلقه، ولا ريب أن المثلية بين الخالق والمخلوق منتفية بلا إشكال؛ فهو الخالق المالك المدبر المتصرف، القادر على كل شيء، ومن عداه فهو مخلوق مربوب لا يملك إلا ما ملَّكه الله إياه وما مكنه منه مما هو مرتبط بقدرات المخلوقين وإمكانياتهم التي خلقها الله تعالى فيهم، مما لا يمكن معه بحال أن يكون المخلوق مثيلاً للخالق جل وعلا في شيء من خصائصه وصفاته.

ومن يعتقد أن سمع المخلوق مثل سمع الخالق يسمع صوت من دعاه واستغاث به من أي مكان وفي أي وقت من ليل أو نهار، ويعتقد أن ذلك المخلوق مثل الرب تعالى في قدرته على النفع والضر كيفما شاء، فيوصل النفع لمن دعاه، ويوصل الضر إلى من استُعدِيَ عليه، أو تنقص ذلك الولي؛ فإنه سيأتيه الضرر منه بمشيئته وقدرته، فقد أشرك بالله تعالى. وقد جاءت الأدلة الكثرة في بيان أن أولئك المدعوين لا يسمعون دعاء من دعاهم، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بهم، ويصيرون أعداءً لهم لِما وقعوا فيه من الشرك بالله تعالى ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾[فاطر: ١٣- ١٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ

---

(١) هذا المطلب وإن كان مندرجاً من وجه في الذي قبله إلا إني أحببت التنصيص عليه في مطلب مستقل، وذلك لأن كثيراً من الناس تشمئز نفسه من تشبيه الله تعالى بخلقه، وينكر أن يكون مشبهاً، ومادرى كثير من هؤلاء أنه قد وقع في ذلك لما اعتقد في الأولياء والصلحاء أنهم يسمعون الدعاء مع بعد المسافات، ويقضون الحاجات، ويملكون الضر والنفع.

أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأحقاف:٥- ٦] .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "وكثير من عباد القبور ينادون الميت من مسافة شهر وأكثر، يسألونه حوائجهم، ويعتقدون أنه يسمع دعاءهم ويستجيب لهم، وتسمع عندهم حال ركوب البحر واضطرابه من دعاء الأموات والاستغاثة بهم ما لا يخطر على بال، وكذلك إذا أصابتهم الشدائد؛_ من مرض أو كسوف أو ريح شديدة أو غير ذلك، فالولي في ذلك نصب أعينهم، والاستغاثة به هي ملاذهم "[1]. فهم يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون في حياتهم وبعد مماتهم، وييسرون الأمور، ويقضون الحاجات، ويفرجون الكربات، ولاشك أن هذا هو أعظم التنقص لله رب العالمين سبحانه؛ إذ كيف يزعمون أن المخلوق يغيث من دعاه كما يفعل الله؟، ويسمع من ناداه كما يسمع الله؟.

ولقد أمر الله تعالى في كتابه النبي ﷺ وهو أكرم خلق الله على الله أن يبين للناس أنه لا يملك النفع والضر لنفسه فضلاً عن غيره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الجن: ٢١- ٢٢] . فإذا كان هذا هو حال الرسول ﷺ وهو خليل الله، وخير خلق الله؛ فكيف بمن لا يدانيه في منزلته ؟.

وإن الذين يعتقدون ذلك في غير الله ﷻ قد تنقصوا الخالق جل وعلا حيث جعلوا المخلوق العاجز الضعيف في سمعه وبصره وقدرته كالرب الذي وسع سمعُه الأصوات كلَّها، وأحاط بصره بجميع المبصَرات،وهو القادر على كل شيء، وهذا منهم تشبيه للمخلوق بالخالق؛حيث جعلوا لذلك المخلوق حظاً من الربوبية والألوهية، "وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم، الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسله، وأنزل كتبه بإنكاره، والرد على أهله.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٤٢٤/١، وانظر: القبورية في اليمن ص: (٣٠٥- ٣٠٦).

فهو سبحانه ينفي وينهى أن يُجعل غيرُه مثيلاً له ونداً له وشبْهاً له، لا أن يُشبَّه هو بغيره، إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مِثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق؛ فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم[(١)]، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك؛ غلوا فيمن يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق، وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً وقالوا: ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾[ص: ٦]، وصرحوا بأنه إله معبود يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له، ويحلف باسمه وتُقرَّب له القرابين، إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى. فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبهه به من كل وجه"[(٢)].

وهؤلاء الذين يدعون غير الله ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم ما لا يجوز أن يطلب إلا من الله تعالى لا مناص لهم من أمرين:

الأمر الأول: إما أن يعتقدوا أن أولئك المدعوين من دون الله تعالى يتصرفون في الكون، ويعطون ويمنعون، ويضرون وينفعون استقلالاً من دون الله تعالى، وأنهم يسمعون من دعاهم ولو بعدت المسافة، وهذا شرك في الربوبية والألوهية، وهذا أعظم من شرك مشركي العرب الذين كانوا يقرون بالربوبية وينكرون الألوهية، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(١) في الواقع أن هذا وجد من المشبهة، والإمام ابن القيم لا ينكر هذا، وقد ذكر رحمه الله هذا عن المشبهة في غير موطن من كتبه، لكن مقصوده الرد على المتكلمين الذين شغلوا أنفسهم بإنكار تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا صحيح من حيث الأصل لكنهم انحرفوا في ذلك حتى عدوا إثبات الصفات تشبيهاً، وأهملوا نوعاً هو أخطر أنواع التشبيه، وهو تشبيه المخلوق بالخالق في حقوقه وصرف شيء من العبادة لغير الله تعالى. للتوسع في توجيه كلام الإمام ابن القيم انظر: مقالة التشبيه ١/١٦٧-١٦٨.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/٢٢٦-٢٢٧.

وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس: ٣١].

الأمر الثاني: وإما أن يعتقدوا أنهم وسائط بينهم وبين الله تعالى، فإذا دعوهم واستغاثوا بهم فإن الله تعالى يجيب دعاءهم لمنزلة أولئك المدعوين عنده، وهذا هو الشرك الذي كفّر الله به مشركي العرب، وأباح دماءهم وأموالهم بسببه؛ قال تعالى عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يونس: ١٨] . فأخبر تعالى عن اعتقادهم في معبوداتهم، وأنهم يطلبون منهم الشفاعة عند الله تعالى، وسمى الله تعالى ذلك عبادة. والرسول ﷺ " قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله "[(1)].

وهذا أيضاً تنقص منهم لله وتشبيه منهم للخالق جل وعلا بالمخلوق؛ حيث جعلوا الرب تبارك وتعالى كالملوك ونحوهم الذين لا يستطيع أحد أن يصل إليهم، أو أن يطلب حاجاته منهم إلا بالوسائط والشفعاء من الوزراء والوجهاء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه – كالحُجّاب الذين بين الملك ورعيته – بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه؛ فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم؛ فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس؛ لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤالَ الملِك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج. فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن

---

(١) كشف الشبهات ص: (٥)، وانظر منه: ص: (١ – ٥)، (١١- ١٣).

يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً"(١).

والله عز وجل أمر بدعائه وحده، والاستغاثة به وحده جل وعلا، ولم يأمر بدعاء غيره أو الاستغاثة بسواه، بل عد ذلك من الشرك كما تقدم من الآيات.

وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]. فأمر بسؤاله وحده، ونهى عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها بالتوحيد وبَعْثِ الرسل وإنزالِ الكتب، وأعظم الإفساد في الأرض الشرك بالله تعالى.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وغير ذلك من الآيات التي تبين وجوب سؤال الله عز وجل ودعائه وحده، وأنه هو المؤمل وحده لكشف الضر وجلب النفع، فمن طلب ذلك من غيره فقد تنقص الرب تعالى، وشبّه ذلك المخلوق الضعيف به سبحانه.

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٢٦.

ولا يجوز أن يغتر بما قد يحصل من إجابة دعوات من دعا غير الله؛ فإنه قد يكون ذلك من باب الاستدراج من الله عز وجل، أو يكون قد وافق ساعة إجابة، وقد يكون الشيطان يحضر له ما يريد ويعاونه في أمر ما.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم فيقول: يا سيدي فلان أغثني، أو أنا أستجير بك، أو أستغيث بك، أو انصرني على عدوي، ونحو ذلك؛ فهذا هو الشرك بالله، والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجتَه أو بعضَها، وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به، فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به، وإنما هو شيطان دخله وأغواه لما أشرك بالله، كما يتكلم الشيطان في الأصنام وفي المصروع وغير ذلك، ومثل هذا واقع كثيراً في زماننا وغيره، وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري، وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة الاستغاثة بي أو بغيري، وإنما هو شيطان أضلهم وأغواهم، وهذا هو أصل عبادة الأصنام واتخاذ الشركاء مع الله تعالى في الصدر الأول من القرون الماضية كما ثبت ذلك؛ فهذا أشرك بالله نعوذ بالله من ذلك"[(١)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مستنبطاً بعض المسائل من قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧]:

" الأولى: التنبيه على سبب الشرك، وهو: أن المشرك ظهر له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله سبحانه وتعالى؛ وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه عن المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ الآية .

المسألة الثانية: ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا؛ وهذا قدرٌ ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل، كما قال:

---

(١)مجموع الفتاوى ١/٣٥٠-٣٥١، وانظر: إغاثة اللهفان ١/٢١٥-٢١٦.

"ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن، إلا كخردلة في كف أحدكم"[١]؛ فمن هذا بعض عظمته وجلاله، كيف يجعل في رتبة مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ؟ هذا هو أظلم الظلم، وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] "[٢] .

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله عن الذين يطلبون الشفاعة من الملائكة والمقبورين من الأنبياء والصالحين، وأنهم متنقصون لله تعالى، وأن هذا تشبيه منهم للخالق عز وجل بالمخلوقين، وأنه يلزم منه لوازم باطلة أخرى: " المتخذ للشفعاء والأنداد: إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل من سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع، وإما أن يظن أنه لا يَعلم حتى يُعلمه الشفيع، أولا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم، أو لا يكفي وحده، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يُشفع عنده كما يشفع عند المخلوق، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجاتهم إليه، كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم حتى يرفع الشفيع إليه ذلك، أو يظن أن للشفيع عليه حقاً فهو يقسم عليه بحقه، ويتوسل إليه بذلك الشفيع، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يَعِز عليهم ولا تمكنهم مخالفته، وكل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها"[٣].

---

(١) هو من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم ص: (٥٠).

(٢) الدرر السنية ٣٨٥/١٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٥٠٠/١، وانظر كلاماً مهماً لابن القيم في إغاثة اللهفان ٦٢/١.

المطلب الثالث:

الشرك الأكبر لا يغفر لمن مات عليه

مما يدل على خطورة الشرك الأكبر وتضمنِه تنقصَ الرب تعالى: أنه لا يغفر لمن مات عليه، وهو في الآخرة من المخلدين في النار والعياذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وكان الشرك بهذه الخطورة؛ لما فيه من تشبيه الله تعالى بخلقه، ولأنه سوء ظن بالله تعالى، ولأنه جناية على حق الله تعالى الخاص وهو التوحيد، أما المعاصي كالزنا والسرقة فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس بما نال من شهوة، أما الشرك فهو اعتداء على حق الله تعالى، وليس للإنسان فيه حظ نفس، وليس شهوةً يريد المرء أن ينالها، ولكنه ظلم محض وتنقص لله تعالى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

الفصل الرابع:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم شرع الله سبحانه ودينه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الشريعة بوجه عام، **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: **اتباعها والاستقامة عليها.**

المطلب الثاني: **اعتقاد كمال الشريعة الإسلامية.**

المطلب الثالث: **الحذر من الابتداع في هذه الشريعة .**

المبحث الثاني: تعظيم مصدري الشريعة الكتاب والسنة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **من تعظيم الكتاب والسنة استمداد الدين منهما.**

المطلب الثاني: **وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة في موارد النزاع.**

المبحث الثالث: تعظيم أوامر الشريعة ونواهيها ،وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **معنى تعظيم الأمر والنهي.**

المطلب الثاني: **علامات تعظيم الأوامر وعلامات تعظيم النواهي.**

المطلب الثالث: **من ضل في تعظيم الأمر والنهي.**

المبحث الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الشريعة بوجه عام .

تعظيم الشريعة الإسلامية يكون بأمور أجملها في **ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول:

اتباعها والاستقامة عليها

مما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ تجاه هذه الشريعة: الاستقامة على هذا الدين وهذه الشريعة، واتباعها، والتمسك بها، قال الله تعالى:﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[هود: ١١٢].

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى " نبيه محمداً ﷺ ومن معه من المؤمنين، أن يستقيموا كما أُمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة وترهيب من ضدها"[(١)] .

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الجاثية: ١٨].

يقول ابن جرير رحمه الله: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم جعلناك يا محمد، من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ يقول: على طريقة وسنة ومنهاجٍ من أَمْرِنا الذي أَمَرْنا به مَن قبلك مِن رسلنا ﴿ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول: ولا تتبع ما

---

(١) تفسير السعدي ص: (٣٤٧).

دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل؛ فتعمل به فتهلك إن عملت به"[(١)].

فالاستقامة على هذه الشريعة والتمسك بها تعظيم لها، ورفع لشأنها، أما أن يعرض الإنسان عنها، ويتخذها ظهرياً فهذا الإعراض عنها دليل على ضعف تعظيم الله تعالى وشرعه الذي أنزله، كما أنه قد يصحبه التنقص لها وازدراؤها واتهامها بأنها غير صالحة للتمسك بها، وتحكيمِها في النفس والمجتمع وفي السياسة والاقتصاد وغير ذلك، وهذا كفر ومروق عن ملة الإسلام.

(١) تفسير الطبري ٢٥/١٧٢.

المطلب الثاني:
اعتقاد كمال الشريعة الإسلامية

من الأصول المقررة في الدين الإسلامي أن الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتمه؛ فليس فيه نقص بوجه من الوجوه، بل لقد تضمن من الكمال أكملَه، كيف لا وهو تنزيل من حكيم حميد، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] نزلت على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة في حجة الوداع[١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " هذه أكبر نعم الله ﷻ على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كَذِب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾[المائدة: ٣]؛ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه "[٢].

---

(١) انظر: صحيح البخاري حديث رقم (٤٥) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ١٤١/١، ومسلم رقم (٧٤٤١) كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة ٣٤٧/١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٦/٣.

وقال النبي ﷺ: (**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلا هَالِكٌ**)[(١)].

كفر من اتهم الشرع بالنقص أو أنه غير صالح لهذه الأزمنة المتأخرة:

من الكفر بالله ﷻ اتهام شرعه بالنقص والخلل، وأنه ليس كافياً للخلق، وأنهم بحاجة إلى غيره، لأن فيه تكذيباً لما ثبت أن هذا الدين كامل ومرضي من الله تعالى، وأن الواجب اتباعه دون غيره، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة: ٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ٨٥].

فهذه الشريعة شريعة كاملة لانقص فيه بوجه من الوجوه، هي تنزيل من حكيم حميد، هو أعلم بعباده وما يصلحهم، وهو بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط؛ " فالله جل وعلا بعث نبينا وإمامنا محمداً عليه الصلاة والسلام بشريعة كاملة، منتظمة للمصالح العاجلة والآجلة، فيها الدعوة إلى كل خير، وفيها التحذير من كل شر، وفيها توجيه العباد إلى أسباب السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وفيها تنظيم العلاقات بين العباد وبين ربهم، وبين أنفسهم تنظيماً عظيماً حكيماً، وأهم ذلك وأعظمه ما جاءت به الشريعة العظيمة الكاملة من إصلاح الباطن، وتوجيهِ العباد إلى ما فيه صلاح قلوبهم واستقامتهم على دينهم، وإيجاد وازع قلبي إيماني يزعهم إلى الخير والهدى، ويزجرهم عن أسباب الهلاك والردى، فالله ﷻ أمر الناس في كتابه الكريم بما فيه صلاح القلوب وإصلاح البواطن"[(٢)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم: (١٧١٤٢) ٣٦٧/٢٨، ورواه ابن ماجه برقم: (٤٣) في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ٣٢/١ من حديث العرباض بن سارية ﷺ . وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: (٩٣٧) ٦١٠/٢.

(٢) مجموع فتاوى الإمام ابن باز ٢٢٨/٢.

ومن الكفر والظلم والكذب: اتهام الإسلام بالجمود والتخلف وعدم مسايرة العصر، وأن من أراد التقدم والتطور واللحاق بركب الحضارة الغربية فعليه أن يتخلى عن الإسلام، وأنه لم يؤخر المسلمين إلا تمسكهم بدينهم، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٥].

فهذا يقوله من لم يعرف الإسلام، ولو عرفه على حقيقته وكان منصفاً فإنه سيشهد له ولابد بأنه دين العلم والمعرفة، وأنه لا يعارض التقدم والرقي والتطور الذي يصح أن يسمى تقدماً ورُقيّاً، ويشجع على العلم في شتى مجالات الحياة، والواقع شاهد بذلك فإن المسلمين تطوروا في الصناعة وفي غيرها من شؤون الحياة المادية منذ عهود متقدمة لما كانوا متمسكين بدينهم، وقد كان غيرهم في ذلك العصور يعيشون في التخلف والجهل والفوضى، فصار تلك الأمم عالة على المسلمين في اكتشافاتهم وتطورهم، يدرسون في مدارس المسلمين، ويتتلمذون على علمائهم في هذه العلوم الدنيوية، ويقرأون كتبهم، ويقررونها في مدارسهم وجامعاتهم.

ولما ضعف تمسك المسلمين بدينهم توقف ذلك التقدم والرقي وانحسر، وانسحب المسلمون من الريادة والتقدم والتأثير في البشرية في العلوم الدنيوية، وتركوها لغيرهم[١].

وكذلك من الكفر تصحيح الشرائع أوالنظم والقوانين المنافية للإسلام، أوتفضيلها عليه أومساواتها به، والزعم أنه يمكن بسلوكها تحصيل العدل والسعادة بين البشر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾[النساء: ٦٥].

قال شيخ الإسلام: " ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وباتفاق جميع المسلمين: أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ؛ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب"[٢].

---

(١) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة للدكتور غالب عواجي ٢٠٩/١- ٢٧٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٥٢٤/٢٨.

المطلب الثالث:

الحذر من الابتداع في هذه الشريعة

قبل الشروع في هذا المطلب أحب أن أقدم بمقدمة حول تعريف البدعة، وذكر بعض النصوص المحذرة منها.

البدعة لغة: مصدر بمعنى ابتداء الشيء، وصنعه وإنشاؤه من غير احتذاء مثال سابق [(١)].

البدعة اصطلاحاً: عُرِّفت البدعة اصطلاحاً بعدة تعريفات ، وسأذكر بعضاً من تلك التعريفات:

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمرَ إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، وعُلِم الأمر به بالأدلة الشرعية؛ فهو من الدين الذي شرعه الله ، وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك، وسواء كان هذا مفعولاً على عهد النبي ﷺ أو لم يكن " [(٢)].

- وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة " [(٣)].

---

(١) انظر: معجم المقاييس ص: (١١٧)، المفردات ص: (٤٩-٥٠)، القاموس المحيط ص: (٧٠٢)، لسان العرب ٣٧/٢.

(٢) نقض المنطق ص: (٩١)، وهو في مجموع الفتاوى ١٠٧/٤- ١٠٨، وانظر: الاستقامة ص: (٣٦).

(٣) جامع العلوم والحكم ١٢٧/٢، وانظر نفس المرجع: ١٢٨/٢. وانظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص: (٨١).

- وهناك من عرف البدعة بقوله:" البدعة هي: ما أحدث في دين الله، وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه " ثم قال:" أو بعبارة أوجز: ما أحدث في الدين من غير دليل" [(١)] .

- ومن أجمع التعريفات وأحسنها تعريف الإمام الشاطبي رحمه الله حيث قال في تعريف البدعة: " عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى" [(٢)] .

شَرْحُ هذا التعريف مستفاداً من كلام الشاطبي رحمه الله:

قوله: طريقة. الطريقة والطريق والسبيل والسنن واحد، وهو ما رُسم للسلوك عليه.

قوله: في الدين. قيدت بالدين لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها، ولو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص، لم تسم بدعة؛ كإحداث الصنائع، والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

قوله: مخترعة. أي ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع؛ إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع، وبهذا القيد خرج سائر العلوم الخادمة للشريعة؛ فإنها وإن لم توجد في الزمن الأول فأصولها موجودة في الشرع.

قوله: تضاهي الشرعية. يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية، من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، كالتزام كيفيات وهيئات معينة، والتزام عبادات معينة في أوقات معينة، لا يوجد لها تعيين في الشريعة، ولو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة، لأنها تصير من باب الأفعال العادية.

قوله: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى. هو تمام معنى البدعة؛ إذ هو المقصود بتشريعها، وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك [(٣)] .

---

(١) قواعد معرفة البدع للدكتور محمد الجيزاني ص: (٢٢).

(٢) الاعتصام ١/٥٠.

(٣) الاعتصام للشاطبي ١/٥١ – ٥٥ باختصار وتصرف يسير.

ويدل لهذه التعريفات، ويؤكد صحتها قول النبيﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)، وفي رواية: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) [(١)] .

فمن أحدث في الدين حدثاً، ونسب ذلك إلى الدين، ولم يكن يستند إلى أصل فيه؛ فهو مبتدع، وعمله ضلالة ومردود عليه.

الأدلة في التحذير من البدع.

أولاً: من الكتاب العزيز:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥- ١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة، وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة "[(٢)].

وقال ابن وهب[(١)]: سمعت مالكاً يقول: " ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾إلى قوله:﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ قال مالك: فأي كلام أبين من هذا؟، فرأيته يتأولها لأهل الأهواء "[(٢)].

---

(١) أخرج الروايتين مسلم في صحيحه برقم: (٤٤٦٧)،(٤٤٦٨) ٢٤٢/١٢ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأخرج البخاري رواية: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) برقم: (٢٦٩٧) ٣٧٠/٥ من حديثها أيضاً، وانظر: معارج القبول ١٢٢٨/٣.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٩/٣، والبغوي في تفسيره ٣٣٩/١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٧٤) ٧٩/١ ، وانظر: الاعتصام للشاطبي ٧٢/١-٧٥.

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣]. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: " فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ، فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله، بعد أن أكمل الله دينه ؟ إنْ كان من الدين في اعتقادهم؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين ، فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟، وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن صاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبداً، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم؛ فقد أخبرنا الله في محكم كتابه أنه أكمل دينه، ولم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن أخبرنا بهذا الخبر عن الله ﷻ، فمن جاءنا بالشيء من عند نفسه، وزعم أنه من ديننا، قلنا له: الله أصدق منك، فاذهب فلا حاجة لنا في رأيك "(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت " تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[آل عمران:٧]

---

(١) ابن وهب هو: عبد الله بن وهب بن مسلم، الإمام، أبو محمد الفهري مولاهم، المصري الحافظ، طلب العلم وله سبع عشرة سنة، لقي بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم، ومن كنوز العمل، حدث عنه خلق كثير، له مصنفات، وحديثه كثير في الصحاح، وفي دواوين الإسلام، مات سنة: (١٩٧ هـ) انظر: السير ٩/٢٢٣- ٢٣٤.

(٢) ذكره الشاطبي في الاعتصام ١/٧٥.

(٣) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ص: (٣٨).

قالت: قال رسول الله ﷺ: (**فإذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**)[(١)]. وفي رواية: (**إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عناهم الله فاحذروهم**)[(٢)].

نقل الإمام ابن جرير رحمه الله عن بعض المفسرين أنهم جعلوا هذه الآية في أهل البدع، قال: "وقال آخرون: بل عَنى الله ﷻ بذلك، كلَّ مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمداً ﷺ، بتأويل يتأوله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك إما في كتابه، وإما على لسان رسوله"[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن ، وهذا حجة عليهم لا لهم "[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ بسلوك صراطه المستقيم، وهذه المحجة البيضاء الواضحة، وينهى سبحانه عن اتباع السبل المنحرفة عن الصراط المستقيم، من سبل البدع والضلال المؤثرة للفرقة والاختلاف"[(٥)].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: " فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع،

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٤٧) كتاب التفسير، باب ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾/٢٦٣- ٢٦٤ ، ورواه مسلم برقم: (٦٧١٧) كتاب العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن ٤٣٣/١٦ – ٤٣٤.

(٢) رواه ابن ماجة برقم (٤٧) المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ٣٤/١ وصححه الشيخ الألباني.

(٣) تفسير ابن جرير ٢٠٨/٣-٢١١، وانظر: الاعتصام ٧٠/١-٧٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٨/٢.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٣٦٥/٣.

وليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاصٍ، لم يضعها أحد طريقاً تسلك دائماً على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات"[(١)].

ثانياً: من السنة المطهرة:

وفي السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة جاءت محذرة من البدع، ومبينة لخطورتها.

ومن هذه الأحاديث: ما جاء من وصية النبي ﷺ في آخر حياته التي دعا فيها إلى التمسك بالسنة، والحذر من البدعة، قال ﷺ: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**)[(٢)].

فهذا الحديث يوصي فيه النبي ﷺ الصحابة وأمته عموماً، ويعهد إليهم بأمر عظيم، وهو أن يتمسكوا بالسنة، ويحذروا من البدع، ومعلوم أن الوصية إنما تكون في أهم الأمور التي يُحرَص على تحصيلها، أو يحرص على الابتعاد عنها.

---

(١) الاعتصام ١/٧٦ .

(٢) رواه أبو داود برقم: (٤٦٠٧)كتاب السنة، باب في لزوم السنة ص: (٦٩١)، والترمذي برقم: (٢٦٧٦)، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ص: (٦٠٣)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم: (٤٢)، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ١/٣١-٣٢ من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ص: (٣٧٩)، ونقل الحافظ ابن رجب تصحيحه عن الحافظ أبي نعيم.جامع العلوم ٢/١٠٩، وصححه الألباني.

ومما يدل على عظيم اهتمام النبي ﷺ بالحث على السنة والتحذير من البدعة، أنه كان يقول في خطبته: (**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة**)[(١)] .

وتبرأ ﷺ ممن رغب عن سنته واستعاض عنها بالبدع المحدثات، فقال ﷺ: (**فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[(٢)] .

وبين ﷺ أن العبادات المبتدَعة مردودة على عاملها، وحظه منها النَّصَب؛ قال صلى الله عليه وسلم: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) وفي رواية: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[(٣)] .

وأخبر النبي ﷺ أن من ابتدع بدعة ، فعمل بها الناس تبعاً له ، فإن عليه مع إثمه آثام من تبعه، غير أنه لا ينقص من آثام الأتباع شيء، قال ﷺ: (**ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[(٤)] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أساله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت:يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (**نعم**) فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (**نعم، وفيه دَخَن**) قلت: وما دَخَنُه يا رسول الله؟ قال: (**قوم يستنون**

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢٠٠٢) كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة ٣٩٢/٦ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٦٣) كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ١٣١/٩، ومسلم برقم (٣٣٨٩) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح ١٧٨/٩ وهذا لفظ البخاري.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٣٢٧).

(٤) يأتي تخريجه ص: (٤٩٧).

بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر) ، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**) فقلت يا رسول الله صفهم لنا، قال: (**نَعَم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**) قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (**تلزم جماعةَ المسلمين وإمامَهم**) فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: (**فاعتزل تلك الفرقَ كلَّها ، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**) [(١)] .

فهذا الحديث العظيم فيه ذم لمن يسلكون غير طريقة المصطفىﷺ ، ويسيرون على غير سيرته، وفيه التحذير من البدع وأهلها، ووصْفُهم بأنهم دعاة على أبواب جهنم، وأن إجابتهم من أسباب دخول النار، وهم الدعاة إلى البدع والضلالات، وفي الحديث إرشاد لاجتناب البدع ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وهم من كان على الحق ولو كان واحداً.

ثالثاً: آثار عن السلف في التحذير من البدع:

كان عمر ﷺ يقول: " إن أصدق القيل قيل الله، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة ضلالة... " [(٢)] .

ومن ذلك: ما روي عن معاذ بن جبل ﷺ أنه كان يقول في كل مجلس ذكر حين يجلس: " الله حكم قسط، هلك المرتابون، فقال يوماً: "إن من ورائكم فتناً ، يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ،حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير،

---

(١) رواه البخاري برقم: (٣٦٠٦) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٧٥٢، ومسلم برقم: (٤٧٦١) كتاب الإمارة،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين١٢/٤٣٩-٤٤٠.

(٢) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (٢٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٠٠) ١/٩٤ .

والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما يُبْتَدَع فإن ما ابتُدِع ضلالة... "[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: " اتبعوا، ولا تبتدعوا فقد كفيتم "[(٢)].

وقال ﷺ " الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"[(٣)].

وعن حذيفة ﷺ قال: " يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً "[(٤)].

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما أوصني، فقال: "عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع "[(٥)].

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: " صاحب البدعة لا يزداد اجتهاداً وصياماً وصلاةً إلا ازداد من الله بعداً "[(٦)].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦١١) كتاب السنة ، باب لزوم السنة ص: (٦٩١-٦٩٢)، و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٣٦) ١/٩٩-١٠٠.

(٢) رواه الدارمي في مسنده برقم: (٢١١) ١/٢٨٨، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (١٠)، ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٠٤) ١/٩٦.

(٣) رواه الدارمي في مسنده برقم: (٢٢٣) ١/٢٩٦، والمروزي في السنة برقم: (٩٠) ص: (٩٨ - ٩٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٤) ١/٦١-٦٢.

(٤) رواه البخاري برقم (٧٢٨٢) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/٣٠٧.

(٥) رواه الدارمي برقم (١٤١) ١/٢٥٠، ، وابن بطة في الإبانة الكبرى برقم (١٥٧-١٥٨) ، كتاب الإيمان ١/٣١٨-٣١٩.

(٦) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (٢٧).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: " أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم ، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات في الدين "[(١)] .

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

واحذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق؛ فاغتر بذلك من دخل فيه، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت، وصارت ديناً يدان به، فخالَفَ الصراطَ المستقيم فخرج من الإسلام[(٢)] ، فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة ، فلا تعجَلَنَّ ولا تدخُلَنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر، هل تكلم به أصحابُ رسول الله ﷺ أو أحدٌ من العلماء، فإن وجدت فيه أثراً فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئاً فتسقطَ في النار "[(٣)] .

وكلام السلف من الصحابة ومن بعدهم ، وسائر علماء أهل السنة في هذا الباب كثير، ربما لا يخلو كتاب من كتبهم المؤلفة في السنة من التحذير من البدع وأهلها[(٤)] .

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد ص: (٣٥ – ٣٧)، وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٧٦/١ ، وفي طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٤١/١.

(٢) هذا في البدع المكفرة؛ فمن البدع ما هو كفر ومنها ما هو دون ذلك.

(٣) شرح السنة للبربهاري ص: (٣٧-٣٨).

(٤) للتوسع انظر: الإبانة ٣٢٨/١-٣٦٤ (وكرر هذا في عدة مواضع من الكتاب)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٥٥/١-١٦٩ ، الاعتصام ١٠٥/١-١٣٧ ، تحذير المسلمين عن الابتداع ص: (٤٢-٤٥)، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة ٦٤١/٢-٦٤٩.

بيان أن في البدعة تنقصاً للشريعة وبيان خطورتها:

في البدعة تنقص للشريعة، واستخفاف بها، واتهام لها بالنقص، ويدل على ذلك أمور، منها:

١- "**أن المبتدع معاند للشرع ومشاق له**؛ لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة، على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك، لأن الله يعلم، ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فالمبتدع رادٌ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثَمَّ طرقاً أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين، كأن الشارع يعلم ونحن أيضاً نعلم، بل ربما يُفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه الشارع، وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع؛ فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود فهو ضلال مبين "[(١)].

فالبدعة ضلال عن الصراط المستقيم، وتنكب لسبيل المؤمنين ، وسير في سبل هوى النفس الإمارة بالسوء، واستجابة للشياطين الذين يجتالون العباد عن دينهم، ويحللون لهم ما حرم الله عليهم، ويزينونه لهم.

٢- **أن الشريعة جاءت كاملة** لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، والمبتدع إنما محصل قوله بلسان حاله أو مقاله أن الشريعة لم تتم، وأنه بقي أشياء يجب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم[(٢)].

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١/٦٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٦٣-٦٤.

٣- **أن في البدع إضاعة للسنن**: فما ابتدع أحد بدعة إلا أضاع سنة ، حتى ترتفع السنة ، وتبقى البدع؛ لذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن" [(١)] .

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "إنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع ، يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، فإذا فرغوا من هذه البدع ، قابلوا السنن الثابتة بالفتور، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع على القلوب، فالبدع أضرارها على القلوب عظيمة، وأخطارها على الدين جسيمة، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها، أو أشد كما ذكر ذلك بعض أهل العلم من السلف " [(٢)] .

٤- **أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع**... حيث شرع مع الشارع ، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع [(٣)] .

٥- **أن المبتدع متبع لهواه معرض عن الشريعة مهمل لها**، قد جعل هواه مشرّعا مع الله تعالى، وهذا فيه إقصاء للشريعة واستعاضة بالعقول والأفهام والأوهام؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الجاثية: ١٨].

يقول ابن جرير رحمه الله: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم جعلناك يا محمد ، من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ يقول:

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة، كتاب الإيمان ١/١٧٧-١٧٨.

(٢) الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع، للعلامة العثيمين رحمه الله ص: (٢٤)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٠٢ .

(٣) انظر: الاعتصام ١/٦٦.

على طريقة وسنة ومنهاجٍ من أمرنا الذي أَمَرْنا به من قبلك من رسلنا ﴿ فَٱتَّبِعۡهَا ﴾ يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحق من الباطل؛ فتعمل به فتهلك إن عملت به"[(١)].

٦- أن المبتدع متنقص لصاحب الشريعة نبينا محمد ﷺ لأن حاله يوحي بأن تلك البدعة خير من لزوم السنة النبوية، يقول ابن القيم رحمه الله: " لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسولﷺ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلِّداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله "[(٢)].

٧- **أن المبتدع يرى أنه محسن** ، وأنه على صواب، وأن طريقه موصلة إلى رضوان الله وجنته، بينما الأمر على خلاف ذلك ، فيستمر على طريقته، ولا يبرحها - في الغالب- ، فيكون له نصيب من قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾[الكهف: ١٠٣- ١٠٤].

وقد لا يوفقه الله عز وجل للتوبة؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [الصف: ٥].

٨- **أن المبتدع - في الغالب - لا يقصر ضلاله على نفسه**، بل يدعو غيره للانضمام تحت بدعته لكونه يرى نفسه محسناً إلى المدعوين بما يقربهم من الله تعالى . بزعمه . ، وربما حباً في الشرف والجاه والمنزلة، فيرى أنه أن يكون متبوعاً خير في نفسه من أن يكون تابعاً، لذا فالمبتدعة يعملون كل ما في وسعهم لجلب الناس من العامة والغوغاء أتباعِ كل ناعق نحوَهم، والنفوس مجبولة على حب الجديد والطريف، فيظن أولئك العوام

(١) تفسير الطبري ١٧٢/٢٥.

(٢) إغاثة اللهفان ٦٢/١.

والرعاع أن الجديد حسن حتى في الدين، فيدخلون في تلك البدع بقصد التنويع والتجديد والتنشيط، وكما قيل: يحدث للناس منشطات بقدر ما يكون منهم من فتور (أي من فتور في اتباع السنة) فيبوء المتبوع من تلك الذنوب بشيء كثير؛ كما قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[النحل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[العنكبوت: ١٣].

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: **(ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[(١)] .

---

(١) يأتي تخريجه ص: (٤٩٧).

المبحث الثاني:

تعظيم مصدري الشريعة الكتاب والسنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

من تعظيم الكتاب والسنة استمداد الدين منهما

يجب على كل مسلم أن يستمد دينه وعقيدته من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، فما كان فيهما فهو الدين والعقيدة وهو الذي يجب أخذه والتمسك به، وما لم يكن فيهما فليس بدين وإن زعم واضعوه أنه دين وأنه يجب الأخذ به.

وما من شك أن هذا تعظيم للشريعة أن يكون الإنسان يرجع إليها وحدها في إثبات دينه وعقيدته.

قال الله تعالى: ﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣** ﴾ [الأعراف: ٣]. فأمرنا ربنا تعالى باتباع ما أنزل إلينا منه سبحانه، والذي أنزل إلينا هو الكتاب والسنة، فالسنة وحي من الله تعالى كالقرآن؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤** ﴾ [النجم: ٣ - ٤] .

وقال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩** ﴾ [النساء: ٥٩] . فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأمر بطاعة ولاة الأمر فيما هو طاعة لله تعالى ورسوله، وأمر حين التنازع والاختلاف بالرد إليه وإلى رسوله؛ أي: إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ .

وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: (**فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة**)[(١)] .

وقال رسول الله ﷺ: (**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدا علي الحوض**)[(٢)] .

وأخبر ﷺ أن سنته وحي من الله تعالى واجبة الاتباع كالقرآن الكريم فقال: (**ألا إني أوتيت الكتاب ومثلَه معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**)[(٣)] .

فالقرآن الكريم والسنة النبوية أنزلهما الله تعالى، وأوحاهما إلى رسوله ﷺ لتكون مصدري هداية وبيان إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى رضاه تعالى وجنته؛ وإلا فما الفائدة من إنزالهما إذا نُحِّيا ولم يتطلب الحق منهما، وصار يتطلب من العقول القاصرة والفهوم الضعيفة. ومعلوم أن كثيراً من مسائل الدين في باب العقائد هي من الأمور الغيبية التي لاتستقل العقول بمعرفتها، ولاسبيل لها إلى إدراكها؛ فوجب الرجوع إلى حكم اللطيف الخبير الذي هو بكل شيء عليم، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]، ووجب الرجوع

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣١).

(٢) ذكره مالك في الموطأ بلاغاً برقم: (٣٣٣٨) ١٣٢٣/٥، ورواه الحاكم في المستدرك برقم: (٣١٩) ١٢٣/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم: (٧٢٤) ٥٥/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الشيخ الألباني عن إسناده: حسن . انظر: منزلة السنة في الإسلام للشيخ الألباني ص: (١٨)، الصحيحة تحت حديث رقم: (١٧٦١)٣٥٥/٤ .

(٣) رواه أبو داود برقم: (٤٦٠٥) كتاب السنة باب في لزوم السنة ص: (٦٩٠-٦٩١)، والترمذي برقم: (٢٦٦٣) كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ص: (٦٠٠)، من حديث أبي رافع رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني.

أيضاً إلى خبر الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

قال الإمام الزهري رحمه الله: "من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ، وعلينا التسليم"(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني ؛ بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة . يؤخذ من كتاب الله تعالى، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة وما ثبت عن سلف الأمة"(٢).

ويقول: " فمحمد ﷺ أرسل إلى كل أحد، من الإنس والجن، كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه؛ فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته. ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان، وأعمال الجوارح"(٣).

ويقول العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " فكيف يرام الوصول، إلى علم الأصول، بغير اتباع ما جاء به الرسول؟!"(٤).

ويقول: "وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان ؟! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ [المائدة: ٦٧]١٣/٦٢٦ .ووصله غيره،ومنهم التيمي في كتاب الحجة في بيان المحجة ١/١٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٢٠٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/٤٣٠-٤٣١.

(٤) شرح الطحاوية ١/١٢٠.

أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النَّقَلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يُضاعَف أجرُه"[١].

من ضل في استمداد العقيدة:

مع وضوح هذا الأصل الأصيل، وهو استمداد العقيدة من الكتاب والسنة، إلا أنه وجد في المنتسبين للإسلام من ضلّ في هذا الجانب، وأخذ يستمد عقيدته من غير ذينك الأصلين، وممن ضل في هذا الأمر:

أولاً: المتكلمون:

المتكلمون يعتمدون في إثبات العقائد على العقل، ويقدمونه على النقل والشرع، ويزعمون وجود التعارض بينهما حين يخالف النقل القواعد التي قرَّروها.

يقول القاضي عبد الجبار وهو كبار المعتزلة: "الدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"[٢].

فانظر: كيف أنه قدم حجة العقل على البقية في الترتيب، وقيَّد معرفة الله تعالى بأنها لا تنال إلا بحجة العقل.

ويقول الرازي[٣] واضعاً العقبات الطوال أمام الأخذ بالنصوص: " الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة مفردات الألفاظ، وصحة إعرابها،

---

(١) شرح الطحاوية ٢٩٦/١.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص: (٨٨).

(٣) هو العلامة فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي، أبو عبدالله الرازي، من كبار الأشاعرة، له تصانيف كثيرة، وفي تواليفه بلايا وعظائم، من كتبه: المطالب العالية، وأساس =

وتصريفها، وعدم الاشتراك والمجاز والنقل، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار والتأخير والتقديم والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لوكان لرُجِّحَ عليه؛ إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل، لافتقاره إليه، وإذا كان المنتِج ظنياً فما ظنك بالنتيجة؟"[١].

ويقول أبو المعالي الجويني وهو من كبار الأشاعرة: " وإن كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفاً لقضية العقل؛ فهو مردود قطعاً "[٢].

الرد عليهم باختصار:

أولاً: أن الاعتماد على العقل في العقائد مصادم للنصوص التي مر ذكرها، وهي واضحة الدلالة على وجوب استمداد العقيدة من الكتاب والسنة، وليس فيها الأمر بجعل العقل ميزاناً للعقائد يسلط عليها.

ثانياً: أن مؤدى هذا القول إهمال الكتاب والسنة وازدراؤهما وتنقصهما، وترك استمداد الهدى منهما، وتمجيد العقل وتعظيمه، أما الوحي فلا قيمة له ولا اعتبار. يقول شيخ الإسلام رحمه الله راداً على أحد أئمتهم[٣]: " فالمعتمد عندك في الجزم بالنفي والإثبات على الدليل العقلي، والقرآن عديم التأثير، لايجزم بنفي مانفاه، ولا بإثبات ما أثبته، وهذا حال من

التقديس، الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابه النفيس: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. توفي سنة: (٦٠٦ هـ). انظر: السير ٢١/٥٠٠ – ٥٠١.

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: (٥١)، وممن قرر المسألة بنحو هذا التقرير: الإيجي في المواقف ص: (٤٠).

(٢) الإرشاد ص: (٣٥٩– ٣٦٠).

(٣) هو الرازي، وله التأصيلات الكثيرة في دعوى تعارض العقل والنقل، وأن النصوص من الكتاب والسنة لاتفيد اليقين.

لا يؤمن بالله وبكتابه، وحال من لا يؤمن بما أنزل الله تعالى من الكتاب، ولا بما أرسل من الرسل"[١].

قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله لما تكلم عن تعظيم رسول الله ﷺ: "وأي إخلال بتعظيمه وأي تنقص فوق من عزل كلام الرسول عن إفادة اليقين، وقدم عليه آراء الرجال، وزعم أن العقل يعارض ما جاء به، وأن الواجب تقديم المعقول، وآراء الرجال على قوله؟"[٢].

ثالثاً: أن العقول بينها من التفاوت شيء كثير، فما قد يثبته أحد بالعقل فإنه قد يعارضه غيره، ويقول إن الدليل العقلي ينفي ما أثبتَ، ولذا كثر التنازع بين هؤلاء المتكلمين، فما يثبته المتقدم ينفيه المتأخر، بل قد يتسلط عليه بالتبديع والتكفير، إما صراحة، أو أنه مؤدى كلامه، بل تجد في كلام الرجل الواحد من هؤلاء من التناقض العجب العجاب.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قول لا ينضبط؛ وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات، كل منهم يقول: إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعي الآخر أن المعلوم بضروة العقل أو بنظره نقيضه...

ثم كل من كان عن السنة أبعد كان التنازع والاختلاف بينهم في معقولاتهم أعظم؛ فالمعتزلة أكثر اختلافاً من متكلمة أهل الإثبات، وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره ...

وأما الشيعة فأعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة لكونهم أبعد عن السنة منهم، حتى قيل: إنهم يبلغون اثنتين وسبعين فرقة.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٨/٤٥٢- ٤٥٣ .

(٢) الصارم المنكي ص: (٣٣٥).

وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، بل هم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى..."[١].

رابعاً: أننا لانسلم بوجود التعارض بين العقل والنقل؛ فلايمكن أن يتعارض نقل صريح مع عقل صريح، وإن وجد تعارض فلا بد أن يكون النقل غير صريح أو يكون العقل غير صحيح.

خامساً: أن معارضة الشرع بالشبه العقلية سبب للحيرة والاضطراب والشك، وقد صرح بهذا كبار علماء الكلام واعترفوا به، وصاروا يغبطون أهل السنة على ما من الله تعالى به عليهم من اليقين والطمأنينة[٢]، وذلك لما من الله تعالى به على أهل السنة من متابعة الوحيين والاهتداء بهديهما، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ -١٢٤].

ثانياً: الصوفية:

لا يستمد غلاة الصوفية عقائدهم من الكتاب والسنة، وإنما يستمدونها مما يسمونه الكشف أو المكاشفة. ويقصدون به: الاطلاع على ما يغيب عن علمهم أو ما يحتاجون إليه من الأمور الدينية أو الدنيوية عياناً أو سماعاً من قبل النبي ﷺ أو الخضر أو الهواتف أو الملائكة ونحو ذلك[٣].

وهم بذلك يُنْحون ويبعدون الكتاب والسنة عن كونهما مصدري عقيدة وهداية وعبادة، وهذا لاشك أنه خلاف التعظيم الواجب للكتاب والسنة، ولذا لما انحرفوا عن هذين

(١) درء تعارض العقل والنقل ١٥٦/١- ١٥٧ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٥٨ - ١٦٥، مختصر الصواعق ١٣/١-١٦، شرح الطحاوية ٣١٥/١- ٣١٩ .

(٣) انظر: مصادر التلقي عند الصوفية ص: (٢٠٧).

الأصلين حصل لديهم الخلاف الكبير، وهذا هو تفسير تنوع ضلالات الصوفية وكثرة طرقها، وما ذاك إلا بسبب خيالهم الخصب، ودعاواهم التي لا زمام لها ولا خطام.

يقول داود الكبير بن ماخلا(١): " لا تقنع قط بسمعتُ ورويتُ، بل شهدتُ ورأيتُ"(٢).

ويقول الغزالي:(٣) " الموفَّقون الذين يدركون الأمور بنورٍ إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه.

فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد، فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتبين له موقف"(٤).

ويقول:" فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا، والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى"(٥).

---

(١) قال عنه الشعراني: " الشيخ داود الكبير بن ماخلا، كان شرطياً في بيت الوالي بالإسكندرية، وكان يجلس تجاه الوالي، وبينهما إشارة يفهم منها وقوع المتهم، أو براءته، وله كتاب اسمه: عيون الحقائق. انظر: الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٦٠- ١٧١.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٦٨، وانظر: مصادر التلقي عند الصوفية ص: (٢١٢).

(٣) هو زين الدين، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، أبو حامد، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، له مؤلفات كالإحياء، الأربعين وغيرهما، وقد عكف على كتب الفلاسفة ورسائل إخوان الصفا فتأثر بها، وقيل: إنه في آخر حياته أقبل على الحديث، توفي سنة: (٥٠٥هـ)، انظر: السير ١٩/٣٢٢-٣٤٦.

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي ١/١٨٠.

(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٩.

الرد عليهم:

الرد على هذه الفرقة الضالة يطول، ولكن سأختصر الرد في بعض الوجوه خشية الإطالة.

أولاً: أن الله تعالى أنزل الكتاب والسنة ليكونا مصدري هداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم والعقيدة الصحيحة؛ وإلا فما الفائدة من إنزالهما؟.

وقد تقدم قبل قليل الأدلة على وجوب أخذ الدين والعقيدة من الكتاب والسنة، وأن من ترك الاهتداء بهما فقد ضل.

ثانياً: إن ترك الاهتداء بهدي الكتاب والسنة تنقص لهما واحتقار لشأنهما، وتركٌ للتعظيم الواجب لهما؛ ومضمون هذا الاعتقاد أن اتباعهما ليس طريقاً موصلاً إلى الله تعالى وجنته، ولذا استعاضوا بهما تلك المكاشفات الصوفية.

ثالثاً: أن تلك المكاشفات الصوفية المزعومة سبب للدخول في الضلال والانحراف وتلاعب الشياطين، قال شيخ الإسلام معلقاً على بعض كلامهم في هذا الموضوع: "هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كلُّ إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة، وهذان أصلان للإلحاد؛ فإن كل ذي مكاشفة إن لم يَزِنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات"[(١)].

رابعاً: أين نجد في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ الإحالةَ إلى هذه المكاشفات؟، إنك لو فتشت الكتاب والسنة فلن تجد مايرشد إلى ذلك.

خامساً: أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في أشياء من أمور الاجتهاد بعد وفاة النبي ﷺ ؛ ولم يبلغنا أنهم لجأوا إلى طلب الكشف الصوفي، أو أنه كان سبباً في زوال تلك الخلافات بينهم، كما أنه لم يبلغنا أنهم أحالوا إليه من بعدهم من التابعين أو أرشدوهم إليه؛ فتبين أنه بدعة ضلالة، ويولِّد من البدع والضلالات ما الله به عليم.

---

(١) درء التعارض ٣٤٨/٥.

المطلب الثاني:

وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة في موارد النزاع

يجب على كل مسلم أن يرجع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في كل أموره، وأن يتحاكم عند النزاع والاختلاف إليهما.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر تعالى حين حصول الاختلاف بالرد إليه أي: إلى كتابه، وبالرد إلى رسوله ﷺ، أي: إلى سنته.

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾[النساء: ١٦٥]، فأقسم الرب تعالى أنه لا يحصل الإيمان لأحد حتى يجعل الرسول ﷺ ودينه هو الحاكم عند التّشجار والخلاف، ولايكفي هذا حتى ينتفي الحرج من النفس عند الحُكم، ولم يكتف بذلك بل لابد أن يحصل منهم التسليم المطلق لحكمه.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ ﴾[النور:٥١]،وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وهذه الشريعة هي من الرب عز وجل العليمِ بمصالح عباده، والحكيمِ في قضائه، اللطيفِ الخبير، وهي الشريعة الكاملة والصالحة لكل زمان ومكان، وهي المصلحة لشؤون

الخلق إن اتبعوها، ولا تحتاج إلى أن يزاد فيها أو ينقص منها، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الجاثية: ١٨].

وإنه لمن المكفرات أن يرفض مسلمٌ حكمَ الله تعالى وشرعه ولا يقبله لكونه يعده ناقصاً، أو يزعم أن شرائع الكفر هي خير الشرائع، وأنها خير من شريعة محمد ﷺ ؛ فهذا كفر وارتداد عن الدين؛ فإن فيه التنقصَ لشريعة رب العالمين، وتصحيحَ شرائعِ الكفر الباطلة؛ قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[محمد: ٩].

فمن كره شرع الله المنزل لكون الله تعالى أمر به، وفرض على الخلق اتباعه فهو كافر[1].

ومن اعتقد أن شرائع الكفر وقوانين البشر خير من شريعة الإسلام فهو كافر؛ لأنه كذب القرآن الذي فيه أنه لا أحد أحسن حكماً من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة: ٥٠]، وكذب ما جاء في القرآن والسنة من تكفير من لم يتبع دين الإسلام قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦] .

وقال النبي ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)**[2].

---

(١) أما ما يحصل من كراهة بعض الأمور من أجل الطبع المجرد لكون هذا الأمر شاقاً من غير كراهة أمر الله ﷻ فهذا ليس كفراً، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة: ٢١٦] .

(٢) رواه مسلم برقم: (٣٨٤) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ٢/٣٦٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولاشك أن تفضيل شرائع الكفر على ملة الإسلام مناقض للإيمان بما أرسل الله ﷻ به رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تعداده لنواقض الإسلام:

"الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، وأن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر"(١).

(١) نواقض الإسلام ضمن الجامع الفريد ص: (٢٧٧).

المبحث الثالث:

تعظيم أوامر الشريعة ونواهيها

مما يجب تعظيمه أوامر الله تعالى ونواهيه؛ فتعظيمها صادر عن تعظيم الآمر والناهي سبحانه؛ فإن من عظّم أحداً ووقّره امتثل أمره واجتنب نهيه، وإلا كان ذلك دليلاً على نقص التعظيم أو عدمه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠].

وشعائر الله تعالى كل ما أشعر الله بتعظيمه من العبادات والأزمنة والأمكنة وغيرها، فتعظيمها تعظيم لله تعالى وطاعة له.

ومن حرمات الله تعالى: ما يجب اجتنابه، ولايحل انتهاكه مما نهى الله تعالى عنه.

وسيكون الكلام في بيان وجوب تعظيم أوامر الشريعة ونواهيها محصوراً في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

معنى تعظيم الأمر والنهي

معنى تعظيم الأمر والنهي: هو القيام بأوامر الله تعالى وفق ما أمر الله به ورسوله ﷺ حسب الاستطاعة من غير زيادة ولانقصان، والانتهاء عما نهى الله عنه.

ومما يدل على هذا التعريف قول النبي ﷺ: (**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**)(١).

---

(١) رواه البخاري برقم: (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ١٣/٣٠٨، ورواه مسلم برقم: (٦٠٦٦) كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله ١٥/١٠٨ من حديث أبي هريرة ﷺ .

المطلب الثاني:

علامات تعظيم الأوامر، وعلامات تعظيم النواهي

علامات تعظيم الأوامر:

علامات تعظيم الأوامر هي: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها، وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها[١].

ومن علامات تعظيم الأوامر أيضاً: عدم الاختيار أو المشورة حين يقف على أمر الله تعالى أو أمر رسوله ﷺ، بل يقبله وينقاد له بدون تردد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومنها: عدم وجود الحرج في النفس حين تلقي الأمر الشرعي أو عند تطبيقه، وإنما ينشرح له صدره، ويستسلم له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

ومنها: ترك التعمق في طلب الحكمة من الأمر، والبحث عن العلة، وجعل الامتثال متوقفاً على معرفة الحكمة.

قال ابن أبي العز رحمه الله:" اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدمِ الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يَحْكِ اللهُ سبحانه عن أمةِ نبيٍّ صدَّقت بنبيها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم ص: (١٦).

أمرها به ونهاها عنه، وبلَّغها عن ربها، ولو فَعلتْ ذلك لَما كانت مؤمنة بنبيها. بل انقادت وسلَّمت وأذعنت، وما عرفتْ من الحكمة عرفتْه، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلتْ ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظمَ عندها من أن تسأله عن ذلك... ولهذا كان سلف هذه الأمة، التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارفَ وعلوماً لا تسأل نبيَّها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدَّر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم"[١].

علامات تعظيم النواهي:

علامات تعظيم النواهي هي: الحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يَدَع ما لا بأس به حذراً مما به البأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروهات، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي ما ركب منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله ﷻ إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزناً وكَسْرة إذا عصي الله تعالى في أرضه، ولم يطع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغيِّر ذلك[٢].

ومنها: ترك التعمق في طلب الحكمة من النهي والتوقف أو التحرج من الامتثال حتى يعلم الحكمة- كما تقدم في تعظيم الأمر- .

---

(١) شرح الطحاوية ١/٤٠٠- ٤٠١.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم ص: (٢٦).

ومن تعظيم الأمر والنهي: عدم طرحهما للنقاش والحوار ممن ليسوا من أهل العلم والفقه في الدين، بل هم بالنسبة للعلم الشرعي بمثابة العوام، كما نشاهد اليوم، فتجد البعض في وسائل الإعلام يطرحون قضية من القضايا الدينية، ويدعى للحديث حولها من ليسوا من أهل التخصص الشرعي ليبدوا رأيهم فيها، فيقعون غالباً في تحريف النصوص، أو تحميلها مالا تحتمل، أو ليِّ أعناقها لتوافق ماكانوا عليه من قناعات. مثل ما نسمع ونرى من الحوارات والنقاشات، وخاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة كالحجاب والاختلاط وغير ذلك.

وطرح هذه القضايا وغيرها على من لم يعرف بعلم شرعي مما يضعف تعظيم الأمر والنهي الشرعيين في نفوس المتلقين، ويضعف انقيادهم، ويهوِّن الأمر عندهم.

المطلب الثالث:

من ضل في تعظيم الأمر والنهي

الذين ضلوا في تعظيم الأمر والنهي طوائف عدة، وبيانهم كالآتي:

أولاً: أهل الغلو والإفراط:

الغلو لغة: هو تجاوز الحد، يقال: غلا السعر إذا ارتفع وتجاوز الحد، ويقال: غلت القدر إذا طفحت(١).

الغلو اصطلاحاً: هو مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على مايستحق، ونحو ذلك(٢).

والمراد هنا: الغلو في العبادات: وهو أن يزاد في العبادة فوق المشروع.

والغلو في العبادات نوعان:

الأول: نوع يخرجه عن كونه مطيعاً: وهذا كمن زاد في الصلاة ركعة، أو صام الدهر مع أيام النهي، أو رمي الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق، أو سعى بين الصفا والمروة عشراً، أو نحو ذلك عمداً.

الثاني: غلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار: وهذا كقيام الليل كله، وسرد الصيام الدهرَ أجمع بدون صوم أيام النهي، والجور على النفوس في العبادات والأوراد(٣).

أدلة النهي عن الغلو:

جاءت الأدلة الكثيرة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ محذرة من الغلو، ومحرِّمة له، ومبينة بأنه كان السبب في هلاك الأمم قبلنا وصرفهم عن دينهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[النساء: ١٧١] .

---

(١) انظر: المفردات ص: (٣٦٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (١٩٦).

(٣) مدارج السالكين ٢/٤٩٦ .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال النبي ﷺ: (**أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**)[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولاأفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلاأتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: (**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[٢].

وهذه الأدلة وغيرها كثير، كلها محذرة من الغلو، ناهية عنه، وهذا النهي عام في جميع أنواع الغلو، ومن غلا في الأمر فهو مضيع له، كما أن الجافي للأمر مضيع له، فكلاهما لم يعظم الأمر، ولم يُصِبِ المقصودَ منه، أحدهما بإفراطه والآخر بتفريطه. والشيطان يدخل على الإنسان في باب الأوامر من أحد هذين الطريقين، طريق الغلو، وطريق الجفاء، ولايبالي بأيهما منه ظفر؛ لأن كلاً منهما انحراف عن السَّنن الوسطِ المأمورِ به.

ولو عظّم هذا الغالي الأمرَ والنهيَ الإلهيَّ لتوقف على ما ورد في النصوص، وتعبد لله تعالى وفق ما أمرت به.

---

(١) رواه النسائي برقم: (٣٠٥٧) كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ص: (٤٧١)، ورواه ابن ماجه برقم: (٣٠٨٥) كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٣/ ٤٩ . قال عنه شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ص: (١٩٦): "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم". وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: (١٢٨٣) ٣/ ٢٧٨ .

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٣١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " أما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغالياً فيه حتى يفوت الوقت، أو يردد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة، أو تكاد تفوته الركعة، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه.

ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العُبّاد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد المسلمين، وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى، ويَبْعَث بالقَصْد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط والغلو الزائد في إساءة الظن بالمسلمين، وحسنِ الظن بالنصارى، نعوذ بالله من الخذلان"(١).

ثانياً: أهل الجفاء والتفريط:

ومن الجفاء والتفريط: ترك الأوامر وعدم امتثالها، وارتكاب المنهيات وعدم التجافي عنها، فإن هذا خلاف الواجب تجاه تلك الأوامر والنواهي، إذ الواجب تجاهها: تعظيمها وامتثالها؛ لأن تعظيمها من تعظيم الآمر بها سبحانه.

فمن جفاء النواهي: ارتكاب ماحرمه الله تعالى؛ لأن ذلك نقص في تعظيم النصوص التي جاءت محذرةً من تلك المنهيات، كما أن ارتكابها نقص في تعظيم الله تعالى.

ومن جفاء الأوامر والنواهي: الاسترسال مع الرُّخَصِ إلى حد يكون صاحبه جافياً للأمر والنهي غير مستقيم على المنهج الوسط، " مثال ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يُبْرِد إلى فوات الوقت، أو مقاربة خروجه، فيكون مترخصاً جافياً. وحكمة هذه الرخصة: أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور، ويفعل العبادة بِتَكَرُّهٍ وضجر؛ فمن حكمة الشارع ﷺ أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر؛ فيصلي العبد بقلب حاضر، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى..."(٢).

---

(١) الوابل الصيب ص: (٢٨-٢٩) .

(٢) الوابل الصيب ص: (٢٦-٢٧).

يقول ابن القيم رحمه الله عن تعظيم الأمر والنهي ومسلكي الغلو والجفاء فيهما:" فحقيقة التعظيم للأمر والنهي: أن لا يعارضا بترخص جافٍ، ولا يعرَّضا لتشديد غال؛ فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز و جل بسالكه.

وما أمر الله عز و جل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين. فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامّه؛ فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثبّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة.

وإن وجد عنده حذراً وجِدّاً، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك، وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقد إذا رقدوا، ولا تفطر إذا أفطروا، وأن لا تفْتُر إذا فَتَروا..."[(١)].

ثالثاً: من يحمل الأمر والنهي على علة تضعف الانقياد:

الواجب على المسلم أن يعظم أوامرَ الله تعالى فيفعلها، ونواهيَه فيجتنبها، سواء ظهرت له حكمة الأمر والنهي، أولم تظهر، هذا هو مقتضى الإسلام والإيمان أن يستسلم المرء لحكم الله تعالى وشرعه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

فإنَّ تَطَلُّبَ العلةَ والبحثَ عنها يضعف الانقياد لتلك الأوامر والنواهي، فلا يعمل حتى يقف على الحكمة وتتبين له العلة، فإن عجز ذلك المتطلب للعلة عن تحصيلها لربما انقطع عن الامتثال، فلم يفعل المأمور، وارتكب المحظور.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن علامات تعظيم الأمر والنهي أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله ﷻ، بل يسلّم لأمر الله تعالى وحكمه، ممتثلاً ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه، أو لم تظهر. فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه: حمله ذلك على مزيد الانقياد بالبذل والتسليم لأمر الله، ولا يحمله ذلك على

---

(١) الوابل الصيب ص: (٢٩-٣٠).

الانسلاخ منه وتركه جملة، كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف"[١].

وقد مثل لهذا ابن القيم رحمه الله بعدة أمثلة، فمما ذَكَر:

- تأول البعض تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد، فإذا أمن من هذا المحذور جاز شربه.

- وجعل تحريم ماعدا الخمر معللاً بالإسكار، فله أن يشرب منه ماشاء ما لم يسكر.

- أن ينظر البعض إلى حكم العبادات والتكاليف مثلاً ويجعل العلة فيها هي جمعية القلب والإقبال به على الله، فقال: أنا أشتغل بالمقصود عن الوسيلة، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد العبادات فعطَّلَها، وترك الانقياد بحمله الأمر على العلة التي أذهبت انقياده[٢].

والواجب على العبد أن يعلم أن الله تعالى ذو حكمة بالغة كما سمى نفسه (الحكيم) ووصف نفسه بالحكمة، ولايمكن للعباد أن يحيطوا بحكمة الله تعالى وأسرار أمره ونهيه، كما أنه سبحانه لايشرِّع شيئاً لعبده ولا يأمر ولا ينهى إلا وفق حكمته العظيمة، وهو سبحانه منزه عن العبث واللعب، وما أمر بشيء ولانهى عن شيء إلا وللعباد فيه مصلحة عاجلة أو آجلة، علموها أو جهلوها.

رابعاً: الصوفية الذين يقولون إنهم يتعبدون لله حباً فيه لاخوفاً من ناره ولاطمعاً في جنته:

فالصوفية يقولون: إن الواجب على العبد أن يعظم حرماتِ الله وأوامرَه ونواهيَه تعظيماً لله تعالى وحباً فيه، لاخوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته. فالدافع لفعل المأمورات واجتناب المنهيات عندهم هو الحب لا غير، ليس الدافع هو الحب لله تعالى، والخوف من النار التي أعدها للعاصين، والرجاء لما أعد الله تعالى لمن أطاعه، وهو الخلود في جنات النعيم.

---

(١) الوابل الصيب ص: (٣١)، وانظر: الصواعق المرسلة ٤/١٥٦٠-١٥٦٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/٤٩٧-٤٩٨.

فيروى عن رابعة العدوية[١] أنها قالت: " وعزتك ما عبدتك رغبة في جنتك، بل لمحبتك"[٢].

ويقول أبو إسماعيل الهروي[٣]: " تعظيم الأمر والنهي، لا خوفاً من العقوبة؛ فيكون خصومة للنفس، ولا طلباً لمثوبة؛ فيكون مستشرفاً للأجرة، ولا شاهداً لأحد؛ فيكون متديناً بالمراءاة؛ فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس"[٤].

ويقول الغزالي:" فالأبرار يرتعون في البساتين، ويتنعمون في الجنان مع الحورالعين والولدان، والمقربون ملازمون للحضرة، عاكفون بطرفهم عليها، يستحقرون نعيم الجنان"[٥].

ويقول:" واعلم أنه لو خلق فيك شوق إلى لقاء الله وشهوةٌ إلى معرفة جلاله أصدق وأقوى من شهوتك للأكل والنكاح؛ لكنت تؤثر جنة المعارف ورياضها وبساتينها على الجنة التي فيها قضاء الشهوات المحسوسة "[٦].

---

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية من أوائل الصوفية، ويذكر عنها في العبادة شيء عظيم، كما نقل عنها مواعظ، وبعضها لا يسلم من انتقاد، عاشت ثمانين سنة، وتوفيت سنة: ١٨٠ هـ وقيل غير ذلك. انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٧/٤-٣١، سير أعلام النبلاء ٢٤١/٨-٢٤٣، وفيات الأعيان ٢٨٥/٢.

(٢) انظر: شذرات الذهب ١٥١/٥.

(٣) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، أبو إسماعيل، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ، إمام في اللغة والتفسير والحديث والوعظ، له مؤلفات كثيرة منها: ذم الكلام، والفاروق، ومنازل السائرين، وفي بعض كتبه أشياء مشْكلة، وقد شرح كتابَه: "منازل السائرين" ابنُ القيم في كتابه: " مدراج السالكين" وتعقّبه في أشياء. وقد كان سيفاً مسلولاً على المتكلمين. توفي سنة: (٤٨١هـ) انظر: المنتظم لابن الجوزي ٢٧٨/١٦- ٢٧٩، السير ٥٠٣/١٨ - ٥١٨.

(٤) انظر: منازل السائرين ص: (٤٠)، مدارج السالكين ٧٥/٢. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢٤/١٠، صفة الصفوة ٣٢٤/٢.

(٥) إحياء علوم الدين ٣٣٥/٤.

(٦) جواهر القرآن ص: (٨٢).

ولاشك أن هذا انحراف منهم عن المنهج الصواب، يضاف إلى ماعند الصوفية من انحرافات كثيرة، فهو قول مخالف لما دلت عليه النصوص من أن العبادة يجب أن تقوم على أسس ثلاثة لا تصح إلا بها، وهي المحبة والخوف والرجاء، لابد من اجتماع هذه الأسس الثلاثة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

فأخبر تعالى عن خواص عباده أنهم يعبدونه حباً فيه، وهو ما إليه الإشارة بقوله: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ فالابتغاء والتقرب إنما تكون للمحبوب. ورجاء لرحمته، وخوفاً من عذابه، كما قال ﷻ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

أي رغبة فيما عند الله من الثواب ورهبة مما عنده من العقاب(١).

قال ابن القيم رحمه الله: " أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً من عذابنا، والضمير في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة عند عامة المفسرين .

والرَّغَب والرَّهَب: رجاء الرحمة والخوف من النار عندهم أجمعين "(٢).

وأخبر تعالى أن من دعاء أوليائه الاستعاذة به من النار؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥] .

وأن من دعاء الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٥/٣٧٠ .

(٢) مدراج السالكين ٢/٧٧ .

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: (**يا فلان، إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك...**)(١).

وكم في النصوص من الوعد والوعيد، وأن من فعل كذا فله الجنة حثاً على العمل الصالح بذكر ثوابه، وأن من فعل كذا دخل النار تنفيراً من العمل السيئ بذكر عقوبته. ففي هذه النصوص التي ذكرتها وغيرها كثير جداً أنه لابد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة في العبادة، وهي الحب والخوف والرجاء، وأنه لايمكن للإنسان أن يعبد الله بواحد منها ويهمل الباقي؛ قال بعض السلف: " من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحِّد"(٢).

" وأيضا فالله سبحانه يحب من عباده أن يسألوه جنته، ويستعيذوا به من ناره، فإنه يحب أن يُسأل، ومن لم يسألْه يغضبْ عليه، وأعظم ما سئل: الجنة، وأعظم ما استعيذ به: من النار. فالعمل لطلب الجنة محبوب للرب، مرضي له، وطلبها عبودية للرب، والقيام بعبوديته كلها أولى من تعطيل بعضها .

... وإذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه، والهرب من هذه فترت عزائمه، وضعفت همته، ووهى باعثه، وكلما كان أشد طلباً للجنة وعملاً لها كان الباعث له أقوى، والهمة أشد، والسعي أتم، وهذا أمر معلوم بالذوق... ولو لم يكن هذا مطلوباً للشارع لما وصف الجنة للعباد، وزينها لهم، وعرضها عليهم، وأخبرهم عن تفاصيل ما تصل إليه

---

(١) رواه البخاري برقم: (٧٤٨٨) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[النساء: ١٦٦] ٥٧٣/١٣، ورواه مسلم برقم (٦٨٢٣) كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٣٦/١٧. من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٨١/١٠.

عقولهم منها، وما عداه أخبرهم به مُجْمَلاً، كل هذا تشويقاً لهم إليها، وحثاً لهم على السعي لها سعيَها "[١].

يقول الشيخ الألباني[٢] رحمه الله عن هذه المقالة من مقالات الصوفية [ربِّ ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك]:" وهذا كلام لا يصدر إلا ممن لم يعرف الله تبارك وتعالى حق معرفته، ولا شعر بعظمته وجلاله، ولا بجوده وكرمه، وإلا لتعبده طمعاً فيما عنده من نعيم مقيم، ومن ذلك رؤيته تبارك وتعالى، وخوفاً مما أعده للعصاة والكفار من الجحيم والعذاب الأليم، ومن ذلك حرمانهم النظر إليه، كما قال: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٥]، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – وهم العارفون بالله حقاً – لا يناجونه بمثل هذه الكلمة الخيالية، بل يعبدونه طمعاً في جنته، وكيف لا وفيها أعلى ما تسمو إليه النفس المؤمنة، وهو النظر إليه سبحانه، ورهبة من ناره، ولم لا وذلك يستلزم حرمانهم من ذلك، ولهذا قال تعالى بعد ذكر نخبة من الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء:٩٠]، ولذلك كان نبينا محمد ﷺ أخشى الناس لله، كما ثبت في غير ما حديث صحيح عنه"[٣].

(١) مدارج السالكين ٢/٧٩.

(٢) هو الشيخ العلامة محدث العصر، محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، ولد في أشقودرة بشمال ألبانيا سنة: (١٣٣٣ هـ)،كان واسع الاطلاع، درَّس الحديث وعلومه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام: (١٣٨١ هـ) حتى عام: (١٣٨٣ هـ)، واهتم بتقريب السنة للناس، فاشتغل بدراسة الأحاديث وبيان صحيحها من سقيمها، وكان له نشاط واسع في الدعوة إلى الله، له مؤلفات كثيرة منها: السلسلة الصحيحة، السلسلة الضعيفة، إرواء الغليل، أحكام الجنائز، توفي سنة: (١٤٢٠ هـ).انظر: مقالات الألباني ص: (١٧٥- ٢٤٣)، وانظر: ترجمة موسعة أيضاً في: جهود الإمام الألباني في بيان عقيدة السلف ص: (٥ – ٦٦).

(٣) السلسلة الضعيفة تحت حديث رقم: (٩٩٨) ٢/٤٢٦.

خامساً: من يزعم أن أوامر الشرع ونواهيه هي للعوام:

يزعم بعض الصوفية أن الإنسان إذا بلغ الغاية في الولاية سقطت عنه التكاليف فلا أمر ولانهي حينئذ؛ فله أن يفعل مايشاء من المحرمات، ويترك مايشاء من الواجبات، بل قد يدّعون أن اقتحام تلك الفواحش وترك الواجبات يصير طاعة، فلا يمكن أن يصدر من ذلك الإنسان معصية؛ فأفعاله كلها طاعات، وأنه إن كان عاصياً في الشرع فإنه مطيع في القدر. وربما استدلوا على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾[الحجر: ٩٩].فيقولون: إن معناها: اعبد ربك حتى يحصل لك العلم والمعرفة، وقال بعضهم: معناها: اعمل حتى يحصل لك الحال[(١)].

قال ابن حزم: " ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل. وقالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلّت له المحرماتُ كلُّها من الزنا والخمر وغير ذلك. واستباحوا بهذا نساء غيرهم. وقالوا: إننا نرى الله ونكلمه، وكلما قذف في نفوسنا فهو حق"[(٢)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " لا ريب عند أهل العلم والإيمان أن هذا القول من أعظم الكفر وأغلظه، وهو شر من قول اليهود والنصارى ؛ فإن اليهودي والنصراني آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وأولئك هم الكافرون حقاً، كما ذكر أنهم يقرون بأن لله أمراً ونهياً ووعداً ووعيداً، وأن ذلك متناول لهم إلى حين الموت ... والمقصود أن المتمسكين بجملة منسوخة فيها تبديل خير من هؤلاء الذين يزعمون سقوط الأمر والنهي عنهم بالكلية ؛ فإن هؤلاء خارجون في هذه الحال عن جميع الكتب والشرائع والملل؛ لا يلتزمون لله أمراً ولا نهياً بحال، بل هؤلاء شر من المشركين المستمسكين ببقايا من الملل

(١) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (٦٥)، مجموع الفتاوى ١١/٤١٧، نواقض الإيمان الاعتقادية ٢/٧٤- ٨٤.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/١٧٠ ط: مكتبة الخانجي .

كمشركي العرب الذين كانوا مستمسكين ببقايا من دين إبراهيم عليه السلام؛ فإن أولئك معهم نوع من الحق يلتزمونه – وإن كانوا مع ذلك مشركين –، وهؤلاء خارجون عن التزام شيء من الحق بحيث يظنون أنهم قد صاروا سدى لا أمر عليهم ولا نهي . فمن كان من قوله هو أنه أو طائفة غيره قد خرجت عن كل أمر ونهي بحيث لا يجب عليها شيء، ولا يحرم عليها شيء، فهؤلاء أكفر أهل الأرض، وهم من جنس فرعون وذويه..."[(١)].

وهذه الطائفة لايطردون هذا القول ولايلتزمونه دائماً، وإنما هم يتبعون أهواءهم وآراءهم وشهواتهم، كما قال فيهم بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به[(٢)].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:"ولكن كثير من هؤلاء لا يطلقون السلب العام، ويخرجون عن ربقة العبودية مطلقاً، بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم، أو حِلَّ بعض المحرمات لهم؛ فمنهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة وحضور، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناءً عنها بما هو فيه من التوجه والحضور، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه؛ لأن الكعبة تطوف به، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية ... ومنهم من يستحل الخمر زعماً منه أنها إنما تحرم على العامة الذين إذا شربوها تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء ..."[(٣)].

الرد عليهم:

هذا القول واضح البطلان، وبطلانه ولله الحمد معلوم عند كل مسلم، ومن الوجوه في الرد على هذا القول:

١. أنه مناقض لدين الإسلام الذي بعث به النبي ﷺ، فهذا القول مصادم للدين معارض له، مبطل له، بل هو مسقط للشرائع السماوية كلها.

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٤٠١ – ٤٠٢ .

(٢) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (٦٣).

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٤٠٣ .

٢. أن هذه الحال التي يصل إليها الصوفي فتسقط عنه التكاليف لم تقع للنبي ﷺ وهو سيد الأولياء ومقدمهم، وأشرف الرسل وإمامهم، فلو كانت هناك درجة في اليقين يصل إليها إنسان فتسقط عنه التكاليف لوصل إليها النبي ﷺ، أم أن هؤلاء يقولون بأن أئمتهم يصلون في معرفة الله إلى ما لايصل إليه الأنبياء؟ في الواقع أنهم يقولون بذلك، وهذا تفضيل للأولياء على الأنبياء، وتنقص للأنبياء، كما أنه مخالف لما في الكتاب والسنة من تفضيل الأنبياء واصطفائهم على سائر البشر- وسيأتي الكلام حول هذه المسألة بمشيئة الله تعالى-.

٣. كما أن سادات الأولياء من صحابة رسول الله ﷺ و رضي الله عنهم لم يترك منهم أحدٌ الشريعة، ويخالف الأمر والنهي بزعم أنه سقط عنه التكليف لوصوله إلى مرتبة اليقين.

قال ابن كثير رحمه الله: " ويستدل بها[1] على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابُهم أعلمَ الناس بالله وأعرفَهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس، وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة"[2].

٤. " أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].
فهي عليهم لا لهم، قال الحسن البصري: " إن الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلاً دون الموت"، وقرأ قوله:﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[3] ؛ وذلك أن اليقين هنا الموت وما بعده باتفاق علماء المسلمين، وهؤلاء من المستيقنين . وذلك مثل قوله: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[المدثر: ٤٢ - ٤٣] ، إلى

---

(١) يقصد قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٥٤ .

(٣) ممن ذكر هذا الأثر عن الحسن سوى شيخ الإسلام: ابن رجب في لطائف المعارف ص: (٣٩٨).

قوله: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر: ٤٥ - ٤٧] ؛ فهذا قالوه وهم في جهنم. وأخبروا أنهم كانوا على ما هم عليه من ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالآخرة والخوض مع الخائضين حتى أتاهم اليقين. ومعلوم أنهم مع هذا الحال لم يكونوا مؤمنين بذلك في الدنيا، ولم يكونوا مع الذين قال الله فيهم: ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤]؛ وإنما أراد بذلك أنه أتاهم ما يوعدون، وهو اليقين"[١].

٥. ومما يبين أن عمل الإنسان ليس له غاية ينتهي إليها إلا الموت: قول النبي ﷺ: (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)[٢]. فلم يجعل النبي ﷺ لعمل المؤمن حداً ينتهي إليه إلا الموت.

(١) مجموع الفتاوى ٤١٨/١١ .

(٢) رواه مسلم برقم: (٤١٩٩)كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٨٧/١١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بالتعظيم في بقية أركان الإيمان الستة

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام والكتب، **وفيه تمهيد ومبحثان:**

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام، **وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأنبياء والمرسلين والمخالفون في ذلك من أصحاب الغلو والجفاء.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم نبينا محمد ﷺ.

المبحث الثالث: التعظيم البدعي والشركي لنبينا محمد ﷺ.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم اليوم الآخر والقدر، **وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم اليوم الآخر.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم القدر.

تمهيد

للإيمان ستة أركان جاءت مبينة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لايصح إيمان عبد حتى يأتي بها جميعاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[1].

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام والكتب

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعظيم الشرعي للملائكة عليهم السلام .

المطلب الثاني: المخالفون في هذا الباب من أصحاب الغلو والجفاء .

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم كتب الله عز وجل ووحيه، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعظيم كتب الله عز وجل واحترامها وعدم إهانتها.

المطلب الثاني: تعظيم القرآن الكريم .

المطلب الثالث: المخالفون في تعظيم الكتب السماوية.

تمهيد في تعريف الملائكة

الملائكة لغة: جمع مَلَك، ويجمع على أملاك وملائك.

قيل في أصل هذه الكلمة (ملائكة): جمع مَلْأَك، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، فقيل: مَلَك.

وقيل: أصله من أَلَك، والميم زائدة، واشتقاقها على هذا من (الألوك)، وهي الرسالة، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً (ملك)، وإذا جمع عادت إليه الهمزة فيقال: ملائكة، وملائك، وإنما حذفت من المفرد لكثرة الاستعمال.

وقيل: هو من المِلك، والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له: مَلَك- بالفتح- ومن البشر يقال له: مَلِك-بالكسر-[(١)].

والهاء في الملائكة تأكيد لتأنيث الجمع، ومثله: الصلادمة: الخيل الشداد[(٢)]، واحدها صِلدم.

وقيل: للمبالغة، كعلاّمة ونَسّابة[(٣)].

والراجح والله أعلم أن اشتقاق اسم الملائكة هو من الألوكة، وهي الرسالة، وهذا هو قول الجمهور؛ لأنه يقال: أَلِكني إلى فلان، أي: أرسلني إليه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الذاريات: ٣١].

فسمى الله تعالى الملائكة رسلاً، لأن الله يرسلهم إلى أنبيائه ورسله، ويرسلهم تعالى فيما يشاء من أمره.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري ٤/١٣٢٢- ١٣٢٤، المفردات ص: (٤٧٦)، لسان العرب ١٤/١٢٨.

(٢) القاموس المحيط ص: (١١٣٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٠٤.

قال الشاعر: ألكني إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر[(١)].

أي: أرسلني.

والملائكة في الشرع: عالم غيبي مخلوقون من نور، عابدون لله، أعطاهم الله القدرة على التشكل، وعلى الانقياد لأمره، والقوة على تنفيذه، وليس لهم من خصائص الألوهية والربوبية شيء[(٢)].

شرح التعريف:

(عالم غيبي) ، فالملائكة عالَم من العوالم التي خلقها الله تعالى، ولكنهم غيب عنا لانراهم، أخبرنا الله تعالى عنهم، وأخبرنا عنهم رسوله ﷺ.

(مخلوقون من نور) قال النبي ﷺ: **(خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم)**[(٣)].

(أعطاهم الله القدرة على التشكل) أعطى الله تعالى الملائكة القدرة على التشكل، وأقدر من شاء من عباده على رؤيتهم حينئذ، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٨]. فقد جاءوا على صورة ضيوف، ولم يعرفهم إبراهيم عليه السلام حتى عرفوه بأنهم من الملائكة.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: ديوان الهذليين ١/١٤٦.

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان للعثيمين ط: دار الوطن ص: (٢٧)، وانظر: فتح الباري ٦/٣٦٨، التعريفات ص: (٣١٧).

(٣) رواه مسلم برقم: (٧٤٢٠) كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة ١٨/٣٢٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**أن رجلاً زار أخاً له في قرية فأرصد الله على مدرجته**[1] **ملَكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**)[2].

(**أعطاهم الله القدرة على الانقياد لأمره والقوة على تنفيذه**) فالملائكة عبيد خاضعون الله، منقادون لأمره، يفعلون ما أمرهم به، وينتهون عما نهاهم عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٩] .

(**ليس لهم من خصائص الألوهية والربوبية شيء**) فهم عبيد لله تعالى، خاضعون له، لايتعدون طورهم، ولايعصون ربهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٩] . وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

---

(١) أي: وكل ملكاً بحفظ الطريق، وجعَله حافظاً مُعَدّاً. انظر: النهاية ص: (٣٦٠).

(٢) رواه مسلم برقم: (٦٤٩٥) كتاب البر والصلة باب فضل الحب في الله ١٦/٣٤٠.

المبحث الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الملائكة عليهم السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

التعظيم الشرعي للملائكة عليهم السلام.

التعظيم الشرعي للملائكة: هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى به عنهم، واحترامهم وتبجيلهم، وإنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، فلا غلو فيهم، ولا رفع لهم فوق منزلتهم، ولاجفاء في حقهم، ولا تنقص لهم.

قال القرافي[١] رحمه الله: "**اعلم أنه يجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء بأَسْرِهم، وكذلك الملائكة**، ومن نال من أعراضهم شيئاً فقد كفر ..."[٢].

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله في سياق ذكره لبعض المكفرات: " ويَكْفرُ... بعيبه ملكاً من الملائكة أو الاستخفاف به"[٣].

وينتظم تعظيم الملائكة تعظيماً شرعياً في الأمور الآتية:

أولاً: الإيمان بالملائكة: دلت الأدلة الكثيرة على أن الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، وهو الركن الثاني منها بعد الإيمان بالله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ

---

(١) هو الإمام أحمد بن إدريس المصري، المشهور بالقرافي، شهاب الدين، مالكي المذهب وانتهت إليه رئاسة الفقه فيه، كان إماماً في أصول الفقه والتفسير وغيرها، من كتبه: الذخيرة، والفروق، والأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. توفي سنة: (٦٨٤ هـ) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ١/٢٣٦- ٢٣٩، الوافي بالوفيات ٦/١٤٦- ١٤٧.

(٢) نقله السيوطي في الحبائك ص: (٢٥٥).

(٣) البحر الرائق ٥/١٣١، وانظر الشفا للقاضي عياض ٢/٤٨٨ - ٤٨٩ حيث تكلم عن هذه المسألة وذكَر عن عدد من أهل العلم كفرَ من سب ملكاً من الملائكة أو استخف به.

أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فذكر تعالى في الآيتين بعضاً من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها.

وفي حديث جبريل المشهور لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[1].

كما دلت الأدلة على كفر من أنكرهم أو أبغضهم كلهم أو بعضهم؛ قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨].

كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور:

أولاً: التصديق بوجودهم، والإيمان بذلك، واليقين به[2].

ثانياً: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن، وأنهم مكلفون بعبادة الله، ولا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله جعل لهم أمداً بعيداً، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

(٢) انظر: الحبائك ص: (٩)، شرح أصول الإيمان للعثيمين ص: (٢٧).

(٣) انظر: الحبائك ص: (٩).

ثالثاً: الإيمان بأسمائهم، ولهم أسماء عامة كالملائكة والسَّفَرَة والملأ الأعلى وجنود الله، وهذا من حيث الإجمال، ولهم أسماء خاصة فيؤمن بها على التفصيل كجبريل، وميكائيل وإسرافيل ومالك[١].

رابعاً: الإيمان بأعدادهم: فيؤمن إجمالاً بأن عددهم كثير جداً لا يعلمه إلا الله؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]، ويؤمن تفصيلاً بأعدادهم المفصلة مثل: أنه على النار تسعة عشر، وأن للعرش ثمانية من الملائكة يحملونه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة: ١٧].

خامساً: الإيمان بما علمنا من أعمالهم: على الإجمال والتفصيل.

إجمالاً: أنهم يفعلون ما أمرهم الله تعالى ولا يعصونه.

وتفصيلاً: أن منهم من هو موكل بالوحي، وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة ٩٧:]، ومنهم من هو موكل بالجبال، وهو ملك الجبال[٢]، ومنهم من وُكِّل بخزانة النار، وهو مالك عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

سادساً: الإيمان بما علمنا من أوصافهم على الإجمال والتفصيل.

إجمالاً: بأنهم مخلوقون من نور، وأنهم على صور حسنة جداً، وقد استقر عند الناس جمالهم؛ لذا قال النسوة لما رأين يوسف عليه السلام كما أخبر الله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف: ٣١].

---

(١) انظر: شرح أصول الإيمان للعثيمين ص: (٢٧).

(٢) لم ترد تسمية له، وإنما وصف بأنه ملك الجبال.انظر: صحيح البخاري برقم: (٣٢٣١) ٣٧٦/٦، ومسلم برقم: (٤٦٢٩) ٣٦٥/١٢.

وتفصيلاً: الإيمان بما علمنا من أوصاف بعضهم، قال تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٥- ٦]. فوصفه بأنه قوي، وأنه ذو مرة أي: ذو خلق عظيم ومنظر حسن، ورآه النبي ﷺ على صورته، وله ستمائة جناح[(١)].

ثانياً: تكريم الملائكة واحترامهم وحبهم:

فالله تعالى اختار الملائكة واصطفاهم وقرّبهم منه سبحانه، وبوأهم المكانة العليا لديه، ووصفهم سبحانه بصفات تقتضي احترامَهم وإكرامَهم وحبَّهم.

ومن ذلك أن الله تعالى وصفهم بالكرم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ﴾ [عبس: ١٦]. فوصفهم سبحانه بالكرم وبالبر وهما كثرة الخير.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١١] .

ولاشك أن هذه الصفة وهي الكرم وكثرة الخير تدعو إلى محبتهم وتعظيمهم.

وأخبر تعالى عن تكريمه تعالى لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

قال ابن كثير رحمه الله: " أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية"[(٢)].

قال السعدي رحمه الله:" وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربوبون مدبَّرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيّرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصّهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره"[(٣)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين برقم: (٣٢٣٢، ٣٢٣٤، ٣٢٣٥) ٦/٣٧٦-٣٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/٣٣٨.

(٣) تفسير السعدي ص: (٦٠٨).

ومَنْ كرّمه الله تعالى وأعلى منزلته فالواجب معرفة ذلك الفضل له واحترامه وتقديره وتعظيمه.

ووصَفَهم بأنهم مقربون منه تعالى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ [النساء: ١٧٢].

ومن الصفات التي تقتضي حبهم وإجلالهم: ما قاموا به من طاعة ربنا سبحانه وتعالى وتسبيحهم له الليل والنهار لايفترون، وتنفيذ أوامره وعدم عصيانها، ولاشك أن هذا يوجب محبتهم وإجلالهم، التي هي من الإيمان بهم الذي يجب على العبد . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

ووصفهم النبي ﷺ بالحياء: قال ﷺ عن عثمان رضي الله عنه: (**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**)[1]. والحياء صفة جليلة من أعظم الصفات الكريمة التي تزين من تحلى بها، وتستدعي محبتَه وإكرامَه.

ثالثاً: البعد عما يؤذي الملائكة: فالملائكة تتأذى من بعض الأشياء التي يتأذى منها الصالحون من البشر، ويتأذون مما يتأذى منه الناس من الروائح الكريهة.

فمن تكريمهم واحترامهم البعد عن كل مايؤذيهم.

---

(١) رواه مسلم برقم: (٦١٥٩) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٥/١٦٤-١٦٥ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ومما يؤذيهم ما يقع من بعض الناس من معصية الله تعالى، وهذا لكمال طاعتهم لله تعالى وغيرتهم على محارم الله تعالى، ومعرفتهم بقَدْرِ الله تعالى وعظمتِه.

وثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (**ثلاثة لاتقربهم الملائكة: الجنب**[١]، **والسكران، والمتضمخ بالخلوق**[٢])[٣].

كما تؤذيهم الروائح الكريهة كأكل الثوم والبصل وغيرها من ذوات الروائح الكريهة. وقُل مثلَ ذلك في الدخان الذي ابتلي به كثير من المسلمين؛ فإن رائحته أخبث وأشد إيذاءً من الثوم والبصل. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**من أكل من هذه البقلة: الثوم**) وقال مرة: (**من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**)[٤].

---

(١) قال الشيخ الألباني رحمه الله: " ولعل المراد به هنا: الذي يترك الاغتسال من الجنابة عادة فيكون أكثر أوقاته جنباً . وهذا يدل على قلة دينه وخبث باطنه كما قال ابن الأثير . وإلا فإنه قد صح أن النبي ﷺكان ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء". السلسلة الصحيحة ٤٢٠/٤ .

(٢) المتضمخ هو المتطلخ بالخلوق. انظر: النهاية ص: (٥٤٩)، والخلوق هو نوع من الطيب، قال ابن الأثير: " وهو طيب معروف مركّب، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. وقد ورد تارة بإباحته، وتارة بالنهي عنه، والنهي أكثر وأثبت. وإنما نَهى عنه لأنه من طيب النساء، وكن أكثر استعمالاً له منهم، والظاهر أن أحاديث النهي ناسخة". النهاية ص: (٢٨٢).

(٣) رواه البزار برقم: (٤٤٤٦) ٣٢١/١٠ من حديث بريدة رضي الله عنه، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٥٤٠٥) ٣١١/٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم: (١٨٠٤) ٤١٧/٤.

(٤) رواه البخاري برقم: (٨٥٤) كتاب الأذان، باب ماجاء في الثوم النيء والبصل ٤٣٧/٢-٤٣٨، ومسلم برقم: (١٢٥٤)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نَهي من أكل ثوماً ... عن حضور المسجد ٥٢/٥ .

ومما يؤذي الملائكة عليهم السلام: الصور واتخاذ الكلاب في البيوت:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (واعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده، وقال: **ما يخلف اللهُ وعدَه ولا رسلُه**، ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره، فقال: **يا عائشة متى دخل هذا الكلب هاهنا؟** فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأخرج، فجاء جبريل، فقال: رسول الله ﷺ: **واعدتني فجلست لك فلم تأت، فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك؛ إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة**)[1].

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة: كونها معصيةً فاحشةً: وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى. وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب: لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث[2]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره

---

(١) رواه مسلم برقم: (٥٤٧٨)كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ١٤/٣٠٧-٣٠٨ .

(٢) عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاتَه الحمارُ والمرأةُ والكلبُ الأسودُ**) قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: (**الكلب الأسود شيطان**) رواه مسلم برقم: (٥٤٧٨)كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي٤/٤٥٠ .

الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان"[١].

ومما يؤذي الملائكة تعليق الأجراس على الدواب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تصحبُ الملائكةُ رفقةً فيها كلب ولا جرس**)[٢].

قال النووي رحمه الله: " قيل سبب منافرة الملائكة له: أنه شبيه بالنواقيس، أو لأنه من المعاليق المنهي عنها، وقيل: سببه كراهة صوتها، وتؤيده رواية مزامير الشيطان"[٣]. وهذه الرواية التي أشار إليها النووي هي قول النبي ﷺ: (**الجرس مزامير الشيطان**)[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٤/٣٠٩-٣١٠ .

(٢) رواه مسلم برقم: (٥٥١٢)كتاب اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر ١٤/٣٢٠-٣٢١ .

(٣) شرح النووي على مسلم ١٤/٣٢١ .

(٤) رواه مسلم برقم: (٥٥١٤)كتاب اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر ١٤/٣٢١.

المطلب الثاني:

المخالفون في هذا الباب من أصحاب الغلو والجفاء

تقدم أن بَيَّنت بحمد الله حقيقةَ التعظيم الشرعي للملائكة عليهم السلام، وقد انحرف عن هذا الحق أناس كثير من المنتسبين للإسلام ومن غيرهم، وقد وقع بعضهم في الغلو في الملائكة عليهم السلام بينما وقع آخرون في تنقصهم والجفاء في حقهم.

وقد يقع من الطائفة الواحدة غلو في بعض الملائكة ويتنقصون غيره.

أولا: مشركوا العرب: فالمشركون الذين بعث فيهم النبي ﷺ وقعوا في الغلو في الملائكة عليهم السلام حيث تجاوزوا الحد في تعظيمهم وتقديرهم حتى وصل بهم الحال إلى الغلو فيهم فعبدوهم من دون الله، وصرفوا لهم خالص حق الله تعالى وهو العبادة، وسألوهم الشفاعة لقربهم من الله تعالى. وهذا تنقص منهم للرب تعالى حيث عبدوا معه غيره، كما أنهم تنقصوا الرب تعالى من جهة أخرى؛ حيث زعموا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " فالمشركون قبحهم الله جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، ثم ادعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم؛ فاقترفوا الجريمة العظمى في المقامات الثلاث "[(١)].

أما عبادتهم للملائكة فقد ذكرها الله تعالى في عدة آيات من القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلۡمَلَـٰۤىِٕكَةَ ٱلَّذِینَ هُمۡ عِبَـٰدُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ إِنَـٰثًاۚ أَشَهِدُوا۟ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَـٰدَتُهُمۡ وَیُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوۡ شَاۤءَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مَا عَبَدۡنَـٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَ ٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا یَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزخرف: ١٩ – ٢٠] .

(١) أضواء البيان ٥٩٣/٣، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٣٥/٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١] .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: " فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدهم يوم القيامة، ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم، وهم الصادقون البارون في ذلك"[(١)].

ويقول في تفسير هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: العابدين لغير اللّه والمعبودين من دونه، من الملائكة ﴿ ثُمَّ يَقُولُ ﴾ الله ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ على وجه التوبيخ لمن عبدهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ فتبرأوا من عبادتهم، و﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ ﴾ أي: تنزيهاً لك وتقديساً، أن يكون لك شريك أو ند ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾ فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم كيف نَصْلُحُ لأن نتخِذ من دونك أولياء وشركاء؟، ولكنْ هؤلاء المشركون ﴿ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ أي: الشياطين، يأمرون بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم بذلك"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ – ٥٧] .

روى ابن جرير بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ معشر العرب ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾"[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٤١٦).

(٢) المرجع السابق ص: (٨٠٠).

(٣) تفسير الطبري ١٥/١٢٢.

وروى بسنده أيضاً عن ابن زيد[(١)] قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال: الذين يدعون الملائكة، تبتغي إلى ربها الوسيلة ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ قال: وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين"[(٢)].

وعن مجاهد رحمه الله: ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ قال:" عيسى ابن مريم وعُزير والملائكة"[(٣)].

كما أن المشركين زعموا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا تنقص منهم للرب تعالى وكفر به، كما أنه تنقص للملائكة عليهم السلام فإن الأنثى أقل من الذكر وأضعف، والملائكة عليهم السلام لايجوز أن يوصفوا بذكورة ولا أنوثة.

وقد أنكر الله تعالى عليهم هذه المقالة أشد الإنكار في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وبين تعالى أن هذه المقالة لعظمة فحشها تكاد السموات أن تتفطر والأرض أن تتشقق من فظاعتها، وتكاد الجبال الصمّ أن تتفتت من قبحها ومن إساءة أصحابها في حق الرب تعالى؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥ ﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥] .

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، القرشي العدوي مولاهم، المدني، وهو ضعيف الحديث، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، وحدث عن: أبيه، وابن المنكدر، توفي سنة: (١٨٢هـ). انظر السير: ٣٤٩/٨، تقريب التهذيب ص: (٥٧٨).

(٢) تفسير الطبري ١٢٢/١٥.

(٣) تفسير الطبري ١٢٢/١٥، وانظر: التفسير الصحيح ٢٦٢/٣.

وقال تعالى منكراً على هؤلاء المشركين هذه المقالة الباطلة التي تتضمن التنقص العظيم لله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٠] .

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " ومعنى الآية: أفخصكم ربكم على وجه الخصوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ لنفسه أدونَهم وهي البنات، وهذا خلاف المعقول والعادة؛ فإن السادة لا يؤثرون عبيدهم بأجود الأشياء وأصفاها من الشَّوْب، ويتخذون لأنفسهم أردأَها وأدونَها، فلو كان جل وعلا متخذاً ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً لاتخذ أجود النصيبين ولم يتخذ أردأهما، ولم يصطفكم دون نفسه بأفضلهما.

وهذا الإنكار متوجه على الكفار في قولهم: الملائكة بنات الله. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، فقد جعلوا له الأولاد، ومع ذلك جعلوا له أضعفها وأردأها، وهو الإناث، وهم لا يرضونها لأنفسهم"[1].

وقال سبحانه :﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل: ٥٨] .

فإذا كان المشركون يكرهون البنات فلم يجعلونهن لله، ويجعلون الأفضل وهم الذكور لأنفسهم؟، فهذه قسمة جائرة، ولذا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النجم: ٢١ –٢٢].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[الصافات:١٤٩- ١٥٤].

---

(١) أضواء البيان ٥٩٢/٣- ٥٩٣.

فهم لم يحضروا ولم يشهدوا خلق الله تعالى للملائكة؛ فمن أين لهم هذا الادعاء الباطل؟ إن هو إلا إفك وكذب وتخرص باطل من نتاج عقولهم الفاسدة.

ثانياً: اليهود: أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن اليهود قد كفروا بمقدَّم الملائكة وأمين الوحي جبريل عليه السلام بمعاداتهم له، وهذا كفر منهم بالله ﷻ وملائكته جميعاً، ولاشك أن هذه العداوة مناقضة للإيمان بالملائكة، ومناقضة لما أمر به العباد من تعظيم الملائكة عليهم السلام واحترامهم؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨] .

قال ابن جرير الطبري عن الآية الأولى: " أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم "[(١)].

وقال عن قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾: " وهذا خبر من الله جل ثناؤه: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ ﴾ من عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله، وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله؛ لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله ولياً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته؛ لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له... "[(٢)،(٣)].

(١) تفسير الطبري ٤٩٦/١، وانظر: صحيح البخاري مع الفتح ٣٦٣/٦.

(٢) المرجع السابق ٥٠٥/١.

(٣) للتوسع في معرفة عقيدة اليهود في الملائكة يرجع لكتاب: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى... في الملائكة المقربين ص: (٢٧٩-٢٨٩).

وجاء في الحديث أنهم يعادون جبريل عليهم السلام لأنه كان ينزل عليهم بالعذاب، بينما يحبون ميكائيل عليه السلام لأنه ينزل بالقَطْر والرحمة والنبات .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا: اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، قَالَ: **(هَاتُوا)** ... وذكر الحديث وفيه: فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبكَ ؟ قَالَ: **(جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ)** ، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ** ﴾ [البقرة: ٩٧] إِلَى آخِرِ الآيَةَ)[1].

ومن تنقص اليهود للملائكة: نسبتهم للعب واللهو والعبث، وأن الملائكة ينزلون إلى الأنبياء وتلهو معهم وتصارعهم، فمما ذكروا أن ملكاً نزل من السماء فصارع يعقوبَ عليه السلام إلى طلوع الفجر[2].

ثالثاً: النصارى:

ضل النصارى عن الحق في الملائكة وكفروا بهم لما زادوا في تعظيم أحد الملائكة فوقعوا في الغلو في روح القدس، وهو جبريل عليه السلام فزعموا أنه إله، ولعل هذا في مقابلة اليهود وبغضهم له عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣** ﴾ [المائدة: ٧٣] .

---

(١) رواه أحمد برقم: (٢٤٨٣) ٤/٢٨٤- ٢٨٥. وقال محققه شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(٢) سفر التكوين ٣٢/٢٤-٢٩ .

وذكر تعالى أن هذا الذي وقع منهم هو من الغلو الذي حرمه سبحانه ونهاهم عنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ ﴾ [النساء: ١٧١- ١٧٢].

وهؤلاء الثلاثة هم: الله تعالى وتقدس وعيسى وجبريل عليهما السلام.

وهذا الذي حصل منهم من تأليه جبريل عليه السلام كفر بالله ﷻ وملائكته، وهو غلو منهم وادعاء باطل نفاه الله جل جلاله في آيات كثيرة، حيث بين تعالى أن جبريل عليه السلام من جملة الملائكة الذين هم عباد من عباد الله ليس لهم من الألوهية والربوبية نصيب، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم خائفون وَجِلُون من الله، وأنهم لن يستنكفوا ولن يستكبروا عن عبادة الله عز وجل، فهم عبيد لا يعبَدون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ – ٢٨] .

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ﴾ [النبأ: ٣٨] .

ونهاهم الله عز وجل عن دعواهم أن الآلهة ثلاثة، وهددهم على ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١] .

ودعواهم أن روح القدس عليه السلام إله ومعبود مناقض لما في شرعهم من النهي عن عبادة الملائكة(١).

كما أن النصارى " يعظمون ميكائيل عليه السلام تعظيماً يصل إلى حد الشرك، حيث يذبحون له الذبائح، ويقربون له النذور في يوم يسمونه عيد ميكائيل، وذلك ليشفع لهم عند الله تعالى "(٢).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعضَ من غلا في الأنبياء والصالحين وفي الملائكة أيضاً ومنهم النصارى، فقال: " وقسم... غلوا في الأنبياء والصالحين وفي الملائكة أيضاً: فجعلوهم وسائط في العبادة فعبدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى، وصوروا تماثيلهم، وعكفوا على قبورهم . وهذا كثير في النصارى ومن ضاهاهم من ضلال أهل القبلة؛ ولهذا ذكر الله هذا الصنف في القرآن في " آل عمران " وفي " براءة " في ضمن الكلام على النصارى وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩ -٨٠]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١] ... وهؤلاء قد يظنون أنهم إذا استشفعوا بهم شفعوا لهم، وأن من قصد معظَّماً من الملائكة والأنبياء فاستشفع به شفع له عند الله، كما يشفع خواص الملوك عندهم... "(٣).

---

(١) للتوسع في هذا الباب انظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى... في الملائكة المقربين ص: (٢٩٠-٣٠٢).

(٢) محاضرات في الإيمان بالملائكة لشيخنا أ.د. محمد أبو سيف حفظه الله ص: (١٦٤).

(٣)مجموع الفتاوى ٢٧/٢٨٣.

رابعاً: الصوفية:

يزعم بعض الصوفية أن الملائكة خلقوا لخدمتهم، وأنهم يدخلون عليهم في خلواتهم، ويجالسونهم ويلقون إليهم بالكلمات، ويحضرون مجالسهم، ويسألونهم الحاجات، ونحو ذلك من أباطيلهم والتي تعد من تنقص الملائكة وترك تعظيمهم، فلاتليق هذه الدعوى بالملائكة؛ لأنهم مشغولون بما خلقوا له من القيام بأوامر الله تعالى، وما أوكله إليهم من وظائف عظيمة.

يقول الغزالي:" وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة، فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب، ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة ... فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي المِلَك، فسألني أملي عليه شيئاً من ذِكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد، وقال: ما نكتب لك عملاً، ونحن نحب أن نصعد لك بعمل تتقرب به إلى الله عز وجل. فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى. قلت: فيكفيكما ذلك"[١].

ويقول:" ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النطق"[٢].

ويقول الشعراني[٣]:" وحكي أنه نزل يوماً حلقة الشيخ[٤] شبح من الجو، لا يدري الحاضرون ما هو، فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشبح إلى السماء، فسألوه عنه، فقال:

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٦.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص: (١٧٨).

(٣) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية، شافعي المذهب، من كبار المتصوفة، له مؤلفات كثيرة منها: الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة، درر الغوّاص، الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، توفي سنة: (٩٧٣ هـ). انظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي ٣/١٥٧- ١٥٨، الأعلام ٤/١٨٠- ١٨١.

(٤) يقصد عبد الرحيم المغربي القناوي، فالكلام في ترجمته وذكر أقواله وأحواله.

هذا ملك، وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه، فارتفع، وكان الشيخ إذا شاوره إنسان في شيء يقول: أمهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام، فيمهله ساعة، ثم يقول له: افعل أو لا تفعل على حسب ما يقول جبريل "[١].

ويقول أحدهم:"إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها"[٢].

ويقول آخر:" وهؤلاء الملائكة الذين يكونون موجودين في المدن يكونون على هيئة بني آدم، فمنهم من يلقاك في صورة خواجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقير، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير، وهم منغمسون في الناس، ولكنهم لا يشعرون "[٣].

وهذا كله من الكذب والضلال الصوفي المتضمن لتنقص للملائكة عليهم السلام، فالملائكة مشغولون بما خلقوا له من تنفيذ أوامر الله تعالى لايتنزلون على هؤلاء الكذبة الأفاكين، وإنما تتنزل عليهم الشياطين، ولم تقع مثل هذه الوقائع لسادات الأولياء والصالحين: الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسان، فدل ذلك على أن هذا إنما هو من تلاعب الشياطين بأولئك الصوفية.

خامساً:قول الفلاسفة:

يزعم الفلاسفة أن الملائكة هي قوى النفس الصالحة[٤]، وأنها لا أجسام لها، بل قوى عقلية يتخيلها النبي أجساماً محسوسة، وإلا فليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك أمور ذهنية، لا وجود لها في الأعيان[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٣٣.

(٢) نقله عن أحد مشايخ الصوفية: النفزي الرندي في كتابه: غيث المواهب ١/٢٦٢ كما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في كتابه: التصوف المنشأ والمصادر ص: (١٨٣).

(٣) الإبريز للدباغ ص: (١٦٤- ١٦٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٣٤٦، الملل والنحل٢/٥٧٦.

(٥) انظر: شرح الطحاوية ٢/٤٥٦.

الرد عليهم: زعمهم أن الملائكة مجرد صفات ونعوت للنفوس الصالحة، هو في الحقيقة إنكار لوجود الملائكة، كما أنه إنكار للكتب السماوية، بل نهاية قولهم ومؤداه أنه لا يوجد في السماء إله يعبد، وأن الله سبحانه وجودٌ مجرد لا ذات له.

وهذا في غاية الكفر والإلحاد، وهو مناقض تمام المناقضة لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة، وأنها أحياء ناطقة، قائمة بأنفسها ليست أعراضاً قائمة بغيرها، وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة، وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر"(١).

ثم ذكر شيخ الإسلام الآيات التي فيها الإخبار عن مجيء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام ثم ذهابهم إلى لوط عليهم السلام ثم قال:" فهذه القصة فيها إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون، منفصلون عن الآدميين، يخاطبونهم ويرونهم كما رأتهم سارة امرأة إبراهيم الخليل عليه السلام...ومن المعلوم أن القوة النفسانية التي تكون في نفس النبي وغير النبي لا يراها الحاضرون، ولا يكون منها مثل هذه الأحوال والأقوال والأفعال"(٢).

سادساً: من يصدر منهم استخفاف بالملائكة واستهزاء بهم وتنقص لهم:

الاستهزاء بالملائكة عليهم السلام والطعن فيهم كفر مخرج من الملة؛ لأن هذا خلاف الواجب في حقهم؛ فإن الواجب في حقهم هو الإيمان بهم واحترامهم وتعظيمهم، ومعلوم أن الاستهزاء والتنقص ينافي التعظيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨].

(١) الرسالة الصفدية ص: (٢٠٦).

(٢) الرسالة الصفدية ص: (٢٠٧-٢٠٨)، وانظر نفس المرجع ص: (٢٠٩)، بغية المرتاد ص: (٢٢٢- ٢٤٣).

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة: ٦٥ – ٦٦] .

قال ابن نجيم الحنفي رحمه الله في سياق ذكره لبعض المكفرات: " ويَكْفرُ... بعيبه ملكاً من الملائكة أو الاستخفاف به"[١].

وقال القاضي عياض[٢] رحمه الله: " قال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان[٣] في بعض أجوبته: من سب الله وملائكته قتل. وقال سحنون[٤]: من شتم مَلَكاً من الملائكة فعليه القتل. وفي النوادر عن مالك فيمن قال: إن جبريل أخطأ بالوحي، وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ونحوه عن سحنون، وهذا قول الغرابية من الروافض، سموا بذلك لقولهم: كان النبي ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب[٥]... وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين، أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة

(١) البحر الرائق ١٣١/٥ .

(٢) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، يكنى: أبا الفضل، عالم المغرب، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، صنف تصانيف مفيدة سارت بها الركبان، منها: " الشفا "، " ترتيب المدارك " إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم ".توفي سنة: (٥٤٤ هـ) انظر: السير ٢١٢/٢٠- ٢١٨.

(٣) هو القاضي سعيد بن سليمان الغافقي، كان مشهوراً بالعدل. انظر: تاريخ قضاة الأندلس ص: (٥٤).

(٤) هوالإمام العلامة، أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان التنوخي، الحمصي الأصل، القيرواني، المالكي، يلقب بسحنون، تولى القضاء بالقيروان، وهو صاحب المدونة المشهورة، كان موصوفاً بالعقل والديانة التامة والورع، مشهوراً بالجود والبذل، توفي سنة: (٢٤٠هـ). انظر: ترتيب المدارك ٤٥/٤- ٨٨، السير ٦٣/١٢- ٦٩.

(٥) انظر: الفرق بين الفرق ص: (٢٠١).

والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه، أو حققنا عليه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع، كجبريل، وميكائيل، ومالك، وخزنة الجنة، وجهنم، والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمى فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما. فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه، ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت...فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه؛ إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة، ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم، ويؤدب بقدر حال المقول فيهم..."[١].

وقال ابن حزم: " وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى، أو بملك من الملائكة، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام، أو بآية من القرآن، أو بفريضة من فرائض الدين؛ فهي كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر"[٢].

---

(١) الشفا للقاضي عياض ٢/٤٨٨ – ٤٨٩، وانظر: ألفاظ الكفر لابن حجر الهيتمي ص: (٢٢١، ٢٩١)، رسالة في ألفاظ الكفر للخاني ص: (٣٨٠)،(وهما ضمن الجامع لألفاظ الكفر، تحقيق: د. محمد الخميس).

(٢) الفصل في الملل والهواء والنحل ٢/٢٧٥.

المبحث الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم كتب الله عز وجل ووحيه

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد

الكتب في اللغة: جمع كتاب، والكَتْب هو جمع الشيء إلى الشيء، ومنه الكتيبة، سميت كتيبة لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، وسمي الكتاب بذلك لأنه يجمع حرفاً إلى حرف[(١)].

والمراد بالكتب هنا: الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله رحمة بالخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة[(٢)].

المطلب الأول:

تعظيم كتب الله عز وجل واحترامها وعدم إهانتها.

كتب الله تعالى هي كلامه المنزل على أنبيائه ورسله عليهم السلام، فالواجب هو احترامها وتعظيمها؛ فالكلام يعظَّم بعظَمِ قائله، فكيف إذا كان المتكلم هو الله سبحانه وتعالى خالق الخلق ومالك الملك ؟ .

وهذه الكتب أنزلها الله تعالى لتتحقق للبشرية السعادة في الدنيا والآخرة، ولتهديهم أقوم السبل، ولتعرفهم بمواقع رضا الله تعالى وسخطه، ولتعرفهم بحق الله تعالى عليهم، وهو عبادته وحده لا شريك له.

ويكون تعظيم كتب الله تعالى بأمور:

أولاً: الإيمان بكتب الله تعالى:

---

(١) انظر: معجم المقاييس ص: (٩١٧-٩١٨)، اللسان ١٧/١٣- ١٨.

(٢) شرح أصول الإيمان للعثيمين ص: (٣٠)، شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ص: (٩٤).

ومعنى الإيمان بالكتب: التصديق الجازم الذي لايعتريه شك بأن جميعها منزل من عند الله عز وجل على رسله عليهم السلام؛ ليبلغوها إلى عباد الله؛ ليصلوا بها إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وأن الله تكلم بها حقيقة، وأنها غير مخلوقة.

والإيمان بها يكون على الإجمال والتفصيل:

أما الإجمال: فيكون بأن نؤمن بأن لله تعالى كتباً كثيرة أنزلها على أنبيائه ورسله لا يعلم عددها وأسماءها إلا هو، فيها الهدى والنور؛ كما **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[الحديد: ٢٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٨٥] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[الشورى: ١٥]. فأخبر بأنه أنزل على رسله كتباً، وأمرنا بأن نؤمن بكل كتاب أنزله الله سواء أُخبرنا به أو لم نخبَر.

وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان، فقال ﷺ:(**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[(١)].

أما التفصيل: فيكون بأن نؤمن بكل الكتب المنزلة التي تُعرف أسماؤها وأحكامها وأخبارها على وجه التفصيل عن طريق القرآن والسنة الصحيحة؛ كما قد سمى الله لنا صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم الصلاة والسلام، وأمرنا أن

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

نؤمن بما أنزل عليهم[(١)]؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى:١٨- ١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء:١٦٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١ – ٤] .

وأمرنا بالإيمان بكل ما أنزل الله ﷻ إجمالاً فيما أُجمل، وتفصيلاً فيما فُصّل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦] .

ومن الإيمان بكتب الله تعالى: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

ومن الإيمان بها: العمل بما لم ينسخ منها والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/٤٧٥- ٤٧٦، معارج القبول ٢/٦٧٢-٦٧٥،الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص: (١٧٥)، أعلام السنة ص: (٨٠-٨١)، شرح أصول الإيمان للعثيمين ص: (٣٠ – ٣١)، شرح ثلاثة الأصول له ص: (٩٤ – ٩٥)، الإيمان بالكتب للحمد ص: (٦- ٧).

بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] . أي: حاكماً عليه(١).

ومن الإيمان بها تفصيلاً: الإيمان بهذا القرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، فإنه إيمان مفصل يكون باعتقاد أنه كلام الله منزل غير مخلوق، أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وأنه ناسخ للكتب السماوية قبله، وأنه لاسعادة ولافلاح لأحد إلا بالإيمان به والاهتداء بهديه، وتصديق أخباره، وكذلك باتباع ما جاء فيه، وتحكيمه في كل صغيرة وكبيرة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن: ٨].

ثانياً: وجوب احترام كتب الله تعالى وعدم إهانتها:

يجب احترام كتب الله تعالى المنزلة على أنبيائه ورسله وتعظيمها؛ لأنها كلام الله تعالى ووحيه المنزل على أنبيائه ورسله عليهم السلام، فمن الإيمان بالله تعالى وتعظيمه تعظيم كلامه وإجلاله، وإن من الكفر المناقض لما أمر الله تعالى به من الإيمان به وبكتبه إهانة كتبه والاستخفاف بها وجعلها مجالاً للاستهزاء واللعب أو الاحتقار، سواء كان باللفظ كأن يستهزئ بشيء مما اشتمل عليه كتاب الله، أو بالفعل كأن يحتقر المصحف بوضع القدم عليه أو بِرَكْله وركضه، أو بوضعه في النجاسات والقاذورات كل ذلك مما يضاد الإيمان بتلك الكتب.

---

(١) انظر: رسائل في العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص: (٢٣).

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٤ – ٦٦] .

فحكم الله تعالى بالكفر على من استهزأ وهزل بالرب تعالى ورسوله وآياته التي أنزلها، لأن هذه الأشياء محلها التعظيم، وحقها الإيمان بها. والهزل والسخرية ضد ذلك، فحكم عليهم بالكفر بذلك الاستهزاء بعد أن كانوا مؤمنين.

قال القاضي عياض رحمه الله:" واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو سبَّهما، أو جحده، أو حرفاً منه أو آية، أو كذّب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] ... وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة، أو كفر بها، أو لعنها، أو سبها، أو استخف بها فهو كافر"[١].

ويقول الإمام النووي رحمه الله: "أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق، وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد حرفًا مجمعًا عليه، أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر"[٢].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فلا خلاف بين من يعتقد الإسلام في وجوب احترام المصاحف، وإكرامها وإجلالها، وتنزيهها، وفي العمل بقول النبي ﷺ: (**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**)[٣] "[٤].

---

(١) الشفا ٢/٤٩٠.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص: (١٥١).

(٣) رواه البخاري برقم: (٢٩٩٠) كتاب الجهاد، باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو، ٦/١٦١، ورواه مسلم برقم: (٤٨١٦) كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار ١٣/١٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) التسعينية ٢/٤٤٠.

وقال بدر الرشيد الحنفي[١]: " من استخف بالقرآن، أو بالمسجد، أو بنحوه مما يعظم في الشرع كفر، ومن وضع رجله على المصحف حالفاً استخفافاً كفر... أو عاب شيئاً من القرآن "[٢].

فلايجوز الاستخفاف بالمصحف، ولا إهانته، ولاتدنيسه، ومن فعل ذلك فقد كفر، كما أنه لايجوز الاستخفاف ولا السخرية بكتب الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه ورسله عليهم السلام كالتوراة والإنجيل، لأنها كلام الله تعالى.

أما الموجود بين يدي اليهود والنصارى اليوم مما يسمونه التوراة والإنجيل فإنه لايجوز تدنيسها بوضع القدم عليها، أو رميها في المزابل ونحو ذلك لاشتمالها على اسم الله تعالى وذكره، ولأنه لايؤمَن من وجود شيء مما أنزله الله تعالى لازال باقياً فيها، فمن هنا لايجوز تدنيس تلك النسخ ولا إهانتها، أما إذا كان الشخص يبين ما حدث للتوراة والإنجيل من التحريف والتبديل والتغيير، وما حدث لهما من انقطاع السند، أو يبين ما اشتملت عليه النسخ التي بين أيديهم اليوم مما فيه إساءة للرب تعالى ورسله، فإن هذا مشروع وحق، ولايتناول مافيها من الحق.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل لعن اليهود، ولعن دينهم، وسب التوراة: فهل يجوز لمسلم أن يسب كتابهم أم لا ؟.

فأجاب: " الحمد لله، ليس لأحد أن يلعن التوراة؛ بل من أطلق لعن التوراة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل . وإن كان ممن يعرف أنها منزلة من عند الله وأنه يجب الإيمان

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن محمود بن محمد، المعروف ببدر الرشيد، فقيه حنفي، له رسالة في ألفاظ الكفر، توفي سنة: (٧٦٨ هـ). انظر: الأعلام ٣٧/٦، معجم المؤلفين ٦٢/٩، وانظر: مقدمة المحقق لرسالة في ألفاظ الكفر ص: (١٣).

(٢) رسالة في ألفاظ الكفر ص: (٢٩).

بها: فهذا يقتل بشتمه لها؛ ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء . وأما إن لعن دين اليهود الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سب التوراة التي عندهم بما يبين أن قصده ذكر تحريفها، مثل أن يقال: نسخ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر ؛ فهذا الكلام ونحوه حق لا شيء على قائله . والله أعلم"(١).

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٢٠٠.

المطلب الثاني:

تعظيم القرآن الكريم .

يجب على كل مسلم أن يعظم هذا القرآن العظيم؛ لأنه كلام الله تعالى الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ، وهو حظنا من الكتب، وهو مصدر هدايتنا، ومصدر عزنا إن تمسكنا به، وهو المنظم لشؤونا وتعاملاتنا، وهو الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهو الذي لايصلح حال البشرية ولايجلب لها السعادة إلا هو.

فيه نبأ من قبلنا، وخبر مابعدنا، وفصل مابيننا، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو خاتمة الكتب الإلهية، وهو أعظمها، وهو الذي تكفل الله تعالى بحفظه بنفسه المقدسة؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩] . فهو محفوظ عن التحريف والزيادة والنقصان،﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢].

أما الكتب الإلهية قبله فإن الله تعالى وَكَل حفظها إلى من أنزلت عليهم، واستودعهم إياها، فنسوا حظاً منها، وحرَّف كثيرٌ منهم تلك الكتب، وزادوا ونقصوا.

وقد عظّم الله تعالى هذا القرآن ووصفه بأنه روح تحيا به القلوب؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ [الشورى: ٥٢] .

ووصفه بأنه موعظة للقلوب وشفاء لها وهداية ورحمة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ [يونس: ٥٧].

ووصفه بأنه نور؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ ﴾ [المائدة: ١٥].

ووصفه بالبركة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ ﴾ [الأنعام: ٩٢] .

وبالكرم وهو كثرة الخير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧] .

وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨ ﴾ [الإسراء: ٨٨] . وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هود: ١٣]. وتحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٣ ﴾ [البقرة: ٢٣].

ويكون تعظيم القرآن الكريم بأمور منها:

أولاً: اعتقاد أنه كلام الله تعالى سُوَرُه وآياتُه وكلماتُه، منزل غير مخلوق، تكلم الله تعالى به على الحقيقة، فسمعه جبريل عليه السلام، ثم نزل به على رسولنا محمد ﷺ، فوظيفة جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام أداؤه وتبليغه، وأنه لايماثل شيئاً من كلام الخلق، وأنه أحسن الكلام وأفضله، وأن فضله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، فلاشك أن هذا الاعتقاد تعظيم لكتاب الله تعالى بإضافته إلى الرب تعالى على أنه المتكلم به، والكلام يعظم بعظم قائله، ولا أحد أعظم من الرب تعالى ولا أجل ولا أكبر ولا أشرف منه سبحانه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦ ﴾ [التوبة: ٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ١٩٥ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ١٩٥].

وتوعد الله بسقر من زعم أنه من كلام البشر؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٦].

وأما من قالوا: إنه مخلوق، وإن المتكلم به جبريل عليه السلام أو غيره عبَّر به عن المعنى القائم بذات الله ؛ فإن هذا أنتج إضعاف تعظيم القرآن في نفوس الناس، حتى قد ذكر عن بعض هؤلاء إهانة المصحف، لماّ ألقى إليهم أئمتُهم أن هذا ليس هو كلام الله تعالى، ولا يفعل هذا إلا أهل الجفاء والغلو والزندقة[١].

ثانياً: النصيحة له، والنصيحة لكتاب الله تعالى تشمل أموراً كثيرة واجبة ومستحبة تجاه كتاب الله تعالى، ولذا جعل النبي ﷺ الدين هو النصيحة، ثم ذكر أن النصيحة تكون لأشياء، وأحد هذه الأشياء التي تجب لها النصيحة هوكتاب الله تعالى؛ فعن تميم الداري[٢] رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[٣].

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ١٦٠/٤ نشر مكتبة الخانجي، التسعينية لشيخ الإسلام ٤٣٩/٢– ٤٤٠، مختصر الصواعق لابن القيم ١٣٨٢/٤– ١٣٨٧، أقاويل الثقات لمرعي الكرمي ص: (٢٢٣).

(٢) هو تميم بن أوس بن حارثة، وقيل: خارجة، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، يكنى أبا رقية بابنة له لم يولد له غيرها.كان نصرانياً فأسلم سنة: (٩هـ)، وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال، فحدّث النبي ﷺ عنه بذلك على المنبر، وعدّ ذلك من مناقبه، كان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان رضي الله عنه، كان عابداً، كثير التلاوة للقرآن. توفي سنة: (٤٠ هـ) انظر: الاستيعاب ص: (١٢٧)، الإصابة ٢٠٧/١، السير ٤٤٢/٢– ٤٤٨، الوافي بالوفيات ٢٥٢/١٠.

(٣) رواه مسلم برقم: (١٩٤) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ٢٢٥/٢.

قال النووي رحمه الله في بيان معنى النصيحة لكتاب الله تعالى: "وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى: فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته"(١).

وقال ابن رجب رحمه الله: "وأما النصيحة لكتاب الله فشدة حبه، وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما يفهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه، فكذلك الناصح لكتاب ربه، يعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ربنا ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويديم دراسته بالمحبة له، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه"(٢).

فمن تعظيم كتاب الله تعالى: العناية به حفظاً وفهماً، وتعليماً، وبيان منزلته وغرس تعظيمه في نفوس المسلمين عامة والناشئة منهم خاصة.

ومن تعظيمه: التحاكم إليه حين الخصومات، والرد إليه حين المنازعات، وتقويم الأخلاق والسلوك على ضوئه.

ومن تعظيمه أيضاً: بيان إعجازه في ألفاظه وأسلوبه ونظمه، وفي بلاغته وفصاحته، وأنه قد بلغ الغاية في هذا المضمار، وأنه لايقدر أحد من الخلق مهما أوتي من الفصاحة والبيان أن يأتي بمثله، بل لو اجتمع الخلق جميعاً أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم على أن يأتوا بمثله أو بسورة مثله ما استطاعوا، فقد تحدى الله تعالى كفار العرب الذين بلغوا شأواً عظيماً في

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢/٢٢٦، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص: (١٥١).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٢٢١.

الفصاحة أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة فلم يفعلوا ولن يفعلوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هود: ١٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] .

قال القاضي عياض:" فلم يزل يقرعهم ﷺ أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ[1]، ويسفّه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والإغراء بالافتراء، وقولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر: ٢٤] ، و﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر: ٢] و﴿ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤] ، و﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٥].

والمباهتة والرضى بالدنيئة كقولهم: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة: ٨٨] ، و﴿ فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت: ٥] و﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦] .

والإدعاء مع العجز بقولهم: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١] .

وقد قال لهم الله ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٤] فما فعلوا ولا قدروا. ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة[2] كشف عواره جميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح

---

(١) أي بالقرآن الكريم.

(٢) هو مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وهو الذي ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، وأرسل للنبي ﷺ كتاباً فرد عليه بكتاب وذلك في سنة عشر للهجرة، ثم قتل في حروب الردة في آخر سنة: =

كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[النحل: ٩٠] الآية قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر[١]. وذكر أبو عبيد[٢] أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ:﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[الحجر: ٩٤] فسجد، وقال: سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ [يوسف: ٨٠] ، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام ..."[٣].

وقد ذكر الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره أن أصحاب أحد الفلاسفة قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة، ثم خرج، فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلّل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا[٤].

كما أنه من تعظيم القرآن الكريم في نفوس الناس: بيان ما احتوى عليه من الإعجاز العلمي، الذي كشف عنه العلم الحديث، ويكون بيان الإعجاز من غير تمحلٍ ولَيٍ لأعناق

(١١هـ) أو أول التي بعدها. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/٥٩٩- ٦٠١، البداية والنهاية ٦/٣٢٣- ٣٢٦ ط: دار الفكر.

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٢٣٢، البداية والنهاية ٣/٦١ ط: دار الفكر.

(٢) هو الإمام الحافظ، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. من أئمة الاجتهاد، وكان صاحب سنة واتباع ودين وسيرة جميلة وفضل، ولي القضاء، وصنف التصانيف التي سارت بها الركبان، في القراءات والفقه والعربية والأخبار وغيرها، منها كتاب الأموال، وغريب الحديث، توفي سنة: (٢٢٤هـ)، انظر: السير ١٠/٤٩٠ – ٥٠٩، الوافي بالوفيات ٢٤/٩١- ٩٣.

(٣) الشفا ١/١٧٥- ١٧٦.

(٤) فتح القدير للشوكاني ص: (٤٣٨) تفسير أول سورة المائدة.

النصوص، بل بما نطق به القرآن الكريم صراحة أو أشار إليه، وأن تكون تلك الحقائق العلمية ثابتة ثبوتاً قطعياً لا افتراضياً، وهذا النوع موجود في القرآن الكريم وبكثرة، وفي كل يوم يتبين هذا الإعجاز في القرآن الكريم، ويهدي الله به من شاء له الهداية، ويزيد الله به أهل الإيمان إيماناً؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت: ٥٣] .

ثالثاً: الذب والدفاع عنه:

إن القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للشريعة الإسلامية يتعرض لهجمات شرسة من أعداء الإسلام، من مستشرقين ومنصِّرين ومن غيرهم، وهدفهم من وراء ذلك هو صرف الناس عن النظر والتأمل في هذا القرآن الكريم الذي يأسر القلوب والأرواح عند قراءته والنظر فيه، ومن ثَمَّ يريدون إيقاف زحف الإسلام على المجتمعات الإنسانية المعاصرة، كما يهدفون إلى إضعاف الإسلام في نفوس أبنائه، بتشكيكهم في مصدر هدايتهم، ألا وهو كتاب ربهم، لاحقق الله لهم مايريدون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة:٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٧ –٩].

فواجب على المسلمين الدفاع عن كتاب الله تعالى، وردُّ الشبه التي يلقيها هؤلاء المنصِّرون والمستشرقون حول كتاب الله تعالى؛ فإن في الدفاع عن كتاب الله تعالى وذب الشبه عنه تعظيماً له في نفوس المسلمين وترسيخاً للإيمان في قلوبهم، كما أن في ذلك دعوة

لغير المسلمين الذين قد يقفون على تلك الشبه، فيظنون أن هذا هو حقيقة القرآن، وأن تلك الإيرادات والشبه صحيحة(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: " النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله...والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين"(٢).

رابعاً: ومن تعظيم القرآن الكريم: التأدب عند قراءته واستماعه:

والآداب التي يجب أو يستحب للمسلم أن يتحلى بها عند تلاوة القرآن الكريم كثيرة، وقد أفردها أهل العلم بالتصنيف(٣)، ومن تلك الآداب التي يشرع للمسلم أن يتأدب بها عند تلاوة القرآن أو استماعه:

- **الإنصات عند سماع القرآن:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] .

قال ابن كثير رحمه الله:" أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته **إعظامًا له واحترامًا** "(٤).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب اللّه يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات.

والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

(١) انظر للتوسع في هذا الموضوع: الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص: (١٢٨- ٢٥٥)، مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم ص: (٢٧٥ – ٣١٧)، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية ص: (٥١٢ – ٥٦٧)، وهي بحوث ضمن بحوث مقدمة لندوة عناية المملكة بالقرآن الكريم وعلومه .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص: (١٥١).

(٣) انظر على سبيل المثال: أخلاق حملة القرآن للإمام الآجري، التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي، وهما كتابان بديعان في بابهما.

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣٦/٣.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه، ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتابُ اللّه، فإنه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات..."[(١)].

- **العمل بالقرآن:** فيجب على المسلم أن يعمل بهذا القرآن، وأن ينفذ أوامر الله تعالى فيه، بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، والوقوف عند حدوده؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

- **تدبر آيات القرآن الكريم:** بمعنى أن يتأمل المسلم في آيات القرآن الكريم، ويمعن النظر فيها، وأن يتفهم معانيها؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

قال السعدي رحمه الله:" يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك؛ فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير، وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

---

(١) تفسير السعدي ص: (٣٥٦).

وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد علماً وعملاً وبصيرةً، لذلك أمر الله بذلك، وحث عليه، وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدِّق بعضُه بعضاً، ويوافق بعضُه بعضاً. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] "[١].

- **أن لا يمس المصحف إلا طاهر**: فلا يمس المصحف من كان محدثاً حدثاً أكبر حتى يغتسل، وكذا الحائض والنفساء، ولايمسه من كان محدثاً حدثاً أصغر حتى يتوضأ على الأرجح[٢]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الواقعة: ٧٩] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " **هذا مسوق لبيان شرف القرآن وعلوه وحفظه**، وذلك بالأمر الذي قد ثبت واستقر أبلغ منه بما يحدث ويكون، نعم الوجه في هذا والله أعلم: أن القرآن الذي في اللوح المحفوظ هو القرآن الذي في المصحف، كما أن الذي في هذا المصحف هو الذي في هذا المصحف بعينه، سواء كان المحل ورقاً أو أديماً أو حجراً أو لخافاً، فإذا كان من حكم الكتاب الذي في السماء أن لا يمسه إلا المطهرون، وجب أن

---

(١) تفسير السعدي ص: (٢٠٥).

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٣٤١/٦ – ٣٤٢، شرح العمدة ٣٨٤/١، الفروع لابن مفلح ٢٤١/١.

يكون الكتاب الذي في الأرض كذلك؛ لأن حرمته كحرمته. أو يكون الكتاب اسم جنس يعم كل ما فيه القرآن، سواء كان في السماء أو الأرض"[(١)].

وفي الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم[(٢)] **(أن لايمس القرآن إلا طاهر)**[(٣)].

- **ومن آداب تلاوة القرآن الدالة على تعظيمه:** الإخلاص لله تعالى في تعلم القرآن وتعليمه، والاستعاذة والبسملة عند التلاوة، والسواك، والترتيل وعدم العجلة، وتحسين الصوت بالقراءة، واتصال القراءة وعدم قطعها... وغير ذلك من الآداب الكثيرة التي شرعت من أجل تعظيم كلام الله تعالى والتأدب معه[(٤)].

---

(١) شرح العمدة ١/٣٨٤.

(٢) هو الصحابي عمرو بن حزم بن زيد الخزرجي، يكنى أبا الضحاك، أول مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله ﷺ على نجران، ليفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر، وكتب له كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات، مات بالمدينة سنة: (٥١)، وقيل: (٥٣هـ)، وقيل: إنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة، وذكر ابن حجر ما يقوي أنه مات بعد الخمسين. انظر: الاستيعاب ص: (٥٦٦- ٥٦٧)، الإصابة ٢/١٣٢٤.

(٣) رواه مالك في الموطأ برقم: (٦٨٠) ٢/٢٧٨. قال ابن عبد البر عن كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم: كتاب مشهور، عند أهل العلم معروف، يستغنى بشهرته عن الإسناد. التمهيد ٦/٣٤١، وصححه الألباني في الإرواء برقم: (١٢٢) كما صححه الإمام أحمد والإمام إسحاق بن راهويه، ذكره الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء ١/١٥٨- ١٦١ .

(٤) انظر: أخلاق حملة القرآن للإمام الآجري ص: (٧٧- ١٧٠)، التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي ص: (٧٨ – ١٥٠)، مقدمة تفسير القرطبي ١/٦٠- ٦٦ باب مايلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته، الآداب للشلهوب ص: (١٠-٣٨).

خامساً: البعد عن كل ما يخدش تعظيم القرآن الكريم:

ومما يخدش تعظيم القرآن الكريم:

تلحينه بما يشبه تلحين أهل الغناء ومقامات الموسيقى :

فلاشك أن هذا يخدش تعظيم كتاب الله تعالى، وأن كتاب الله سبحانه يجب أن ينزه عن أن يتلى على أوزان تلك المقامات الموسيقية أو بما يشبه ألحان المغنين والمطربين.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: " المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك..."[١].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "وكلٌّ من له علم بأحوال السلف، يعلم قطعاً أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى للّه من أن يقرؤوا بها، ويُسوّغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسِّنون أصواتَهم بالقرآن، ويقرؤونه بِشجىً تارة، وبِطَرَبٍ تارة، وبِشوْق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه..."[٢].

ومما يخدش تعظيم المصاحف:

مد الرجلين تجاه المصحف :

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله سؤالاً نصه: توضع المصاحف في المساجد على حوامل، فبعض الناس يجلس ويمد رجليه، وقد تصادف أن تكون إلى جهة هذه الحوامل، وتكون قريبة منها، أو تحتها، فإذا كان الجالس لا يقصد إهانة المصحف، فهل يلزمه كفّ

---

(١) تفسير ابن كثير٦٤/١، وانظر: تفسير القرطبي ٦٣/١، التبيان في آداب حملة القرآن ص: (١٠٩-١١١)، الآداب للشلهوب ص: (٢٥-٢٦).

(٢) زاد المعاد ٤٧٤/١.

رجليه عن هذه المصاحف ؟ أو يغير مكان المصاحف ؟ وهل ننكر على من فعل ذلك؟
فأجاب:

" لا شك أن تعظيم كتاب الله عز وجل من كمال الإيمان، وكمال تعظيم الإنسان لربه تبارك وتعالى . ومد الرجل إلى المصحف أو إلى الحوامل التي فيها المصاحف أو الجلوس على كرسي أو ماصة (طاولة) تحتها مصحف ينافي كمال التعظيم لكلام الله عز وجل، ولهذا قال أهل العلم: إنه يكره للإنسان أن يمد رجله إلى المصحف ؛ هذا مع سلامة النية والقصد، أما لو أراد الإنسان إهانة كلام الله فإنه كفر ؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى. وإذا رأيتم أحداً قد مد رجليه إلى المصحف سواء كان على حامل أو على الأرض، أو رأيتم أحداً جالساً على شيء وتحته مصحف فأزيلوا المصحف عن أمام رجليه، أو عن الكرسي الذي هو جالس عليه، أو قولوا له: لا تمد رجليك إلى المصحف، احترم كلام الله عز وجل . والدليل: ما ذكرتُه من أن ذلك ينافي كمال التعظيم لكلام الله، ولهذا لو أن رجلا محترماً عندك أمامك ما استطعت أن تمد رجليك إليه تعظيماً له، فكتاب الله أولى بالتعظيم "[١].

ومما يخدش تعظيم كتاب الله تعالى:

عدم احترام الأوراق والصحف والكتب التي فيها شيء من القرآن الكريم:

وهذا أمر شاع بين بعض المسلمين، وهو عدم احترام الأوراق التي فيها ذكر الله تعالى، وربما اشتملت تلك الأوراق على آيات من القرآن الكريم أو على أحاديث نبوية، فيلقون تلك الأوراق أو تلك الكتب في الطرقات العامة تحركها الرياح في كل مكان، وربما تركوها في مواطئ أقدام الناس، وربما جلس بعضهم عليها، أو أكل عليها طعامه وجعلها سفرة له. فهذا كله من الأمور المحرمة التي يجب على المسلم أن يحذر منها أشد الحذر، وأن يعظم العبد ربه سبحانه وما فيه اسم الرب تعالى وذكره، وأن يعظم كلامه عز وجل وأن يحترم ما كتب فيه كلامه .

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٣/.

يقول الإمام ابن باز رحمه الله:"ولقد عمت بلادَ المسلمين المنشوراتُ والصحفُ والمجلات، وكثيراً ما تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها، لكن قسماً كبيراً من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها، فتجمع مع القمائم وتوطأ بالأقدام، بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم:﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[الواقعة: ٧٧ - ٨٠]، والآية دليل على أنه لا يجوز مس القرآن إلا إذا كان المسلم على طهارة كما هو رأي الجمهور من أهل العلم، وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله: **(أن لا يمس القرآن إلا طاهر)** ... فإذا كان هذا في مس القرآن العزيز، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن العزيز سُفْرةً لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات؟، لا شك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين.

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها، مما فيه آيات قرآنية، أو أحاديث نبوية، أو كلام فيه ذكر الله أو بعض أسمائه سبحانه، فيحفظها في مكان طاهر، وإذا استغنى عنها دفنها في أرض طاهرة أو أحرقها، ولا يجوز التساهل في ذلك حيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر، وقد يقع في المحذور جهلاً منه بالحكم"[(١)].

ومن تعظيم المصحف: عدم تصغيره؛ لأن هذا يوهم النقص والازدراء له[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله ١٣٣/٢– ١٣٤، وانظر: ٣٤٧/٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٦٣/١، إعلام الموقعين ١٧٩/٣، معجم المناهي اللفظية ص: (٥١٢).

ومن تعظيم المصحف: أن لايوزن به في البيع والشراء، وأن لايتوسد، ولايعتمد ولايتكى عليه، ولايرمى عند المناولة؛ وأن لايُتخطَّى، لأن ذلك ابتذال له، وأن يكون له موضع يصونه فلا يكون ممتهناً[١].

ومن تعظيم المصحف: أن لايمكّن الكافر من مس المصحف وتملُّكِه؛ لأن الكافر نجس، ولأنه متدين بانتهاكه وإزالة حرمته[٢].

ومن تعظيم المصحف: أنه إذا بَلِيَ فإنه يدفن أو يحرق تعظيماً له عن الإهانة[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٦٣/١، التبيان للنووي ص: (١٧٤)، الفروع لابن مفلح ٢٤٥/١، فتح الباري لابن حجر ٧٤٦/١، كشاف القناع ٢٠٦/١.

(٢) انظر: التبيان للنووي ص: (١٧٤)، فتح الباري لابن حجر ١٦٢/٦، كشاف القناع ٢٠٦/١.

(٣) انظر: الفروع لابن مفلح ٢٤٥/١، كشاف القناع ٢٠٨/١.

المطلب الثالث:

المخالفون في تعظيم الكتب السماوية

المخالفون في تعظيم الكتب السماوية طوائف كثيرة، ومنهم:

أولاً: الذين جحدوا وكذّبوا كتب الله تعالى أو شيئاً منها:

الجحد والتكذيب لكتب الله تعالى أو لشيء منها كفر أكبر مناف للواجب تجاه هذه الكتب الإلهية، وهو الإيمان بها وتعظيمها، فجحدها ونفيها انتقاص لها، كما أنه انتقاص للرب تعالى الذي أنزلها؛ لأنه نفي لحكمته تعالى، وزعمٌ بأنه ترك عباده هملاً، وسوء ظن به تعالى، كما أنه قد يتضمن إنكار أن يكون الله تعالى متكلماً، فهو تنقص لله تعالى؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " هذا تشنيع على من نفى الرسالة، من اليهود والمشركين، وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قَدَر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملاً لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي قدح في الله أعظم من هذا؟.

﴿ قُلْ ﴾ لهم ملزماً بفساد قولهم، وقرّرْهم، بما به يقرون: ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾، وهو التوراة العظيمة ﴿ نُورًا ﴾ في ظلمات الجهل﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة، وهادياً إلى الصراط المستقيم علماً وعملاً، وهو الكتاب الذي شاع وذاع، وملأ ذكرُه القلوبَ والأسماعَ. حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك أخفوه وكتموه، وذلك كثير"[(١)].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٢٩٤).

والواجب على العبد أن يؤمن بكل ما أنزل الله تعالى، وأن لايفرِّق بينه فيؤمن ببعضه ويكفر بعضه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وجاء في القرآن الكريم كثيراً التهديد والوعيد لمن كفروا بآيات الله تعالى وكذّبوا بها، كمثل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٩] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٧] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] .

فالجحد والتكذيب لكتب الله تعالى جملة، أو جحد شيء منها ولو آية واحدة كفر أكبر.

قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله: "وقد أجمع المسلمون أن من سب الله ﷻ أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبياً من أنبياء الله تعالى أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله"(١).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: " ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمناً حتى يصير كافراً إلا أن يجحد شيئاً مما أنزله الله تعالى، أو يزيد في كلام الله أو ينقص، أو ينكر شيئاً مما قال الله، أو شيئاً مما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٢).

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٣٤٣/٥.

(٢) شرح السنة ص: (١٠٢)، وانظر: " الشفا للقاضي عياض ٤٤١/٢-٤٤٢، ٤٧٦، ٤٧٩ - ٤٨٠، ٤٩٠ - ٤٩١.

ونقل الإمام النووي رحمه الله عن بعض العلماء قولَه: " من جحد جواز بعثة الرسل، أو أنكر نبوة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أو كذَّبه، أو جحد آية من القرآن مجمعاً عليها، أو زاد في القرآن كلمة واعتقد أنها منه، أو سب نبياً، أو استخف به، أو استحل محرماً بالإجماع كالخمر والزنا واللواط، أو حرم حلالاً بالإجماع، أو نفى وجوب مُجْمَعٍ على وجوبه كركعة من الصلوات الخمس، أو اعتقد وجوب ما ليس بواجب بالإجماع كصلاة سادسة وصوم شوال، أو نسب عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة، أو ادعى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم أو صدَّق مدعياً لها، أو عظَّم صنماً بالسجود له أو التقرب إليه بالذبح باسمه فكل هذا كفر"[(١)].

الذين وقع منهم التكذيب لكتب الله تعالى:

وقع هذا النوع من الكفر من أمم كثيرة، في مختلف العصور، فكل قوم كذبوا رسولهم كان تكذيبهم له فيما جاء به من عند الله.

مثل ما وقع من قوم نوح عليه السلام؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأعراف: ٦٤] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[يونس: ٧٣].

وما وقع من قوم هود عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[هود: ٥٩].

وكذلك ما وقع من قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام من الكفر بالله وبآياته وتكذيب رسله فيما جاءوا به من عند الله.

---

(١) روضة الطالبين ١٠/٦٤- ٦٥، انظر: الإعلام بقواطع الإسلام ص: (٢٠٤ – ٢٠٨)، رسالة في ألفاظ الكفر للخاني ص: (٣٨٩).

كما وقع في هذا النوع من الكفر مشركوا العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وكذلك حصل إنكار كتاب الله تعالى من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة النبي ﷺ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل عليه كتاباً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ٩١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

وكذلك متأخروا الفلاسفة فإنهم ينكرون أن يكون الله تعالى أنزل كتاباً إلى الناس.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر اعتقادهم في الله تعالى وملائكته:" وأما الكتب: فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئاً ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام. ومن تقرب منهم إلى المسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني، وتشكلت في نفسه بحيث توهمها أصواتاً تخاطبه، وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالاً نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين فيرونها، ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج "(١).

(١) إغاثة اللهفان ٢/٢٦٢.

ومن حصل منهم إنكار الكتب: الباطنية:

فالباطنية وإن كانوا يتظاهرون بالإسلام إلا أن كفرهم من أعظم أنواع الكفر، لذا قال فيهم العلماء ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض(١)، وعقيدتهم في الكتب السماوية هو الكفر بها وإنكارها وتكذيبها، وخاصة القرآن الكريم فهم يحاربونه ويحاربون أهله أشد المحاربة. يقول أحدهم وهو عبيد الله القيرواني(٢) في رسالة إلى سليمان بن الحسن المعروف بأبي سعيد الجنابي(٣):" إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير؛ فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم.

وقال أيضاً في رسالته: وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم، كعيسى بن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى، ثم رفعها بتحريم الأحد بدلاً من السبت، وأباح العمل في السبت، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها، ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته. ثم قال له: ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: ﴿ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] لما لم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة، ولما لم يجد المحقق

(١) انظر: فضائح الباطنية للغزالي ص: (٣٧- ٥٤)، مجموع الفتاوى ١٥٢/٣٥.

(٢) هو عبيد الله أبو محمد، وقيل: لم يكن اسمه عبيد الله، بل إنما هو سعيد بن أحمد، وقيل: سعيد بن الحسين. أول من قام من الخلفاء العبيدية الباطنية الذين قلبوا الإسلام، وأعلنوا بالرفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعاة، يستغوون الجهلة، وادعى أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، توفي سنة: (٣٢٢ هـ). انظر: وفيات الأعيان ١١٧/٣- ١١٩، السير ١٤١/١٥- ١٥١.

(٣) هو سليمان بن حسن بن بهرام القرمطي، ظهر بالبحرين سنة: (٢٨٦)، وصار معه عسكر كبير، ونهبوا وفعلوا القبائح، وتزندقوا. قتله غلام له سنة: (٣٠١ هـ). انظر: وفيات الأعيان ٣٣٦/٤، السير ٤٧٠/١٣، الوافي بالوفيات ٣١٤/١١.

في زمانه عنده برهاناً قال له: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي ﴾ [الشعراء: ٢٩] ، وقال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤] ؛ لأنه كان صاحب الزمان في وقته"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن إحدى فرق الباطنية، وهم النصيرية:" هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ؛ بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم ؛ فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ؛ يدعون أنها علم الباطن ... وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين ؛ لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى، ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا بشيء من كتب الله المنزلة ؛ لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن . ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خَلَقَه ؛ ولا بأن له ديناً أَمَرَ به، ولا أن له داراً يجزي الناسَ فيها على أعمالهم غير هذه الدار..."[(٢)].

ثانياً: المُحرِّفون لكلام الله تعالى: لفظاً أو معنى:

فمن أعظم التنقص لكتب الله تعالى وإهانتها واحتقارها: التعرض لها بالتحريف، سواء كان التحريف لها في ألفاظها بالزيادة والنقص التي تغير الكلام عن وجهه، أويكون التحريف لها بإبقاء الألفاظ على ماهي عليه مع ذكر معانٍ لها تخرجها عن حقائقها، إرادةً للتدليل على معتقد فاسد يريد صاحبه إضفاء الشرعية عليه، وتزيينَه للناس.

---

(١) الفرق بين الفرق ص: (٢٣٨- ٢٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/١٤٩- ١٥٢.

ولا شك أن هذا جناية على النصوص واحتقار لها ينافي التعظيم الواجب لها، كما أنه حيلولة بين الخلق وبين الاستفادة من نصوص الكتاب الذي أنزله الله هداية للناس.

وممن وقع منهم التحريف لكلام الله تعالى:

أولاً: اليهود: فاليهود هم أول من أُثر عنهم تحريف كلام الله تعالى، فهم قد حرفوا التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، فهم سلف المحرفين وشيوخهم، يقول ابن القيم رحمه الله: " والتحريف العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود؛ فهم الراسخون فيهما، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة، وما غُلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم. ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين؛ فإنه جاء فوجد باباً مفتوحاً وطريقاً مسلوكة، ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب، أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها، وإن كان الملحد قد وسع باباً هم فتحوه، وطريقاً هم اشتقوه..."[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ ﴾ [النساء: ٤٦] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ ﴾ [المائدة: ١٣] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا

(١) الصواعق المرسلة ١/٤٤٥.

غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨ ــ ٥٩] .

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة يُغفر لكم خطاياكم فبدّلوا، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة**)[١].

قال ابن كثير رحمه الله:" وحاصل ما ذكره المفسرون، وما دل عليه السياق: أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأُمِروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأُمروا أن يقولوا: حِطّة، أي: احطط عنا ذنوبنا، فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسَه وعذابَه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته"[٢].

فهذا من جملة تحريفهم لأمر الله تعالى ووحيه الذي يدل على عدم تعظيمهم لكلام الله تعالى ووحيه وأمره ونهيه.

ثانياً: النصارى: والنصارى أيضاً وقعوا في تحريف كلام الله تعالى، حيث حرفوا الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام، فزادوا فيه ونقصوا، وأخرجوا الكلام عن وجهه؛ فلهذا أدخلوا في ديانتهم أشياءَ كثيرةً تخالف ما كان يدعو إليه المسيح عليه السلام، بل وتخالف ما دعا إليه إخوانُه من الأنبياء والرسل عليهم السلام من عبادة الله تعالى وحده وإفراده بالربوبية وترك الغلو في البشر، وذلك مثل ما اعتقده النصارى من التثليث[٣]، والصلب والفداء[١]، وغير ذلك مما هو معروف من عقائدهم الباطلة.

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٦٤١) كتاب التفسير، باب﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾[الأعراف: ١٦١] ٨/٣٨٥، ومسلم برقم: (٧٤٩٣) كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة ١٨/٣٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٧٧.

(٣) يفسر مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس ص: (٢٣٤) التثليث بأنه: إله واحد، الأب، والابن، والروح القدس إله واحد، جوهر (ذات) واحد متساوين في القدرة والمجد.

=

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وكذلك النصارى كانوا بدّلوا دين المسيح قبل أن يبعث محمد ﷺ، فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الإنجيل أشياء لم يبعث بها المسيح عليه السلام، بل تخالف ما بعث به، وافترقوا في ذلك فرقاً متعددة، وكفَّر فيها بعضهم بعضاً..."[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً؛ وذلك أنهم حرَّفوا التوراة والإنجيل، وألحقوا بكتاب الله ما ليس منه"[٣].

ويقولون: " الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله ... شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى .. التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً، بل أبدي وحقيقي .. التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد ... الشخصيات الثلاث متساوون" قاموس الكتاب المقدس ص: (٢٣٢)، وانظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند للأعظمي ص: (٤٨٨-٤٩١)، دراسات في اليهودية والنصرانية لشيخنا أ.د. سعود الخلف ص: (٢٧٠-٢٧٦).

(١) المراد بعقيدة الصلب والفداء عند النصارى: أن المسيح عليه السلام صُلِب فداءً للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام التي أغضبت الله تعالى عليهم، وهي أكله من الشجرة التي نهي عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه. انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية ص: (٣٠٤).

(٢) الجواب الصحيح ٢٢١/١.

(٣) تفسير البغوي ٥٩/٢، اللباب في علوم الكتاب ٣٤٤/٥.

ثالثاً: الفلاسفة المنتسبون للإسلام:

الفلاسفة المنتسبون للإسلام جعلوا لنصوص القرآن الكريم ظاهراً وباطناً فالظاهر هو للعوام، أما الباطن والمعاني المرادة في نفس الأمر فهم أهلها، ولو خاض فيها العوام لكانت كفراً في حقهم.

يقول الغزالي: "لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلاً "[١].

ويقول ابن رشد الحفيد[٢] في مسألة المعاد والبعث للأجساد هل هي مما يجب تأويله أم لا: " هذه المسألة الأمر فيها بين أنها من الصنف المختلف فيه، وذلك إنا نرى قوماً ينسبون أنفسهم إلى البرهان يقولون: إن الواجب حملها على ظاهرها، إذ كأن ليس ههنا برهان يؤدي إلى استحالة الظاهر فيها. وهذه طريقة الأشعرية، وقوم آخرون أيضا ممن يتعاطى البرهان، يتأولونها...

ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذوراً، والمصيب مشكوراً أو مأجوراً، وذلك إذا اعترف بالوجود وتأول فيها نحواً من أنحاء التأويل، أعنى في صفة المعاد لا في وجوده، إذا كان التأويل لا يؤدي إلى نفي الوجود. وإنما كان جحد الوجود في هذه كفراً لأنه في أصل من أصول الشريعة،...وأما من كان من غير أهل العلم، فالواجب عليه حملها على ظاهرها وتأويلها في حقه كفر، لأنه يؤدي إلى الكفر. ولذلك ما نرى أن من كان من الناس فرضه الإيمان بالظاهر فالتأويل في حقه كفر، لأنه يؤدي إلى الكفر. فمن أفشاه له من أهل التأويل فقد دعاه إلى الكفر، والداعي إلى الكفر كافر"[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين ١٥٢/١.

(٢) هو العلامة الفيلسوف محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، أبو الوليد (الحفيد) ولي القضاء بقرطبة، وكان فقيهاً فيلسوفاً، وله معرفة بالطب، كثير التأليف، ومن تصانيفه: بداية المجتهد، مناهج الأدلة، تهافت التهافت وغيرها. توفي سنة: (٥٩٥هـ). انظر: السير ٣٠٧/٢١-٣١٠ .

(٣) فصل المقال لابن رشد ص: (٢٨).

وأيضاً: فإنهم جعلوا ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من ذكر صفات الله تعالى وأحوال البعث واليوم الآخر إنما تخييلات وأمثال لاحقيقة لها في الواقع، ولكن جاءت بها النصوص لأن أمور العامة لاتستقيم إلا بهذا[(١)].

يقول أحدهم وهو ابن سينا: " النفوس إذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة، ولم يكن لهم معنى جاذب إلى الجهة التي فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة، ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة، بل جميع هيئاتهم النفسانية متوجهة نحو الأسفل، منجذبة إلى الأجسام، ولا بد لها من تخيل؛ ولا بد للتخيل من أجسام.

قال: فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة، فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من أحوال القبر والبعث والخيرات الأخروية.

وتكون الأنفس الرديئة أيضاً تشاهد العقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه، فإن الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية، بل تزداد تأثيراً كما تشاهد في المنام، وهذه هي السعادة والشقاوة بالقياس إلى الأنفس الخسيسة .

وأما الأنفس المقدسة فإنها تبعد عن مثل هذه الأحوال، وتتصل لكمالها بالذات، وتنغمس في اللذة الحقيقية، ولو كان بقي فيها أثر من ذلك: اعتقادي أو خلقي تأذت به، وتخلفت عن درجة عليين إلى أن ينفسخ عنها "[(٢)].

---

(١) انظر: الفتوى الحموية ص: (٢٧٧- ٢٨٠)، درء تعارض العقل والنقل١/٧٥-٧٧ (ط دار الفضيلة)، مختصر الصواعق لابن القيم ١/٣٠٢-٣٠٣، ٤/١٣٠٥، شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٨٠٠-٨٠١ .

(٢) نقله عنه الشهرستاني في الملل والنحل ٢/٥٤١-٥٤٢.

رابعاً: الباطنية: فالباطنية حرفوا كتاب الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ في معانيه، حيث زعموا أن للنصوص ظاهراً وباطناً، ومقصودهم من ذلك هو إبطال الشريعة المحمدية.

وإنما سموا باطنية لقولهم بأن النصوص لها ظاهر وباطن، يقول الغزالي:" الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن و الأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر و الأغلال "(١).

ويقول: "إنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها، واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني الشرع، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالاة، وأنهم لو صرحوا بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين.

ونحن نحكي من تأويلاتهم نبذة لنستدل بها على مخازيهم.

فقد قالوا: كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن. أما الشرعيات: فمعنى الجنابة عندهم: مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه، ومعنى الغسل: تجديد العهد على فعل ذلك ... الطهور: هو التبري والتنظف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الإمام.

الصيام: هو الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: هي النبي، والباب علي.

الصفا: هو النبي، والمروة: علي، والميقات: هو الأساس، والتلبية: إجابة الداعي، والطواف بالبيت سبعاً: هو الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة، والصلوات الخمس: أدلة على الأصول الأربعة..."(٢).

---

(١) فضائح الباطنية ص: (١١) .

(٢) فضائح الباطنية ص: (٥٥- ٥٦). وانظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ٦٥٢/٢- ٦٩٢ .

ومن أمثلة تحريفهم لمعاني كلام الله تعالى:

قالوا عن قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١ ﴾ [الجمعة: ١] .

قالوا: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ هي الحجج، و ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ الدعاة، و﴿ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ أمير المؤمنين.

وعن قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٩ ﴾ [الجمعة: ٩] .

الصلاة هي الإمام، والسعي إليها: السؤال عن العلم[(١)].

ويفسرون قول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢ ﴾ [يس: ١٢]. بأنه علي رضي الله عنه .

ويفسرون قول الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ ﴾ [المسد: ١] . بأنهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقبّح اللهُ الباطنية.

ويفسرون قول الله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٢] بأنهم طلحة والزبير رضي الله عنهما.

ويفسرون قول الله تعالى: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ ﴾ [الإسراء: ٦٠] بأنهم بنو أمية[(٢)].

---

(١) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ٢/٥٨٤ - ٥٨٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/٢٣٧-٢٣٨.

رابعاً: الصوفية:

الصوفية أيضاً لما لم يجدوا في النصوص من الكتاب والسنة ما ينصر بدعَهم ويوافق ضلالاتِهم حرّفوا كتابَ الله تعالى بتحريف معانيه حتى تنطلي بدعتُهم على من لاعلم عنده؛ فقالوا بتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، ويقولون: إن الظاهر هو للعوام، أما الباطن فهو للعارفين من الصوفية، وربما سموا هذا بالحقيقة والشريعة، يعنون بالحقيقة علم الباطن، وبالشريعة علم الظاهر.

ويسمون أهل الظاهر أهل الرسوم، بينما يسمون أنفسهم أهل الحقائق.

يقول عنهم ابن الجوزي رحمه الله: " وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله؛ لأن الشريعة كلها حقائق... وقال ابن عقيل(١): جعلت الصوفيةُ الشريعةَ اسماً، وقالوا: المراد منها الحقيقة. قال: وهذا قبيح، لأن الشريعة وَضَعها الحقُّ لمصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع"(٢).

ومن تحريفات الصوفية لآيات كتاب الله تعالى وتفسيرهم لها بما يخالف ظاهرها، مما هو من الإلحاد في آيات الله يتفوهون به نصرة لمذهبهم الباطل، ما قاله ابن عربي ذلك الضال الذي يعظمه الصوفية، ومن تحريفه للآيات قوله: " ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ ﴾ [نوح: ٢٥] فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله، وهو الحيرة. ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ في عين الماء في المحمديين ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد،

---

(١) هو الإمام العلامة علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري، المقرىء، الفقيه، الأصولي، الواعظ، المتكلم، أبو الوفاء، كان صاحب عبادة وسخاء وكرم، وكان مهاباً، ونُقم عليه تردده إلى بعض المبتدعة، وتأويله لبعض الصفات. ويعد من المكثرين من التأليف، ومن أعظمها كتاب الفنون، توفي سنة: (٥١٣ هـ) ذيل طبقات الحنابلة ٣١٦/١-٣٥٧.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص: (٢٨٧) .

فلو أخرجهم إلى السيف - سيف الطبيعة — لنزل بهم عن هذه الدرجة الرفيعة، وإن كان الكل لله، وبالله، بل هو الله . ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح: ٢٦] الذين استغشوا ثيابهم وجعلوا أصابعهم في آذانهم طلبا للستر؛ لأنه دعاهم ليغفر لهم، والغفر الستر﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ﴾ [نوح: ٢٧] أي تدعهم وتتركهم ﴿ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ ﴾ أي يحيروهم، ويخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية، فينظروا أنفسهم أرباباً بعدما كانوا عند أنفسهم عبيداً، فهم العبيد الأرباب ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ ﴾ أي ما ينتجون ولا يظهرون ﴿ إِلَّا فَاجِرًا ﴾ أي مظهراً ما ستر ﴿ كَفَّارًا ﴾ أي ساتراً ما ظهر بعد ظهوره، فيظهرون ما ستر، ثم يسترونه بعد ظهوره، فيحار الناظر، ولا يعرف قصد الفاجر في فجوره، ولا الكافر في كفره، والشخص واحد ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي ﴾ [نوح: ٢٨] أي: استرني واستر مراحلي، فيجهل مقامي وقدري، كما جهل قدرك في قولك:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] .﴿ وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ أي: من كنت نتيجة عنهما، وهما العقل والطبيعة ﴿ وَلِمَن دَخَلَ ﴾ أي: قلبي ﴿ مُؤْمِنًا ﴾ مصدقاً بما يكون فيه من الأخبار الإلهية، وهو ما حدثت به أنفسها ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من العقول ﴿ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾من النفوس ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من الظلمات أهل الغيب المكتنفين داخل الحجب الظلمانية ﴿ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ أي: هلاكاً، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم"[1] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد نقل هذا الكلام: "وهذا كله: من أقبح تبديل كلام الله وتحريفه"[2].

---

(١) الفصوص لابن عربي ١/٧٣- ٧٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢/١٩٩- ٢٠٠ .

خامساً: الرافضة الاثنا عشرية:

الرافضة الاثنا عشرية: طعنوا في كتاب الله تعالى، وزعموا أنه زِيد فيه ونقص، وذلك انتصاراً لعقائدهم الباطلة، فلما لم يجدوا في كتاب الله تعالى مايعضد مذهبهم الباطل ونحلتهم الفاسدة زعموا بأنه قد طاله التحريف والزيادة والنقصان. والنصوص عن أئمتهم في هذا كثيرة جداً[(١)]. ولأحد شيوخهم وهو حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ) كتاب سماه: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ذكر فيه ما يزيد على (١٦٠٠) رواية عن شيوخهم في إثبابت تحريف القرآن، ثم قال:" واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية"[(٢)].

ووقعوا أيضاً في تحريف كتاب الله تعالى، تحريفاً لفظياً ومعنوياً.

ومن الأمثلة على التحريف اللفظي:

تحريفهم لقول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾** [البقرة: ٢٣] .

حرفوها فقالوا قبحهم الله: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله"[(٣)].

وقالوا في قول الله تعالى:**﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾** [البقرة: ٩٠] .

كذبوا على الله فقالوا: إن جبريل نزل بها هكذا: " بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغياً..."[(٤)].

---

(١) انظر: كتاب الشيعة والقرآن للشيخ العلامة إحسان إلهي ظهير رحمه الله من ص: (٣٥) إلى آخر الكتاب فقد أجاد وأفاد، وانظر: عقائد الشيعة الاثني عشرية للشثري ص: (٣٩- ٦٠).

(٢) فصل الخطاب ص: (٢٤٩).

(٣) أصول الكافي ٣١٥/١.

(٤) أصول الكافي ٤١٧/١.

وقالوا في قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١].

زعموا زورا وبهتاناً وكفراً بآيات الله أنها هكذا: " ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً"[(١)].

ولاشك أن هذا القول من أقوال الرافضة هو من الأقوال الكفرية تضاف إلى ماعندهم من الأقوال الكفرية الأخرى، والله تعالى قد حفظ كتابه الكريم من الزيادة والنقصان، فلو أن أحداً زاد فيه حرفاً واحداً لأنكر عليه المسلمون صغاراً وكباراً؛ لأن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله تعالى له، وهو محفوظ في الصدور وفي السطور، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يونس: ٣٧] .

قال الإمام البيهقي[(٢)] رحمه الله: "فمن أجاز أن يتمكن أحد من زيادة شيء في القرآن أو نقصانه منه أو تحريفه فقد كذّب اللهَ في خبره، و أجاز الخلف فيه؛ و ذلك كفر.

وأيضاً: فإن ذلك لو كان ممكناً لم يكن أحد من المسلمين على ثقة من دينه و يقين مما هو متمسك به؛ لأنه كان لا يأمن أن يكون فيما كُتم من القرآن أوضاع بنسخ شيء مما هو ثابت من الأحكام أو تبديله بغيره "[(٣)].

---

(١) أصول الكافي ٣١٢/١.

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، من أئمة الشافعية، له مؤلفات كثيرة منها: السنن الكبرى، الأسماء والصفات، البعث، دلائل النبوة، شعب الإيمان. توفي سنة: (٤٥٨ هـ) . انظر: السير ١٦٣/١٨- ١٧٠.

(٣) الجامع لشعب الإيمان ٣٣٧/١.

وقال الإمام القرطبي[١] رحمه الله: " لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة، أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ معجزة له ... وأنه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطرار سوره وآياته، مبرأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بِحَدٍّ، ولا في حصره بِعَدٍّ. فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه فقد أبطل الإجماع، وبهت الناس، ورَدَّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، ورد قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ، وأبطل آية رسوله عليه السلام؛ لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدوراً عليه حين شِيبَ بالباطل، ولماّ قدر عليه لم يكن حجةً ولا آيةً، وخرج عن أن يكون معجزاً، فالقائل بأن القرآن فيه زيادة ونقصان رادٌّ لكتاب الله ولما جاء به الرسول... "[٢].

ومن الأمثلة على التحريف المعنوي لآيات القرآن الكريم عند الرافضة:

قال بعضهم عن قول الله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرحمن: ١٩] قال: علي وفاطمة. ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٠] النبي ﷺ وآله. ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٢] الحسن والحسين[٣].

---

(١) هو الإمام الفقيه المحدث المفسر، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح (بإسكان الراء والحاء المهملة)، أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، كان صالحاً ورعاً زاهداً مشتغلاً بالعلم، ومن أهم تآليفه تفسيره المعروف بـ: الجامع في أحكام القرآن، والتذكرة وغيرها، توفي سنة: (٦٧١ هـ). انظر: الوافي بالوفيات ٢/٨٧، الديباج المذهب ٢/٣٠٨- ٣٠٩.

(٢) تفسير القرطبي ١/١١٦.

(٣) ذكره الرافضي ابن المطهر في كتابه منهاج الكرامة ورد عليه شيخ الإسلام في كتابه العظيم منهاج السنة النبوية ٧/٢٤٥- ٢٥٠ .

وقال أحدهم:" سألت أبا جعفر[١] عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ ﴾ [التغابن: ٨] . فقال: النور والله الأئمة من آل محمد ﷺ إلى يوم القيامة..."[٢].

سادساً: أهل الكلام:

أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وقعوا في تحريف معاني كلام الله تعالى، وهذا كثير جداً. فإنهم تعرضوا لنصوص الكتاب العزيز الواردة في صفات الله تعالى بالتحريف الذي يسمونه التأويل.

فمثلاً: أولوا الاستواء بالاستيلاء، فيقولون: معنى استوى على العرش: استولى على العرش، أي: قهره وغلبه. وهذا قول الجهمية والمعتزلة والخوارج[٣]، وهو قول كثير من متأخري الأشاعرة[٤].

---

(١) هو الإمام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي، الفاطمي، المدني، شُهر بالباقر، من: بقر العلم، أي: شقّه، فعرف أصله وخفيه، وكان إماماً مجتهداً، وعلى طريقة السلف، روى عن النبي ﷺ وعلي ﷺ، والحسن، والحسين رضي الله عنهما مرسلاً. وروى عن: ابن عمر، وجابر، وأبي سعيد، وأبيه، وطائفة، وليس مكثراً من الرواية، وله مسائل وفتاوى، كان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد والشرف، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الإمامية، وتقول بعصمتهم. توفي سنة: (١١٤ هـ). انظر: السير ٤٠١/٤-٤٠٩.

(٢) أصول الكافي ١٣٩/١.

(٣) انظر: الإبانة للأشعري ص: (١٢٠)، مقالات الإسلاميين له ٢٣٧/١، رسالة إلى أهل الثغر له ص: (٢٤٢ - ٢٤٣)، مختصر الصواعق المرسلة ٩٠٨/٣.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص: (٢٢٦ -) ٢٢٧، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص: (٣٨)، قواعد العقائد له ص: (١٦٥ - ١٦٧)، الإرشاد للجويني ص: (٤٠- ٤١)، أساس التقديس =

وكقولهم في تفسير صفة الوجه لله تعالى الواردة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل: ٢٠] .

فقال بعضهم: لفظ الوجه زائد والتقدير: (ويبقى ربك) في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، وهو قول المعتزلة(١).

وقال بعضهم: الوجه بمعنى الذات، وهذا القول هو قول الطائفة الأولى لكن اختلف التعبير عنه، وهو قول بعض الأشاعرة(٢).

وقال بعضهم: الوجه بمعنى الثواب والجزاء(٣).

وقال بعضهم: الوجه بمعنى الجهة التي يراد بها التقرب إلى الله تعالى، يقال: فعلت ذلك لوجه الله تعالى معناه: لجهة امتثال أمر الله(٤).

وكتأويلهم لصفة اليدين لله تعالى الواردة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥] . فإنهم حرفوا

للرازي ص: (١١٦)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص: (١٠٤ – ١٠٥)، ونقله البيهقي في الأسماء والصفات ٣٠٩/٢.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ٤٤٥/٤، مقالات الإسلاميين ٢٦٦/١،٢٤٨.

(٢) كما قال البغدادي في أصول الدين ص: (١٢٩)، وقال الجويني: فالأظهر حمل الوجه على الوجود. الإرشاد ص: (١٥٧).

(٣) حكاه الدارمي في نقضه على بشر المريسي ص: (٤١٧- ٤٣٧) وردَّ عليه. وانظر: مختصر الصواعق ٩٩٢/٣.

(٤) الإرشاد للجويني ص: (١٥٧).

معناها فقالوا: هي بمعنى النعمة. وهذا قول الجهمية والمعتزلة والأشاعرة(١). وقال بعضهم: هي بمعنى القدرة(٢).

وهذه التحريفات في الألفاظ أو في المعاني التي صدرت من الباطنية والرافضة وأهل الكلام وغيرهم تجاه القرآن الكريم لاتقدح في حفظ الله تعالى له؛ لأنها تحريفات مستهجنة، تلفظها العقول، وتنبو عنها الأسماع، ويضحك منها الصغار قبل الكبار، ولاتسعفها النصوص المتكاثرة التي يعضد بعضها بعضاً، ويصدّق بعضها بعضاً، بل إن في النصوص جميعاً ما يبطلها، بل يكون في غالب الأحوال في ذات النص الذي حرفوه مايبطل ذلك التحريف الذي زعموه.

قال القرطبي رحمه الله معلّقاً على قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩]:" أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه، وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه، على كثرة من سعى في تغييره، فأطفأ الله نوره، لا سيما القرامطة؛ فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم، واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم، ولم يزل كذلك دأبهم ودأب غيرهم من أعداء الدين وعتاة الملحدين، ويأبى الله إلا أن تعلى كلمته وتظهر شريعته"(٣).

وهذا من حفظ الله تعالى لكتابه الكريم، فإن الحفظ ليس قاصراً على حفظ الحروف، بل هو شامل لحفظ المعاني أيضاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فبيَّن (يقصد النبي ﷺ) ما أنزل الله لفظَه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقاً ظاهراً مما توارثته الأمة عن نبيها، كما توارثت

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة ص: (٢٢٨)، مقالات الإسلاميين ١/٢٤٥، ٢٤٨.

(٢) ممن قال به: عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة ص: (٢٢٨)، الجويني في الإرشاد ص: (١٥٥).

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي ١/٣٤١ .

عنه ألفاظ القرآن، فلم يكن ولله الحمد فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرّف مبدّل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني؟.

فإنَّ نقلَها والاتفاقَ عليها أظهرُ منه في الألفاظ، فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه مما نقلوه عن نبيهم، لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنى..."(١).

ثالثاً: من ينفون عن الله تعالى صفة الكلام:

نفي صفة الكلام عن الله تعالى معناه أنه ليس للرب تعالى كتاب أنزله إلى خلقه، فهو نفي للكتب السماوية وجحد لها، وهذا فيه التنقص للرب تعالى، فإن مؤدى نفي صفة الكلام عن الله تعالى تشبيهه بالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر. وهذه صفة نقص ينزه الله تعالى عنها. وقد كان من دلائل عدم استحقاق آلهة المشركين للعبادة أنها لاتتكلم، قال الله تعالى عن عجل بني إسرائيل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ﴾[الأعراف: ١٤٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه: ٨٩] .

فنفي رجع القول ونفي صفة الكلام هي من النقص الذي يدل على عدم استحقاق العجل للعبادة.

كما أن نفي صفة الكلام عن الله تعالى فيه التنقص لكتب الله، إذ هو نفي لوجودها، وإنكار لنزولها من الله تعالى.

وقبل أن أشير إلى مذاهب الناس الباطلة في كلام الله تعالى أود أن أبين معتقد أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى.

---

(١) الجواب الصحيح ١٢/٢ ط: دار الفضيلة.

معتقد أهل السنة في كلام الله تعالى:

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الكلام المعين قديماً، وهو يتكلم بصوت يسمع وبحروف، وكلامه وصوته ليس ككلام المخلوقين وأصواتهم، وكلماته تعالى لا حصر ولا نهاية لها، ومن كلامه الكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام، وكلامه صفة من صفاته تعالى غير مخلوق، وكلامه سبحانه يتفاضل، ويتعاقب، ويتلو بعضه بعضاً، وهذا القول هو القول الصحيح، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، والأدلة عليه كثيرة ولله الحمد(١).

أقوال المخالفين في صفة الكلام لله تعالى:

كثرت الأقوال في هذه المسألة حتى بلغت تسعة أقوال، وهي:

أولاً: أن كل كلام في الوجود هو كلام الله تعالى نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأضداد ذلك كله عين كلام الله تعالى القائم به، وهو قول أهل وحدة الوجود؛ كما قال عارفهم:

ألا كل قول في الوجود كلامه　　سواء علينا نثره ونظامه

يعم به أسماع كل مكون　　فمنه إليه بدؤه وختامه(٢).

ولاشك أن جعل الكلام القبيح من الكفر والفحش والسحر وغير ذلك من كلام الله تعالى هو من أعظم التنقص والعيب لله تعالى، ونسبة الشر إليه، مما يدل على بطلان هذا القول.

---

(١) انظر: المختار في أصول السنة ص: (٥١-٦٠)، منهاج السنة ٣٦٢/٢، ٣٦٣، ٢٥١/٢ - ٢٥٧ ، مجموع الفتاوى ٣٧/١٢- ٤١، مختصر الصواعق المرسلة ١٢٧٣/٣- ١٣٠٢/٤، ١٣١٤-١٣١٦،شرح الطحاوية٢٥٦/١، الصفات الإلهية ص: (٢٥٦ -٢٦٠)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع ص: (٧٩ - ٨١).

(٢) الفتوحات المكية ١٤١/٤ هكذا البيتان فيه .

ثانياً: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره. وهذا قول الصابئة[١]، والمتفلسفة[٢].

وهذا القول فيه نسبة النقص لله تعالى حيث يجعل كلامَه تعالى مجرد خيالات وتوهمات تخطر على بال الشخص، ثم يزعم ذلك الشخص أنها من كلام الله تعالى.

---

(١) الصابئة: قال عنهم ابن القيم: "هذه أمة كبيرة من الأمم الكبار، وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢] ...وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل، وهم أهل دعوته، وكانوا بحران فهي دار الصابئة، وكانوا قسمين: صائبة حنفاء، وصابئة مشركين، والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم... ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة، ويتخذون لها أصناما تخصها، ويقربون لها القرابين، ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين. وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة، ويعظمون مكة، ويرون الحج إليها، ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرمه المسلمون... وأصل دين هؤلاء فيما زعموا: أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً؛ ولهذا سموا صابئة أي: خارجين، فقد خرجوا عن تقيدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا ما رأوه فيه من الحق..." إغاثة اللهفان ٢/٢٤٩- ٢٥١. وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: (٩٠)،الملل والنحل للشهرستاني ٢/٣٠٥- ٣٦٨. ولهم وجود إلى اليوم في العراق وإيران على ضفاف الأنهار.انظر: الصابئة تأليف: غضبان رومي الصابئ، تاريخ الصابئة المندائيين لمحمد حمادة.

(٢) المتفلسفة أو الفلاسفة نسبة للفلسفة، وهي باليونانية محبة الحكمة، واصطلاحاً عرفت بتعريفات منها: دراسة المبادئ الأولى، وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً.المعجم الوسيط٢/٧٠٠. والمتفلسفة هم الذين سلكوا هذا المسلك في النظر للأشياء.

ثالثاً: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه. وهذا قول المعتزلة.

وهذا القول فيه تشبيه لكلام الله تعالى بكلام المخلوقين؛ حيث يجعلون الكل مخلوقاً، وتشبيه الله تعالى بخلقه تنقص لكلام الله ﷻ ينافي التعظيم الواجب له تعالى.

رابعاً: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، ليس بحرف ولاصوت وهذا قول ابن كلاب[1] ومن وافقه، كالأشعري وغيره.

وهذا القول من أبطل الأقوال؛ فكل الناس يعلمون أنما في القرآن الكريم ليس هو معنى ما في التوراة والإنجيل فكيف يكون معنى واحداً؟، وهذا القرآن الذي بين أيدينا معانيه مختلفة ليست معنى واحداً.

كما أن في هذا القول ادعاءاً بأن كلام الله تعالى نفسي قائم بالذات، فكيف سمعه جبريل عليه السلام؟ وكيف سمعه موسى عليه السلام؟ فمؤدى قولكم نفي ذلك وقد أثبته الله تعالى في كتابه؟.

خامساً: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل. وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وهذا القول فيه نسبة النقص لله تعالى حيث تكلم في الأزل، ولايتكلم متى شاء.

سادساً: أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً. وهذا قول الكرامية[2] وغيرهم.

---

(١) ابن كُلاّب: هو عبد الله بن سعيد القطان، المعروف بابن كُلَّاب، من أئمة المتكلمين، له تصانيف في الرد على المعتزلة، قيل: سمي كلاباً لأنه يجر الخصم إلى نفسه ببلاغته، وهو أقرب المتكلمين للسنة، كان موجوداً قبل الأربعين ومائتين للهجرة . انظر: الفهرست لابن النديم ص: (٢٥٥ – ٢٥٦)، السير ١١/١٧٤- ١٧٦.

(٢) الكرامية: هم أصحاب محمد بن كرّام، وهم طوائف عدة، مخالفون للسلف في أمور كثيرة من الاعتقاد، وقد عرفوا بالزهد، وأكثرهم في خراسان. انظر: مقالات الإسلاميين ١/٢٢٣، الملل والنحل١/١٢٤ – ١٣١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: (٦٧).

وهذا القول أيضاً فيه نسبة النقص لله تعالى؛ حيث يزعمون أن الرب تعالى كان معطَّلاً عن صفة الكلام عاجزاً عن أن يتكلم في وقت من الأوقات.

سابعاً: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته. وهذا قول هبة الله ابن ملكا[١]، ومال إليه الرازي.

وهذا القول يرجع إلى القول الرابع ويلزمه من الباطل ما يلزمه.

ثامناً: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره. وهذا قول أبي منصور الماتريدي[٢].

تاسعاً: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه[٣].

وهذان القولان في الحقيقة قريبان من القول الثاني، وهو القول بأن كلام الله تعالى مخلوق، ويلزمهما من اللوازم الباطلة ما يلزمه.

---

(١) هو هبة الله بن علي بن ملكا البلدي، أبو البركات، طبيب فيلسوف، كان يهودياً ثم أسلم في آخر عمره، مات بعد سنة: ٥٥٠ هـ. انظر: السير ٤١٩/٢٠.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، السمرقندي، من أئمة المتكلمين، خالف السلف في كثير من مسائل الاعتقاد، وله تصانيف منها: التوحيد، أوهام المعتزلة، الرد على القرامطة، تأويلات أهل السنة، مات سنة: (٣٣٣ هـ). انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا ٢٤٩/١- ٢٥٠، الأعلام ١٩/٧، وانظر في قولهم هذا: عداء الماتريدية للعقيدة السلفية للشمس السلفي ٧١/٣- ١٥٩.

(٣) انظر في هذه الأقوال: منهاج السنة ٣٦٠/٢ - ٣٦٣، مجموع الفتاوى ٣٧/١٢- ٤١، مختصر الصواعق ١٣٠٢/٤-١٣١٤، شرح الطحاوية٢٥٦/١، الحيدة والاعتذار ص: (٢١ - ٨٨) ، المختار في أصول السنة ص: (٨٥- ٩٠)، الفصل لابن حزم ٣٦/٢ - ٣٨، الصفات الإلهية ص: (٢٥٦- ٢٦٠)، العقيدة السلفية في كلام رب البرية للجديع ص: (٢٩٥- ٣٠٢).

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأنبياء والمرسلين والمخالفون في ذلك من أصحاب الغلو والجفاء، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بهم.

المطلب الثاني: اعتقاد اصطفاء الله تعالى لهم واختياره لهم على البشر.

المطلب الثالث: أنهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم ولم يكتموا منه شيئاً.

المطلب الرابع: المخالفون في تعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام من أهل الغلو والجفاء.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم نبينا محمد ﷺ، وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بنبوته واعتقاد عموم رسالته للناس كافة

المطلب الثاني: محبته المحبة الشرعية.

المطلب الثالث: اتباع سنته والاقتداء بهديه.

المطلب الرابع: توقيره وتعزيره ونصره .

المبحث الثالث: التعظيم البدعي والشركي لنبينا محمد ﷺ .

تمهيد في تعريف الأنبياء والرسل

الأنبياء في اللغة: جمع نبي، والنبي والنُّبوة مشتقان من النبأ، وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، وسمي النبي نبياً لأنه مخبر عن الله تعالى ما أوحاه الله إليه.

وقيل: مشتق من النَّبْوة والنباوة[١]، وهي المرتفع من الأرض، وما هو عَلَم يهتدى به منها، واشتق منه (النبي) لأنه أرفع خلق الله، ولأنه يهتدى به.

والنبي فعيل بمعنى فاعل، أي: مُنَبِئٌ، أو بمعنى مفعول، أي: مُنَبَّأٌ[٢].

والرسل في اللغة: جمع رسول، وهو فعول بمعنى مفعول، أي: مرسل. وهذه المادة تأتي بمعنى التوجيه والبعث للإبلاغ عن شيء، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٣] .

وتأتي بمعنى التتابع، يقال: جاءت الإبل أرسالاً إذا جاء منها رَسَل بعد رَسَل.

كما أن هذه المادة تأتي بمعنى الرفق والتؤدة في الشيء، يقال: على رِسلك بمعنى على مهلك، ويقال: ناقة رِسْلة، أي: سهلة السَّيْر[٣].

ورسل الله تعالى إلى عباده سُموا رُسلاً؛ لأنهم مبعوثون من الله عز وجل لتبليغ وحيه وشرعه إلى عباده، كما أن الله سبحانه أرسلهم إلى عباده متتابعين، كما قال تعال: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤] ، أي: متتابعين. وأرسلهم الله تعالى رحمة منه بعباده، ورفقاً بهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . وهم أرفق الناس بالناس، حريصون على هدايتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

---

(١) وقد أنكر شيخ الإسلام رحمه الله أن يكون النبي مأخوذاً من النَّبْوة والنباوة، ودَلَّل على ذلك بتصاريف الكلمة، واختار أنه مأخوذ من النبأ، وهو الخبر.انظر: النبوات ٢/٨٨١ – ٨٨٣.

(٢) انظر: المفردات ص: (٤٨٢)، الصحاح ١/٥٨-٦٠، لسان العرب ١٤/١٨٢-١٨٣.

(٣) انظر: المفردات للراغب ص: (٢٠١-)٢٠٢، معجم المقاييس ص: (٤٠٢- ٤٠٣)، لسان العرب ٦/١٥٢-١٥٤، القاموس المحيط ص: (١٠٠٥-١٠٠٦).

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

الفرق بين النبي والرسول:

تعددت الأقوال في هذه المسألة، وسأكتفي بذكر أهم الأقوال على وجه الإجمال.

القول الأول: عدم التفريق بين النبي والرسول، وأنهما بمعنى واحد[1]، وهذه القول مردود بالأدلة الكثيرة، ومنها:

- النصوص التي فيها عطف النبي على الرسول، والعطف يقتضي المغايرة في الأصل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج: ٥٢] .

- النصوص التي فيها الجمع لبعض الرسل بين وصفي النبوة والرسالة معاً في سياق واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم: ٥١] ، وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

- ما ورد من إخبار النبي ﷺ عن عدد الأنبياء بأنهم مائة ألف وعشرون ألفاً، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً[2]. فعدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل؛ وهذا دليل واضح على التفريق.

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض ١٦٩/١، الفرق بين النبي والرسول ص: (٢١٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم: (٢١٥٤٦) ٤٣١/٣٥ - ٤٣٢، وبرقم: (٢١٥٥٢) ٤٣٧/٣٥ - ٤٣٨ من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ورواه برقم: (٢٢٢٨٨) ٦١٨/٣٦-٦١٩ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، والحاكم ٧٤٢/٢ - ٧٤٣، وصححه الشيخ الألباني في تخريج المشكاة ١٥٩٩/٣.

القول الثاني: أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه[١] . وهذا القول كذلك فيه نظر لأمور منها:

١- أن الله تعالى نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢** ﴾ [الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

٢- أن البلاغ قد أمر الله تعالى به آحاد المؤمنين؛ فكيف بالأنبياء عليهم السلام؟،

ولا شك أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، وقد جاءت الأدلة الكثيرة

المتوعدة والذامة لمن يكتم وحي الله تعالى وشرعه، وهذا لايليق بالعلماء من الأمة، فكيف بالأنبياء؟.

٣- قول الرسول ﷺ: (**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد**)[٢].

فدل على أن الأنبياء يبلغون أممهم، وأن الأمم يتفاوتون في مدى الاستجابة لأنبيائهم[٣].

---

(١) انظر: المفهم للقرطبي ٤٠/٧، شرح الطحاوية ٢٣٩/١، لوامع الأنوار ٢٥٨/١، معارج القبول ٦٧٥/٢-٦٧٦، الفرق بين النبي والرسول ص: (٢٢٤-٢٢٦).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٥٤١) كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ٤٩٣/١١-٤٩٤، ومسلم برقم: (٥٢٦) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ١١٣/٣-١١٤.

(٣) الرسل والرسالات للأشقر ص: (١٤-١٥) بتصرف.

القول الثالث: أن الرسول من أنزل إليه كتاب جديد وشرع مستقل، أما النبي فهو الذي لم ينزل عليه كتاب، وإنما يدعو لشرع من قبله من الرسل(١).

وهذا القول عليه اعتراضات: لأن يوسف عليه السلام كان رسولاً؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [غافر: ٣٤]، وهو كان على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام كان رسولاً، ولم تكن له شريعة مستقلة، وإنما كان على شريعة أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا يعملان بشريعة التوراة(٢).

القول الرابع: أن النبي من أوحي إليه بأمر أو نهي أو خبر، وينبئ المؤمنين بما أنبأهم الله به، ويعمل بالشريعة التي قبله، وقد يوحى إليه وحي خاص في قضية معينة، فهو مرسل إلى قوم موافقين له، فهو بينهم كمنزلة العالِم في الناس.

أما الرسول فهو من أوحى الله تعالى إليه، وأرسله إلى من خالف أمر الله وكفر به، يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وحده لا شريك له(٣).

والعلماء الذين فرقوا بينهما متفقون على أن الرسول أفضل، وأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، فالرسالة أعم من جهة نفسها، أخص من جهة أهلها(٤).

والقول الرابع هو الأرجح والله تعالى أعلم؛ لأن الله سبحانه وتعالى فرق بينهما كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ

---

(١) انظر: تفسير الألوسي ١٧٢/١٧ -١٧٣ ، أضواء البيان ٧٣٥/٥، الفرق بين النبي والرسول ص: (٢٣٠).

(٢) انظر: النبوات ٧١٨/٢-٧١٩.

(٣) هذا حاصل ما ذكره شيخ الإسلام في النبوات ٧١٤/٢.وانظر: في هذه المسألة: الشفا للقاضي عياض ١٦٩/١-١٧٠، نيل الأوطار ٣٠/١، أضواء البيان ٧٣٥/٥.

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض ١٧٠/١، شرح الطحاوية ٢٣٩/١.

أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج: ٥٢] فذكر إرسالاً يعم النوعين، وخَصّ أحدَهما بأنه رسول.

وقد أخبر تعالى أن أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى كانوا يحكمون بالتوراة، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [المائدة: ٤٤] .

وأيضاً فإن آدم عليه السلام لما كان في قوم مؤمنين به وهم ذريته كان نبياً، أما لما حدث الشرك في الأرض أرسل الله تعالى نوحاً عليه السلام فهو أول رسول إلى أهل الأرض، كما في حديث الشفاعة: (**فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ**)(١) .

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٧١٢) كتاب التفسير، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ ﴾ [الإسراء: ٣] ٨/٥٠٢-٥٠٤،، ورواه مسلم برقم: (٤٧٩) كتاب الإيمان، باب حديث الشفاعة ٣/٦١-٦٤.

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي للأنبياء والمرسلين، والمخالفون في ذلك من أصحاب الغلو والجفاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"**والأنبياء عليهم الصلاة والسلام نؤمن بهم، ونعظمهم، ونوقرهم، ونتبعهم، ونصدقهم في جميع ما جاءوا به ونطيعهم**. كما قال نوح وصالح وهود وشعيب: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ ﴾[نوح: ٣][(١)]، فجعلوا العبادة والتقوى لله وحده؛ والطاعة لهم؛ فإن طاعتهم من طاعة الله. فلو كفر أحد بنبي من الأنبياء وآمن بالجميع ما ينفعه إيمانه حتى يؤمن بذلك النبي؛ وكذلك لو آمن بجميع الكتب وكفر بكتاب كان كافراً حتى يؤمن بذلك الكتاب، وكذلك الملائكة، واليوم الآخر"[(٢)].

وينتظم التعظيم الشرعي للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أمور **أذكرها في أربعة مطالب:**

المطلب الأول:

الإيمان بهم

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه من أركان الإيمان، وأن من كفر بهم فقد وقع في الكفر بالله تعالى.

ومن الأدلة على ذلك:

- **قال تعالى:** ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

---

(١) أخبر تعالى عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ ﴾ [الشعراء: ١٠٨، ١٢٦، ١٤٤، ١٥٠، ١٧٩] ، وكذلك غيرهم من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أمروا أقوامهم بذلك.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٧٠- ٣٧١.

● وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

● وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦] .

● وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ:(**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)(١).

ففي هذه الأدلة وغيرها كثير أن الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان، وأن الفلاح والبر لا يكون إلا بالإيمان بذلك، وأن من كفر ببعض الرسل وآمن بالبعض فهو كافر قد ضل ضلالاً بعيداً.

معنى الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدوقون، بارون راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥]، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله فضّل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات(٢) "ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا من خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

(٢) انظر: معارج القبول ٦٧٧/٢، أعلام السنة ص: (٨٦ – ٨٧).

عنده درجة، وأحبهم إليه، وأكرمهم عليه. وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عُبِدَ وأُطِيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض..."[1].

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأنهم صادقون مصدوقون، ومن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بجميعهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن لهم رسول غيره حين كذبوه، لأن الرسل والأنبياء عليهم السلام يدعون إلى عقيدة واحدة؛ فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة السلام، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[غافر ٧٨].

الثالث: تصديق ما صح من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم نبينا محمدﷺ المبعوث إلى جميع الناس إلى قيام الساعة[2].

فيلاحظ أن الإيمان بالرسل عليهم السلام هو تعظيم لهم؛ حيث يتضمن اعتقاد فضيلتهم، وتصديقهم، واتباع شريعة من أرسل إلينا منهم.

---

(١) طريق الهجرتين ٧٦٣/٢، وانظر: زاد المعاد ٦٨/١- ٦٩.

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان للعثيمين ص: (٣٦)، شرح ثلاثة الأصول له ص: (٩٧)، مجموع الفتاوى ٣١٣/٧، ١٨٥/١٩، شرح الطحاوية ٤٧٤/٢ - ٤٧٥.

المطلب الثاني:

اعتقاد اصطفاء الله تعالى لهم واختياره لهم على البشر

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن النبوة والرسالة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث اختارهم الله من بين خلقه بإنزال وحيه عليهم، وجعلهم أمناء على رسالته ليبلغوها للناس، وهذا الاصطفاء نعمة من الله تعالى، واختيار منه تعالى؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥] .

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] .

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

ففي هذه الأدلة وغيرها الرد على الذين زعموا أن النبوة مكتسبة وهم الفلاسفة، حيث قالوا إنه يمكن للإنسان أن يحصل رتبة النبوة بالاجتهاد والرياضة النفسية، وأن للنبوة خصائصَ من توفرت فيه فهو نبي:

١. أن تكون له قوة قدسية، وهي قوة الحدس؛ بحيث يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة.

٢. قوة التخييل والحس الباطن؛ بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه؛ فيرى في نفسه صوراً نورانية هي عندهم ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتاً هي عندهم كلام الله.

٣. أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولى[(١)] العالم؛ كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في المَعِين، ويزعمون أن خوارق العادات التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النمط[(٢)].

يقول ابن سينا:" إن بعض النفوس يقوى قوة لا تشتغله الحواس ولا تمنعه، بل يتسع بقوته للنظر إلى عالم العقل والحس جميعاً فيطلع إلى عالم الغيب فيظهر له بعض الأمور مثل البرق الخاطف، وبقي المتصوَّر المدرَك في الحافظة بعينه، وكان ذلك وحياً صريحاً"[(٣)].

والأدلة التي صرحت على أن النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل رادة على هذا المذهب ومبطلة له، وهؤلاء الفلاسفة لا يثبتون لله تعالى مشيئة ولا اختياراً، ولا يعترفون بالرسالات الإلهية، بل هم جاحدون لها، كما أنهم لا يقرون لله تعالى بالوجود الذاتي ولا بالفعل ولا بالتدبير ولا بالخلق والإيجاد، فضلاً عن أن يثبتوا وحياً واصطفاءاً.

فإثبات أن النبوة والرسالة هي اختيار من الله تعالى للأنبياء والرسل عليهم السلام لاشك أن هذا فيه تعظيم لهم، وتعلية لشأنهم، حيث اختارهم الله تعالى من بين البشر، واطفاهم لحمل رسالته وتنزل وحيه عليهم وتبليغه للناس . قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية:"﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ فيمن عَلِمَه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده"[(٤)].

---

(١) الهيُولَى بضم الياء مخففة أومشددة، مادة الشيء التي يصنع منها كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار...المعجم الوسيط٢/١٠٠٤. وانظر: المعجم الفلسفي لمجمع اللغة بمصر ص: (٢٠٨).

(٢) الرسالة الصفدية ص: (٥٢-٥٣)، وانظر: النبوات ١/٥٠٤-٥٠٥، ٢/٦٩٥-٦٩٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/٧٣٢- ٧٣٣ (ط: دار الفضيلة).

(٣) نقله عنه الشهرستاني في الملل والنحل ٢/٥٧٥.

(٤) تفسير السعدي ص: (٣٠٤).

المطلب الثالث:

أنهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم ولم يكتموا منه شيئاً

مما يجب اعتقاده أن الأنبياء عليهم السلام الذين اختارهم الله عز وجل، واصطفاهم لحمل رسالته، وتبليغ وحيه؛ قد بلغوا البلاغ المبين، وقاموا بوظيفتهم المناطة بهم، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٥] .

فبلّغوا دين الله تعالى كاملاً كما أنزله الله تعالى عليهم، ولم يكتموا منه شيئاً، ولم يزيدوا ولم ينقصوا، رغم ما لاقوه وواجهوه من الصعوبات التي أحاطت بهم واكتنفتهم، ورغم أذى أقوامهم لهم، فلم يعبأوا بما نالهم في ذات الله، ولم يمنعهم ذلك من أداء وظيفتهم التي كلفهم الله تعالى بها، ولم يخشوا في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

وأخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢] ، وعن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٨] ، وعن صالح عليه السلام أنه قال لقومه:] [الأعراف: ٧٩] ، وعن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾[الأعراف:٩٣].

وقال تعالى لنبينا محمدٍ ﷺ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨] .

وقد قام عليه الصلاة والسلام بما أمره الله به أتم قيام؛ فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركهم على المحجة البيضاء، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨] . فجزاه الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

قال ابن جرير رحمه الله: "لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أُمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها "[2].

وقال النبي ﷺ: (**يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلّغتَ؟ فيقول: نعم أي ربي، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فتشهد أنه قد بلّغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴿١٤٣﴾ ﴾[3].

وقال ﷺ: (**يجيء النبي يوم القيامة، ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومَه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾، **قال: يقول: عدلاً** ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾[4].

---

(١) انظر: معارج القبول٣/١١٠٦-١١١٤.

(٢) تفسير الطبري ٢/١٣.

(٣) رواه البخاري برقم: (٣٣٣٩) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾[هود: ٢٥]٦/٤٤٧-٤٤٨. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١١٥٧٥) ٣/٥٨، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه ابن ماجة برقم: (٤٣٦٠)كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ، وصححه الألباني في أحكامه على
=

فهذه الأدلة وهي غيض من فيض كلها متفقة ومتضافرة في الدلالة على أن الرسل عليهم السلام قد بلّغوا جميع ما أنزل الله تعالى إليهم، وهذا من الإيمان بهم الواجب على كل مسلم، فيعتقد المسلم أنهم قد بلغوا جميع ما أنزل الله تعالى إليهم، وأنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أخبروا به مما يتعلق بأسماء الله وصفاته والخبر عنه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه؛ كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦ – ١٣٧] .

فيجب علينا أن نعتقد في الأنبياء والرسل " أنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً، ولم يغيروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه"[(١)].

وهذا مقتضى إيماننا بأنهم رسل الله عز وجل، فإن إيماننا بأنهم رسل الله يقتضي أن نعتقد أن أمرهم ونهيهم وأخبارهم وقصصهم تبليغ لما شرع الله وقصه، وأخبر به، لذا كانت طاعتهم طاعة لله عز وجل، ومعصيتهم معصية لله عز وجل وتكذيب لخبر الله عز وجل بأنهم رسله وأنبياؤه.

ألا وإن من المكفرات: اتهام الرسل عليهم السلام بالخيانة في الدين أو في غيره، وكذلك اتهامهم بالكتمان لشيء مما أمرهم الله تعالى بإبلاغه، وكذلك من الكفر اتهامهم بالكذب على الله عز وجل وفي شرعه تعالى، أو في سائر الأمور؛ فالرسل عليهم السلام معصومون من الخيانة والكتمان والكذب.

سنن ابن ماجه، وفي الصحيحة برقم: (٢٤٤٨) ٥٧٧/٥.وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(١) معارج القبول ٦٧٧/٢.

قال القاضي عياض رحمه الله:"وكذلك (أي نقطع على كفره) من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا ﷺ ولكن جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها؛ فهو كافر بإجماع، كالمتفلسفين، وبعض الباطنية والروافض، وغلاة المتصوفة، وأصحاب الإباحة؛ فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس فيها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم؛ إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم، فمُضمَن مقالاتهم إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به.

وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به، أو شك في صدقِه أو سبَّه، أو قال: إنه لم يبلِّغ، أو استخف به، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم أو قتل نبياً أو حاربه؛ فهو كافر بإجماع"[١].

(١) الشفا ٤٧٧/٢.

المطلب الرابع:

المخالفون في تعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام من أهل الغلو والجفاء

تقدم بيان الحق في وجوب تعظيم الأنبياء والرسل عليهم السلام ووجوب الإيمان بهم الذي هو من تعظيمهم وإجلالهم، وهنالك من الناس من انحرف عن هذا السَّنن القويم فوقعوا في الغلو في الأنبياء عليهم السلام، بدعوى تعظيمهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله، وطاعتهم فيما أمروا به، ومتابعتهم، ومحبتهم وموالاتهم، لا التكذيب بما أرسلوا به، والإشراك بهم، والغلو فيهم؛ بل هذا كفر بهم، وطعن فيهم ومعاداة لهم"[(١)].

ومن الناس من وقع في الجفاء في حقهم، وأعرض عن التعظيم الواجب لهم وتوقيرهم وإكرامهم.

وممن غلا في بعض الأنبياء عليهم السلام:

أولاً: اليهود: فقد غلا اليهود في بعض الأنبياء عليهم السلام كعزير – على القول بأنه نبي[(٢)] – حيث زعموا أنه ابن الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠] .

وسبب قولهم هذا هو أنه –كما زعموا – كتب التوراة من حفظه بعد أن فقدت زمناً طويلاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: " وإنما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا، ثم أضاعوها، وعملوا بغير الحق ... فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير من علمائهم، فدعا عزير الله عز وجل، وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل عليه نور من الله فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من

(١) الرد على الأخنائي ص: (٢٤– ٢٥) .

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٠٠، ٥٠٢، زاد المسير ١/٢٣٣، البداية والنهاية ٢/٤٦.

جوفه من التوراة، فأذّن في قومه، فقال: يا قوم، قد أتاني الله التوراة وردها إلي، فعلق يعلمهم[١] فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم"[٢].

ثانياً: النصارى:

غلو النصارى في شأن عيسى عليه السلام معروف ومشهور، حيث زعموا أنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، ولقد كفرهم الله تعالى بهذا في كتابه الكريم. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة: ١٧] .

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٥] .

وبين تعالى أن هذا من الغلو ونهاهم عنه، وحذرهم إن لم يتوبوا منه **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا

---

(١) في تفسير ابن أبي حاتم ١٧٨١/٦: فعلق بعلمهم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٢٦/١٠- ١٢٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٨١/٦، وانظر: زاد المسير ٢٥١/٢ .

تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء: ١٧١].

وسبب غلوهم في عيسى عليه السلام هو مارأوه من عجيب خلق الله تعالى له، حيث خلقه من أم بلا أب، ثم ماكان قد أعطاه الله تعالى من الآيات من شفاء المرضى وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى.

ومن غلو اليهود والنصارى في بعض أنبيائهم اتخاذ قبورهم مساجد، فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِل[1] برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له[2] على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال – وهو كذلك –: (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا[3].

ثالثاً: ممن غلا في الأنبياء: من دعوهم واستغاثوا بهم من دون الله:

من الغلو في الأنبياء ومن الانحراف عن التعظيم الواجب لهم: دعاؤهم والاستغاثة بهم من دون الله، وسؤالهم كشف الضر وجلب النفع والنصر على الأعداء وجلب الرزق وحصول الشفاء والهداية ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب وغير ذلك مما لايقدر عليه إلا الله تعالى، فمن فعل ذلك فقد وقع في الشرك الأكبر.

وهذا كما وقع من غلو النصارى في المسيح عليه السلام حيث دعوه مع الله واستغاثوا به في الملمات، وجعلوه إلاهاً مع الله، ولم يجعلوه نبياً أو عبداً صالحاً، بل جعلوه ربَّ الأنبياء وخالقَهم وباعثَهم ومرسلَهم وناصرَهم ومؤيدَهم وربَّ الملائكة، وأنه خالق السموات

---

(١) ضُبط بضم الميم وبفتحها. أي نَزَل به الموت. انظر: فتح الباري ٦٨٩/١، قال النووي: "في أكثر الأصول: نَزَلَت...أي: لما حضرته المنية والوفاة". شرح النووي على مسلم ١٦/٥.

(٢) الخميصة: ثوب خز، أو صوف معلَّم، وقيل: لا تسمى خميصة إلا إذا كانت سوداء. النهاية ص: (٢٨٦).

(٣) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٣٥، ٤٣٦) كتاب الصلاة، باب رقم: (٥٥) ٦٨٨/١، ومسلم برقم: (١١٨٧) كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١٦/٥-١٧.

والأرضين والأولين والآخرين، ورازقهم ومحييهم، ومميتهم، وباعثهم من القبور، وحاشرهم، ومحاسبهم، ومثيبهم ومعاقبهم، فهو الذي يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويدبر أمر السموات والأرض، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء(١).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦ – ١١٧].

وقد وقع أيضاً دعاء الأنبياء والاستغاثة بهم من كثير من الأمم، كما وقع من بعض المنتسبين لأمة الإسلام الغلو في النبي ﷺ ودعاؤه من دون الله(٢)، ظنا منهم أن هذا من التعظيم للنبي ﷺ، وما علموا أن هذا تنقص لله تعالى، وشرك به سبحانه، كما أنه أيضاً يتضمن تنقص النبي ﷺ.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميِّز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته، التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبي ﷺ، ليضعَ كلَّ شيء في موضعه، على ضوء ما جاء به النبي ﷺ في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة.

وإذا عرفت ذلك فاعلم: أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته التجاء عبدِه إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله.

فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي لا يجوز إلا لله وحده، لأنه من خصائص الربوبية فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة

---

(١) انظر: هداية الحيارى للإمام ابن القيم ص: (١٤٤ – ١٤٥).

(٢) تقدم الكلام حول الشرك في الدعاء والأدلة عليه وبيان أنه تنقص لله تعالى انظر ص: (٢٩٨)، (٣١١) من هذا البحث.

رسوله ﷺ ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ؛ لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا ...[(١)].

قال ابن عبد الهادي رحمه الله في سياق الرد على من قال إن زيارة قبور الأولياء والصالحين والأنبياء هي للطلب منهم والاستشفاع بهم، وأن ذلك من تعظيمهم، قال:" فليتدبر اللبيب هذا الموضع، فإنه سرُّ الفرقِ بين التوحيد ووسائله، والشركِ ووسائله، ومن ظن أن ذلك تعظيم لهم فهو غالط جاهل، **فإن تعظيمهم إنما هو بطاعتهم واتباع أمرهم ومحبتهم وإجلالهم، فمَنْ عظّمهم بما هو عاص لهم به لم يكن ذلك تعظيماً، بل هو ضد التعظيم**، فإنه متضمن مخالفتَهم ومعصيتَهم، فلو سجد العبد لهم أو دعاهم من دون الله، أو سبَّحهم، أوطاف بقبورهم، واتخذ عليها المساجد والسرج، أو أثبت لهم خصائص الربوبية، ونزههم عن لوازم العبودية، وادعى أن ذلك تعظيم لهم؛ كان من أجهل الناس وأضلهم، وهو من جنس تعظيم النصارى للمسيح حتى أخرجوه عن العبودية .

وكل من عظم مخلوقاً بما يكرهه ذلك المعظَّم ويبغضه ويمقت فاعلَه، فلم يعظمْه في الحقيقة، بل عامله بضد تعظيمه، فتعظيم الرسول ﷺ أن تطاع أوامره وتصدق أخباره، ولا يقدم على ما جاء به غيره"[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الغلاة المشركون هم في الحقيقة بخسوا الرسل ما يستحقونه من التعظيم، دون الأمة الوسط أهل التوحيد المتبعين لشريعة الرسل.

و بيان ذلك بأمور، منها: أن النصارى يقولون: إنهم يعظمون المسيح، وكذلك الغالية في علي والأئمة أو الشيوخ أو غيرهم، وهم في الحقيقة متنقصون لهم؛ فإن المسيح عليه السلام أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، و أخبرهم أنه عبد الله، فهم إذا اتبعوه كان له من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء... ويكونون سعداء أولياء لله من أهل الجنة، وإذا غلوا فيه واتخذوه رباً انقطع العمل الصالح الذي كان يحصُلُ بتوحيدهم

---

(١) أضواء البيان ٦١٨/٧.

(٢) الصارم المنكي ص: (٢٨٨).

وطاعتهم، وحصل لهم مع ذلك عذاب أليم، وإن كان هو سليماً من العذاب، لكن فَوَّتوه الأجر الذي كان يحصل له بتوحيدهم و طاعتهم.

وأما أهل الاستقامة فهم إذا وحّدوا الله تعالى وعبدوه كما شرعتْه لهم الرسل، وأطاعوهم؛ صاروا أولياء لله مستيقنين لثوابه، وحصل للرسول بالذي دعاهم مثل أجورهم، وكان في هذا من التعظيم للرسل ما ليس في طريق الغلاة "[١].

وأما ما يتعلق بالغلو في نبينا محمد ﷺ من بعض الفرق المنتسبة للإسلام فسأرجئ الكلام عليه إلى موطنه[٢].

الرد على من غلا في بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أولاً: تحريم الغلو وبيان خطورته: جاء في النصوص من الكتاب والسنة التحذير من الغلو وبيان خطورته على الدين، وأنه أهم أسباب وقوعِ الشرك في الأمم الماضية وصرفِهم عن دينهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء: ١٧١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وبين النبي ﷺ أن سبب هلاك من قبلنا هو الغلو حيث غلو في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: (**أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**)[٣].

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص: (٣٢٦- ٣٢٧)، وانظر: كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس ص: (٢٩٧- ٣١٨)، معارج القبول ٢/٥١٤.

(٢) انظر: ص: (٥١٩).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٣٥٦).

ومما يبين خطورة الغلو في الصالحين أنه كان السبب في وجود أول شرك وقع في الأرض قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣]. قال: " أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "(١).

ثانياً: أن هؤلاء الذين غلوا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد وقعوا في تنقص مُرسِلِهم ﷻ وعيبه والغضِّ من قدره تعالى وتقدس، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠] .

ثالثاً: ما وقع منهم من الغلو في الرسل عليهم السلام بدافع تعظيمهم وتوقيرهم هو خلاف ما أمر الله تعالى به، وليس هو بالتعظيم الواجب لهم بل هو تجاوز له، ومروق منه، ووقوع في تنقصهم من حيث لايشعرون " وإنما تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن الله وطاعتهم فيما أمروا به ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم لا التكذيب بما أرسلوا به والاشراك بهم والغلو فيهم، بل هذا كفر بهم، وطعن فيهم ومعاداة لهم"(٢).

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: " فإن الله تعالى قد أمر بتعظيم الرسل؛ بأن يطاعوا فلا يعصوا، ويحبوا، ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله ﷻ، ومعصيته معصية الله ﷻ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به؛ إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنهم إنما عظموا لأجل عظمة المرسِل سبحانه وتعالى، وأحبوا لأجله، واتُّبِعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله ﷻ، فلو أن أحداً عظّم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به، ورَفَعَه فوق منزلته التي أنزله الله ﷻ، وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلهية لانعكس الأمر، وصار عينَ التنقص والاستهانة بالله وبرسله، كفعل اليهود والنصارى الذين ذكر الله ﷻ عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذّبوا الكتاب، وتنقصوا الرب ﷻ بنسبة

(١) تقدم تخريجه ص: (٢).

(٢) الرد على الأخنائي ص: (٢٤- ٢٥) .

الولد إليه وغير ذلك، وكذّبوا الرسول في قوله: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم: ٣٠] ، فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم. سبحان الله عما يصفون، وسلام على المرسلين"[1].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله: " وكل من عظّم مخلوقاً بما يكرهه ذلك المعظَّم ويبغضه، ويمقت فاعله، فلم يعظمْه في الحقيقة، بل عامله بضد تعظيمه، فتعظيم الرسول ﷺ أن تطاع أوامره، وتصدق أخباره، ولا يقدم على ما جاء به غيره .

فالتعظيم نوعان: أحدهما: ما يحبه المعظم، ويرضاه، ويأمره[2]، ويثني على فاعله، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني: ما يكرهه ويبغضه، ويذم فاعله، فهذا ليس بتعظيم، بل هو غلو مناف للتعظيم، ولهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم فيه الإلهية والنبوة، أو العصمة ونحو ذلك، ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا"[3].

رابعاً: بيان بشرية الرسل، وأنهم ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء:

فالرسل والأنبياء عليهم السلام من جملة البشر ومن جنسهم، ويتحدثون بألسنة أقوامهم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢] ، وهذا من حكمة الله عز وجل؛ ليأخذ الناس عن النبي ويتأسوا به، ويسهلَ عليهم اتباعُه والفهمُ عنه، وهو أيضا

(١) معارج القبول ٢/٥١٤ .

(٢) كذا في المصدر، ولعل الصواب: ويأمر به.

(٣) الصارم المنكي ص: (٢٨٨).

أدعى لتصديقهم له؛ حيث يأتيهم رسول من جنسهم، وعلى خلقتهم، ونشأ وترعرع بين أظهرهم، ويعرفون نسبه، ويعرفون صدقه وأحواله، ويترتب على ذلك تمام إقامة الحجة عليهم.

وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في بيان بشرية الرسل عليهم السلام، وأنهم من جملة الناس، وأنهم بشر من البشر إلا أن الله ﷻ اصطفاهم لحمل رسالته إلى خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤] .

وأخبر تعالى أن الرسل عليهم السلام قال لأقوامهم: ﴿ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١] .

وأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول للناس: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: ﴿ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٣] .

وجاء في الأخبار القرآنية ذكرُ ما يجري على الرسل والأنبياء عليهم السلام من العوارض مما يدل على بشريتهم، كالنسيان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: ١١٥] . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني**)[1] .

---

(١) رواه البخاري برقم: (٤٠١)، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة ٦٥٢/١، ومسلم برقم: (١٢٧٤) كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة... ٦٣/٥-٦٤، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وكالأكل والشرب والمشي في الأسواق للتكسب وطلب العيش، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وكالزواج والإنجاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ ﴾ [الرعد: ٣٨] .

وكالنوم فهم ينامون كسائر البشر، فهذا إبراهيم الخليل يقول لابنه إسماعيل عليهما السلام كما أخبر الله ﷻ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] .

وقال تعالى مبيناً حال نبيه عيسى عليه السلام الذي غلا فيه النصارى وضلوا حتى زعموا أنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، فبين تعالى أنه بشر من البشر خلقه الله ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ﴾ [آل عمران: ٥٩] .

وأنه يأكل الطعام كسائر البشر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾ [المائدة: ٧٥] .

ومعلوم أنه بعد أكل الطعام يحتاج الإنسان إلى الذهاب إلى الخلاء، مما يدل على بشريته.

قال ابن كثير رحمه الله: " وقوله: ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"(١) .

ويقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ ﴾ [الأنفال: ٤٣].

(١) تفسير ابن كثير ١٥٩/٣.

فالرسل عليهم السلام ينامون، لكن ثبت أنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم؛ وهذه خصيصة لهم عن سائر البشر، فعن أنس رضي الله عنه قال: (**والنبي نائمة عيناه ولاينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**)[١].

إلى غير ذلك من صفات البشر من الرضا، والغضب، والمرض، والموت، والنوم والاستيقاظ، والابتلاء والامتحان.

فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل على بشرية الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفي تلك الأدلة رد على من أخرج بعض الرسل كنبينا محمد ﷺ عن نطاق البشرية بالغلو فيه ووصفِه بما لا يوصف به إلا الله ﷻ، مخالفين لتلك الأدلة المذكورة وللأدلة الكثيرة التي فيها التحذير من الغلو في الأنبياء والصالحين عموماً، ومن الغلو في شخصه ﷺ خصوصاً[٢].

الرد على من زعم أن حياة الأنبياء عليهم السلام مستمرة كحياتهم في الدنيا:

هذا القول من جملة الغلو في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو قول مبتدع مخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية التي جاءت بإثبات موت الأنبياء، وأنهم ماتوا كسائر البشر – إلا ماكان من عيسى عليه السلام فإن الله رفعه حياً إلى السماء – .

وأيضاً فإن من قال ذلك فهو مخالف للعقل الصريح الذي يشهد بموتهم وأن حياتهم ليست كحياتهم في الدنيا.

ومن الأدلة على بطلان حياة الأنبياء كحياتهم في الدنيا:

أولا: الأدلة النقلية: وهي كثيرة منها:

من الكتاب: قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقال تعالى له ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] ، واليقين الموت.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٧٠) كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٧٠٨/٦.

(٢) انظر: معارج القبول ٥٣٢/٢-٥٣٧، محبة الرسول ﷺبين الاتباع والابتداع ص: (١٣٩-٢١٠).

وأخبر الله تعالى أنه لم يجعل الخلد لأحد من البشر لا الأنبياء ولا غيرهم قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥] .

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾ [الشعراء: ٨١] .

وقال تعالى عن نبيه يحيى عليه السلام: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [مريم: ١٥] .

وأخبر تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم: ٣٣] .

ومن السنة:

قال ﷺ: (**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أنها ترجع إلى الدنيا، ولا أن لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد؛ فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة**)[1].

وقال ﷺ قبل موته بشهر: (**ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ**)[2].

وقال ﷺ: (**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**)[3].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٤٨٤٤) كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة ٢٧/١٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم: (٦٤٣٠) كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ (**لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**) ٣٠٧/١٦ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود برقم: (٢٠٤١) كتاب المناسك، باب زيارة القبور ص: (٣١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال عنه الشيخ الألباني: حسن. وقال ابن عبد الهادي: إسناده مقارب، وهو صالح أن يكون متابعاً لغيره وعاضداً له. الصارم المنكي ص: (١٩٧).

وثبت أن النبي ﷺ مات بإجماع الصحابة رضي الله عنهم أيضاً، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه حين وفاة النبي ﷺ: "فمن كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤][١].

فبطل بهذه الأدلة النقلية وأضعافِها ما زعموه من عدم انقطاع حياة الأنبياء، وأنهم يفعلون كل شيء بعد موتهم.

قال الشيخ الألباني رحمه الله:" اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث-يقصد حديث: (**الأنبياء في قبورهم يصلون**)، وقد تقدم- للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا، هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد؛ الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية قال: يأكل ويشرب ويجامع نساءه!!. وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى"[٢].

الجفاء في حق الأنبياء عليهم السلام:

وقع الجفاء في حق الأنبياء عليهم السلام وانتقاصهم من أمم كثيرة من البشر في صور متعددة، ومن ذلك:

أولاً: تكذيب الأنبياء: وتكذيب الأنبياء وقع من أمم كثيرة، وكل قوم كذبوا نبيهم فقد جفوا في حقه وتنقصوه، فتكذيبهم لنبيهم أنه مرسل من الله إليهم جفاء في حقه وانتقاص

---

(١) رواه البخاري برقم: (١٢٤٢) كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت ١٤٧/٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) السلسلة الصحيحة ١٩٠/٢-١٩١.

من منزلته، إضافة إلى مايوجهونه إلى ذلك النبي من اتهام بالضلال والسفاهة والجنون والسحر والكذب، وكل هذه التهم هي انتقاص لأولئك الأنبياء، وحط من منزلتهم ينافي التعظيم الواجب لهم.

ومن ذلك ما وقع من قوم نوح عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٢] .

فاتهموه عليه السلام بالضلال الواضح عن الحق، فكان جوابه جواب الحليم المشفق لم يقابلهم بنفس التهمة مع أنهم هم الأحق بها، بل نفى الضلال عن نفسه، وبيّن منزلته وأنه رسول من الله تعالى رب العالمين.

وقوم هود عليه السلام اتهموه بالكذب والسفاهة فرد عليهم كما رد أخوه نوح عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥ - ٦٨] .

وفرعون لعنه الله كال لموسى عليه السلام التهم العظام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٨ – ٣٩] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٤] .

وهكذا القوم الذين بعث فيهم نبينا محمد ﷺ قابلوه بنفس الاتهامات التي فيها الحط من منزلته وتنفير الناس عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ

كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾[ص: ٤]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٠] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾[الأنبياء: ٥].

وذكر تعالى أن هذه التهم وهذا الانتقاص من أولئك المكذبين وقع من المكذبين للرسل جميعاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت: ٤٣] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٢] .

واليهود تنقصوا كثيراً من الأنبياء عليهم السلام وجفوا في حقهم، فإنهم تنقصوا هارون عليه السلام[1]، وتنقصوا داود عليه السلام مع أنه من أنبيائهم ومن الملوك العادلين[2]، وتنقصوا سليمان عليه السلام مع أنه من أنبيائهم، وكان ملكاً عادلاً كذلك، فزعموا بأنه ارتد وعبد الأوثان[3]، كما انتقصوا لوطاً عليهم السلام[4].

وقتلوا عدداً من الأنبياء عليهم السلام، فقد قتلوا بعض من أرسلوا لهدايتهم، فقتلوهم إرضاءاً لأهوائهم التي تحب التفلت من التعاليم الإلهية، فقد قتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام، وحاولوا قتل عيسى ابن مريم عليه السلام لكن الله نجاه منهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا

---

(١) حيث زعموا أنه هو الذي صنع لهم العجل، ودعاهم إلى عبادته. انظر: سفر الخروج الإصحاح (٣٢) فقرة (١- ٦).

(٢) حيث زعموا – قبحهم الله – أنه عشق امرأة أحد قواده بعد أن نظر إليها وهي تستحم، فدعا بها فضاجعها، ثم احتال حيلة لقتل زوجها. انظر: سفر صموئيل الثاني الإصحاح (١١) فقرة (٢-٥).

(٣) انظر: سفر الملوك الإصحاح (١١) فقرة (٤- ١٠).

(٤) حيث زعموا – قاتلهم الله– أنه شرب الخمر وزنا ببنتيه فأحبلهما. انظر: سفر التكوين الإصحاح (١٩) الفقرة (٣٠- ٣٧).

مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥] .

وتنقصوا عيسى عليه السلام وعادوه أشد العداء، ورموه وأمه بالبهتان العظيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء: ١٥٦].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " لم يبين هنا هذا البهتان العظيم الذي قالوه على الصديقة مريم العذراء، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أنه رميهم لها بالفاحشة، وأنها جاءت بولد لغير رشده في زعمهم الباطل لعنهم الله، وذلك في قوله: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ [مريم: ٢٧]، يعنون ارتكاب الفاحشة، ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم: ٢٨]، أي: زانية، فكيف تفجرين ووالداك ليسا كذلك، وفي القصة أنهم رموها بيوسف النجار وكان من الصالحين، والبهتان أشد الكذب الذي يتعجب منه"(١) .

كما أن اليهود اتهموا عيسى عليه السلام بأنه ساحر تعلم السحر في مصر(٢)، بل وسعوا في قتله، وزعموا أنهم صلبوه وأذلوه، والحق أن الله تعالى أنجاه ورفعه إليه؛ فلم يصلَب، ولم يقتل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

واليهود طوائف عدة فمنهم من ينفي كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى وفتاه يوشع بن نون عليه السلام، وهم السامرة.

---

(١) أضواء البيان ١/ ٤٣٠ –٤٣١، وانظر: تفسير الطبري ٦/ ١٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٨ .

(٢) انظر: تحريف رسالة المسيح ص: (٩٩).

ومنهم من يقول بنبوة عيسى عليه السلام، وبنبوة محمد ﷺ لكنهم يقولون إنه نبي للعرب فقط. وهم العيسوية، وبمثل مقالتهم قال القراءون الذين يسمون بالعنانية.

ومنهم من يقول برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس سوى اليهود، وهم الموشكانية[1].

ولاشك أن هذين القولين وإن أثبتوا نبوة النبي محمد ﷺ فيهما، لكنهما يتضمنان تنقصه عليه السلام حيث نفوا عموم رسالته مع أن الله تعالى أرسله إلى الناس جميعاً، كما أن فيه اتهاماً له ﷺ بالكذب – وحاشاه – حيث أخبر ﷺ بأنه مرسل إلى الناس كافة.

والنصارى تنقصوا نبينا محمداً ﷺ بالكفر بنبوته وتكذيبه.

ثانياً: سب الأنبياء وشتمهم:

سب الأنبياء عليهم السلام وشتمهم والطعن فيهم والاستهزاء بهم مناف للإيمان بهم الذي أمر الله تعالى به كل المنافاة، كما أنه مناف للتعظيم والتوقير الذي أوجبه الله تعالى لهم، وهو كفر بالله تعالى، ومخرج لصاحبه من ملة الإسلام.

والسب: السب في اللغة هو الشتم والتقبيح[2].

وفي الاصطلاح: ليس له ضابط معروف، وإنما مرجعه إلى عرف الناس.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " لم يكن للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع؛ فالمرجع فيه إلى عرف الناس، فما كان في العرف سباً للنبي فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة و العلماء و ما لا فلا"[3].

وقد جاءت الأدلة مبينة كفر من سب الرسل عليهم الصلاة والسلام أو تنقصهم وسخر بهم.

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص: (٨٢)، الفصل ١/١١٧- ١١٨، الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٥٦ – ٢٦١، فرقة اليهود القرائين ص: (٢٠).

(٢) انظر: المفردات ص: (٢٢٦)، لسان العرب ٧/٩٩.

(٣) الصارم المسلول ص: (٥١٦)، وانظر: الشفا للقاضي عياض ص: (٤٢٨) .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ ــ ٦٦] .

"وهذا نص في أن الاستهزاء بالله و بآياته و برسوله كفر؛ فالسب المقصود بطريق الأولى، و قد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر"(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ ﴾ [الأحزاب: ٥٧ ــ ٥٨].

فقد دلت هذه الآية على كفر من سب الرسول ﷺ من وجوه، منها:

أحدها: أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصاً عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم...

و ثانيها: أنه فرّق بين أذى الله ورسوله، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة، وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم، وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر لعنهم في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافراً؛ فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات، ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا يثبت في حقه... "(٢).

---

(١) الصارم المسلول ص: (٦٤).

(٢) الصارم المسلول ص: (٧١- ٧٢) .

وعن زيد بن أسلم[١] رحمه الله: أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك[٢] في غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا، وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء، فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فقال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب[٣] ناقة رسول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارة، يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فيقول له النبي ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ؟ ما يزيده"[٤].

والأدلة على هذه المسألة كثيرة جداً من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ﷺ[٥].

---

(١) هو الإمام زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العُمَري، أبو عبد الله المدني، الفقيه، حدث عن والده أسلم مولى عمر. وعن ابن عمر، وجابر، وأنس. وحدث عنه: مالك بن أنس، والثوري، والأوزاعي، وخلق كثير. وكان له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، توفي سنة: (١٣٦ هـ). انظر: السير ٣١٦/٥- ٣١٧ .

(٢) هو الصحابي عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو محمد وقيل غير ذلك. أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح. روى عنه جماعة من التابعين، منهم يزيد بن الأصم، وشداد بن عمار، وجبير بن نفير وأبو مسلم الخولاني. وروى عنه من الصحابة أبو هريرة، سكن الشام وعُمِّر، ومات في خلافة عبد الملك سنة: (٧٣ هـ). انظر: الاستيعاب ص: (٥٨٦- ٥٨٧)، الإصابة ١٣٩٠/٢- ١٣٩١.

(٣) الحقب هو الحبل المشدود على حقو البعير. انظر: النهاية ص: (٢١٩).

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ١٩٥/١٠، من رواية زيد بن أسلم رحمه الله ومن رواية ابن عمر رضي الله عنهما، وصحح إسناده محمود شاكر في حاشيته على الطبري، وصحح إسناده الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند من أسباب النزول ص: (٧٨) .

(٥) انظر: الصارم المسلول ص: (٥٧ - ٢٢٩).

قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله: "وقد أجمع المسلمون أن من سب الله ﷻ أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبياً من أنبياء الله تعالى أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله"(١).

وسب النبي ﷺ يتعلق به عدة حقوق، وكذلك سب غيره من الأنبياء عليهم السلام يتعلق به عدة حقوق، وأعظمها حق الله تعالى من حيث أن من سب الرسول فقد "كفر برسوله، و عادى أفضل أوليائه، و بارزه بالمحاربة، [ومن حيث طعن في كتابه و دينه؛ فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة](٢) ومن حيث طعن في ألوهيته؛ فإن الطعنَّ في الرسول طعن في المرسِلِ و تكذيبَه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكارٌ لكلامه وأمرِهِ وخبرِهِ وكثيرٍ من صفاته"(٣).

والحكم في سب سائر الأنبياء المتفق على نبوتهم كالحكم في سب نبينا ﷺ، قال شيخ الإسلام رحمه الله:" و الحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا؛ فمن سب نبياً مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفاً بالنبوة – مثل أن يذكر في حديث أن نبياً فعل كذا أو قال كذا – فيسب ذلك القائل أو الفاعل مع العلم بأنه نبي، وإن لم يعلم من هو، أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق فالحكم في هذا كما تقدم؛ لأن الإيمان بهم واجب عموماً، وواجب الإيمان خصوصاً بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي.

وقد تقدم في الأدلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظاً أو معنى، وما أعلم أحداً فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سب نبينا، فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه، وأنه وجب التصديق له والطاعة له جملة وتفصيلاً، ولا ريب أن جرم سابّه أعظم

---

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٥/٣٤٣.

(٢) هذه الزيادة ليست موجودة في الطبعة لديّ، وهي مثبتة في طبعات أخرى. انظر: طبعة بنشر الحرس الوطني بالمملكة ص: (٢٩٣).

(٣) الصارم المسلول ص: (٣٠٧).

من جرم سابِّ غيره، كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابهم كافر حلال الدم"[١].

وقال القاضي عياض رحمه الله: "وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا ﷺ على مساق ما قدمناه"[٢]. ثم ذكر أن هذا فيمن ثبت تعينه أنه من الأنبياء، أما من لم يثبت تعينه ولا وقع الإجماع على نبوته فليس الحكم فيه كذلك، لكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم، خاصة من عرف منهم بالصديقية والفضل وإن لم تثبت نبوته[٣].

ونقل الإمام النووي رحمه الله عن بعض العلماء قولَه: " من جحد جواز بعثة الرسل، أو أنكر نبوة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أو كذَّبه، أو جحد آية من القرآن مجمعاً عليها، أو زاد في القرآن كلمة واعتقد أنها منه، أو سب نبياً، أو استخف به، أو استحل محرماً بالإجماع كالخمر والزنا واللواط، أو حرم حلالاً بالإجماع، أو نفى وجوب مُجْمَعٍ على وجوبه كركعة من الصلوات الخمس، أو اعتقد وجوب ما ليس بواجب بالإجماع كصلاة سادسة وصوم شوال، أو نسب عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة، أو ادعى النبوة بعد نبينا ﷺ، أو صدَّق مدعياً لها، أو عظَّم صنماً بالسجود له أو التقرب إليه بالذبح باسمه؛ فكل هذا كُفْر"[٤].

(١) الصارم المسلول ص: (٥٣٨).

(٢) الشفا ص: (٤٨٨).

(٣) انظر: الشفا ص: (٤٨٩).

(٤) روضة الطالبين ١٠/٦٤- ٦٥. وانظر: الإعلام بقواطع الإسلام ص: (٢٠٤- ٢٠٨)، رسالة في ألفاظ الكفر للخاني ص: (٣٨٩).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: " اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المشعِر بالغض منه، أو تنقيصه ﷺ، والاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام، وكفر بالله"[١].

ثالثاً: تفضيل الأولياء على الأنبياء:

من الجفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفضيل الأولياء عليهم، كما يقوله ابن عربي وغيره من غلاة الصوفية، حيث يجعلون رتبة الولي فوق رتبة النبي.

يقول ابن عربي: سماء النبوة في برزخ دوين الولي وفوق الرسول[٢].

ويقول: بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لايجهل[٣].

ونُقل البيت الأول بلفظ: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي[٤].

والمعنى واحد لا يتغير.

بل ويزعمون أن النبي يستفيد بعض العلوم والحقائق من الولي، فيفضلون أنفسهم على الأنبياء. ومن عباراتهم: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله[٥].

---

(١) أضواء البيان ٦١٧/٧.

(٢) لطائف الأسرار لابن عربي ص: (٤٩).

(٣) انظر: الفتوحات المكية لابن عربي ٢٥٢/٢.

(٤) نقله عنه شيخ الإسلام في عدد من كتبه مثل: درء التعارض ٥٧٩/٤ ط: دار الفضيلة، مجموع الفتاوى ٢١٢/٢، ١٧١/٤، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٩٧)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية ٧٥١/٢، والشعراني الصوفي في الطبقات الكبرى ٦١/٢،وابن حجر العسقلاني في كتابه: الزهر النضر في خبر الخضر ص: (٢٥)، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية ٣٠١/٢ ط: مؤسسة الخافقين، والألوسي في غاية الأماني ٥٠٦/١.

(٥) نقلها عن أبي يزيد البسطامي: الشعراني في الطبقات الكبرى ١٥/٢، والدباغ في الإبريز ص: (٢٧٦)، وعلي حرازم في جواهر المعاني ٦٣/٢.

ويقول ابن عربي: "إن الولي يعلم علمين بخلاف النبي؛ فإنه لا يعلم إلا علماً واحداً فقط، وإن الولي يعلم علمين: علم الشريعة وعلم الحقيقة، أي: الظاهر والباطن والتنزيل والتأويل؛ حيث إن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف؛ ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول، أو ذو تشريع وشرع"(١).

وجعلوا للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً، ومصدر علوم الأنبياء من حيث كونهم أولياء هو من طريق خاتم الأولياء الذي يزعم ابن عربي أنه هو. " ومعنى هذا أن لعلوم الأنبياء والمرسلين اعتبارين:

أحدهما: علوم النبوة والرسالة والتي هي الشريعة والأحكام الظاهرة، وهذه يستمدها كل نبي من مشكاة خاتم الأنبياء .

الثاني: علوم الولاية . التي هي الحقائق والعلوم الباطنة، فهذه يستمدها الأنبياء والأولياء من مشكاة خاتم الأولياء.

وبذلك يكون ابن عربي قد فضّل نفسه على جميع الأنبياء والمرسلين بهذا الكلام الذي هو من وحي الشيطان، وفيه من الكفر والتنقيص للرسل والاستخفاف بهم والكفر بما جاءوا به ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة. وليس هناك اسم شرعي لما يسمى بخاتم الأولياء، وإنما هو منصب صوفي مبتدع لا دليل عليه من الشرع "(٢) .

يقول أبو الحسن الأشعري: "ومنهم من يزعم أن العبادة تبلغ بهم إلى أن يكونوا أفضل من النبيين والملائكة المقربين "(٣).

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء. ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء،

---

(١) فصوص الحكم ١/١٣٥.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص: (١٩١).

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٣٤٤.

ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله. وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله، وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها"[1].

ولاشك أن هذه الدعوى من غلاة الصوفية بتفضيل الولي على النبي قول باطل، مناقض لما أخبر به تعالى من تفضيل الأنبياء والرسل واختيارهم من بين البشر، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٦] .

ومما يعلم بداهة أن الولي إنما صار ولياً باتباعه للنبي؛ فكيف يكون أفضل منه؟.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله:" ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[2].

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٧٥٠.

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٧٤٩، وانظر: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه للعجمي ص: (١٤٥- ١٧٩).

رابعاً: من ظن أن هناك طرقاً موصلة إلى الله تعالى غير طريق الأنبياء عليهم السلام:

فمن الصوفية من يظن أنه بتنسكه واجتهاده يصل إلى الله تعالى من غير طريق الرسل عليهم السلام، وأنه إذا وصل إلى درجة من المعرفة والولاية استغنى عن الرسول فليس بحاجة إلى اتباعه، وأن هناك طريقاً إلى الله من غير جهته[١].

قال القرطبي رحمه الله:" حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، واجتماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هناك طريقاً آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر، يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا عليه الصلاة والسلام؛ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول. وبيان ذلك أن من قال يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة، فإن هذا نحو ما قاله عليه الصلاة والسلام: (**إن روح القدس نفث في رُوعي**)[٢] الحديث"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد، فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ؛

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (٦٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم: (٢١٣٦) كتاب البيوع ٢/٧ من حديث ابن مسعود ﷺ، وأبو نعيم في الحلية ١٠/٢٦- ٢٧ من حديث أبي أمامة ﷺ. وذكره الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٨٦٦) ٦/٨٦٥ (القسم الثاني)، وقال: "الحديث حسن على أقول الأحوال". وصححه شعيب الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد ١/٧٧-٧٨ .

(٣) تفسير القرطبي ١١/٤٠.

فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب . فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة .

فإذا ادعى المدعي أن محمداً ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان؛ وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن البعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهو شر ممن يقول: أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين"(١).

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٩٥ – ١٩٦).

المبحث الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم نبينا محمد ﷺ

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد

لقد اصطفى الله نبيه محمداً ﷺ وعظّمه، وأعلى ذِكره، وشرفه بأن جعله من المرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم، بل وجعله أفضلهم وخيرهم ومقدمهم وخاتمهم؛ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥] ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل: ٥٩]، واصطفاه الله تعالى على جميع الخلق[١]، وجعله أفضل الأنبياء والمرسلين، قال عليه الصلاة والسلام: **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**[٢]**، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع)**[٣]. وغير ذلك من الأحاديث التي تبين اصطفاء الله تعالى لرسوله ﷺ.

---

(١) نبينا محمد ﷺ اصطفاه الله تعالى على جميع الخلق،دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع العلماء. انظر: المفاضلة في العقيدة لشيخنا أ.د. محمد أبو سيف حفظه الله ص: (١٤٧- ١٥٥).

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: " وقوله: **(يوم القيامة)** مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه ". شرح النووي على مسلم ١٥/٣٩.

(٣) رواه مسلم برقم: (٥٨٩٩)كتاب الفضائل،باب تفضيل نبينا محمدﷺ على جميع الخلائق ١٥/٣٩ عن أبي هريرةرضي الله عنه.

وخصه الله تعالى بخصائص عظيمة وشرَّفه وكرمه على سائر الأنبياء والرسل عليهم جميعاً الصلاة والسلام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومن هذه الخصائص:

- أن الله تعالى أخذ العهد على جميع الأنبياء والرسل أن يتبعوه لو بعث وهم أحياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١].

- أنه أكثر الأنبياء أتباعاً، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**)[1].

- أن الله تعالى لم يناده إلا بوصفي النبوة والرسالة ولم يناده باسمه المجرد، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] . ونادى غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام بأسمائهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٧٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤٦] ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢] .

- ومن خصائصه التي شرفه الله بها: تخليد معجزته وهي القرآن الكريم إلى يوم القيامة، بينما انقرضت معجزات غيره من الأنبياء عليهم السلام، قال النبي ﷺ:(**ما من الأنبياء نبي**

---

(١) رواه مسلم برقم: (٤٨٣) كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: (**أنا أول الناس يشفع في الجنة**) ٦٧/٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(١)،(٢).

● أنه سيد ولد يوم القيامة: قال ﷺ: (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع**)(٣).

● أنه صاحب المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخِرون، وذلك أنه يشفع إلى الرب تعالى لينزل لفصل القضاء بين العباد بعد أن يتأخر عن ذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام واحداً بعد الآخر، وبعد أن يقول عيسى عليه السلام: (**اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ...**)(٤).

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٧٢٧٤) كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم ١٣/٣٠٤، ورواه مسلم برقم: (٣٨٣) كتاب الإيمان، باب الإيمان بوجوب رسالة نبينا ٢/٣٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر هذه الخصائص وغيرها في كتاب حقوق النبي ﷺ على أمته، لفضيلة الشيخ د. محمد بن خليفة التميمي حفظه الله ٢/٣٩٥- ٤٠٦.

(٣) تقدم ص: (٤٨٤).

(٤) رواه البخاري برقم: (٤٧١٢) كتاب التفسير، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء٣] ٨/٥٠٢-٥٠٤، ورواه في مواضع أخر، ورواه مسلم برقم: (٤٧٩) كتاب الإيمان، باب حديث الشفاعة ٣/٦١-٦٤.

● أنه هو الذي يشفع في دخول أهل الجنةِ الجنةَ، وهو أول من يدخلها قال ﷺ: (**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**)[١]. وقال ﷺ: (**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك**)[٢].

إلى غير ذلك من خصائصهﷺ التي شرفه الله تعالى بها وهي كثيرة وقد أفردها أهل العلم بالتصانيف[٣].

الأمر بتعظيم النبي ﷺ:

قد أمر الله تعالى الأمة بأن يعظموا رسول الله ﷺ ويجلُّوه ويوقروه حتى في مخاطبته ومناداته، ومن ذلك:

● النهي عن مناداته باسمه المجرد، بل ينادوه بوصف الرسالة أو النبوة فيقولوا: يانبي الله، أو يارسول الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [النور: ٦٣].

● ومن ذلك أيضاً النهي الأكيد عن رفع الصوت فوق صوته، وخطورة ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحجرات: ٢ – ٣].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٤٨٢) كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: (**أنا أول الناس يشفع في الجنة**) ٣/٦٧ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم برقم: (٤٨٥) في الكتاب والباب السابقين ٣/٦٨ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) منها على سبيل المثال: غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن، الخصائص الكبرى المسمى بـ: كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي وهو مطبوع.

قال الإمام الآجري رحمه الله: " اعلموا يا أمة محمد، يا مؤمنون أن الله ﷻ أوجب على جميع الخلق أن يعظموا قدر نبيه ﷺ بالتوقير له والتعظيم، ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوته، ولا يجهروا عليه في المخاطبة كجهر بعضهم لبعض، بل يخفضوا أصواتهم عند صوته، كل ذلك إجلالاً له، وأعلمهم أنه من خالف ما أمر الله به من التعظيم لرسولي أني أحبط عمله وهو لا يشعر..."[(١)].

فهذا كله من تعظيم الرب تعالى لنبيه ﷺ ورفعه لقدره وإعلاء شأنه، فالواجب على المسلمين أن يعظموا رسول الله ﷺ كما عظمه الله تعالى، وأن ينزلوه المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها بلا غلو ولاجفاء وبدون إفراط ولاتفريط.

قال الله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩] .

قال ابن كثير رحمه الله:"﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه، ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام"[(٢)]. وقال الحليمي: " ولا خلاف في أن التعزيز هاهنا: التعظيم"[(٣)].

قال القاضي عياض رحمه الله: "واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته، وقال أبو إبراهيم التجيبي[(٤)]: واجب على

(١) الشريعة ١٣٩٧/٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٧.

(٣) المنهاج ١٢٥/٢.

(٤) هو إسحاق بن ابراهيم بن مسرة، أبو ابراهيم التجيبي مولاهم، من أهل طليطلة، وكان خيراً فاضلاً ديناً ورعاً مجتهداً وقوراً مهيباً. ولم يكن له بالحديث كبير علم. وكان فقيهاً على مذهب مالك وأصحابه، وتصدر للإفتاء، له كتاب النصائح، ومعالم الطهارة والصلاة، توفي سنة: (٣٥٢) وقيل: (٣٥٤هـ). انظر: ترتيب المدارك ١٢٦/٦- ١٣٤، السير ٧٩/١٦- ٨٠.

كل مؤمن متى ذَكَره، أو ذُكِر عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من حركته، و يأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، و يتأدب بما أدبنا الله به"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والنبي ﷺ يجب علينا أن نحبه حتى يكون أحبَّ إلينا من أنفسنا وآبائنا وأبنائنا وأهلنا وأموالنا، ونعظمَه ونوقرَه، ونطيعَه باطناً وظاهراً، ونواليَ من يواليه، ونعاديَ من يعاديه، ونعلمَ أنه لا طريق إلى الله إلا بمتابعته ﷺ، ولا يكون ولياً لله، بل ولا مؤمناً ولا سعيداً ناجياً من العذاب إلا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً. ولا وسيلةَ يتوسل إلى الله ﷻ بها إلا الإيمان به وطاعته. وهو أفضل الأولين والآخرين، وخاتم النبيين، والمخصوص يوم القيامة بالشفاعة العظمى التي ميزه الله بها على سائر النبيين، صاحب المقام المحمود واللواء المعقود لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه.

وهو أول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن: من أنت ؟ فيقول: أنا محمد . فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك[2]"[3].

وقد ذكر أهل العلم أن تعظيم النبي ﷺ يكون بالقلب واللسان والجوارح.

فتعظيمه بالقلب: هو مايتبع اعتقاد كونه رسولاً لله من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ويصدق هذه المحبةَ أمران:

الأول: تجريد التوحيد لله تعالى، والثاني: تجريد متابعته ﷺ، وتحكيمُه في الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه.

---

(١) الشفا ص: (٢٨٨)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١٢٤/٢ الباب الخامس عشر قال: وهو باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، شعب الإيمان للبيهقي – الباب الخامس عشر في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره ٣٩١/٣-٤٧٦، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة للدعجان ص: (٢٨٨ – ٢٩٤).

(٢) يشير إلى حديث تقدم قريباً ص: (٤٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى ٣٢٠/٢٧-٣٢١.

أما تعظيمه باللسان: فيكون بالثناء عليه بما هو أهله، مما أثنى به على نفسه، أو أثنى عليه به ربه، من غير غلو ولاجفاء.

وأما تعظيمه بالجوارح: فهو بالعمل بطاعته والسعي في إظهارِ دينه، وإعلاءِ كلمته، ونصرِ ما جاء به، وجهادِ ما خالفه[١].

وتعظيم النبي ﷺ يكون بأمور، أجملها في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الإيمان بنبوته واعتقاد عموم رسالته للناس كافة

من أركان الإيمان والإسلام الإيمان بنبوة النبي ﷺ ورسالته، وأنه مرسل من الله تعالى، فأول أركان الإسلام وأعظمها وأسها هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كما أن الإيمان برسالته ﷺ داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦]. فأمر تعالى بالإيمان به سبحانه، وأمر بالإيمان برسوله محمد ﷺ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] . ففي هذه الأمر بالإيمان بالرسول ﷺ، وهذا الأمر موجه للناس كافة، ففرض على الناس جميعاً أن يؤمنوا بالنبي ﷺ ويتبعوه.

(١) انظر: الصارم المنكي ص: (٣٣٧ – ٣٣٩) ، تيسير العزيز الحميد ١/٥٥٩ – ٥٦٢، غاية الأماني للألوسي ١/٢٨٩– ٢٩١، فقه الأدعية والأذكار ١/٣٦٩-٣٧٠.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**)[١].

وقال رسول الله ﷺ: (**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**)[٢].

والإيمان بنبوته ورسالته من الإيمان بالله؛ لأن الله تعالى أمر بذلك وأوجبه، والطعن في رسالته طعن في الله تعالى وتنقص له ونسبته إلى الظلم والسفه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل إن حقيقة الطعن في رسالته جحد الرب تعالى،" وبيان ذلك: أنه إذا كان محمد عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتري على الله، ويتقولَ عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كَذَب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدّلها وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين؛ فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبِّر، ولو كان له مدبِّر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين. إذ لا يليق بالملوك غير

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

(٢)رواه البخاري برقم: (٨) كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم ٦٩/١، ومسلم برقم: (١١٣) كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١٣٠/١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟ ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد ..."[(١)].

ورسالة النبي ﷺ عامة للإنس والجن والعرب والعجم أبيضِهم وأسودِهم، وهو خاتم النبيين فلا نبيَّ بعده، وقد أوجب الله تعالى الإيمان به على الإنس والجن جميعاً الذين كانوا في عصره أو من جاءوا بعد، فلا نجاة لهم إلا باتباعه، ولايقبل منهم دين إلا دينه، ولايجوز لهم اتباع نبي قبله، فرسالته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع قبلها، ولو كان أحد من الأنبياء موجوداً في عصره فلايسعه إلا أن يتَّبعَه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١].

روى الطبري بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:" لم يبعث الله عز وجل نبيًّا، آدمَ فمن بعدَه إلا أخذ عليه العهدَ في محمد: لئن بُعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرَنّه، ويأمرُه فيأخذ العهدَ على قومه "[(٢)].

وعن قتادة[(٣)] رحمه الله قال: " هذا ميثاقٌ أخذه الله على النبيين أن يصدِّق بعضُهم بعضًا، وأن يبلِّغوا كتاب الله ورسالاته، فبلّغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلَّغتهم رُسلهم: أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدّقوه وينصروه"[(٤)].

---

(١) شرح الطحاوية ٢٣٧/١- ٢٣٨ .

(٢) تفسير الطبري ٣٨٧/٣.

(٣) هو الإمام الحافظ قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب،البصري، الضرير الأكمه، من أئمة الحديث والتفسير، ومن أوعية العلم، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وابن المسيب، وأبي العالية، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم، روى عنه أئمة الإسلام: أيوب السختياني، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، ومسعر بن كدام، وشعبة، وجرير بن حازم وخلق غيرهم. توفي بواسط سنة: (١١٧) أو (١١٨ هـ) انظر: السير ٢٦٩/٥- ٢٨٣، وفيات الأعيان ٨٥/٤ - ٨٦.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٣٨٧/٣، وحسنه صاحب التفسير الصحيح ٤٣٠/١.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حلَّ له إلا أن يتبعني**)(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وقال رسول الله ﷺ: (**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)(٢).

وفي الحديث عنه ﷺ قال: (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**)(٣).

وهذا أصل متفق عليه بين المسلمين، فلا خلاف بينهم أن النبي ﷺ مبعوث إلى الإنس والجن جميعاً(٤).

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم: (١٤٦٣١) في مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله ٤٦٨/٢٢ وحسنه الشيخ الألباني في إرواء الغليل برقم: (١٥٨٩) ٣٤/٦.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٤٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٣٥) كتاب التيمم، باب ٥٦٥/٧ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٤) انظر: الشريعة للآجري ١٣٨٦/٣- ١٣٨٩، رسالة إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٩/١٩-٣٩، وانظر: نفس المرجع ٢٠٣/٤-٢٠٩.

المطلب الثاني:
محبته المحبة الشرعية.

فَرَضَ الله تعالى علينا وأوجب محبة النبي ﷺ؛ لأنه أحد رسل الله تعالى، بل هو أفضلهم وخيرهم، وهو حظنا من الأنبياء والرسل، ولايوجد الإيمان في قلب عبد حتى يحب الرسول ﷺ، فلو كان مبغضاً له لم يكن مؤمناً ولا مسلماً، بل هو كافر خارج عن دين الإسلام، ولايكمل الإيمان الواجب حتى يكون الرسولُ ﷺ أحبَّ إلى العبد من كل أحد، حتى من نفسه التي بين جنبيه، وإلا كان آثماً عاصياً، لم يكمل إيمانه الواجب عليه.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضي عياض رحمه الله: " فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالةً وحجةً على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ ؛ إذ قَرَّع تعالى من كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبَّ إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾، ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[(١)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة اللّه ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحبَّ إليه من اللّه ورسوله، وجهاد في سبيله"[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين)**[(٣)].

---

(١) الشفا ص: (٢٧١-٢٧٢).

(٢) تفسير السعدي ص: (٣٧٨).

(٣) رواه البخاري برقم: (١٥) كتاب الإيمان،باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/٨١-٨٢، ومسلم برقم: (١٦٦) كتاب الإيمان،باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ٢/٢٠٥.

وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان آخذاً بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**). فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (**الآن يا عمر**)(١).

وعنه ﷺ قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار**)(٢).

وعلامة محبة العبد للرسول ﷺ أن يتبعه ويطيعه في أمره ويجتنب نهيه، وأن يحب ما يحبه الرسول ﷺ، وأن يبغض مايبغضه، هذه هي علامة المحبة الصادقة، وهذا هو برهانها وإلا كانت دعوى عاريةً عن الدليل. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)** ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال القاضي عياض رحمه الله: " اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقتَه، وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مُدَّعِياً، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها: الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قولُه تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾، وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا**

---

(١) رواه البخاري برقم: (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور،باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ١١/٦٣٧ من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢٨٧).

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] ،وإسخاط العباد في رضى الله تعالى"[١].

ثم ذكر من علامات محبته:

- كثرة ذكره له؛ فمن أحب شيئاً أكثر ذكرَه.
- كثرة شوقه إلى لقائه.
- تعظيمه له، وتوقيره عند ذكره، وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه.
- محبته لمن أحب النبيُّ ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوةُ من عاداهم، وبغضُ من أبغضهم وسبَّهم؛ فمن أحب شيئاً أحب من يحب. إلى آخر ما ذكر رحمه الله[٢].

أما من زعم أنه يحب الرسول ﷺ ثم هو يستنكف عن طاعته، ويقع فيما نهاه عنه من المعاصي، أومن الشرك كدعاء النبي ﷺ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك، أو يقع فيما هو من وسائل الشرك كالتوسل بذاته، والغلو في مدحه ﷺ، والتجاوز في إطرائه، والابتداع في دينه؛ فليس بمحب له في الحقيقة، وليس معظماً له في الحقيقة؛ لكونه قد وقع فيما نهى عنه النبي ﷺ وما أبدى في التنفير عنه وأعاد، وأفنى حياته في التحذير منه.

---

(١) الشفا ص: (٢٧٦).

(٢) انظر: الشفا ص: (٢٧٧- ٢٧٩)، وهذه العلامات وغيرها انظرها بتوسع في كتاب: حقوق النبي ﷺ على أمته للدكتور محمد التميمي ١/٣٢١ -٣٦٥.

المطلب الثالث:

اتباع سنته والاقتداء بهديه.

أبتدئ هذا المطلب بتعريف هذا المصطلح (السنة) وبيان إطلاقاته.

السنة لغة: مصدر بمعنى الطريقة والسيرة ، حسنة كانت أو قبيحة [(١)] .

ومما يدل على أن السنة تطلق على الطريقة والسيرة الحسنة، كما تطلق على الطريقة والسيرة القبيحة أيضاً: ما روى جرير بن عبد الله البجلي[(٢)] ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)** [(٣)] . فالنبي ﷺ قسَّم السنة إلى حسنة وسيئة، فالحسنة ما شرعه النبي ﷺ وأمر به ورغَّب فيه كالصدقة وسائر أعمال البر والخير المشروعة، والسنة السيئة ما لم يشرعه النبي ﷺ من البدع التي لا تستند إلى دليل شرعي نصاً أو استنباطاً.

والسنة الحسنة تعرف من السنة القبيحة بسياق الكلام الذي ذكرت فيه، فإذا ذكرت في سياق المدح والثناء على من فعلها فهي سنة حسنة، وإذا ذكرت في سياق الذم والهجاء فهي سنة قبيحة.

---

(١) انظر: النهاية ص: (٤٤٩) ، الصحاح للجوهري ١٧٢١/٥، لسان العرب ٢٨٠/٧.

(٢) هو الصحابي جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، يكنى أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، أسلم قبل سنة: (١٠)، وحج مع النبي ﷺ حجة الوداع، وقال: ماحجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ومارآني قط إلا ضحك وتبسم، بعثه الرسول ﷺ إلى بعض نواحي اليمن، وكان له أثر في الفتوح في عهد عمر رضي الله عنه. مات سنة: (٥١)، وقيل: (٥٤ هـ). انظر: الإصابة ٢٦٦/١.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٤٨) كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة... ١٠٤/٧-١٠٦.

السنة اصطلاحاً: يطلق أهل العلم كلمة (السنة) على عدة إطلاقات، بحسب العلم الذي يبحث فيه، ولذا فهناك عدة تعريفات للسنة بحسب كل إطلاق.

- تعريف السنة عند المحدِّثين: ما أثر عن النبي ﷺ، من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خَلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[١].
- تعريف السنة عند الأصوليين: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[٢].
- تعريف السنة عند الفقهاء: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حكم دون الواجب والفرض[٣]. وترادف المستحب عندهم[٤].
- وتطلق السنة على ما هو أعم من ذلك، فتطلق في مقابلة البدعة، فيقال مثلاً: أهل السنة وأهل البدعة ، وهذا الاصطلاح يحدد الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ أصحابه والقرون المفضلة ، مباينة لأهل البدع الذين انحرفوا عن ذلك الاعتقاد، وتلبسوا بما يخرجهم من السنة ويدخلهم في البدعة ، حتى وُصِموا بها.

أما السني فهو من اتبع الآثار عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح باطناً وظاهراً.

والمراد بالسنة في هذا المطلب: هدي النبي ﷺ وطريقته، مما يشمل العقائد والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق والآداب الواجبة والمستحبة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "والسنة: هي الطريقة المسلوكة ، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وهذه هي

---

(١) انظر: فتح الباري ٣٠٢/١٣، قواعد التحديث للقاسمي ص: (٦١) ، السنة ومكانتها للسباعي ص: (٦٥).

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢٢٣/١، إرشاد الفحول للشوكاني١٨٦/١، السنة ومكانتها للسباعي ص: (٦٥).

(٣) انظر: إرشاد الفحول١٨٦/١، السنة ومكانتها للسباعي ص: (٦٦).

(٤) فتح الباري ٣٠٢/١٣.

السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله"[١]. ثم ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله أن كثيراً من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقادات، وذلك لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم[٢].

ولهذا أَلَّف كثير من علماء السنة مؤلفاتٍ في الاعتقاد، سموها بالسنة[٣]؛ وذلك بغرض بيان الاعتقاد الصحيح السالم من الشبهات، ولحماية العقيدة الصحيحة ولحماية المجتمع المسلم من نفوذ البدع وأهلها، ولدحض البدع وإزهاقها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:"ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات..."[٤].

وقد جاءت الأدلة الكثيرة على وجوب اتباع سنة النبي ﷺ والقبولِ والتسليمِ لما جاء به رسول الله ﷺ من شرع الله عز وجل الموحى إليه، قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/١٢٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/١٢٠.

(٣) مثل كتاب: أصول السنة للإمام أحمد، السنة لابن أبي عاصم، السنة لعبد الله بن أحمد، السنة للخلال، السنة لابن أبي حاتم، السنة للبربهاري، وصريح السنة للطبري، أصول السنة لابن أبي زمنين وغيرها.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/١٧٨. وللتوسع في هذه المسألة انظر: إضافة إلى ما سبق الإحالة إليه، مجموع الفتاوى ٤/١٨، تحذير المسلمين عن الابتداع لابن حجر آل بوطامي ص: (٤١-٤٢)، الاهتمام بالسنن النبوية للدكتور عبد السلام البرجس رحمه الله ص: (١٨-٣٥).

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وتوعد الله عز وجل من خالف أمر النبي ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك؛ لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه"[(١)].

وقال أبو بكر الصديق[(٢)] رضي الله عنه: "لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به، إلا

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم: (٩٧) (١/٢٦٠).

(٢) هو الصحابي الجليل، خليفة رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، واسمه: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي. مقدم الصحابة وشيخهم وأفضلهم، ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر. صحب النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، وسبق إلى الإيمان به، ورافقه في الهجرة وفي المشاهد كلها، وكانت الراية معه يوم تبوك وحج بالناس سنة تسع، واستقر خليفة للمسلمين بعده، ولقَّبه المسلمون خليفة رسول الله، وكانت وفاته سنة: (١٣هـ) وهو ابن (٦٣) سنة. انظر: الإصابة ٢/١٠٨٨- ١٠٩٢، وانظر: أسد الغابة ٣/٢٠٥- ٢٣١.

عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ"[١].

قال ابن بطة[٢] رحمه الله معلِّقاً: " هذا يا أخواني الصدِّيق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إنْ هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته؟ نسأل الله عصمةً من الزلل، ونجاةً من سوء العمل[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

والله عز وجل قد أمر بالاقتداء بالنبي ﷺ واتباعِه، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] . قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[٤].

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ففي هذه الآيات وغيرها كثير جداً: بيان وجوب اتباع سنة النبي ﷺ ، وأن طاعته طاعة لله؛ لأنه مبلغ عن الله تعالى، كما أن في تلك النصوص وجوب قبول ما جاء به ﷺ، وامتثاله، والانتهاء عما نهى عنه، وبيان فضل ذلك، وأنه سبب لنيل رحمة الله ومغفرته ودخول الجنة.

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم: (٧٧) (١/٢٤٥ - ٢٤٦).

(٢) هو الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، المشهور بابن بطة، من أئمة أهل السنة، له المصنفات المفيدة كالإبانة الكبرى، والإبانة الصغرى، توفي سنة: (٣٨٧ هـ). انظر السير ١٦/٥٢٩- ٥٣٣.

(٣) الإبانة (١/٢٤٦).

(٤) تفسير ابن كثير ٦/٣٩١، وانظر: فتح الباري ١٣/٣٣٦-٣٣٧.

كما أن فيها التحذير من مخالفته، وأنها سبب للانحراف عن الصراط المستقيم، وزيغ القلب عن الهدى، وسبب للعذاب الشديد في جهنم وبئس القرار.

وأمر النبي ﷺ بلزوم سنته والتمسك بها؛ فقال:(**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**)[١].

وحذر ﷺ من مخالفة سنته؛ فقال ﷺ:(**لا أُلفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أَمَرت به أو نَهَيت عنه فيقول:لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**)[٢].

وبيّن أنها وحي من الله ﷻ كالقرآن؛ فقال ﷺ:(**وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**)[٣]. وقال ﷺ: (**ألا إني أؤتيت الكتاب ومثله معه**)[٤].

ففي هذه الأدلة الحث على اتباع السنة ووجوب التمسك بها، وأنها وحي من الله ﷻ كالقرآن الكريم.

وقال ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**)[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣٠).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٤٠).

(٣) رواه الترمذي برقم: (٢٦٦٤) كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ص: (٦٠٠)، من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ، وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه الشيخ الألباني.

(٤) رواه أبو داود برقم: (٤٦٠٤) كتاب السنة، باب في لزوم السنة ص: (٦٩٠). وصححه الشيخ الألباني.

(٥) رواه بهذا اللفظ مسلم برقم: (١٢٦)، كتاب الإيمان ، باب أمر بقتال الناس حتى... ١/١٥٣-١٥٤.

وأخبر النبي ﷺ ببراءته ممن رغب عن سنته وتَرَكَها رغبة عنها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺيسألون عن عبادة النبيﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[١].

فهذه الأدلة وغيرها تدل على وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ والانقياد لأمره، والقبول لما جاء به، وأن الواجب "كمال التسليم للرسولﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالةَ أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عَرْضِه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفَّذه وقَبِلَ خبرَه، وإلا فإنْ طلب السلامة فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره، وإلا حرّفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله، فلأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟ بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يُستشكَل قولُه لمخالفته رأي فلان، بل تُستشكَل الآراءُ لقوله، ولا يعارَض نصُّه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣١).

يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقَف قبولُ قوله على موافقة فلان دون فلان، كائناً من كان"[١].

وقد حث سلفنا الصالح على لزوم سنة النبي ﷺ وبينوا أن السلامة من الشرور كامنة فيها، وأنها هي المنجية من الهلكة. قال أبي بن كعب[٢] رضي الله عنه: " عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله ، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك حتى أصابتها ريح شديدة فتحات ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلافِ سبيلٍ وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً أو اقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسننهم"[٣].

وقال الإمام الزهري رحمه الله: "من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ، وعلينا التسليم"[٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/٣٠٢-٣٠٣.

(٢) هو الصحابي الجليل: أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد النجاري الأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلها، وله فضائل عظيمة، مات سنة: (٢٠) أو: (١٩ هـ).وقيل: سنة: (٢٢ هـ) فقال عمر: اليوم مات سيد المسلمين. وقيل: مات في خلافة عثمان سنة: (٣٠) قال ابن عبد البر: الأكثر على أنه في خلافة عمر. انظر: الاستيعاب ص: (٧٢-٧٤)، الإصابة١/٢٠- ٢١.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (في تكملته) ص: (٢١-٢٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى كتاب الإيمان ١/٣٥٩-٣٦٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم (١٠) ١/٥٩-٦٠ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ١/٤٤ بتحقيق د. المزيد، وذكره التيمي في الحجة ١/١٢١-١٢٢.

(٤) تقدم ص: (٣٤١).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في وصية له لرجل: " أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدِثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة..." (١).

وقال أبو القاسم التيمي رحمه الله: " وليس لنا مع سنة رسول الله ﷺ من الأمر شيء إلا الاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواها من قول الآدميين تبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد ترك السنة ويذهب إلى غيرها، لأنه لا حجة لقول أحد مع رسول الله ﷺ إذا صح "(٢).

واتباع ما جاء به النبي ﷺ والتسليم له من لوازم اعتقاد أنه رسول من عند الله عز وجل؛ فإن ذلك يقتضي التسليمَ التامَّ لكل ما جاء به وشَرَعه، واعتقاد ذلك والعمل به.

قال ابن حزم رحمه الله: "واتفقوا أن كلام رسول الله ﷺ إذا صح أنه كلامه بيقين؛ فواجب اتباعه"(٣).

فمن تعظيم النبي ﷺ اتباعُ سنته واقتفاءُ أثره، أما مخالفة السنة، والتعبد بالبدع وارتضاؤها، فهو متضمن لتنقص الرسول ﷺ والقدحِ في تعظيمهﷺ واتباعه، يقول ابن القيم رحمه الله: " لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسولﷺ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنها خير من السنة وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله "(٤).

---

(١)رواه أبو داود في سننه برقم: (٤٦١٢) كتاب السنة، باب لزوم السنة، ص: (٦٩٢)، وصححه الشيخ الألباني. وانظر آثاراً أخرى عنه رحمه الله في كتاب: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة ٢/٦١٣- ٦١٥.

(٢) الحجة ٢/٤٢٦، وانظر في المسألة آثاراً أخرى في: مختصر الصواعق ٤/١٤٤١-١٤٤٦، تعظيم السنة للشيخ عبد القيوم السحيباني ص: (١٢- ٣٠).

(٣) مراتب الإجماع لابن حزم ص: (٢٧١).

(٤) إغاثة اللهفان ١/٦٢.

المطلب الرابع:

توقيره وتعزيره ونصره.

واجب على كل مسلم أن يوقر الرسول ﷺ ويحترمه، وأن ينصره ﷺ، وأن يحميه ويدافع عنه في حياته وبعد وفاته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٩] .

فأمر تعالى في الآية بالإيمان به وبرسوله ثم أمر بتعزير الرسول ﷺ وتوقيره[1]، وختم الآية بالأمر بتسبيح الله تعالى في أول النهار وآخره.

قال ابن كثير رحمه الله: " ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾، قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه، ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ من التوقير، وهو الاحترام والإجلال والإعظام، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي: يسبحون الله، ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أي: أول النهار وآخره"[2].

وقال السعدي رحمه الله: " ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي: تسبحوا لله ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحقَّ المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها"[3].

معنى التعزير:

تقدم تعريفه لغة وشرعاً في أول البحث.

---

(١) من أهل العلم من قال إن الضمائر في الآية كلها راجعة إلى الله تعالى، فالتعزير والتوقير في الآية على هذا القول هو لله تعالى. انظر: تفسير القرطبي ١٦/٢٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/٣٢٩.

(٣) تفسير السعدي ص: (٩٣٤)، وانظر: تيسير اللطيف المنان له ص: (٣٢٤- ٣٢٥).

ومدار هذه المادة على النصر والإعانة[(١)].

معنى تعزير الرسول:

فُسر التعزير في قول الله تعالى: ﴿وَتُعَـزِّرُوهُ﴾ بتفاسير منها:

-الحماية.

-التوقير والإجلال والتعظيم.

-النصر[(٢)].

قال الإمام الطبري رحمه الله بعد ذكر تلك الأقوال: "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن معنى تعزير الرسول ﷺ في الآية: "والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[(٤)].

وجوب نصرة النبي ﷺ:

يجب على كل مسلم أن ينصرَ رسولَ الله ويحميَه ويدافعض عنه على قدر استطاعته. ويكون ذلك في حياته، وقد قام أصحابه رضوان الله عليهم بذلك أتمَّ قيام؛ فجزاهم الله عن الأمة خير الجزاء، كما أن نصره ﷺ يكون بعد وفاته، ومن نصره بعد وفاته:

- اتباع سنته، واقتفاء هديه في جميع الأمور.
- الدعوة إلى دينه، وبيان مزايا الإسلام ومحاسنه.
- قراءة سيرته، وتعليمها، ونشرها بين الناس.
- إظهار شمائله وأخلاقه الكريمة.

---

(١) انظر ماتقدم في هذا البحث ص: (٢٤).

(٢) جامع البيان (تفسير الطبري) (٢٦/٨٧-٨٨)، وانظر: تفسير القرطبي (١٦/٢٢٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/٢٨٨)، وانظر: التفسير الصحيح (٤/٣٥٣).

(٤) الصارم المسلول ص: (٤٢٠).

● الدفاع عن شخصه الكريم حين التعرض له بسوء.

● الدفاع عن سنته والانتصار لها إذا تعرض لها أحد بردٍّ أو تكذيبٍ أو تأويلٍ، وردُّ الشبهات حولها.

● البعد عن الابتداع في دينه مما يسبب الإزراء بالمسلمين، فقد تنسب تلك البدع والمحدثات وتلك التصرفات على الإسلام ونبيه.

فالواجب على المسلمين نصرُ نبيهم على قدر استطاعتهم خاصة في هذه العصور التي صار بعض الكفار من اليهود والنصارى يتجرأون على مقامه الشريف، ويسيئون إلى شخصه الكريم بعرض أفلام وصور ورسوم مسيئة يشيرون بها إليه ﷺ - نسأل الله أن ينتقم لرسوله منهم، وأن يرينا فيهم عجائب قدرته-، وهذه الأفعال الدنيئة من هؤلاء المتعرضين لشخصه الكريم ﷺ تدل على مدى حقدهم الدفين، ووقوعهم في التطرف الذي يَصِمون به أهلَ الإسلام، وتدل على مدى كذبهم الصريح في دعوى إفساح المجال أمام الحريات الشخصية. فالواجب على المسلمين أن يهبوا لنصر النبيِّ ﷺ كلٌّ حسب استطاعته، بالوسائل المشروعة مما ذكرته آنفاً وغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " نَصْرُ رسولِ اللهِ ﷺ فَرْضٌ علينا؛ لأنه من التعزير المفروض، ولأنه من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [التوبة: ٣٨] إلى قوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾الآية[الصف: ١٤]، بل نَصْرُ آحاد المسلمين واجب

بقولهﷺ: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**)[١] و بقوله: (**المسلم أخو المسلم، لا يُسْلمه و لا يظلمه**)[٢] فكيف لا يُنصَر رسولُ الله ﷺ؟.

ومن أعظم النصر حماية عرضه ممن يؤذيه... وحماية عرضه ﷺ في كونه نصراً أبلغ من ذلك في حق غيره؛ لأن الوقعية في عرض غيره قد لا تضر مقصوده، بل تكتب له بها حسنات.

أما انتهاك عرض رسول الله ﷺ فإنه مناف لدين الله بالكلية؛ فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم؛ فسقط ما جاء به من الرسالة؛ فبطل الدين. فقيام المِدْحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه... "[٣].

وقد أثنى الله تعالى على من عزّر رسولَه ﷺ ونصره، وحكم له بالفلاح، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأثنى الله تعالى على صحابة رسول الله ﷺ الذين تركوا ديارهم وأموالهم، وجادوا بأنفسهم نصرة لله ورسوله، ووصفهم تعالى بالصدق، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨**﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢٤٤٣) كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٢٢/٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٢٤٤٢) كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه ١٢١/٥، ورواه مسلم برقم: (٦٥٢١) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ٣٥٠/١٦-٣٥١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) الصارم المسلول ص: (٢٣٤- ٢٣٥).

فسبيل الفلاح هو نصر النبي ﷺ وتعزيره واتباع سنته، أما إنْ تقاعس المسلمون عن نصر نبيهم فإنهم لم يخذلوا إلا أنفسهم، فالله تعالى ناصرٌ نبيَه فليس هو بحاجة إلى نصرهم له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

توقير النبي ﷺ:

وأيضاً يجب على الأمة أن توقر النبي ﷺ وأن تجله، وأن تحترمه وتعظمه، وأن تعرف له قدره، وأن تنزله في المنزلة التي أنزله الله إياها، مع الحذر من الغلو فيه ﷺ، فهذا أحد حقوقه العظيمة على الأمة، وكيف لاتوقر الأمة ولا تعظِّم مَن عظَّمه الله تعالى، ورفع شأنه، وأعلى ذِكرَه؟.

وكيف لاتعظِّم الأمةُ من كان سبباً في هدايتنا وإخراجنا من الظلمات إلى النور؟، والذي ما من خير إلا دل الأمة عليه، وما من شر إلا حذرها منه، وقد كان شديدَ الحبِّ لأمته، وكثيرَ الحرص عليها، وعظيمَ الشفقة بها، ويعز عليه ويشق عليه ما يشق عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وما يدل على وجوب توقير النبي ﷺ قولُ الله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح: ٩]

قيل في معنى﴿ وَتُوَقِّـرُوهُ ﴾ التوقير هو: التعظيم والتسويد والتفخيم والإجلال[١].

قال ابن جرير رحمه الله: "فأما التوقير فهوالتعظيم والإجلال والتفخيم"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن توقير الرسول ﷺ: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: "والتوقير هو: التعظيم الصادر عن الهيبة والإجلال"[٤].

وقال البيهقي رحمه الله تعليقاً على آية الفتح:" فأبان أن حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون معزَّراً موقَّراً يُتهيَّب، و لا يعامل بالاسترسال والمباسطة كما يعامِل الأكفاءُ بعضُهم بعضاً"[٥].

ومما يدل على وجوب توقيره وتعظيمه ﷺ:

- أن الله تعالى نهى عن دعاء الرسول ومناداته كما ينادي الناس بعضهم بعضاً، تعظيماً لشأنه وتفخيماً لجنابه الشريف عليه صلوات الله وسلامه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] .

ذكر الإمام الطبري رحمه الله عن المفسرين في معنى هذه الآية أقوالاً ومنها:

عن مجاهد[٦] رحمه الله قال: أمرهم أن يَدْعوا يا رسول الله، في لين وتواضع، ولا يقولوا: يامحمد، في تجهُّم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨٧/٢٦، تفسير القرطبي٢٢٧/١٦، تفسير ابن كثير ٣٢٩/٧، أحكام أهل الذمة ١٣٢٨/٣.

(٢) تفسير الطبري ٨٨/٢٦.

(٣) الصارم المسلول ص: (٤٢٠).

(٤) طريق الهجرتين ٦٣٥/٢.

(٥) شعب الإيمان (٣٩٢/٣).

(٦) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين: مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وروى عن =

وعن قتادة رحمه الله قال: أمرهم أن يفخِّموه ويشرّفوه[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" خصه في المخاطبة بما يليق به فقال:﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾ فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله. و كيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء؟، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [الأحزاب: ٢٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ...﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧] .﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ [المزمل: ١] .﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [المدثر: ١] "[2]. مع أنه سبحانه نادى كثيراً من الأنبياء والرسل بأسمائهم[3].

- ومما يدل على وجوب توقيره عليه الصلاة والسلام: أن الله تعالى نهى عن التقدم بين يديه بأمر أو نهي أو تصرُّف حتى يأذن، ونهى عن رفع الصوت فوق صوته، ونهى عن أن يُجهر له بالمخاطبة كما يَجهر الناسُ لبعضهم، وتوعد من خالف ذلك بحبوط عمله، **قَالَ تَعَالَى**:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١ - ٢] .

عدد من الصحابة غيره. توفي سنة: (١٠١)، وقيل: (١٠٢)، وقيل: (١٠٣)، وقيل: (١٠٤ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٦/٥- ٤٦٧، السير ٤٤٩/٤- ٤٥٧.

(١) تفسير الطبري: (٢١٠/١٨).

(٢) الصارم المسلول ص: (٤٢٠-٤٢١).

(٣) انظر: الصارم المسلول ص: (٤٢١-٤٢٢)، وماتقدم ص: (٤٨٥) من هذا البحث.

- ومما يدل على ذلك أيضاً: أن الله تعالى أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فالواجب أن يُوقَّى بالنفس والمال، وأن يرغب المسلم أن المشقة والتعب تحصل له بدلاً من حصولها لرسول الله ﷺ، وأخبر أن زوجاتِه أمهاتٌ للمؤمنين في الاحترام والتقدير وتحريم نكاحهن من بعده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى المؤمنين خبرًا يعرفون به حالة الرسولﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة فقال: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ أقربُ ما للإنسان وأولى ما له نفسُه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحمَ الخلق، وأرأفَهم، فرسول اللّه أعظم الخلق مِنَّةً عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه.

فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مرادُ النفس، أو مرادُ أحد من الناس، مع مرادِ الرسول، أن يقدم مرادَ الرسول، وأن لا يعارض قولَ الرسول، بقول أحد، كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلِّهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه.

وهو ﷺ، أبٌ للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيهم كما يربي الوالدُ أولادَه.

فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتِهم، أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية"[1].

- ومما يدل على وجوب توقيرهﷺ: أن الله تعالى حرم على الأمة نكاحَ نسائه من بعده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(١) تفسير السعدي ص: (٧٧٣).

"فحرَّم على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده؛ لأن ذلك يؤذيه، وجعَلَه عظيماً عند الله تعظيماً لحرمته"(١). قال الشيخ السعدي:" ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ ﴾ يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء ﴿ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ ﴾ هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه ﷺ له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته بعده مخل بهذا المقام.

وأيضاً، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد من أمته ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتنبت ما نهى اللّه عنه منه، وللّه الحمد والشكر"(٢).

- ومما يدل على وجوب توقيره ﷺ: أن الله تعالى نهى عن أن يخاطب ببعض الألفاظ وإن كانت جائزة قطعاً للذريعة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٤]. قال القاضي عياض رحمه الله: " قال بعض المفسرين: هي لغة كانت في الأنصار نُهُوا عن قولها **تعظيماً للنبي ﷺ وتبجيلاً له**؛ لأن معناها: ارعنا نرعك، فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، بل حقه أن يرعى على كل حال. وقيل: كانت اليهود تعرّض بها للنبي ﷺ بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعاً للذريعة، ومنعاً للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة، وقيل غير ذلك"(٣).

- ومما يدل على الأمر بتوقيره وتعظيمه ﷺ: أمر الله تعالى بالصلاة عليه والتسليم، فالأمر بالصلاة والسلام عليه فيه رفع لشأنه وإعلاء لذكره وإظهار لشرفه وفضله، **قَالَ تَعَالَىٰ:**

---

(١) الصارم المسلول ص: (٩٢).

(٢) تفسير السعدي ص: (٧٨٧).

(٣) الشفا ص: (٢٨٦).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وفي المراد بالصلاة والتسليم عليه أقوال منها:

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾. يصلون: يُبرِّكون[١].

وقال أبو العالية[٢]رحمه الله: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء"[٣].

وقال الحليمي[٤] رحمه الله: " فإن قلت: اللهم صل على محمد، فإنما يراد به: اللهم عظّم محمداً في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به، كتاب التفسير باب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ ٦٧٦/٨، ووصله الطبري في تفسيره ٥٢/٢٢. وانظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص: (١٧٨-١٧٩).

(٢) هو رفيع بن مهران، الإمام المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة الصديق، وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، وغيرهم.حفظ القرآن وقرأه على أُبي ﷺ، قيل: مات سنة: (٩٠). وقيل: سنة: (٩٣هـ). انظر: السير: ٢٠٧/٤-٢١٣.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به، في الكتاب والباب السابقين، ووصله إسماعيل القاضي في كتابه: فضل الصلاة على النبي ﷺبرقم: (٩٥) ص: (١٩٢).

(٤) هو الإمام الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم (باللام)، أبو عبد الله الحليمي البخاري، أحد أئمة الدهر، وشيخ الشافعية ببلاد ما وراء النهر، كان من العلماء المجتهدين موصوفاً بالذكاء والفهم، وطول الباع في الأدب والبيان، والتقدم في العلم بالمذهب الشافعي، ومن مصنفاته: كتاب المنهاج في شعب الإيمان. توفي سنة: (٤٠٣ هـ) انظر: السير ٢٣١/١٧- ٢٣٤، طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٣/٤- ٣٤٣، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٧٨/١ - ١٧٩.

أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة النبيين في اليوم المشهود"[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: " هي الطلب من الله تعالى ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي: ثناء عليه، وإظهار لفضله وشرفه، وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب"[٢].

وقال: " فصلاة الله عليه: ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"[٣].

ومن توقيره ﷺ: الصلاة عليه حين يرد ذكره، ففي الصلاة عليه حين ذكره أداء للواجب على المرء، كما أن فيه إظهاراً لتوقير الرسول ﷺ فلا يمر اسمه بدون الصلاة عليه كما يمر اسمُ غيره من الناس، كما أن في ذلك انتفاء صفة البخل عن المصلي، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: (**البخيل الذي مَنْ ذُكِرتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ**)[٤].

وقد عظّم الصحابةُ رضي الله عنهم رسولَ الله ﷺ ووقروه، والدلائل على هذا كثيرة جداً، فما أحرى الأمة اليوم بأن تأتمر بما أمرهم الله به من توقيره وتعظيمه، وأن تقتدي بفعل سلفهم الصالح رضوان الله عليهم.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/١٣٤.

(٢) جلاء الأفهام ص: (١٦٩).

(٣) جلاء الأفهام ص: (١٦٩- ١٧٠)، وانظر: نيل الأوطار ١/٣٠.

(٤) رواه الترمذي برقم: (٣٥٤٦) كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل ص: (٨٠٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي.

قال عمرو بن العاص[١] ﷺ: "وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه"[٢].

ولما جاء عروة بن مسعود[٣] ﷺ يفاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية قبل أن يسلم فلما رجع قال لقومه: " أَيْ قومِ، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيت مَلِيكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمداً، والله إنْ يتنخم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم

---

(١) هو الصحابي عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، أسلم قبل الفتح سنة: ثمان، ولما أسلم كان النبي ﷺ يقربه، وولاه غزاة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، ثم استعمله على عُمَان فمات وهو أميرها، ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر، وهو الذي افتتح قنسرين، وولاه عمر فلسطين، روى عن النبي ﷺ أحاديث، تولى إمرة مصر إلى أن مات سنة: (٤٣هـ). انظر: الإصابة ٢/١٣٤٠ -١٣٤٢.

(٢) رواه مسلم برقم: (٣١٧) كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله ٢/٣١٨-٣١٩ .

(٣) هو عروة بن مسعود بن معتّب الثقفي، وهو عمّ والد المغيرة بن شعبة، كان أحد أكابر قومه، حضر صلح الحديبية قبل أن يسلم، وكانت له اليد البيضاء في تقرير الصلح، قيل: أسلم بعد الحج سنة تسع، وقيل: لما انصرف النبي ﷺمن الطائف تبعه فأسلم، وأستأذنه أن يرجع إلى قومه، فقال: «إنّي أخاف أن يقتلوك»، قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له، فدعاهم إلى الإسلام، ونصح لهم فعصوه، وأسمعوه من الأذى، فلما كان من السّحر قام على غرفة له فأذّن، فرماه رجل منهم بسهم فقتله. انظر: الاستيعاب ص: (٥١٧- ٥١٨)، الإصابة ٢/١٢٥٥- ١٢٥٦.

ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له"[١].

وعن أسامة بن شريك[٢] رضي الله عنه قال: " أتيت النبي ﷺ وأصحابُه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت..."[٣]. والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم وعن سائر السلف الصالح كثيرة جداً[٤].

(١) رواه البخاري في حديث طويل برقم: (٢٧٣١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٥/٤٠٣-٤٠٨ .

(٢) هو الصحابي: أسامة بن شريك من بني ثعلبة بن يربوع، وقيل: من بني ثعلبة بن سعد، كوفي، له صحبة ورواية، روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة وابن حبان. انظر: الاستيعاب ص: (٧٧)، الإصابة ١/٣٣-٣٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم: (٣٨٥٥) كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى ص: (٥٨٠) وصححه الألباني.

(٤) انظر: الشفا للقاضي عياض ص: (٢٨٦- ٢٩٢).

المبحث الثالث:

التعظيم البدعي والشركي لنبينا محمد ﷺ .

حذّر النبي ﷺ من الغلو في الدين عموماً ومن الغلو فيه عليه الصلاة والسلام خصوصاً، لأن الفتنة بالغلو في الأنبياء والصالحين أشد من الفتنة بغيرهم لما لهم من المنزلة في قلوب الناس، فلذلك أكثر النبي ﷺ من النهي عن الغلو في شخصه الكريم كقوله ﷺ: (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**)[١] والإطراء هو المجاوزة في المدح والكذب فيه[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا وخيرنا، وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ: (**عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**)[٣].

وقال ﷺ في مرض موته:(**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا[٤].

وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس ليال: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**)[٥].

ومع هذا النهي الشديد والتحذير الأكيد منه ﷺ إلا أن وقع الغلو فيه من طائفتين من المنتسبين للإسلام؛ وهما: الرافضة والصوفية.

أما (الرافضة): فقد ذكروا بأن الرسول ﷺ قديم الوجود، وأن خلقه سابق للكائنات، وأن الكائنات إنما خلقت من نوره –كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله–.

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص: (٥٦٢)، فتح الباري ٥٩٨/٦.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٣٣).

(٤) تقدم تخريجه ص: (٤٦٠).

(٥) رواه مسلم برقم: (١١٨٨) كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٧/٥.

وأما (الصوفية)، فقد وقع منهم أنواع متعددة من الغلو في حق النبي ﷺ، وهي ضلالات وظلمات بعضها فوق بعض، وقد وقعوا في الغلو في النبي ﷺ بدعوى محبته وإجلاله وتقديره، فتجاوزوا المشروع في ذلك إلى الممنوع وهو الغلو والإطراء الذي منعه الشرع وحذر منه غاية التحذير.

ومن الغلو الحاصل في حق النبي ﷺ:

دعاء النبي ﷺ وسؤاله والاستغاثة به بعد موته:

فقد توجه كثير من الصوفية والقبورية ومن تأثر بهم من جهلة عوام المسلمين إلى النبي ﷺ يسألونه ما لايجوز أن يسأل ويطلب إلا من الله تعالى من كشف الكروب وستر العيوب وغفران الذنوب، وقضاء الحاجات وإغاثة اللهفات، والنصر على الأعداء، وإنزال المطر من السماء، حتى قال بعضهم: إنه تجوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل مايستغاث فيه بالله تعالى(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرحه لقول النبيﷺ: **(إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله)** قال:" أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد لله فَصِفُوني بذلك كما وصفني به ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله.

فأبى عُبّاد القبور إلا مخالفةً لأمره، وارتكاباً لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبدالله ورسوله، وأنه لا يدعى، ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله أنَّ في ذلك هضماً لجنابه، وغضّاً من قدره؛ فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعته النصارى في عيسى أو قريباً منه، فسألوه مغفرةَ الذنوب وتفريجَ الكروب"(٢).

---

(١) انظر: الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (٢٤١).

(٢) تيسير العزيز الحميد ٥٥٨/١.

وانظر إن شئت إلى قصيدة البوصيري(١) التي لها القدح المعلى عند الصوفية احتفاءًا بها وترديداً، والتي يقول فيها:

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدًا وهو أوفى الخلق بالذم

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم(٢).

فماذا بقي لله تعالى إذا كان ليس له من يلوذ به عند الحوادث العظيمة وعند عرصات يوم القيامة إلا الرسول ﷺ ؟ ثم يدعي كذباً أن له ذمة عند الرسول ﷺ بمطابقة اسمه لاسمه.

ويقول أحدهم مخاطباً الرسول ﷺ:

ولذ به في كل ما ترتجي ... فإنه المأمن والمعقل

وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل

يا أكرم الخلق على ربه . .. وخير من فيهم به يسئل

قد مسني الكرب وكم مرة ... فرجتَ كرباً بعضه يعضل

فبالذي خصك بين الورى ... برتبة عنها العلا تنزل

عجل بإذهاب الذي اشتكى ... فإن توقفتَ فمن أسأل(٣).

---

(١) هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله، شرف الدين، أبو عبد الله، شاعر معروف، وشعره في غاية الحسن واللطافة، لكن بعضه مملوء بالغلو في النبي ﷺ، وقد عارض قصيدة بانت سعاد بقصيدة في مدح النبي ﷺ يقول في مطلعها:

إلى متى أنت باللذات مشغول ... وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

وقصيدته المشهورة بالبردة التي أولها:

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

(وهي التي سقت في المتن بعض أبياتها). توفي سنة: (٦٩٦ هـ) انظر: الوافي بالوفيات ٣/٨٨ - ٩٤.

(٢) ديوان البوصيري ص: (٢٤٨).

(٣) هي لمحمد بن أبي الحسن البكري الشافعي ت: (٩٤٤ هـ)، أوردها محمد علوي المالكي في كتابه الذخائر المحمدية ص: (١٥٨)، وذكر أنها مجربة لقضاء الحوائج، وتقرأ في الليل بعدما تيسر من =

وقد تقدم شيء من الكلام حول هذه المسألة فيما يتعلق بالغلو في الأنبياء عليهم السلام[١].

الرد على من استغاث بالرسول ﷺ ودعاه، باختصار:

أولاً: أن هذا من الغلو الذي حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ -وقد تقدم ذكر بعض الأدلة المحذرة من الغلو المبينة لخطورته-[٢].

ثانياً: أن الاستغاثة والدعاء عبادة لايجوز صرفها لغير الله تعالى، ومن صرفها لغيره فقد أشرك، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨] . فنهى سبحانه عن أن يدعى أحد معه ولم يستثن، بل أطلق، ليعم كل مدعو من دون الله تعالى، فمن دعا ملَكاً أو دعا نبياً أو رجلاً صالحاً أو دعا حجراً أو شجراً فقد أشرك بالله تعالى.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦ ــ ٥٧].

وقال النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في وصيته له: **(وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)**[٣]. وقد تقدم الكلام على هذه المسألة بأوسع مما هنا[٤].

الصلاة، ويكرر بيت عجل بإذهاب الذي أشتكي (٧٣) مرة. وانظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص: (١٩٥).

(١) انظر ما تقدم ص: (٤٦٠) من هذا البحث.

(٢) انظر ما تقدم ص: (٣٥٥) و ص: (٤٦٣) من هذا البحث.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٢١٧).

(٤) انظر ما تقدم ص: (٢٩٥) من هذا البحث.

ثالثاً: أن الرسول ﷺ لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن أن يملكه لغيره، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ ﴾ [الجن: ٢١ – ٢٣] .

رابعاً: أنه ﷺ لا يملك شيئاً لأقرب الناس إليه وهم قرابته وأصحابه فضلاً عن غيرهم من الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: (**يا معشر قريش،أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسَ بنَ عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفيةَ عمةَ رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةَ بنتَ محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**)(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول(٢) فعظَّمه وعظم أمره، قال: (**لا أُلْفِين أحدَكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا**

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢٧٥٣)كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ٤٦٨/٥، ومسلم برقم: (٥٠٣)كتاب الإيمان،باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ ٧٦/٣.

(٢) أصل الغلول الخيانة مطلقاً، ثم غلب اختصاصه في الاستعمال بالخيانة في الغنيمة، أي: الأخذ منها قبل القسمة. انظر: شرح النووي على مسلم ٤٢٠/١٢، النهاية في غريب الحديث ص: (٦٧٦).

رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت[١]**، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق**[٢]**، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك)**[٣].

فانظر كيف صرح النبي ﷺ أنه لايملك ضراً ولانفعاً لأقرب الناس إليه، وهم قومه وعشيرته وعمه وعمته وابنته، وكذا صحابته، لايملك لهم من الله شيئاً، ولايستطيع أن يمنع عنهم عذاب الله إن أنزله بهم، فكيف يأتي بعض الناس ويسأله الشفاعة والمغفرة والهداية والشفاء وغيرها من المطالب العالية؟.

فدعاء النبي ﷺ وسؤاله والاستغاثة به فيما لايقدر عليه إلا الله هو من الشرك الذي ينافي التوحيد، وإن أظهره أصحابه في قالب التعظيم للنبي ﷺ . قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "ومن العجب أن اللعين كادهم مكيدة أدرك بها مأموله، فأظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه، ومحبة الصالحين وتعظيمهم، ولعمر الله إنَّ تبرئتهم من هذا التعظيم والمحبة، هو التعظيم لهم والمحبة، وهو الواجب المتعين.

وأظهر لهم التوحيد والإخلاص في صورة بغض النبي ﷺ وبغض الصالحين، والتنقص بهم، وما شعروا أنهم تنقصوا الخالق سبحانه وتعالى، وبخسوه حقه، وتنقصوا النبي ﷺ والصالحين بذلك.

أما تنقصهم للخالق تعالى: فلأنهم جعلوا المخلوق العاجز مثل الرب القادر في القدرة على النفع والضر.

---

(١) الصامت هو الذهب والفضة، خلاف الناطق وهو الحيوان. النهاية ص: (٥٢٦).

(٢) رقاع تخفق، أي تتحرك، والمراد بها: الثياب في أظهر قولي العلماء، وقيل هي الحقوق المكتوبة في الرقاع من الديون. انظر: فتح الباري ٦/٢٢٤، النهاية ص: (٣٧٠).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٠٧٣) كتاب الجهاد والسير، باب الغلول ٦/٢٢٣، ورواه مسلم برقم (٤٧١١) كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول ١٢/٤٢٠-٤٢١.

وأما بخسهم حقه تعالى: فلأن العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى، فإذا جعلوا شيئاً منها لغيره فقد بخسوه حقه.

وأما تنقصهم للنبي ﷺ وللصالحين: فلأنهم ظنوا أنهم راضون منهم بذلك أو أمروهم به، وحاشا لله أن يرضوا بذلك، أو يأمروا به؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥."[١].

القول بالحقيقة المحمدية:

معنى الحقيقة المحمدية عند الرافضة والصوفية: هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل هي الإنسان الكامل بأخص معانيه، وإن كان كل موجود هو مجلى خاص لاسم إلهي، فالحقيقة المحمدية هي مبدأ خلق العالم وأصله، وهي الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها، وهو الاسم الأعظم"[٢] .

ويعرفونها أيضاً بأنها: الذات مع التعين الأول، وهو الاسم الأعظم[٣] .

فيزعمون أنه ﷺ نور أزلي قديم قبل أن يوجد العالم، وأنه هو مبتدأ الخلق ومادته، وهو المصدر الذي أخذ عنه الأنبياء والرسل عليهم السلام وسائر الأولياء.

يقول الجيلي[٤]: " اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٤٧٤/١-٤٧٥ .

(٢) المعجم الصوفي ٥٩٣/٢ .

(٣) التعريفات للجرجاني ص: (١٥٤).

(٤) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني: من غلاة المتصوفة القائلين بالاتحاد، له كتب كثيرة مليئة بتقرير الإلحاد وتقرير عقيدة الاتحاد، ووحدة الوجود، منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، والكهف والرقيم في شرح بسم الله
=

في ملابس ويظهر في كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان"[١].

ويقول أحدهم: " وكل نبي من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ مظهر من مظاهر نبوة الروح الأعظم . فنبوته ذاتية دائمة ، ونبوة المظاهر عرضية منصرمة ، إلا نبوة محمد ﷺ، فإنها دائمة غير منصرمة ، إذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم ، وصورته صورة الحقيقة التي ظهر فيها بجميع أسمائها وصفاتها . وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصفات . تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها ، وختم به النبوة ، فكان الرسول ﷺ سابقاً على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة، متأخراً عنهم من حيث الصورة"[٢].

ولعل البوصيري يشير إلى هذه العقيدة الصوفية عندما قال في بردته المشهورة يمدح النبي ﷺ فوقع في الغلو والشرك والعياذ بالله:

وكل آي أتى الرسل الكرامُ بها فإنما اتصلت من نوره بهم[٣]

ويقول:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[٤]

الرحمن الرحيم، توفي سنة: (٨٣٢ هـ). انظر: الأعلام ٤/٥٠- ٥١، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد للشوكاني ص: (٥٦- ٥٩) .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل للجيلي ٢/٧٣- ٧٤.

(٢) نقله الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه: التصوف المنشأ والمصادر ص: (٢٥١) عن كتاب: ختم الأولياء ص: (٤٨٦).

(٣) قصيدة البردة (ضمن ديوان البوصيري) ص: (٢٤٢).

(٤) قصيدة البردة (ضمن ديوان البوصيري) ص: (٢٤٠).

الرد على الصوفية في قولهم بالحقيقة المحمدية:

هذا القول باطل واضح البطلان، ليس عليه دليل من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ.

كما أن هذا القول فيه غلو في الرسول ﷺ ورفع له فوق منزلة البشرية، وفيه إضافة بعض الخصائص الإلهية له ﷺ، كدعوى أن له الأسماء الحسنى كلها، وأنه هو الاسم الأعظم، وأن الكائنات والمخلوقات تعينت بفضل فيض نوره عليها، وأن منه استمد جميع الأنبياء نبوتهم من عهد آدم عليه السلام فمن بعده.

كما أن هذا القول مصادم لما جاء في القرآن الكريم من أن الغاية من خلق الإنس والجن وسائر الخلق هي عبادة الله تعالى، وليست العلة هي وجود النبي ﷺ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [هود: ٧] .

فأبان تعالى أنه خلق الخلق لاختبارهم وامتحانهم أيهم أحسن عملاً.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فذكر تعالى أنه خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه مخلصين له الدين.

كما أن أول المخلوقات هو العرش أو القلم على اختلاف بين العلماء في ذلك[1]، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [هود: ٧] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢/٢٧٥،شرح الطحاوية ٢/٤٠٥- ٤٠٦.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**)[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومحمد سيد ولد آدم . وأفضل الخلق وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو إنه لولا هو لما خَلَقَ عرشاً ولا كرسياً ولا سماءً ولا أرضاً ولا شمساً ولا قمراً . لكن ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرى قائله"[(٢)].

من الغلو في تعظيم النبي ﷺ: الزعم بأن حياته الدنيوية مستمرة لم تنقطع.

يزعم بعض الناس أن حياة الأنبياء والرسل الدنيوية مستمرة لم تنقطع وأنهم يفعلون في قبورهم كلّ شيء كانوا يفعلونه في الحياة الدنيوية من الأكل والشرب والنكاح وملاقاة الناس والاجتماع بهم، ويدّعون هذا في حق نبينا ﷺ[(٣)].يقول أحد الصوفية: " لم يمت محمد، وإنما الذي مات هو استعدادك لأن تراه بعين قلبك"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٣١٩١) كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم ٢٧] ٣٤٣/٦ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٦/١١.

(٣) انظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء ما لهم من الكرامات والألطاف ص: (٤١، ٧٧-٨٦)، فقد رد فيه على مبتدع قال هذه المقالة، وانظر: القبورية لأحمد المعلم ص: (٣١٢-٣١٤)، فقد ذكر أمثلة من كلام الصوفية في زعمهم أن النبي ﷺ يجتمع بهم ويجيب على أسئلتهم، ويهدي إليهم، وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/٧-٣٥، الصوفية في حضرموت ص: (٦٣٨-٦٤٥)، شعر البرعي في ميزان الكتاب والسنة ص: (٤٩-٥٠).

(٤) قاله أبو العباس القصاب كما في تذكرة الأولياء ١٨٥/٢ .بواسطة تقديس الأشخاص١٥/٢.

ويقول أحدهم: " فلما انتقل إلى الدار الآخرة- وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء- صار إلى أمته الأمر الخاص للخاص"[(١)]. وتقدم الرد على هذا القول الباطل.

ومن الغلو في تعظيم النبي ﷺ التوسل بذاته:

التوسل بالنبي ﷺ أقسام:

أولها: التوسل بالإيمان به وطاعته واتباعه، فهذا جائز، ولا إشكال فيه، كما أخبر الله عن أهل الإيمان أنهم يقولون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الثاني: التوسل بدعائه ﷺ وشفاعته، في حياته الدنيا ويوم القيامة أيضاً يطلب الناس منه الشفاعة إلى الله تعالى. فهذا أيضاً جائز، فقد ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب[(٢)] ﷺ فقال: " اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون "[(٣)].

فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ لابذاته، فإنه لوكان هذا التوسل منهم بذاته ﷺ لما عدلوا عن التوسل بها بعد موته إلى التوسل بدعاء العباس، فعلم أنهم إنما كانوا يتوسلون بدعائه لا بذاته.

---

(١) قاله علي حرازم كما في كتابه جواهر المعاني ١/١٤١ .

(٢) هو الصحابي الجليل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، أبو الفضل، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعِمارة، هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة، وحدث عن النبي ﷺ بأحاديث، توفي بالمدينة سنة: (٣٢ هـ) ﷺ.انظر: الإصابة٢/١٠٠٠ - ١٠٠١، أسد الغابة ٣/٦٠- ٦٣.

(٣) رواه البخاري برقم: (١٠١٠) كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء ٢/٦٣٧ من حديث أنس ﷺ.

الثالث: التوسل بذاته ﷺ وسؤال الله بجاهه، فهذا بدعة محرمة، لم يفعلها الصحابة رضي الله عنهم، كما يدل على ذلك عدولهم عن التوسل بذلك إلى التوسل بدعاء عم النبي ﷺ العباس رضي الله عنه، مع أن جاه النبي ﷺ عند ربه باق لم ينته بموته[١] .

ومن الغلو في تعظيم النبيﷺ: الحلف به:

فالحلف بالنبي ﷺ والإقسام به شرك، ولو كان قصد الحالف هو تعظيم النبي ﷺ كما نسمعه من بعض العوام، فالحلف لايجوز إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته، أما من حلف بمخلوق فقد أشرك؛ قال ﷺ: (**من حلف بغير الله فقد أشرك**)[٢]، وقالﷺ: (**ألا إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت**)[٣].

وتقدم في هذا البحث[٤] حكم الحلف بغير الله، وأنه قد يكون من الشرك الأصغر، وقد يكون من الشرك الأكبر.

ومن الغلو في تعظيم النبي ﷺ: الاحتفال بمولده:

فالاحتفال بمولد النبي ﷺ بدعة منكرة لم يفعلها النبي ﷺ ولاصحابته رضي الله عنهم ولا أهل القرون الثلاثة المفضلة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وإنما حدث بعد ذلك بمئات السنين، فعله بعض المنتسبين للإسلام تقليداً للنصارى في الاحتفال بميلاد المسيح عليه

---

(١) انظر في مسألة التوسل وأحكامه: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، الواسطة بين الحق والخلق كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني،التوصل إلى حقيقة التوسل للشيخ محمد نسيب الرفاعي وغيرها .

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢٢٣) من هذا البحث.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٢٢٣) من هذا البحث.

(٤) انظر: ص: (٢٢٢).

السلام، فهو احتفال مبتدع محرم، وقد قال النبي ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)، وفي رواية: (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[(١)] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الاحتفال بالمولد النبوي: " فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضِي له وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا؛ **فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص**. وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان"[(٢)] .

ومن الغلو في تعظيم النبي ﷺ اتخاذ قبره عيداً:

فقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني**)[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٢٧)، وانظر: معارج القبول ١٢٢٨/٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٤– ٤٠٥). وسيأتي مزيد بيان على الاحتفال بالمولد النبوي بمشيئة الله تعالى. انظر ص: (٦٥٥) من هذا البحث.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٨٨٠٤) في مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه ٤٠٣/١٤، ورواه أبو داود في سننه برقم: (٢٠٤٢) كتاب المناسك، باب زيارة القبور ص: (٣١٠)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين ٤٨٥/٢ (مع شرحه بهجة الناظرين)، وصححه الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص: (٣٠٨)، وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن أبي داود، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد.

واتخاذ القبر عيداً بمعنى: أن يعتاد مجيئه في وقت معين كيوم من الأسبوع أو الشهر أو السنة، أو بعد فريضة من الفرائض، ومن اتخاذه عيداً أن يُكثر التردد عليه والمجيء إليه.

والعيد اسم لما يعود ويتكرر بعود الأسبوع أوالشهر أو السَّنة ونحو ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر، أو نحو ذلك.

فالعيد يجمع أموراً:

منها: يوم عائد كيوم الفطر، ويوم الجمعة.

ومنها: اجتماع فيه.

ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات أو العادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً. وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً "[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: " فمعنى الحديث: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص، في زمان مخصوص، وذلك يدل على المنع في جميع القبور وغيرها؛ لأن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نَهَى عن اتخاذه عيداً؛ فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان"[٢].

فليس من تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وحبه أن يتخذ قبره عيداً، فمن فعل ذلك فليس بمعظِّم له في الحقيقة، بل هو مبتدع ضال غير معظِّمٍ له، بل مؤدى فعلِه تنقص رسول الله ﷺ، إذ أن كل مبتدع هو في الحقيقة مستدركٌ على الرسول ﷺ ومتهمٌ له بعدم البلاغ،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٢٩٧- ٢٩٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٢٦٤، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٣٣- ٤٤٣)، الصارم المنكي ص: (٣٠٨).

وظانٌ أن هناك طرقاً موصلة إلى الله تعالى غير طريقة الرسول ﷺ، وأيضاً فإن تعظيم النبي ﷺ هو في اتباع أمره واجتناب مانهى عنه، ومما نهى عنه اتخاذ قبره عيداً، يقول الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله: " تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب، وكراهة ما يكره، والرضا بما يرضى به، وفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والمبادرة إلى ما رغب فيه، والبعد عما حذر منه، وأن لا يتقدم بين يديه، ولا يقدم على قول أحد سواه" [(١)] .

(١) الصارم المنكي ص: (٣٣٥).

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم اليوم الآخر والقدر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم اليوم الآخر، **وفيه تمهيد ومطلبان:**

المطلب الأول: التعظيم الشرعي لليوم الآخر .

المطلب الثاني: المخالفون في التعظيم الشرعي لليوم الآخر.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم القدر **وفيه تمهيد ومطلبان:**

المطلب الأول: التعظيم الشرعي للقضاء والقدر .

المطلب الثاني: المخالفون في التعظيم الشرعي للقضاء والقدر.

المبحث الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم اليوم الآخر.

وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد

اليوم الآخر: هو كل مايكون بعد الموت مما جاء به النص من الكتاب والسنة.

ويدخل فيه: الحياة البرزخية ومايكون فيها من النعيم والعذاب وسؤال الملكين، وكذلك النفخ في الصور والبعث والحشر وتطاير الصحف والحوض والميزان والصراط والجنة والنار.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار"[(١)].

معنى الإيمان باليوم الآخر:

" معناه: التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك: الإيمان بأشراط الساعة وإماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله ﷻ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم ﷻ"[(٢)].

---

(١) فتح الباري ٧٣/١، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣١٣/٧.

(٢) أعلام السنة المنشورة ص: (٩٥) .

المطلب الأول:

التعظيم الشرعي لليوم الآخر

عظّمت الشريعة اليوم الآخر تعظيماً بليغاً، وأمرت العباد أن يستعدوا لهذا اليوم الذي يجمع فيه الأولون والآخرون، وأن يخافوا هذا اليوم ويخشوه، وأن يستعدوا له قبل حلوله، ويتأهبوا له قبل نزوله، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

و قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣]. فأمر سبحانه بتقواه، وأمر بالخشية من يوم القيامة، والخشية خوف يصاحبه تعظيم.

ومن دلائل تعظيم الشريعة لليوم الآخر وغرس تعظيمه والخوف منه في النفوس:

أولاً: أنه أحد أركان الإيمان الستة.

ثانياً: أنه تكرر ذكره كثيراً جداً في القرآن، فلاتكاد تجد سورة إلا وقد ذكر فيها، بل هناك من السور ماكان ذكر اليوم الآخر هو أبرز موضوعاتها، مثل: سور القيامة والمرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية، وتكرر ذكره في السنة في أحاديث كثيرة لاتحصى إلا بمشقة(١).

ثالثاً: تسميته بأسماء كثيرة، ومنها:

- يوم القيامة، وهذا الاسم تكرر كثيراً في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ ﴾ [القيامة: ١]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٦]. "وسميت القيامة قيامة: لأن الناس يقومون فيه لرب

---

(١) انظر: معارج القبول ٢/٧٥١ – ٧٦٩ .

العالمين عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٤ - ٦] . وقيل: سمي يوم القيامة: لأن الناس يقومون من قبورهم إليها"(١).

● اليوم الآخر: وهذا الاسم تكرر كثيراً في القرآن الكريم أيضاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ [البقرة: ٨] .

وسمي باليوم الآخر لأنه آخر يوم، فلايوم بعده(٢).

● الساعة: وهذا الاسم تكرر كثيراً في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وسمي اليوم الآخر بالساعة: لسرعة الحساب فيه(٣)، وقيل: لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كله(٤).

● يوم الجمع، وهذا الاسم ورد في القرآن الكريم في موضعين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ ﴾ [التغابن: ٩] ،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ٧] وسمي يوم القيامة يوم الجمع؛ لأن الله يجمع فيه جميع الخلائق، فيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد(٥).

● يوم الدين: وهذا الاسم تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ ﴾ [المعارج: ٢٦].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٩١/٥- ٢٩٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣٥/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٣٧٧/٦، المفردات للراغب ص: (٢٢٤) .

(٤) انظر: لسان العرب ٣٠٢/٧ .

(٥) انظر: زاد المسير ٥٩/٤، تفسير ابن كثير ١٩١/٧، معارج القبول ٨١٤/٢ .

والمراد بالدين الحساب والجزاء، سمي يوم القيامة بيوم الدين، لأنه اليوم الذي يجازى فيه الخلق، ويحاسبون على أعمالهم[١].

● يوم الفصل، وهذا الاسم تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الصافات: ٢١]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الدخان: ٤٠]، وسمي يوم الفصل؛ لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلائق، ويقضي بينهم بحكمه سبحانه[٢].

● يوم التلاق: وهذا الاسم ورد في القرآن الكريم في موضع واحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ [غافر: ١٥] . وسمي يوم التلاق لأنه يلقى فيه العبد ربه، ويلقى فيه العامل عمله، ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهل السماوات والأرضين[٣]، ويلتقي الظالم والمظلوم والخصوم، ويلتقي العابدون والمعبودون[٤].

● يوم التناد: وهذا الاسم ورد في القرآن الكريم في موضع واحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [غافر: ٣٢]، وسمي يوم التناد لتنادي العباد بعضهم بعضاً، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه، وبندائهم ليتبعْ كل قوم ما كانوا يعبدون، ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلاً من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله[٥]، وقيل غير ذلك.

---

(١) انظر: زاد المسير ١/١٧، تفسير ابن كثير ١/١٣٤.

(٢) انظر: معارج القبول ٢/٨١٤ .

(٣) معارج القبول ٢/٨١٤ .

(٤) انظر: تفسير البغوي ٧/١٤٣، زاد المسير ٤/٣٢ .

(٥) معارج القبول ٢/٨١٤ .

• يوم التغابن: وهذا الاسم ورد في القرآن الكريم في موضع واحد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] وسمي يوم التغابن: لكثرة المغبونين في ذلك اليوم، فقيل: أنه ليس من كافر إلا وله منزل وأهل في الجنة، فيرث ذلك المؤمن، فيغبن حينئذ الكافر.

وقيل: غبن أهل الجنة أهل النار. وقيل: أنه يوم غبن المظلوم الظالم، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً، فصار في الآخرة غابناً. وقيل: أنه يوم يظهر فيه غبن الكافر بتركه للإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان[١].

وله أسماء أخرى كالواقعة والحاقة والقارعة.

ويكون تعظيم المسلم لليوم الآخر بما يلي:

أولاً: الإيمان باليوم الآخر، فيؤمن المسلم باليوم الآخر، وأنه حق لاريب فيه، والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[٢].

ومما يدل على وجوب الإيمان بذلك اليوم، وأنه آت لاشك في ذلك ولاريب، وهذا من مقتضى حكمة الله تعالى وعدله لينال كلُّ عامل في هذه الحياة جزاء عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ [الحج: ٧] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ ﴾ [طه: ١٥]. والآيات في هذا كثيرة جداً.

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٨/١٤١، زاد المسير ٤/٢٩٣.

(٢) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (**كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد**)[1]. والأحاديث الواردة في إثبات يوم القيامة وبعث الخلق وجمعهم لذلك اليوم وحسابهم وجزائهم وذكر مآل الناس إلى الجنة أو النار كثيرة جداً .

ثانياً: الاستعداد لذلك اليوم والتهيؤ له بصالح العمل، فيوم القيامة لانجاة فيه إلا بتوحيد الله تعالى وإخلاص الدين له وبطاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٧ – ٨٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ويوم القيامة هو الحياة الحقيقية، وما قبله ليس بشيء بالنسبة له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وإن الخسارة الحقيقية التي لاربْح بعدها هي الخسارة في ذلك اليوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

فتَيَقُّنُ هذا مما يحمل الإنسانَ على الاستعداد لليوم الآخر وخشيتِه وتعظيمِه، كما أنه يوجِد لديه الرغبةَ في الفوز بالنعيم والخوفَ من العذاب الأليم في ذلك اليوم.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٧٤) كتاب التفسير، تفسير سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ٨/٩٤٤، ورواه من من طريق آخر في الحديث الذي بعده في باب قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾.

ثالثاً: عدم الخوض في الغيبيات بغير علم:

فاليوم الآخر وما يحدث فيه هو من أمور الغيب التي يقصر العقل البشري عن إدراكها على حقائقها، ولذلك فيجب الإيمان بحقائق اليوم الآخر كما جاء في نصوص الوحيين، سواء أدركها العقل أو لم يدركها، دون التعرض لما لم يفهمه الشخص بنفي أو تأويل أو تكييف، وأن يترك الإنسانُ الخوضَ والتكلمَ فيها بغير علم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

والشريعة ولله الحمد لم تأت بما تحيله العقول، وإنما أتت ببعض الأمور التي قد يعجز العقل عن فهمها وتصورها. يقول أبو القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله:" ولو كان أساس الدين على المعقول لا ستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا. ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات النار، وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقَها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه، ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقناه، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته"[(١)].

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٣٤٧- ٣٤٨.

المطلب الثاني:

المخالفون في التعظيم الشرعي لليوم الآخر.

الذين خالفوا التعظيم الشرعي لذلك اليوم أصناف كثيرة، ومنهم:

أولاً: منكروا البعث:

أنكر طوائف من بني آدم البعثَ يوم القيامة واستبعدوه بمحض عقولهم القاصرة، مخالفين ما أمرت به الشرائع السماوية من إثبات ذلك اليوم ووجوب الإيمان به، وقد ذكر الله تعالى هذا عنهم وأنكره عليهم وكفّرهم به وأقسم بذاته المقدسة على وقوعه ؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾ [سبأ: ٣].

ومنكروا البعث على أربعة أصناف:

- **صنف أنكروا المبدأ والمعاد** وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها، فتوجَد وتُعدَم بأنفسها ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

- **وصنف من الدهرية يقال لهم الدورية:** وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن في كل ست وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول-قبحهم الله تعالى-، وهؤلاء الطائفتان يَعُمُّهم قولُه عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ولهذا فللسلف الصالح فيها تفسيران: الأول: معنى قولهم: ﴿ نَمُوتُ وَنَحۡيَا ﴾ أي: يموت الآباء ويحيى الأبناء هكذا أبداً، وهو قول الطائفة الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجِد ولا معدِم ولا محاسِب ولا مجازِي، وهو قول الدورية.

- **الصنف الثالث: الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم**، وهم مقرون بالبداءة وأن الله ربهم وخالقهم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٧، ومع هذا قالوا: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الدخان: ٣٥] . فأقروا بالبداءة والمبدىء وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح: (**فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته**)[1].

وشبهتهم التي حملتهم على ذلك الإنكار هو مجرد الاستبعاد العقلي، وجهلهم بعظيم قدرة الله تعالى على إحياء الله الموتى بعد أن يصيروا عظاماً بالية متفتتة ورفاتاً وتراباً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقد رد الله تعالى على هذه الشبهة في القرآن الكريم بطرق كثيرة، منها:

- بيان أن ذلك هين على الله تعالى فهو سبحانه قادر على كل شيء، ولايعجزه شيء في السموات والأرض، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨].

- بيان أن الذي خلق السموات والأرض قادر عن إعادتهم بعد موتهم، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] . وخلق السماوات والأرض أعظم وأكبر من خلق الناس، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧] .

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٥٤٠).

- أن إعادة الخلق أهون من ابتدائه؛ فلم أقررتم بالابتداء وأنكرتم الإعادة، وهي أهون؟، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧] . وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًۭٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم: ٦٦ – ٦٧] .

- أن الذي يحيي الأرض بالغيث والنبات بعد موتها، قادر على إحيائهم بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةًۭ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍۢ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩] .

-**الصنف الرابع: ملاحدة الجهمية ومن وافقهم،** أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدماً محضاً، وليس المعاد هو، بل عالم آخر غيره؛ فحينئذ تكون الأرض التي تحدث أخبارها، وتخبر بما عُمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذَّب وتجازَى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة، ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل غيرها تبتدأ ابتداءً محضاً، فأنكروا معاد الأبدان، وزعموا أن المعاد بداءة أخرى[1].

(١) معارج القبول ٢/٧٧٦-٧٧٧، وانظر: الملل والنحل٢/٥٨٢-٥٨٣، نونية ابن القيم الأبيات: (٨٨- ١٤٧) ١/١٦٩-٨٦، تفسير ابن كثير ٧/٢٦٨- ٢٦٩، الحياة الآخرة ١/١٠٧-١١٦.

ومن أنكر الآخرة والمعاد: الباطنية وغلاة الرافضة:

فقد أنكر غلاة الرافضة الآخرة، كفرقة الجناحية[(١)،(٢)]، وفرقة المعمرية[(٣)،(٤)].

والباطنية ينكرون الآخرة والبعث، يقول أحدهم وهو الداعي أبو يعقوب السجستاني[(٥)]: " إن اعتقاد عامة المسلمين بالقيامة ومافيها من أهوال، وتغير الأرض والسموات والجبال، وبعث الناس للحساب والجزاء سخف وحمق وجهالة، وإن الاعتقاد الصحيح هو الأبدية، وأن المراد بها القائم"[(٦)].

---

(١) الجناحية فرقة من غلاة الرافضة، ينتسبون لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كفروا بالقيامة والجنة والنار، وقالوا بالتناسخ، واستحلوا المحرمات، وأسقطوا وجوب العبادات، ويزعمون أن عبد الله بن معاوية حي لم يقتل. انظر: مقالات الإسلاميين ٦٧/١-٦٨، الفرق بين الفرق ص: (١٩٥- ١٩٦).

(٢) انظر في إنكارهم للآخرة: مقالات الإسلاميين ٦٧/١، الفرق بين الفرق ص: (١٩٥)، الملل والنحل ١٧٥/١- ١٧٦.

(٣) هم فرقة من الخطابية من الرافضة، يزعمون أن الإمام بعد أبي الخطاب بن أبي زينب هو رجل يقال له: معمر، وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير، وأن النار ما يصيبهم من خلاف ذلك، وقالوا بالتناسخ، واستحلوا المحرمات، ودانوا بترك الصلاة، وهم يسمون: المعمرية، ويقال: إنهم يسمون اليعمرية. انظر: مقالات الإسلاميين ٧٨/١، الفرق بين الفرق ص: (١٩٨)، الملل والنحل للشهرستاني ٢١١/١.

(٤) انظر في إنكارهم للآخرة: مقالات الإسلاميين ٧٨/١.

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب السجستاني، وقيل: السجزي، من دعاة الباطنية القدماء، له كتب منها: إثبات النبوات، والافتخار، والينابيع، واختلف في سنة وفاته، فقيل: سنة: (٣٣١)، وقيل: (٣٥٣) وقيل: (٣٦٠هـ). انظر: مقدمة كتاب الافتخار ص: (١١).

(٦) كتاب الافتخار ص: (٧٤) ، وقد نقل بعض أقوال السجستاني في هذه المسألة أبو محمد اليمني في عقائد الثلاث والسبعين فرقة ٦٥٩/٢ - ٦٦٣.

ويقول عنهم أبو حامد الغزالي: "بيان مذهبهم في القيامة والمعاد: وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار، وحصول الإنسان من نطفة، والنطفة من إنسان، وتولد النبات، وتولد الحيوانات لا يتصرم أبد الدهر، وأن السموات والأرض لا يتصور انعدام أجسامهما، وأوَّلوا القيامة، وقالوا: إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان، وهو السابع الناسخ للشرع المغيِّر للأمر. وربما قال بعضهم: إن للفلك أدواراً كلية تبدل أحوال العالم تبدلاً كلياً بطوفان عام أو سبب من الأسباب، فمعنى القيامة: انقضاء دورنا الذي نحن فيه. وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة والنار، ولكن قالوا: معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله..."[(١)].

ثانياً: من المخالفين في تعظيم اليوم الآخر: من أنكر بعض مايكون فيه:

ومن جملة المخالفين في تعظيم اليوم الآخر من أقروا به من حيث الجملة، وأقروا بأشياء مما يحدث فيه، لكنهم أنكروا بعض الأمور التي تقع في ذلك اليوم، ولذلك أمثلة، ومنها:

إنكار الشفاعة في أهل الكبائر التي دون الشرك:

ذهب المعتزلة[(٢)] والخوارج[(٣)] إلى إنكار الشفاعة في أهل الكبائر. وذلك جرياً على مذهبهم في مرتكب الكبيرة وأنه غير مؤمن وأنه مخلد في النار، وأن الله لا يغفر لمن مات مصراً على كبيرة.

---

(١) فضائح الباطنية ص: (٤٤) .

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص: (٦٨٨-٦٩٣)، الشريعة ١١٩٨/٣، الفصل لابن حزم ٣٦٦/٢، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٦٨٨/٣، شرح الطحاوية١ ٣٥٦/١.

(٣) انظر: مشارق أنوار العقول للسالمي الإباضي ٤٣٢/٢، الفصل ٣٦٦/٢، شرح الطحاوية ٣٥٦/١، الخوارج للدكتور غالب ص: (٣٠٣-٣٠٧).

الرد عليهم: يرد عليهم بردود كثيرة، منها:

١- الأحاديث المتواترة المثبتة للشفاعة في أهل الكبائر، كقول النبي ﷺ: (**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**)[١]. وقال ﷺ: (**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**)[٢].

قال النووي: "ففيه دلالة لمذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النار، وإن كان مصراً على الكبائر"[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)[٤] .

٢- إجماع سلف الأمة على إثبات الشفاعة.

٣- يرد عليهم بالأدلة التي تدل على عدم تخليد أصحاب الكبائر من أهل التوحيد في النار وأن مآلهم الجنة، وأن منهم من يغفر الله له بدون أن يدخل النار، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨] .

---

(١) رواه البخاري برقم: (٦٥٦٦) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ١١/٥٠٨من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم برقم: (٤٩٠) كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ٣/٦٩-٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٧٠.

(٤) رواه أبو داود برقم: (٤٧٣٩) كتاب السنة، باب في الشفاعة ص: (٧١١)، ورواه الترمذي برقم: (٢٤٣٥) كتاب صفة القيامة، باب (١١) ص: (٥٤٩)، وقال: حسن صحيح من هذا الوجه، وفي الباب عن جابر. وصححه الشيخ الألباني (نفس الإحالة).

قال الإمام الآجري رحمه الله: " اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة، يكذِّبون بها، وبأشياء سنذكرها إن شاء الله مما لها أصل في كتاب الله ﷻ، وسننِ رسول الله ﷺ، وسننِ الصحابة ﷿ ومن تبعهم بإحسان، وقولِ فقهاء المسلمين، فالمعتزلة يخالفون هذا كلَّه، لا يلتفتون إلى سنن الرسول، ولا إلى سنن أصحابه، و إنما يعارضون بمتشابه القرآن، وبما أراهم العقل عندهم، وليس هذا طريق المسلمين، إنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق، وقد لعب به الشيطان، وقد حذرنا الله عز وجل مَن هذه صفته، وحذرناهم النبي ﷺ وحذرناهم أئمة المسلمين قديماً وحديثاً"[(١)].

إنكار الميزان: أنكر الميزانَ الجهمية[(٢)] وبعضُ المعتزلة[(٣)]،وبعضُ الخوارج[(٤)] وقالوا: إن الميزان الوارد في النصوص المراد به العدل. وشبهتهم في إنكار الميزان الحقيقي: أن الأعمال أعراض، والأعراض يستحيل وزنها فهي لا تقوم بنفسها[(٥)].

---

(١) الشريعة للآجري ١١٩٨/٣.

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية ٤٩٥/٥، فرق معاصرة ١١٥١/٣ .

(٣) نجد من يعزو إنكار الميزان إلى المعتزلة من غير تقييد ببعضهم.انظر: التذكرة للقرطبي٣٨٢/١، أصول الدين للبغدادي ص: (٢٦٩-٢٧٠)، المواقف للإيجي ص: (٣٨٤)، فتح الباري ٦٧١/١٣. بينما نجد القاضي عبد الجبار المعتزلي يقول: أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه... ثم ذكر بعض الأدلة عليه من الكتاب ثم قال: ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس...، ثم رد على من أوله بالعدل، وبيّن شبهتهم، وردّ عليها، انظر: شرح الأصول الخمسة ص: (٧٣٥-٧٣٦) . وقد ذكر شيخ الإسلام أن إنكار الميزان هو من قول البغداديين من المعتزلة دون البصريين. درء التعارض ٣٤٨/٥.

(٤) نص على ذلك الإباضية، قال السالمي: وإنما الميزان في الحسبانِ عدل وإنصاف من الرحمن
لامثل قول ذي الخلاف إذ غدا يُأَوِّلَنْه كفة وأعمدا.
انظر: بهجة أنوار العقول للإباضي عبد الله السالمي ص: (١٢) . وانظر: بداية الإمداد على غاية المراد للإباضي سليمان الكندي ص: (٥٧).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢- ١٦٥، التذكرة للقرطبي ٣٨٢/١.

وأيضاً يقولون: إنه لا حاجة للميزان، وإنما الذي يحتاجه هو البقّال والفوّال ونحوهما[(١)].

الرد عليهم:

١- مما يَرُد عليهم الأدلة التي تبين أن الميزان الذي ينصب يوم القيامة هو ميزان حقيقي، له كفتان يوضع في إحداهما الحسنات وفي الأخرى السيئات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣].

وقال النبي ﷺ: (**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**)[(٢)].

وقال ﷺ :(**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**)[(٣)].

٢- أن الله سبحانه يقلب الأعراض أجساماً، فتوزن مع العامل وصحيفته، ويكون رجحان إحدى الكفتين بالأعمال.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ٢/٦٤٠- ٦٤١.

(٢) رواه البخاري برقم: (٧٥٦٣) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ١٣/٦٧٠، ومسلم برقم: (٦٧٨٦) كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ١٧/٢١.

(٣) رواه أبو داود برقم: (٤٧٩٩) كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ص: ٧٢١، والترمذي برقم: (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ص: (٤٥٤)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقال حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني .

٣- من الحكمة في وزن الأعمال هو ظهور عدل الله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم مالا اطلاع لنا عليه[1].

قولهم: إن الذي يحتاج للوزن هو البقال والفوال فيه سوء أدب مع الله تعالى، والله سبحانه غير محتاج لوزن أعمال عباده، فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وله من وراء ذلك الحكمة التامة، ومنها: ظهور عدله سبحانه، وإقامة الحجة على العبد.

قال الإمام الطبري رحمه الله: " فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبرِ الله عن الميزان وخبر رسوله عن وجهته وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده ؟... أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة؟ أقيل له في قوله: "وما وجه وزن الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها": وزن ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه؛ كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾الآية [الجاثية: ٢٨- ٢٩]' فكذلك وزنه تعالى أعمالَ خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[2].

---

(١) شرح الطحاوية ٦٤٠/٢.

(٢) تفسير الطبري ١٤٧/٨.

إنكار الصراط[١]: أنكر الجهمية[٢] وبعض المعتزلة[٣]، والخوارج[٤] الصراط: وذلك استبعاداً لما ورد في النصوص من صفاته، فردوه بمحض عقولهم وآرائهم[٥].

ومما يرد به عليهم:

أولاً: أن الصراط جاء إثباته في النصوص من القرآن والسنة. قال الله تعالى:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١- ٧٢]. والراجح أن هذا الورود إلى جهنم هو المرور على الصراط[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في حديث طويل، وفيه: (**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**...)[٧]. فمن أنكر الصراط فقد رد خبر الله تعالى وخبر رسولهﷺ.

---

(١) الصراط هو الجسر المنصوب على متن جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم. انظر: مجموع الفتاوى ١٤٦/٣.

(٢) انظر: بيان تلبس الجهمية ٤٩٥/٥، فرق معاصرة ١١٥١/٣.

(٣) ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي عن بعض مشايخ المعتزلة وردَّه. انظر: شرح الأصول الخمسة ص: (٧٣٨). وانظر: درء التعارض ٣٤٨/٥.

(٤) انظر: بداية الإمداد لسليمان الكندي الإباضي ص: (٥٨).

(٥) انظر ماذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي من إنكار لما ورد في النصوص من صفاته، مما يجعل إثباته له أشبه مايكون بالنفي: شرح الأصول الخمسة ص: (٧٣٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري ١٢٨/٦-١٣٠، تفسير ابن كثير ٢٥٣/٥- ٢٥٥، مجموع الفتاوى ١٤٦/٣.

(٧) رواه البخاري برقم: (٧٤٣٧) كتاب التوحيد، باب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢] ٥١٧/١٣- ٥١٨، ومسلم برقم: (٤٥٠)، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ٢١/٣-٢٧.

ثانياً: أن الإيمان بالصراط من الإيمان بالغيب الذي يجب اعتقاده دون البحث في كيفيته؛ بل الواجب هو التسليم لخبر الله وخبر رسوله ﷺ.

ثالثاً: أن الله تعالى يُقْدِر من شاء من عباده على السير عليه؛ فالله سبحانه على كل شيء قدير.

فمن أنكر الشفاعة أو أنكر الصراط أو الميزان وغيرها مما ثبت في النصوص أنه يكون في الآخرة فإنه لم يعظم ذلك اليوم كما يجب. ولاشك أن إثبات هذه الأشياء العظيمة التي تحدث في الآخرة مما يحمل على تعظيم ذلك اليوم والخوف منه والاستعداد الأمثل له.

ثالثاً: من المخالفين في تعظيم اليوم الآخر: أهل الغفلة عن ذلك اليوم:

فمن الناس من قصّروا في تعظيم ذلك اليوم، وغفلوا عن الاستعداد له الاستعداد الواجب، فارتكبوا المحظورات وقصّروا في الواجبات، ولو خافوا ذلك اليوم وعظموه التعظيم الواجب له لما وقعوا فيما وقعوا فيه من معاص لله تعالى وتفريط في حقه سبحانه.

وقد مدح الله تعالى الذين يخافون يوم القيامة ومايكون فيه من الأهوال خوفاً حملهم على طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[الأنبياء:٤٩].

وذم تعالى الذين غفلوا عن ذلك اليوم وعن عظمته وعن أهواله فركنوا إلى الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: ٥٣] ، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧ - ٨]، وسوف ينكشف الغطاء لهم يوماً من الأيام، وسيرون ذلك اليوم عياناً، وسيرون أهواله العظام فيقرون بما كانوا فيه من غفلة عنه، ويندمون ويعتذرون، ولات حين مناص، قال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٧].

المبحث الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم القدر

وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد في تعريف القضاء والقدر، وبيان عقيدة أهل السنة في القدر إجمالاً

تعريف القضاء والقدر:

القدر في اللغة: مصدر قدّر يقدر تقديراً، وأصل هذه المادة يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء[1].

القدر اصطلاحاً: تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته[2].

القضاء في اللغة: مصدر قضى يقضي قضاءً، وأصل المادة يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته وفصله والفراغ منه[3].

والقضاء اصطلاحاً: ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير[4].

وعلى هذا فيكون التقدير سابقاً للقضاء.

وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن الفرق بين القضاء والقدر: فأجاب بقوله: " القضاء إذا أطلق شمل القدر، والقدر إذا أطلق شمل القضاء، ولكن إذا قيل: القضاء والقدر؛ صار بينهما فرق، وهذا كثير في اللغة العربية، تكون الكلمة لها معنى شامل

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ص: (٨٧٦- ٨٧٧)، المفردات ص: (٣٩٥- ٣٩٧) .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/٢٥٥، وانظر: لوامع الأنوار البهية ١/٣٤٨.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ص: (٨٩٣)، المفردات ص: (٤٠٦- ٤٠٧).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٨/٥٣٩ .

عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاجتماع، ويقال في مثل ذلك: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع، يعني أن القضاء إذا أُفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير، والقدر: ما قدره الله تعالى في الأزل. هذا هو الفرق بينهما، فيكون القدر سابقاً، والقضاء لاحقاً"[1].

بيان اعتقاد أهل السنة في القدر إجمالاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً معتقد أهل السنة في القدر:

"مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[2].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٧٩/٢- ٨٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٤٩/٨- ٤٥٠.

المطلب الأول:

التعظيم الشرعي للقضاء والقدر

مما عظمته الشريعة تقدير الله تعالى لكل شيء، وأنه لايقع شيء في الكون إلا بقدر الله تعالى.

ومما يدل على تعظيم أمر القدر:

أولاً: أنه أحد أركان الإيمان الستة، كما سيأتي بمشيئة الله تعالى .

ثانياً: أنه سر الله تعالى في خلقه: فهو غيب عن البشر، وهم عاجزون عن العلم والإحاطة به، كما سيأتي إن شاء الله.

ثالثاً: خطورة الكفر بالقدر:

فالكفر بالقدر وإنكاره كفر بالله تعالى وخروج عن الملة، ولايؤمن عبد حتى يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، " والإيمان به قطب رحا التوحيد ونظامه، ومبدأ الإيمان وتمامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان"[(١)].

والقدر قدرة الله تعالى، فمن كذّب به فقد كذّب بقدرة الله تعالى.

كما أن الكفر بالقدر وإنكاره كفر بالنصوص الكثيرة في الوحيين التي تبين أن كل شيء بِقَدَر الله تعالى، وأن الله تعالى علِم كل شيء وكتبه، وأنه ماوقع شيء ولايقع إلا بمشيئة الله تعالى، وأنه مامن شيء إلا وهو مخلوق لله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل، وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحّد الله تعالى، وكذب بالقدر، نَقَض التوحيد"[(٢)].

---

(١) شفاء العليل ١/٤٤ .

(٢) رواه الفريابي في كتابه: القدر برقم (٢٠٥) ص: (١٤٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة برقم: (٩٢٥) ٢/٤٢٠، والالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (١٢٢٤) ٤/٧٤٢ وغيرهم. وهو أثر مشهور، ويستشهد به أهل العلم في مؤلفاتهم كثيراً.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: " والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثلَ أحد ذهباً، فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[١].

وعن ابن الديلمي[٢]، قال: أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه، فقلت: يا أبا المنذر، وقع في قلبي شيء في القدر، فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي، فقال:" لو أن الله تعالى عذب أهل سماواته وأرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت جبل أحد، أو مثل أحد ذهباً لم يقبل منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك دخلت النار"، وأتيت حذيفة فحدثني بمثل ذلك، ثم أتيت ابن مسعود فحدثني بمثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن رسول الله ﷺ بمثل ذلك"[٣].

ويكون تعظيم المسلم للقدر بأمور:

أولاً: الإيمان بالقدر: الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة التي لايكون الإنسان مؤمناً إلا إذا آمن بها جميعاً، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩] . وفي

(١) جزء من حديث جبريل عليه السلام المشهور، وقد تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

(٢) هو التابعي الجليل عبد اللَّه بن فيروز الديلميّ، أبو بسر (بضم الموحدة وسكون المهملة على الراجح)، شامي، تابعي، ثقة، صحب معاذَ بنَ جبل بالشام إلى أن مات وسكن فلسطين، ويقال: الأردن، جاء عنه شيء مرسل، فذكره بعضهم في الصحابة، وأبوه صحابي معروف. روى عبد اللَّه عن معاذ بن جبل وابن مسعود، وحذيفة، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهم، وغيرهم. انظر: تاريخ دمشق ٤٠٢/٣١- ٣/٣٢، الإصابة ١٥٠٠/٢- ١٥٠١.

(٣) رواه الفريابي في كتابه: القدر برقم (١٩٠) ص: (١٣٦) وأبو داود في سننه برقم: (٤٦٩٩) ص: (٧٠٥)، وصححه الألباني.

حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[(١)].

وللإيمان بالقدر مراتب أربعة وهي:

١ - الإيمان بعلم الله تعالى الشامل لكل شيء المحيط بكل شيء ولو دَقّ، وأنه لا يغيب عن علمه سبحانه مثقال ذرة في السموات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه: ٩٨].

٢- الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء في اللوح المحفوظ كما سبق به علمه ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج: ٧٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢] .

٣- الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٥] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الإنسان: ٣٠]

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

٤- الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء؛ فلايخرج شيء عن أن يكون مخلوقاً لله تعالى، وأنه تعالى خالق الخلق بذواتهم وصفاتهم وحركاتهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦].

والإيمان بالقدر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته واعتقاد كمال عظمته وجلاله، فإن من آمن بأسماء الله تعالى وصفاته إيماناً صحيحاً على وفق عقيدة أهل السنة والجماعة فإنه مثبت للقدر ولابد، فإن اسم الله تعالى العليم يدل على إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، وأنه لايخرج شيء عن علم الله تعالى، وإثبات صفة المشيئة لله تعالى، يدل على أنه لايكون شيء إلا بمشيئته سبحانه، وإثبات صفة الخلق لله تعالى يدل على أنه لايخرج شيء عن أن يكون مخلوقاً لله تعالى حتى أفعال المخلوقين، وأيضاً إثبات صفات القدرة لله تعالى والحكمة والملك والقيومية والتدبير والرزق والصمدية والعدل ونفي الظلم، كل هذه الصفات وغيرها لها ارتباط عظيم بمسألة القدر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن أهل الهدى والفلاح:" يؤمنون بأن الله خالق كل شيء، وربه ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأحاط بكل شيء علماً، وكل شيء أحصاه في إمام مبين. ويتضمن هذا الأصل من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته، وربوبيته، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه: ما هو من أصول الإيمان"[(١)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:" فمن تفقه في الأسماء الحسنى، واعترف بما لله من الصفات العليا، وعرف أن أفعاله تعالى مشتملة على الحق، والحقُّ غايتُها ومقصودُها، وتدبَّر كتابَ الله الذي فيه الهدى والشفاء، وسنةَ نبيه ﷺ؛ من عرف ذلك كله، واعترف به، جزم جزماً لا تردد فيه بأنه تعالى خلق المخلوقات وأوجدها ودبَّرها بمشيئة نافذة وحكمة شاملة ورحمة واسعة.

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٢/٣، وانظر: طريق الهجرتين ١٩٦/١- ١٩٩.

وذلك: أن عظمة المخلوقات تدل على عظمة خالقها ومبدعها، وكمال قدرته.

وما فيها من التخصيصات المتنوعة من كل وجه؛ يدل على نفوذ مشيئته وإرادته.

وما فيها من الحِكَم والانتظام، والحسن والالتئام والخلق الغريب والإبداع العجيب؛ يدل على شمول علمه وإحاطته، وشمول حكمته وحمده.

وما فيها من الخيرات الكثيرة، والمنافع الغزيرة، والصلاح والإصلاح؛ يدل ذلك على سعة رحمته وبره، وكرمه وإحسانه"[١].

كما أن الإيمان بالقدر يثمر عباداتٍ قلبيةً هي من أعظم العبادات؛ فإن العبد إذا أيقن من أن كل شيء هو بقدر الله تعالى، وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، إذا علم ذلك أقبل على ربه تعالى وأخلص له العبادة، وتوكل واعتمد عليه، وفوض أموره إليه، وأحسن ظنه بربه تعالى وعلق قلبه به، ودعاه والتجأ إليه، وأيقن أن جميع النعم هي من الله تعالى؛ فلهج بالحمد والشكر والثناء على الله، وعلم أن مايصيبه مما يكره هو بتقدير الله تعالى؛ فصبر واحتسب، ورضي عن ربه، وابتعد عن التسخط والجزع والقنوط واليأس، وعن التعلق بالمخلوقين.

فهذا كله من مما ينتج عن الإيمان بالقضاء والقدر. والله الموفق لمن شاء بمنه وكرمه.

ثانياً: ترك الخوض فيه بالباطل:

فالقدر غيب امتُحِن العبادُ بالإيمان به، وهو سرُّ الله تعالى في خلقه، لذا يجب التوقف على ماورد في النصوص نفياً وإثباتاً، وما لم يرد في نصوص الوحيين فيجب الإمساك عنه وترك الخوض فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

---

(١) الدرة البهية شرح القصية التائية للشيخ السعدي ص: (٣١- ٣٢).

وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف: ٣٣].

فمن تكلم في القدر بغير علم فقد قفا ماليس له به علم، وطلب ماهو سر لايعلمه إلا الله تعالى، وقال على الله تعالى بغير علم ولابرهان، ولاحجة ولاسلطان، وهذا مما حرمه الله تعالى أشد التحريم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: (**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألاَّ تتنازعوا فيه**)(١).

فأنكر عليهم النبي ﷺ هذا التنازعَ في أمر القدر، وأمرهم وعزم عليهم بترك التنازع فيه.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يَطَّلع على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبيٌ مرسل، والتعمقُ والنظرُ في ذلك ذريعةُ الخذلان، وسُلَّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علمَ القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه"(٢).

قال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله: " سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم: (٢١٣٣) كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ص: (٤٨١)، ورواه البزار برقم: (١٠٠٦٣) ٣٠٨/١٧، وابن بطة في الإبانة الكبرى برقم: (٥٣٩) ٤٩٣/٢- ٤٩٤ تحقيق: رضا نعسان، وحسنه الألباني كما في أحكامه على سنن الترمذي.

(٢) شرح الطحاوية ٣٨٢/١، وانظر: الآثار العقدية الواردة عن السلف في كتاب التمهيد ١٣٢١/٣ -١٣٣١.

اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما عَلِمَه من الحكمة، فلم يَعْلَمْه نبيٌ مرسلٌ ولا ملَكٌ مقربٌ"[١].

ثالثاً: تعظيم القَدَر الذي هو فعل الله تعالى باعتقاد أنه خير كله:

القدرمصدر، يطلق على الفعل وعلى المفعول، فالقدر الذي هو فعل الله تعالى هو خير محض لاشر فيه، فيجب تعظيمه والرضا به، كما قال النبي ﷺ: (**والشر ليس إليك**)[٢]، أما القدر بمعنى المقدَّر والمقضي (المفعول) فهذا يكون خيراً ويكون شراً، كما في قول النبيﷺ: (**وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: (**والخير بيديك، والشر ليس إليك**) فإنه لا يخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق فالرب منزه عنه"[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: " الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، فإن ذاتَه لها الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمَد عليها، ويثنى عليه بها، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة، لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى، فكيف يضاف الشر إليه؟ بل الشر في مفعولاته

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري ٥٨٢/١١ .

(٢) رواه مسلم برقم: (١٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٢٩٩/٦-٣٠٢ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه ص: (١٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى ٢٦٦/١٤.

ومخلوقاته، وهو منفصل عنه؛ إذ فِعْله غير مفعوله، فَفِعْلُه خيرٌ كله، وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر"(١).

وقال الشيخ الهروي رحمه الله في درجات التعظيم:" الدرجة الثانية: تعظيم الحكم: أن يُبغَى له عوج، أو يُدافع بعلم، أو يُرضى بعوض"(٢).

قال ابن القيم رحمه الله شارحاً هذه الدرجة: " هذه الدرجة تتضمن **تعظيم الحكم الكوني القدري**، وهو الذي يخصه المصنف باسم (الحكم)، وكما يجب على العبد أن يرعى حكمَ الله الديني بالتعظيم؛ فكذلك يرعى حكمَه الكوني به. فذكر من تعظيمه ثلاثةَ أشياء:

أحدها: أن لا يبغى له عوج، أي: يُطلب له عوج، أو يُرى فيه عوج، بل يراه كلَّه مستقيماً؛ لأنه صادر عن عين الحكمة، فلا عوج فيه. وهذا موضع أشكل على الناس جداً.

فقال نفاة القدر: ما في خلق الرحمن من تفاوت ولا عوج، والكفر والمعاصي مشتملة على أعظم التفاوت والعوج؛ فليست بخلقه ولا مشيئته ولا قَدَرِه.

وقالت فرقة تقابلهم: بل هي من خلق الرحمن وقَدَرِه، فلا عوج فيها، وكل ما في الوجود مستقيم.

والطائفتان ضالتان، منحرفتان عن الهدى، وهذه الثانية أشد انحرافاً؛ لأنها جعلت الكفر والمعاصي طريقاً مستقيماً لا عوج فيه. وعدم تفريق الطائفتين بين القضاء والمقضي، والحكم والمحكوم به هو الذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه.

---

(١) حادي الأرواح ٢/٧٧٠، وانظر: شفاء العليل ٢/٥٠٩- ٥١٠ وهو باب عقده ابن القيم رحمه الله في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي، وانظر أيضاً نفس المرجع ٢/٧٣٣، طريق الهجرتين ١/١٩٩- ٢٠٠.

(٢) منازل السائرين ص: (٨١).

وقول سلف الأمة وجمهورها: إن القضاء غير المقضي، فالقضاء فعله ومشيئته وما قام به. والمقضي مفعوله المباين له، المنفصل عنه، وهو المشتمل على الخير والشر، والعوجِ والاستقامة.

فقضاؤه كله حق، والمقضي: منه حق، ومنه باطل.

وقضاؤه كله عدل، والمقضي: منه عدل، ومنه جور.

وقضاؤه كله مرضي، والمقضي: منه مرضي، ومنه مسخوط.

وقضاؤه كله مسالَم، والمقضي: منه ما يسالَم، ومنه ما يحارَب.

وهذا أصل عظيم تجب مراعاته. وهو موضع مزلة أقدام كما رأيت. والمنحرف عنه: إما جاهل للحكمة، أو القدرة، أو للأمر والشرع ولا بد..."[١].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤٩٨- ٤٩٩ .

المطلب الثاني:

المخالفون في التعظيم الشرعي للقضاء والقدر.

المخالفون في التعظيم الشرعي للقدر أصناف عدة، ومنهم:

أولاً: القدرية: القدرية هم الذين يزعمون أن العبد يخلق فعله، ولايرون الكفر والمعاصي حاصلة بتقدير الله تعالى[١]، والعبد عندهم مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لقدرة الله تعالى ومشيئته على عبده أثر.

وغلاة القدرية ينكرون العلم والكتابة[٢]، وغير الغلاة ينكرون المشيئة والقدرة، والمعتزلة ورثوا هذا المذهب الباطل عن القدرية[٣].

وشبهتهم التي أورثت لهم هذا المذهب الباطل، هي إرادة تعظيم الله تعالى وتنزيهه سبحانه عن فعل الشر، وتنزيهه عن معاقبة العبد على ما لا صنع له فيه، فلذلك نفوا القدر.

الرد عليهم: يرد عليهم بردود كثيرة، ومنها:

- الأدلة التي تثبت القدر وأنه لايقع شيء إلا بتقدير الله تعالى، وقد مرَّ ذكر بعضها.
- أن أفعال العباد لاتخرج عن أن تكون مخلوقة لله تعالى، فالله تعالى خالق العباد وصفاتهم وحركاتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات: ٩٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].فأفعال العباد شيء، وهي داخلة تحت هذا العموم، فمن أخرج أفعال العباد من هذا العموم فقد خصصه بغير مخصص.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص: (٢٥٣).

(٢) وقد ذكر أهل العلم أن هؤلاء الغلاة قد انقرضوا ولم يعد لهم وجود. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٩/١، المفهم للقرطبي ١٣٢/١ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٨٨/٨-٢٨٩، طريق الهجرتين ١٩٧/١، جهود شيخ الإسلام في توضيح الإيمان بالقدر ٢٤٦/١- ٢٤٨، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص: (٢٩٩- ٤٧٧) تحت الأصل الثاني من أصول المعتزلة وهو العدل.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله خالق كل صانع وصنعته**)[١].

● أن هذا منهم تنقص للرب تعالى، وزعم بأنه ليس لقدرته تعالى أثر على خلقه، فهذا اتهام للرب تعالى بالعجز ينافي تعظيمه.

● أنهم جعلوا مع الله تعالى خالقين بزعمهم أن العبد يخلق فعل نفسه، ولذلك سماهم أهل العلم مجوس هذه الأمة[٢]، لأن المجوس يقولون بوجود إلهين إله النور، وهو خالق الخير، وإله الظلمة، وهو خالق الشر.

● أنهم أرادوا تنزيه الله تعالى عن الظلم، فوقعوا فيما هو شر منه، وهو إنكار مشيئته سبحانه وعموم خلقه لكل شيء.

ثانياً: الجبرية: هم الذين غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل على الحقيقة، وإنما تضاف إليه الأفعال على سبيل المجاز، وأن الله تعالى قد أكرههم على المعاصي وقهرهم عليها، وأجبرهم من غير فعل منهم ولا إرادة ولا اختيار، فالإنسان لديهم كالريشة في مهب الريح[٣].

وشبهتهم في هذا الاعتقاد الباطل: أنهم أرادوا تعظيم الله تعالى بإثبات عموم مشيئته وعموم إرادته التي تقتضي – بزعمهم – أن العبد مجبور على فعله، وأنه تعالى هو الفاعل لكل شيء على الحقيقة، وأنه لاقدرة لأحد، ولاتصرف لأحد معه.

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد برقم: (١٢٤) ٢/٦٦، والحاكم في المستدرك برقم: (٨٥، ٨٦) ١/٤١، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: (١٦٣٧) ٤/١٨١.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ٢/٤١٦، ٦٦٣.

(٣)انظر: مقالات الإسلاميين١/٣٣٨، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٨/١٣١ – ١٣٢، ٣٩٣-٣٩٥، ٤٦٢ – ٤٦٣، التعريفات للجرجاني ص: (١٣٧)، جهود شيخ الإسلام في توضيح الإيمان بالقدر ١/٢٤٨- ٢٤٩.

والرد عليهم من وجوه كثيرة، منها:

- أن قولهم هذا مخالف لما جاء في القرآن والسنة من إثبات مشيئة للعبد في أفعاله الاختيارية، ولكنَّ هذه المشيئة هي تابعة لمشيئة الله تعالى وتقدس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر: ٣٧]. فدلت هذه الآيات وغيرها كثير على إثبات مشيئة للعبد واختيار وإرادة.

- أنهم شابهوا المشركين الذين قالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨- ١٤٩].
- أن "الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمَد ويذَم على فعله، ويكون حسنةً له أو سيئة؛ فلو لم يكن إلا فعل غيره، لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها"(١).
- وهذا أيضاً وقوع منهم في تنقص الرب تعالى فقد اتهموا الرب تعالى بالظلم، وأنه يجازي العباد على فعله هو، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، إذ يكلفهم بما ليس لهم قدرة على فعله، ثم يعاقبهم عليه.
- أنه هذا القول الباطل لا يمكن لصاحبه أن يعمل به ويطرده، فإن هذا الجبري المحتج بالقدر لو اعتدى عليه أحد واحتج بالقدر، وأنه مجبور على فعله؛ لم يقبل ذلك منه، و"لا يعذر من ظلمه وتعدى عليه، مع اعتذار المعتدي بالقدر؛ فإن الجبري لا يعذره،

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٢٠/٨.

بل يرى اعتذاره بالقدر زيادة ظلم، وتهكماً به؛ فكيف يسلك هذا المسلك مع ربه، وهو لا يرتضيه لنفسه من غيره؟!"(١).

- أن القول بالجبر متضمن لتنقص الرب تعالى؛ "فإن مضمون الاحتجاج بالقدر يعني: أن الله اضطره وألجأه إليه، وأكرهه عليه، وهو لا يريد الذنب؛ وهو كذب صريح؛ فإن الله مَكّنه من الترك، بل فَتَح له كلَّ باب يصده عن الذنب، وقد أبت نفسُه الأمارةُ بالسوء إلا أن توقعَه في الذنب؛ فالْمَلام عليه لا على ربه؟"(٢).
- "أنه بهذا الإعتذار، يمهد لنفسه الإصرارَ على الذنوب، والإقامةَ على ما يُسخط علامَ الغيوب؛ فإن هذا الإعتذار يهوِّن عليه كل ذنب، كما هو مشاهد"(٣).

ثالثاً: المعترضون على قضاء الله تعالى وقدره:

وهؤلاء يزعمون بوجود التناقض بين القدر والأمر الشرعي، وقد سماهم أهل العلم بالإبليسية نسبة لإبليس؛ لأنه أول من زعم التعارض بين القدر والشرع، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وهؤلاء كثير في أهل الأقوال والأفعال من سفهاء الشعراء ونحوهم من الزنادقة كقول أبي العلاء المعري(٤):

أنهيت عن قتل النفوس تعمدا ... وزعمت أن لها معادا آتيا(٥)

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية للسعدي ص: (٢٢)، وانظر نفس المرجع: ص: (١٩- ٢٠)، (٤٢- ٤٥).

(٢) المرجع السابق ص: (٥٠- ٥١).

(٣) المرجع السابق ص: (٥٠- ٥١).

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعري،القحطاني، ثم التنوخي، الأعمى، اللغوي، الشاعر، صاحب التصانيف السائرة، المتهم في نحلته، سمى نفسه رهين المحبسين؛ للزومه منزله وللعمى،كان عجباً في الذكاء والحافظة، ومن أردأ تواليفه: رسالة الغفران، ولزوم ما لا يلزم، وديوانه سقط الزند، توفي سنة: (٤٤٩ هـ). انظر: السير ١٨/٢٣-٣٩، الوافي بالوفيات ٧/٦٢- ٧٥.

(٥) ممن ذكر هذه الأبيات عن المعري: الذهبي في السير ١٨/٢٩، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧/٧٤.

ما كان أغناها عن الحالين[١].

وقول بعض السفهاء الزنادقة: يخلق نجوماً ويخلق بينها أقمار، يقول: يا قوم غضوا عنهم الأبصار، ترمي النسوان، وتزعق معشر الحضار، اطفوا الحريق، وبيدك قد رميت النار. ونحو ذلك مما يوجب كفر صاحبه وقتله"[٢].

وقال: " فهؤلاء شر أتباع الشيطان، وليس هو مذهباً لطائفة معروفة، ولكن هو حال عامة المحلولين عن الأمر والنهي؛ إنْ فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه، ويعجب حتى يحبط عمله. وإنْ فعل معصية أخذ يعتذر بالقدر، ويحتج بالقضاء، وتلك حجة داحضة وعذر غير مقبول.

وتراه إذا أصابته مصيبة بفعل العباد أو غيرهم لا يستسلم للقدر، وتراه إذا ظلم نفسه أو غيره احتج بالقدر، ويقول: العبد مسكين، لا قادر ولا معذور، ويقول:

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء[٣].

وإن ظلمه غيره ظلماً دون ذلك، أو توهم أنه ظلمه أحد، سعى في الانتقام من ذلك بأضعاف ذلك، ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر وهما سواء..."[٤].

فهذا الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره سوء أدب مع الله تعالى، وجهل بحكمة الله تعالى، كما أن الاعتراض على القدر قد يصل بالإنسان إلى الكفر والإلحاد والعياذ بالله تعالى.

---

(١) ممن ذكر هذه الأبيات عن المعري مع اختلاف في بعض الألفاظ: ياقوت في معجم الأدباء ٣٣٨/١، والذهبي في السير ٢٩/١٨، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧٤/٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٦٠/٨.

(٣) هذا البيت للحلاج المقتول لزندقته سنة: (٣٠٩ هـ)، والبيت في ديوانه ص: (١٢٢)، ونسبه إليه أيضاً الصفدي في الوافي بالوفيات ٤٦/١٣.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٤٦/٨، وانظر: طريق الهجرتين ١٧٩/١-١٨٦.

قال ابن القيم رحمه الله بعد ما ذكر طرفاً من مقالات هؤلاء: " الله أكبر على هؤلاء الملاحدة، أعداء الله حقاً، الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغّضوه إلى عباده، وبغضوهم إليه سبحانه، وأساؤوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماءُ الله حقاً..."(١).

رابعاً: المحتجون بالقدر على المعاصي:

وقد بين أهل العلم أن القدر لايحتج به على المعاصي والمعائب، وإنما يحتج به على المصائب التي تصيب الإنسان بغير اختيار منه ولامشيئة.

ومن الناس من يضل في هذا الباب؛ فإذا أُمر بطاعة أو نُهي عن معصية احتج بالقدر، وأن الله ﷻ قد كتب عليه ذلك، وأن الله تعالى لم يشأ له أن يفعل هذه الطاعة أو يترك هذه المعصية.

وهذا جهل وانحراف عن الحق وسوء أدب مع الله تعالى، كما أن فيه شيئاً من الجنوح إلى مذهب الجبرية الذين تقدم ذكرهم.

ومن الردود على من احتج بالقدر على المعاصي:

- أن الله تعالى جعل للعبد مشيئة واختياراً وجعل له قدرة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]. **وقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ المزمل: ١٩.
  وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النبأ: ٣٩].
- أن الله تعالى أمر بالصبر عند حصول المصيبة، وأمر بالاستغفار عند حصول الذنب؛ **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥].
- أن الإنسان يفرق بين مايقع منه بمشيئته واختياره؛ كالذهاب للصلاة ونحوها أو عمل شيء من المعاصي كالسرقة، وبين مايقع بغير مشيئة منه ولا اختيار؛ كالارتعاش والسقوط ونحو ذلك.

---

(١) طريق الهجرتين ١/١٨٥ .

- أن القدر سر مكتوم لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، وإرادة العبد سابقة لفعله، فتكون إرادته غير مبنية على علم بقدر الله، فادعاؤه مردود، واحتجاجه باطل؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لايعلمه إلا الله، فحجته إذاً داحضة؛ لأنه لاحجة للمرء فيما لايعلم[(١)].
- أن هذا الشخص المتعدي على حرمات الله تعالى لو اعتدى شخص عليه في ماله أو عرضه واحتج بالقدر فإنه لايقبل ذلك منه؛ فكيف يجعله حجة في تفريطه في حق ربه ومولاه، ولايجعله حجة في الاعتداء على حقه؟.
- أن المشركين قد احتجوا على شركهم بالقدر ومشيئة الله تعالى؛ فلم يقبل الله تعالى ذلك منهم، وبين أن له سبحانه الحجة عليهم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[الأنعام: ١٤٨ – ١٤٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٠][(٢)].

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد ص: (١٣٩).

(٢) للتوسع في المسألة انظر: الآثار العقدية الواردة عن السلف في كتاب التمهيد ١٣٣٢/٣ – ١٣٤٤.

الباب الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأمكنة والأزمنة

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأمكنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لما يشرع تعظيمه من الأمكنة.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والشركي للأمكنة.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأزمنة،

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأزمنة.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والشركي للأزمنة .

تمهيد

شرع الله سبحانه تعظيم بعض الأمكنة والأزمنة التي فضّلها على غيرها وشرّفها واختارها سبحانه ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[القصص: ٦٨]، وجعل لها منزلة ليست لغيرها، وجعل فيها بركة، ولها عظمة وقداسة، فمِنْ عبادة الله تعالى وتعظيمه تعظيمُ ماعظمه. ويشترط لتعظيم الأمكنة والأزمنة شروط:

الأول: أن يكون تعظيم تلك الأمكنة والأزمنة بعينها قد ورد في الكتاب الكريم أو في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ، ولايجوز أن يقاس عليها غيرها من الأزمنة والأمكنة. يقول العلامة ابن عبد البر رحمه الله: " والمواضع كلها والبقاع أرض الله، فلا يجوز أن يفضل منها شيء على شيء إلا بخبر يجب التسليم له"(١).

ويقول: " فضائل البلدان لا تدرك بالقياس والاستنباط، وإنما سبيلها التوقيف"(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مكان لا فضل له في الشريعة أصلاً، ولا فيه ما يوجب تفضيله، بل هو كسائر الأمكنة أو دونها، فقصد ذلك المكان، أو قصد الاجتماع فيه لصلاة أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك ضلالٌ بيّنٌ "(٣).

ويقول رحمه الله: "فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء، أو قناة جارية، أو جبلاً أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها،

---

(١)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ١/٤٥٥.

(٢) المرجع السابق ١/٤٥٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٢٤) .

أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يُشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً... "[(١)].

الثاني: أن يكون المرء مخلصاً لله تعالى في تعظيمها . بمعنى أن ينوي بتعظيم تلك الأماكن المشرفة ابتغاء وجه الله تعالى والتقربَ إليه بتعظيم ما عَظّم، وأن لايعلِّق قلبه بها، بل يعلق قلبه بالله تعالى؛ فهو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم.

الثالث: أن يكون تعظيمها وفق سنة رسول اللهﷺ، فيعظمها المسلم في حدود هدي الرسول ﷺ بلا زيادة ولانقصان، وبلا إفراط ولاتفريط، فلا يرفعها فوق المنزلة التي حددها الشرع، ولايحدث عبادة في تلك الأمكنة والأزمنة لم يشرعها رسول الله ﷺ ولايتبرك بتلك الأماكن والأزمان على غير الصفة التي ورد في الشرع فمثلاً: عظَّم الشرعُ مسجدَ النبي ﷺ، وجاءت الأحاديث في فضل الصلاة وطلب العلم فيه، فلا يتجاوز هذا إلى التبرك بجدرانه والتمسح بها وأكل ترابه ونحو ذلك. فوظيفة المسلم هي الاقتداء بالنبي ﷺ وفعل العبادات كما فعلها النبي ﷺ؛ فينال المسلم بذلك ثوابَ تعظيمِ ماعظّمه الله، وينال بركة الاقتداء والاتباع للنبي ﷺ، لذا قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ما قبّل الحجر الأسود: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبيَّ ﷺ يقبلك ما قبَّلتك "[(٢)].

---

(١) المرجع السابق ص: (٤٢٥ – ٤٢٦) .

(٢) رواه البخاري برقم: (١٥٩٧) كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ٥٨٣/٣، ورواه مسلم برقم: (٣٠٥٩) كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر ٢٠/٩.

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأمكنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لما يشرع تعظيمه من الأمكنة.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والشركي للأمكنة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: **تعظيم الأماكن المعظمة في الشرع بغير ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ**

المطلب الثاني: **تعظيم آثار الأنبياء والصالحين غير المشروعة.**

المطلب الثالث: **تعظيم بلدان لم يرد الشرع بتعظيمها.**

المطلب الرابع: **تعظيم القبور.**

المطلب الخامس: **تعظيم بعض الأشجار والأحجار والعيون والمغارات والعمد والحيطان ومواضع مخصوصة**

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي لما يشرع تعظيمه من الأمكنة

عظم الشرع أمكنة كثيرة، وجعل لها حرمة وقداسة، ومن ذلك:

أم القرى مكة - شرّفها الله -: فقد عظمها الله تعالى، وخصها بفضائل لاتوجد في غيرها من بلدان الدنيا بأسرها.

- ومن ذلك أن الله تعالى جعلها موضع بيته الحرام، واختارها له من بين سائر البلدان.
- ومن ذلك أن الله تعالى جعلها حرماً آمناً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[النمل: ٩١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (**إن هذا البلد حرّمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفَّر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها**)[1].

- ومن عظمتها وشرفها: أن الله تعالى يعاقب فيها على مجرد الهمِّ بالسيئة والإحداث فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥].
- أنها بقعة مباركة فقد دعا إبراهيم عليه السلام لمكة بالبركة فاستجاب الله دعاءه.

---

(١) رواه البخاري برقم: (١٥٨٧) كتاب الحج، باب فضل الحرم ٥٦٧/٣، ورواه مسلم برقم: (٣٢٨٩) كتاب الحج، باب تحريم مكة ١٢٧/٩ - ١٢٩.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٣٥ – ٣٧].

وقال النبي ﷺ: (**إن إبراهيم حرّم مكة، ودعا لها، وحرّمت المدينة كما حرّم إبراهيمُ مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة**)[١].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قصة مجيء إبراهيم لبيت إسماعيل عليهما السلام وسؤاله لامرأته عن حالهم، وفيه: (**وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء، قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم**) قال: فقال أبو القاسم ﷺ: (**بركة بدعوة إبراهيم صلى الله عليهما وسلم**)[٢].

فهي مباركة حيث استجاب الله تعالى لدعاء إبراهيم عليه السلام لها بالبركة فباركها الله ﷻ، كما أنها مباركة لوجود بيت الله الحرام بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[آل عمران: ٩٦].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢١٢٩) كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ٤/٤٣٨، ورواه مسلم برقم: (٣٣٠٠) كتاب الحج، باب فضل المدينة ٩/١٣٨.

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون ٦/٤٧٨ – ٤٨١.

ومن الأماكن المعظمة: الكعبة المشرفة:

فالكعبة معظمة في الشريعة فهي بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم، يعظمها المسلمون، ويحترمونها، ولما قال سعد بن عبادة[(١)] رضي الله عنه في غزوة الفتح: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، قال النبي ﷺ: (**كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**)[(٢)].

● **ومما يدل على عظمتها: أن الله أضافها إلى نفسه** إضافة تقتضي التشريف والتكريم والتعظيم، فسماها بيته لكونها أقيمت لتوحيد الله وطاعته وعبادته وذكره ودعائه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحج: ٢٦].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:" فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من **هذا الإجلال والتعظيم والمحبة ما اقتضته،** كما اقتضت إضافته لعبده ورسوله إلى نفسه ما اقتضته من ذلك، وكذلك إضافته عباده المؤمنين إليه كستهم من الجلال والمحبة والوقار ما كستهم، فكل ما أضافه الرب تعالى إلى نفسه، فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء، ثم يكسوه بهذه الإضافة تفضيلاً آخر، وتخصيصاً وجلالة زائداً على ما كان له قبل الإضافة"[(٣)].

---

(١) هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الساعدي، يكنى أبا ثابت، وكان نقيباً، شهد العقبة وبدراً في قول بعضهم، وكان سيداً في الأنصار مقدَّماً وجيهاً، له رياسة وسيادة، يعترف قومه له بها. توفي سنة: (١٥)، وقيل سنة: (١٤ هـ)، وقيل غير ذلك. ويقال: إن الجن قتلته. انظر: الاستيعاب ص: (٣١٢- ٣١٤)، الإصابة ١/٧٠٨- ٧٠٩.

(٢) رواه البخاري برقم: (٤٢٨٠) كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ ٨/٨- ٩.

(٣) زاد المعاد ١/٥٢- ٥٣.

- **أنها أول بيت بني للعبادة؛** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦] .
- **ومن عظمتها أنها قبلة المسلمين جميعاً يؤمونها في صلواتهم؛** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤].
- **ومما يدل على عظمتها أنها المكان الوحيد في الدنيا الذي يجوز الطواف به؛** فلم يشرع لنا الطواف بشيء في هذه الأرض إلا بهذه الكعبة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج: ٢٦]. و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحج: ٢٩]. وجعل الله تعالى الطواف بالكعبةِ المشرفة ركناً من أركان الحج والعمرة.
- **أن الله تعالى أوجب الحج إليها مرة في العمر،** وما زاد فهو تطوع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٧].
- **ومن أجل عظمة بيت الله شُرع لقاصده آدابٌ يقصد بها تعظيم الله تعالى وتعظيم بيته الحرام،** قال الشيخ السعدي رحمه الله من فضل هذا البيت الحرام وشرفِه عند الله وعظم قدره أنه لا يأتيه زائر بحج أو عمرة إلا خاضعاً خاشعاً متذللاً في ظاهره وباطنه، معظِّماً لحرمته، مُجِلاً له ولقدره، فشُرع له تركُ الترفه والعوائد النفسية التي الاشتغال بها مفوت لمقصود العبادة .

فيترك: الثياب المعتادة، ولبس المخيط، ويلبس إزاراً ورداء، أبيضين نظيفين، ويكشف رأسه.

ويدع: الجماع، ومباشرة النساء للذة، وما يتبع هذا من الطيب وإزالة الشعور، والأظفار.

ويحترم فيه الصيدَ (صيدَ البر) ما دام محرِماً .

فإذا قرب من البيت ودخل الحرم، حرم عليه مع ذلك: قطعُ الشجر الرطب، وأخْذُ حشيشه، وحقق هذا التحريم أن المحل والمحرم في هذا سواء، محرَّمٌ عليهما صيدُ الحرم وشجرُه وحشيشُه.

فإذا كانت هذه الوسائل لهذا البيت الحرام بهذه المثابة من الاحترام؛ فما ظنك بنفس البيت والمشاعر التابعة له؟، فصار من أعظم المقاصد في محظورات الإحرام تعظيم البيت، وتعظيم رب البيت وإجلاله وإعظامه، والذل والخشوع له"[1] .

وتعظيم مكة وما فيها من المشاعر والكعبة المشرفة يكون بأمور منها:

- الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام.
- حبها حباً شديداً، والشوق إليها لحب الله تعالى ورسوله لها، فقد قال النبي ﷺ مخاطبا مكة: (**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ﷻ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**)[2].
- الحرص على سكناها لتحصيل البركة النازلة فيها، ومنها نيل تضعيف الصلاة في المسجد الحرام، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه، فعن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله

---

(١) إرشاد أولي البصائر والألباب للسعدي ص: (١٥١- ١٥٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٨٧١٥) في مسند الكوفيين، حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري ﷺ ٣١/١٠، والترمذي برقم: (٣٩٢٥)، كتاب الفضائل، باب في فضل مكة ص: (٨٨٠)، وابن ماجه برقم: (٣١٦٥) كتاب المناسك، باب فضل مكة ٧٧/٣- ٧٨، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في أحكامه على سنن ابن ماجه، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

ﷺ: (**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة**)[١].

- البعد عن المعاصي وإحداث المحدثات، فالمعاصي وإن كانت محرمة في كل مكان وزمان إلا أنها يتضاعف إثمها، ويعظم وزرها في الأماكن الفاضلة والأزمان الفاضلة، بل ويزيد الحرم بالمعاقبة على مجرد الهمِّ بالسيئة فيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[الحج: ٢٥].
- الانتهاء عما حرمه الله من سفك الدم الحرام ومن قطع شجرها ومن قتل صيدها.

قال النبي ﷺ: (**إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإنْ أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب**)[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (**إن هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عَرَّفها**)[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٤٦٩٤) في مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٤٦/٢٣، وابن ماجه برقم: (١٤٢٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ٤٢١/١، وصححه الألباني في أحكامه على سنن ابن ماجه، وفي الإرواء ١٤٦/٤، وحسن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) رواه البخاري برقم: (١٨٣٢) كتاب جزاء الصيد، باب لايعضد شجر الحرم ٥٤/٤، ومسلم برقم: (٣٢٩١) كتاب الحج، باب تحريم مكة ١٣١/٩-١٣٢ من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٧٦).

- أن يقدِّر من وفقه الله لسكناها نعمة الله تعالى عليه فيعظم هذا البلد الأمين، وأن يكون قدوة حسنة لغيره ممن يفد إليها من الحجاج والعمار، فإنَّ أهل الحرم إذا عظموه جدير بأن يعظمه غيرهم، أما إذا استهانوا به فغيرهم قد يستهين بحرمته كذلك.
- ومن تعظيم مكة: الامتناع عن كل ما يخل بقدسيتها ويعكر على أهلها وقاصديها للحج والعمرة أداءَ نسكهم في راحة وطمأنينة، ويقطع عليهم تفرغهم لما جاءوا من أجله وهو العبادة، كأن يخيفهم بما يسمى بالعمليات الإرهابية؛ فهي وإن كانت محرمة بإطلاق، فتحريمها في الحرم الشريف أشد، أو بالقيام بالمسيرات والمظاهرات التي يفعلها بعض المبتدعة في مكة أو يهددون بفعلها، فترك ذلك وتجريمه هو من تعظيم هذه البلدة التي حرمها الله وعظمها .

ومن الأماكن المعظمة المشاعر:

وهي الأماكن التي يفعل فيها الحج من الكعبة المشرفة والصفا والمروة ومنى وعرفة ومزدلفة والجمار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج: ٣٠].

وحرمات الله قيل في معناها أقوال ومنها: هي المناسك، بدلالة ما يتصل بها من الآيات، فقيل هي: البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام، والإحرام[(١)].

والأرجح أن الآية تعم المناسك وغيرها فالمناسك داخلة في معنى الآية بلا ريب.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢].

وشعائر الله قيل: هي أعمال الحج وأماكنه، وقيل: هي أعلام الدين وما أشعر الله وأعْلَمَ بتعظيمه[(١)].

(١) انظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي) ٥/٣٨٢- ٣٨٣، تفسير ابن كثير ٥/٤١٩ .

فمن يمتثل أمر الله تعالى ويعظمه، ويعظم أعلام الدين وشعائره، ومن أعظمها أفعال الحج وأماكنه، وكذلك الذبائح من الهدايا وغيرها التي تذبح فيه، باستحسانها واستسمانها؛ فذلك التعظيم لايصدر إلا من أصحاب القلوب المؤمنة المتحلية بتقوى الله والخوف منه وخشيته.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

فمن شعائر الله التي يجب تعظيمها مشاعرُ الحج ومناسكُه، وتعظيمها يكون بقصدها طاعة لله واتباعاً لرسول الله ﷺ، وبفعل العبادات التي شرعت فيها كما فعلها رسول الله ﷺ من غير غلو ولا تقصير؛ فلايجوز أن يتبرك بها بغير الصفة التي ورد بها الشرع، فقد ورد الشرع بمشروعية التبرك بفعل العبادات فيها؛ لكونها أماكن مباركة فاضلة تضاعف فيها الأجور ويعظم فيه الثواب. أما أن يذهب قاصدها للتبرك بها بأخذ ترابها وأحجارها والتمسح بصخورها وحجارتها وتقبيلها فهذا ابتداع في الدين، وانحراف عن سنة سيد المرسلين، وإشغال للنفس وإتعاب لها بما لايفيد في الآخرة، بل إن ضرره أقرب من نفعه، إلا ماكان من الحجر الأسود فقد شرع لنا تقبيله واستلامه؛ فإن لم يمكن فيشار إليه. وتقبيله واستلامه ليس لذاته، وليس لطلب البركة منه؛ فهو حجر لاينفع ولايضر، وإنما يقبَّل اتباعاً للنبي ﷺ فينال المسلمُ بركةَ الاتباع لا أن للحجر بركة في ذاته.

ولهذا قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ما قبل الحجر الأسود: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبِّلك ما قبلتك "(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وإذا دخل المسجد بدأ بالطواف، فيبتدئ من الحجر الأسود يستقبله استقبالاً، ويستلمه ويقبله إن أمكن، ولا يؤذي أحداً بالمزاحمة عليه، فإن لم

---

(١) انظر: معالم التنزيل (تفسير البغوي) ٣٨٤/٥، زاد المسير ٢٣٦/٣، تفسير ابن كثير ٤٢١/٥، تفسير السعدي ص: (٦٢٨).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٥٧٤).

يمكن استلمه وقبّل يده، وإلا أشار إليه... ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين؛ فإن النبي ﷺ إنما استلمهما خاصة، لأنهما على قواعد إبراهيم، والآخران هما في داخل البيت، فالركن الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم ولا يقبل، والآخران لا يستلمان ولا يقبلان، والاستلام هو مسحه باليد. وأما سائر جوانب البيت، ومقام إبراهيم، وسائر ما في الأرض من المساجد وحيطانها، ومقابر الأنبياء والصالحين كحجرة نبينا ﷺ، ومغارة إبراهيم، ومقام نبينا ﷺ الذي كان يصلي فيه، وغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، وصخرة بيت المقدس فلا تستلم ولا تقبَّل باتفاق الأئمة "[(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: " وليس على وجه الأرض بقعةٌ يجب على كل قادر السعيُ إليها والطوافُ بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضعٌ يُشرع تقبيلُه واستلامُه، وتُحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني "[(٢)].

ومن الأماكن التي عظمها الشرع: المدينة النبوية:

فهي بقعة عظيمة شريفة مباركة، وبلدة طيِّبة، هي مهاجر النبي ﷺ، وفيها مسجده وقبره.

- ومما يدل على شرفها وعظمتها: أن فيها مسجد النبي ﷺ، وهو أحد البقاع المباركة التي يضاعف فيه أجر الصلاة على غيره من المساجد خلا المسجد الحرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**)[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/١٢٠- ١٢١ .

(٢) زاد المعاد ١/٤٩.

(٣) رواه البخاري برقم: (١١٩٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/٨٢، ومسلم برقم: (٣٣٦١) كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة٩/١٦٥.

وفي مسجد النبي ﷺ بقعة مباركة، وهي الروضة الشريفة التي قال فيها النبيﷺ: (**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**)(١).

- أن الله تعالى جعل فيها بركة عظيمة، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم**) يعني أهل المدينة(٢).

وعن أبي هريرةﷺ أنه قال كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: (**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه**) قال: ثم يدعو أصغرَ وَليدٍ له فيعطيه ذلك الثمر(٣).

- ومن شرفها وعظمتها: أنها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال؛ فعن النبي ﷺ قال: (**لا يدخل المدينةَ رعبُ المسيحِ الدجال، لها يومئذ سبعةُ أبواب، على كل باب ملكان**)(٤).

وقال ﷺ: (**على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**)(٥).

---

(١) رواه البخاري برقم: (١١٩٥) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل ما بين القبر والمنبر ٩١/٣، ومسلم برقم: (٣٣٥٥) كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ١٦٣/٩ من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٢١٣٠) كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ٤٣٨/٤، ومسلم برقم: (٣٣١٢) كتاب الحج، باب فضل المدينة ١٤٤/٩- ١٤٥.

(٣) رواه مسلم برقم: (٣٣٢١) كتاب الحج، باب فضل المدينة ١٤٨/٩- ١٤٩.

(٤) رواه البخاري برقم: (١٨٧٩) كتاب فضائل المدينة، باب لايدخل الدجال المدينة ١٢٣/٤، من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٥) رواه البخاري برقم: (١٨٨٠) كتاب فضائل المدينة، باب لايدخل الدجال المدينة ١٢٣/٤، ورواه مسلم برقم: (٣٣٣٧) كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها ١٥٥/٩ من حديث أبي هريرة ﷺ.

وتعظيم المدينة النبوية يكون بأمور، منها:

- التبرك بسكناها مع الإيمان بالله تعالى والمتابعة للنبي ﷺ، فذلك فيه خير عظيم، فسكناها مشروعة التماساً للبركة العظيمة التي جعلها الله تعالى في هذا البلد، وأيضاً فإن النبي ﷺقد حث على سكناها، والصبر على ما قد يكون فيها من الشدائد وضيق العيش، ووعد على ذلك بعظيم الجزاء يوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابنَ عمه وقريبَه، هَلُمَّ إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يَخرج منهم أحدٌ رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد)**[(١)].

وقال ﷺ: **(لا يصبر أحد على لأوائها فيموت، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، إذا كان مُسْلِما)**[(٢)].

- حب المدينة محبة عظيمة والشوق إليها لحب رسول الله ﷺ لها، فقد كان النبي ﷺ يحب المدينة حباً شديداً، فعن أنس رضي الله عنه **أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرّكها من حبّها**[(٣)].

وقد كان ﷺ لما قدم المدينة دعا اللهَ أن يحببها إليه وإلى المسلمين، وأن يصحِّحَها، فاستجاب الله دعاء نبيه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال:

---

(١) رواه مسلم برقم: (٣٣٣٩) كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها ٩/١٥٥.

(٢) رواه مسلم برقم: (٣٣٢٦) كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة ٩/١٥١.

(٣) رواه البخاري برقم: (١٨٨٦) كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث ٤/١٢٦- ١٢٧، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وحول حماها إلى الجحفة(١)**)**(٢).

- أن يحرص المسلم على أن يكون في هذه المدينة مستقيماً على أمر الله، ملتزماً بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، شديدَ الحذر من أن يقع في البدع والمعاصي، فإن الحسنات في هذه المدينة لها شأن عظيم، والبدع والمعاصي فيها ذات خطر كبير، فإن ذَنْب مَنْ يعصي الله في الحرم أعظم وأشد ممن يعصيه في غير الحرم، والسيئات لا تضاعف فيه بكمياتها، ولكنها تكبر وتعظم بفعلها في الحرم.
- أن يكون المسلم في هذه المدينة المباركة قدوة حسنة في الخير؛ لأنه يقيم في بلد شع منه نور الإسلام، وانطلق منه الهداة المصلحون إلى أنحاء المعمورة، فيجد من يفد إلى هذه المدينة في ساكنيها القدوةَ الحسنة والاتصافَ بالصفات الكريمة والأخلاق العظيمة، فيعود إلى بلده متأثراً مستفيداً لما شاهده من الخير والمحافظة على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكما أن الوافد إلى هذه المدينة يستفيد خيراً وصلاحاً بمشاهدة القدوة الحسنة في هذا البلد المبارك، فإن الأمر يكون بالعكس عندما يشاهد في المدينة من هو على خلاف ذلك، فبدلاً من أن يكون مستفيداً حامداً يكون متضرراً ذاماً.

---

(١) الجحفة قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، كان اسمها مَهْيَعَة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين الساحل نحو ثلاث مراحل. انظر: معجم البلدان ٣٦/٣. يقول البلادي: " ...وتوجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بحوالي: (٢٢) كيلاً.."معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص: (٨٠).

(٢) رواه البخاري في مواضع مطولاً ومختصراً منها برقم: (١٨٨٩) كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة ١٢٨/٤- ١٢٩، ورواه مسلم برقم: (٣٣٢٩) كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة ١٥٢/٩.

- أن يتذكر المسلم وهو في هذه المدينة أنه في أرضٍ طيِّبة، هي مهبط الوحي، ومأرز الإيمان، ومدرج الرسول الكريمﷺ وصحابته الكرام من المهاجرين والأنصار، درجوا على هذه الأرض، وتحركوا فيها على خير واستقامة والتزامٍ بالحق والهدى، فيحذر أن يتحرك عليها تحركاً يخالف تحركهم؛ بأن يكون تحركه فيها على وجه يسخط الله عز وجل، ويعود عليه بالمضرة والعاقبة الوخيمة في الدنيا والآخرة[١].
- ومن تعظيمها البعد كل البعد عن الإحداث فيها ببدعة أو معصية أو إيواء المحدثين من المبتدعة والفساق أو الذين يريدون الإخلال بأمن هذه البلدة الشريفة ويضمرون الشر لساكنيها وزوارها، فالإحداث في المدينة ملعون فاعله على لسان النبي ﷺ، ومعلوم أن إثم المعصية يتضاعف في الأماكن والأزمان الفاضلة، ففي صحيفة علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرفٌ ولا عدل**)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: (**المدينة حرم، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عدلٌ ولا صرف**)[٣].

- ومن تعظيم المدينة عدم اصطياد صيدها وعدم القطع لشجرها الذي في الحرم، عن جابررضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها**)[٤].

---

(١) هذه النقاط الثلاث مستفادة من كتاب فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها لشيخنا العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله ص: (٢٦ – ٢٩).

(٢) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٦٧٥٥) كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه ١٢/٥١، ورواه مسلم برقم: (٣٣١٤) كتاب الحج، باب فضل المدينة ٩/١٤٥- ١٤٧.

(٣) رواه مسلم برقم: (٣٣١٧) كتاب الحج، باب فضل المدينة ٩/١٤٧.

(٤) رواه مسلم برقم: (٣٣٠٤) كتاب الحج، باب فضل المدينة ٩/١٣٩- ١٤٠.

ومن الأماكن التي عظمها الشرع: مدينة القدس والمسجد الأقصى وما حولهما من أرض الشام:

قال الله تعالى إخباراً عن موسى ﷺ أنه قال لقومه حاثاً لهم على دخول بيت المقدس: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١]. فهي أرض مقدسة معظمة مباركة.

ومما يدل على تعظيم الشرع لها:

- أن الله تعالى جعل فيها بركة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ: ١٨].

- أن فيها المسجد الأقصى الذي تشد الرحال إليه، وتضاعف الصلاة فيه، وهذا من جملة بركة تلك الأماكن، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**)(١).

- أن في الشام جبل الطور الذي كلم الله تعالى موسى عنده وتجلى الرب تعالى للجبل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ

---

(١) رواه البخاري برقم: (١١٨٩) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٨٢/٣، ورواه مسلم برقم: (٣٣٧٠) كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ١٦٩/٩ .

أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٩ – ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ١ – ٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فأقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وأنزل عليه فيها الإنجيل، وأقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، وأقسم بالبلد الأمين، وهو مكة، وهو البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه، وهو الذي جعله الله حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم، خلقاً وأمراً، قَدَراً وشرعاً... فقوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ إقسام منه **بالأمكنة الشريفة المعظمة** الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه، وأنزل فيها الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن"[١].

- أن في الشام الطائفة المنصورة في آخر الزمان: عن عبد الله بن حوالة[٢] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق**) قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذاك، قال: (**عليك بالشام، فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيتم**

(١) الجواب الصحيح ٣/١٢١ – ١٢٣ .

(٢) هو الصحابي عبد اللّه بن حَوَالة الأزدي، يكنى أبا حوالة. وقيل أبا محمد. له صحبة، ونُسب إلى بني عامر بن لؤيّ، ونُسِب إلى الأزد، وهو الأشهر. ويمكن أن يكون حليفاً لبني عامر، وأصله من الأزد، مات سنة: (٨٠ هـ) بالشام. انظر: الاستيعاب ص: (٤٤٨)، الإصابة ٢/١٠٣٦– ١٠٣٧.

فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدَرِكُم[١]، فإن الله عز وجل قد توكل لي بالشام وأهله)[٢].

وتعظيم القدس وبلاد الشام يكون بأمور منها:

- سكناها طلباً لبركتها الدينية والدنيوية[٣]، مع طاعة الله تعالى ورسولهﷺ روى مالك في الموطأ أن أبا الدرداء[٤] رضي الله عنه كتب إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسانَ عملُه[٥].

---

(١) غُدَرِكم جمع غدير، أي: حياضكم. والمعنى: ليسقِ كل واحد من غديره الذي يختص به. والأجناد بالشام، لا سيما أهل الثغور والنازلون في المروج من شأنهم أن يتخذ كل فرقة لنفسها غديراً يستنقع فيها الماء للشرب والتطهر وسقي الدواب، فوصاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب؛ لئلا يكون سبباً للاختلاف وتهييج الفتنة. انظر: مرقاة المفاتيح ٩/٤٠٤١-٤٠٤٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٧٠٠٥) في مسند الشاميين، حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه ٢٨/٢١٥ - ٢١٦، وصححه الألباني في تخريجه لفضائل الشام ص: (١٠- ١١)، وقال الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح بطرقه.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ٢٧/٤٣ - ٤٥ .

(٤) هو الصحابي الجليل: عويمر بن عامر، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد، وقيل اسمه: عامر وصُغِّر، فقيل: عويمر، واختلف في اسم أبيه على أقوال، أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي، وهو مشهور بكنيته. شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، كان أبو الدرداء أحد الحكماء العلماء والفضلاء، وله حكم مأثورة مشهورة، والأشهر والأصح عند أهل الحديث أنه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه بعد أن ولاه معاوية رضي الله عنه قضاء دمشق. انظر: الإصابة ٢/١٣٩٣-١٣٩٤.

(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ برقم: (٢٨٤٢) ٤/١١١٧.

- زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، وليس هناك موضع تشرع زيارته إلا المسجد الأقصى، لا الطور ولا مسجد الصخرة ولاغيرها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فصخرة بيت المقدس لا يسن استلامها ولا تقبيلها باتفاق المسلمين بل ليس للصلاة عندها والدعاء خصوصية على سائر بقاع المسجد "(١).

وقال رحمه الله: "ولا تستحب زيارة الصخرة، بل المستحب أن يصلي في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين، ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات، ولا يسافر للوقوف بالمسجد الأقصى، ولا للوقوف عند قبر أحد لا من الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم، باتفاق المسلمين"(٢).

- ومن تعظيمها: تطهيرها من مظاهر الشرك ومن وسائله ومن البدع والمحدثات التي قد عمت كثيراً من البلاد الشامية، وتحكيم شرع الله في العباد ليكتب الله لأهلها العزة والنصر، ومجاهدة أعداء الله الذين تسلطوا على هذه البلاد المباركة حتى تتطهر من رجسهم ودنسهم – عجّل الله ذلك بمنه وكرمه –.

ومن الأماكن التي عظمها الشرع: المساجد:

فالمساجد بيوت الله تعالى، يصلّى لله تعالى فيها ويعبَد ويوحَّد، ويُذكر اسمُه ويمجَّد، فهي أماكنُ فاضلةٌ وبقاعٌ عظيمةٌ، فيها تتنزل الرحمات، وتكفر الخطايا والسيئات، وترفع المنازل عند الله والدرجات، هي أحب البقاع إلى الله تعالى، وبها تعلقت قلوب المحبين الصادقين.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣٥/٢٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٠/٢٦ .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "**وإنما دين الله: تعظيم بيوت الله وحده لا شريك له،** وهي المساجد التي تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة، والاعتكاف، وسائر العبادات البدنية والقلبية، من القراءة، والذكر، والدعاء لله"(١).

ومما يدل على تعظيمها في الشرع:

- **أن الله تعالى أضافها إلى نفسه إضافة تقتضي التشريف والتكريم:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة: ١١٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خَطْوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**)(٢).

- **أن الله تعالى أمر بالصلاة له فيها وذكره وعبادته:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة: ١١٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٧].

فالمساجد إنما بنيت لتكون محلاً لعبادة الله تعالى وحده وإخلاص الدين له، وأعظم مايؤدى فيها هو هذه الصلوات الخمس المفروضات.

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٤٩/٢٧.

(٢) رواه مسلم برقم: (١٥١٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة ١٧٣/٥.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد ؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم"[١].

- **أنها أحب البقاع إلى الله تعالى**: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله: أسواقها**)[٢].

- **أن الله تعالى أمر بتعظيمها واحترامها**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٧]. والمراد بهذه البيوت: المساجد التي بنيت للصلاة[٣].

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ يقول: أن تعظم لذكره[٤].

وتعظيم المساجد يكون بأمور منها:

- **قصدها للصلاة وذكر الله تعالى**، فالمساجد قد بنيت لتكون محلاً لأداء الصلوات، وقد أوجب الله تعالى ورسوله أن تؤدى الصلوات المكتوبة في المساجد، وشُرع الأذانُ دعوة للناس لأداء هذا الركن من أركان الإسلام. وهذا هو المقصود الأهم بعمارة مساجد الله التي حكم الله تعالى لأهلها بالإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩/٣٥ .

(٢) رواه مسلم برقم: (١٥٢٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه ١٧٦/٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٧٢/١٢ – ١٧٣ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٧٣/١٢ .

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٨]، فأعظم عمارة لمساجد الله هو عمارتها بذكر الله تعالى وإخلاص الدين لله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨]، كما أن عمارتها تكون بقصدها لأداء الصلوات المفروضة التي يجب أن تكون في المساجد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " أئمة المسلمين متفقون على أن إقامة الصلوات الخمس في المساجد هي من أعظم العبادات، وأجل القربات، وَمَنْ فَضَّل تركَها عليها إيثاراً للخلوة والانفراد على الصلوات الخمس في الجماعات، أو جَعَل الدعاءَ والصلاةَ في المشاهد أفضلَ من ذلك في المساجد، فقد انخلع من ربقة الدين، واتبع غيرَ سبيل المؤمنين.﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥.ولكن تنازع العلماء بعد ذلك في كونها واجبة على الأعيان، أو على الكفاية، أو سنة مؤكدة... "[1].

- **بناؤها وعمارتها حسياً، وتنظيفها والعناية بها:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦ – ٣٧].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " **قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها،** فقال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾.وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة"[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/٢٢٥ .

(٢) تفسير السعدي ص: (٥٧) في تفسير الآية: (١١٤) من سورة البقرة.

وقال: "﴿ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر[١]، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله.﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ يدخل في ذلك الصلاةُ كلُّها، فرضُها، ونفلُها، وقراءةُ القرآن، والتسبيحُ، والتهليلُ، وغيرُه من أنواع الذكر، وتعلمُ العلمِ وتعليمُه، والمذاكرةُ فيها، والاعتكافُ، وغيرُ ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد"[٢].

- **ومن تعظيم المساجد صونها عن اللغو فيها ورفع الأصوات** بغير ذكر الله تعالى والبيع والشراء وإنشاد ضوال الدواب ونحوها؛ لأن المساجد لم تُبْنَ لهذه الأغراض، وإنما بُنيت لذكر الله تعالى وعبادته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من سَمِع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا)**[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله في سياق ذكره لبعض فوائد الحديث: "النهي عن نشد الضالة في المسجد، ويلحق به ما في معناه من البيع والشراء والإجارة ونحوها من العقود، وكراهة رفع الصوت في المسجد ... وقولهﷺ: **(إنما بنيت المساجد لما بنيت له)**، معناه: لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها"[٤].

---

(١) في المسألة خلاف بين أهل العلم، وقد جُمعتْ نقول كثيرة عنهم في بحث بعنوان: حكم دخول الكافر المساجد والاستعانة به في عمارتها، أعدته اللجنة الدائمة البحوث العلمية بالمملكة. انظر أبحاث هيئة كبار العلماء ٥٢٩/٧ - ٥٤٨.

(٢) تفسير السعدي ص: (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم برقم: (١٢٦٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد ٥٦/٥.

(٤) شرح النووي على مسلم ٥٧/٥ .

● **ومن تعظيمها صونها عن النجاسات والأذى،** كالبصاق ونحوه ممايؤذي المصلين[١]، وينافي حرمة المسجد، وقد قال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد: (**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن**) أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء، فشنَّه عليه[٢].

وعن أنس بن مالكؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (**البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها**)[٣].

وعن أبي ذرؓ عن النبي ﷺ قال: (**عُرضتْ عَلَيّ أعمالُ أمتي حسنُها وسيئُها، فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها: النخاعة تكون في المسجد لا تدفن**)[٤].

● **ومن تعظيم المساجد: عدم بنائها على القبور، وعدم دفن الموتى بها، وعدم تعليق الصور فيها:**

فبناء المساجد على القبور، أو دفن الموتى بداخلها، وكذا تعليق الصور بحيطانها، هو من أسباب الشرك ووسائله التي حذر الرسول ﷺ منها أبلغ تحذير، كما أن فعل ذلك ينافي تعظيم المساجد التي إنما بنيت لعبادة الله تعالى وتعظيمه وإخلاص الدين له.

---

(١) انظر: تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٤٣١- ٤٣٤، ٤٣٨- ٤٣٩).

(٢) رواه مسلم برقم: (٦٥٩) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ٣/١٨٢- ١٨٣من حديث أنس بن مالك ؓ .

(٣) رواه البخاري برقم: (٤١٥) كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد ١/٦٦٢، ورواه مسلم برقم: (١٢٣١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد ٥/٤٣- ٤٤.

(٤) رواه مسلم برقم: (١٢٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد ٥/٤٤.

فعن جندب ﷺ قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**)[1].

وعن عائشة وابن عباس ﷺ قالا: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا[2].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن أم حبيبة[3] وأم سلمة[4] ذكرتا كنيسة[5] رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**إن أولئك إذا مات فيهم الرجل**

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٥١٩).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٤٦٠).

(٣) أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية، أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، تكنى أم حبيبة وهي بها أشهر من اسمها. تزوجها عبيد الله بن جحش الأسدي، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت له حبيبة،ولما تنصر زوجها فارقها، فطلب النبي ﷺ أن يتزوجها وهي في الحبشة، فزوجه النجاشي إياها، وأصدقها عنه، وجهزها، فقدمت على رسول الله ﷺ سنة(٧) على الأشهر. روت أحاديث، وماتت بالمدينة سنة: (٤٤)، وقيل: سنة: (٤٢ هـ).انظر: الاستيعاب ص: (٨٨٦ – ٨٨٧)، الإصابة٤/٢٥٠٨ –٢٥١٠.

(٤) أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، أم المؤمنين، اسمها هند، واسم أبيها حذيفة، وقيل: سهيل، ويلقب زاد الركب؛ لأنه كان أحد الأجواد، وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة ابن عبد الأسد فمات عنها فتزوجها النبي ﷺ في سنة: (٤)، وقيل: سنة: (٣)، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة قيل: إنها أول امرأة خرجت مهاجرةً إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة، وكانت موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب، ماتت سنة: (٥٩ هـ). وقيل غير ذلك، وهي من آخر أمهات المؤمنين موتاً.انظر: الإصابة ٤/٢٦٥٤– ٢٦٥٦.

(٥) الكنيسة: المعبد الذي يؤدي فيه النصارى أو اليهود صلاتهم .انظر: القاموس المحيط ص: (٥٧١).

الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)(١).

وقد كان أول شرك وقع في الأرض هو بسبب تعليق الصور والتماثيل، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ورد ذكرهم في قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣]. قال: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "(٢).

وقال عمر رضي الله عنه للنصارى: إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي. وكل من قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد أو عند مسجد بني على قبر أو

---

(١) رواه البخاري برقم: (٤٢٧) كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية؟ ٦٧٨/١،ومسلم برقم: (١١٨١) كتاب الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١٥/٥.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢).

(٣) ذكر الأثرين البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة. صحيح البخاري ٦٨٧/١.

مشهد أو غير ذلك: أمر مشروع بحيث يستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه: فقد مرق من الدين، وخالف إجماع المسلمين . والواجب أن يستتاب قائلُ هذا ومعتقِدُه فإن تاب وإلا قتل، بل ليس لأحد أن يصلي في المساجد التي بنيت على القبور ولو لم يقصد الصلاة عندها، فلا يقبل ذلك لا اتفاقاً ولا ابتغاءً[١]؛ لما في ذلك من التشبه بالمشركين والذريعة إلى الشرك، ووجوب التنبيه عليه وعلى غيره، كما قد نص على ذلك أئمة الإسلام من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم"[٢].

---

(١) يقصد بقوله: اتفاقاً، أي: مصادفة بدون قصد الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، وبقوله: ابتغاء أي: طلباً للصلاة في ذلك المسجد المبني على قبر.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٨٨– ٤٨٩، وانظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن ٤/٤٩٩– ٥٠١.

المبحث الثاني:

التعظيم البدعي والشركي للأمكنة.

للتعظيم البدعي والشركي أمثلة كثيرة، **وسأكتفي بأبرز هذه الأمثلة في خمسة مطالب:**

المطلب الأول من التعظيم البدعي:

تعظيم الأماكن المعظمة في الشرع بغير ما شرعه الله تعالى ورسوله ﷺ

فتعظيم الأماكن المقدسة إنما يكون بمتابعة السنة في تعظيمها من غير غلو ولاجفاء، بل يقتصر على ماورد في النصوص كسكنى المدينة ومكة والشام ولايكون بغير ماورد به الشرع من التمسح بجدرانها وأكل ترابها وحمل أحجارها ونحو ذلك، وكذلك تعظيم مشاعر الحج والعمرة كالمقام والصفا والمروة لايكون بالتمسح بها واستلامِها طلباً لبركتها ونحو ذلك، وتعظيم المساجد يكون بالصلاة فيها والتعبد لله تعالى فيها لابأكل ترابها والتمسح بحيطانها وتقبيلها ونحوه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فالمساجد والمشاعر إنما ينفع فضلها لمن عمل فيها بطاعة الله عز وجل، وإلا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب، وإنما الثواب والعقاب على الأعمال المأمور بها والمنهي عنها"[1].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/٤٣٨.

المطلب الثاني:

تعظيم آثار الأنبياء والصالحين غير المشروعة

فمن التعظيم البدعي: تتبع آثار الأنبياء والصالحين كالمساجد التي زُعم أنهم صلوا فيها، أو الأماكن التي ذُكر أنهم جلسوا فيها أو ولدوا فيها ونحو ذلك. وذلك كغار حراء، وغار جبل ثور، والموضع الذي بمكة الذي يزعم الصوفية ومن تأثر بهم أنه مكان المولد النبوي، ومثل المساجد والأمكنة التي بالمدينة؛ كالمساجد السبعة ومسجد الجمعة ومسجد القبلتين، وغيرها من المساجد التي لم يأت في الشرع مايدل على أفضليتها، وأكثرها لم تثبت نسبتها للعصر النبوي، وإنما هي مساجدُ محدثةٌ بعد ذلك. وكذلك غيرها من المزارات التي يذهب إليها المبتدعة من الرافضة والصوفية ومن قلّدهم من الجهلة والعوام، وينسبون زيارتها للشرع، ويدَّعون أن زيارة تلك البقاع مستحبة، وبعضهم يمارس عندها من البدع وربما من الشركيات ما الله به عليم.

فتجد بعض الناس من الرافضة والصوفية وبعض عوام المسلمين وجهلتهم يذهبون إلى هذه الأماكن، ويتبركون بها، ويتمسحون بها، وربما دعوا هناك وصلوا، ويعتقدون أن للدعاء والصلاة هناك مزيةً على غيره .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وليس بالمدينة مسجد يشرع إتيانه إلا مسجد قباء، وأما سائر المساجد فلها حكم المساجد العامة، ولم يخصها النبي ﷺ بإتيان، ولهذا كان الفقهاء من أهل المدينة لا يقصدون شيئاً من تلك الأماكن إلا قباء خاصة[1].

وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ جماعة يتبادرون مكاناً يصلون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد ؟! إنما هلك من كان قبلكم بهذا، فمن أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض"[1].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٥٣٩).

وعن نافع مولى ابن عمر[٢] قال:"كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت"[٣].

قال ابن وضاح[٤] رحمه الله بعد ذكره لهذين الأثرين: " وسمعتهم يذكرون: أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، ولم يتبع تلك الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يُقتدى به . وقَدِم وكيعٌ أيضاً مسجدَ بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان. قال ابن وضاح: فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين؛ فقد قال بعض من مضى: كم من

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/١٨٨- ١١٩، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/٣٧٦- ٣٧٧، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (٤١ – ٤٢)، وإسناده صحيح . انظر: التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة لشيخنا العلاّمة عبد المحسن العباد حفظه الله ص: (١٠٢).

(٢) هو الإمام نافع أبو عبد الله القرشي ثم العدوي مولاهم، التابعي الجليل، المفتي، الثبت، عالم المدينة، مولى ابن عمر، وراويته. وروى عن: ابن عمر، وعائشة، وأبي هريرة، ورافع بن خديج، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وغيرهم كثير، وروى عن نافع جمع غفير، توفي سنة: (١١٧ هـ) انظر: وفيات الأعيان ٥/٣٦٧- ٣٦٨، السير ٥/٩٥- ١٠١.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/١٠٠، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (٤٢ – ٤٣) وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/٥٥٨.

(٤) هو الإمام محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، القرطبي الأندلسي، أبو عبد الله، من أئمة الحديث والإقراء، رحل إلى المشرق ولقي الإمام أحمد وابن معين وغيرهما. وكان إماماً ثبتاً عالماً بالحديث بصيراً به متكلماً على علله، ورعاً فقيراً متعففاً صابراً على الإسماع محتسباً. سمع الناس منه كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس، توفي سنة: (٢٨٦هـ). انظر: السير ١٣/٤٤٥- ٤٤٦، الديباج المذهب لابن فرحون ٢/١٧٩- ١٨١.

أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكراً عند من مضى، ومتحبب إليه بما يبغضه عليه، ومتقرب إليه بما يبعده منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة"[١].

ولم يكن الصحابة ﭫ يذهبون لغار حراء الذي أوحي إلى النبي ﷺ فيه، ولا لغار ثور الذي تخفى فيه لما خرج من مكة مهاجراً، ولم يكونوا يذهبون مكان مولد النبي ﷺ بمكة، ولم يكونوا يذهبون لجبل الطور الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، ولا لقبر الخليل عليه السلام بفلسطين، ودخلوا البلدان كالشام وغيرها ولم يتتبعوا آثار الأنبياء هناك ولا قبورهم ولا مقاماتهم، فضلاً عن أن يتحروا الصلاة أو الدعاء عندها[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ما ذكر حجة النبي ﷺ: " فتحنثه وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم أنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفَرَض على الخلق الإيمانَ به وطاعتَه واتباعَه، أقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق، ولا يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء ثم هاجر إلى المدينة " ثم ذكر رحمه الله أن النبي ﷺ اعتمر أربع مرار وحج حجة واحدة، ولم يذهب إلى تلك الأماكن لاهو ولا أحد من أصحابه رضوان الله عليهم، ثم قال: " وهو في ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتي غار حراء ولا يزوره، ولا شيئاً من البقاع التي حول مكة، ولم يكن هناك عبادة إلا بالمسجد الحرام، وبين الصفا والمروة وبمنى والمزدلفة وعرفات... ثم بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من السابقين الأولين، لم يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء .

وكذلك الغار المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وهو غار بجبل ثور يمان مكة، لم يَشرع لأمته السفرَ إليه وزيارتَه والصلاةَ فيه والدعاء، ولا بنى رسول الله ﷺ بمكة مسجداً غير المسجد الحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذي خلف منى، وقد بُني هناك مسجد، ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعاً مستحباً يثيب

---

(١) البدع والنهي عنها ص: (٤٣).

(٢) انظر: الفتاوى ١٥/١٥٢ – ١٥٥.

الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك، ولكان يُعَلِّم أصحابَه ذلك، وكان أصحابُه أعلمَ بذلك وأرغبَ فيه ممن بعدهم، فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك عُلم أنه من البدع المحدثة، التي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله"[١].

ومن التعظيم البدعي مايفعله الرافضة والصوفية والجهلة ممن تأثر بهم من التمسح بجدران قبر النبي ﷺ وتقبيله وتحري الدعاء هناك وما يفعلونه أيضاً عند بعض القبور في البقيع؛ فهذا كله من البدع والمحدثات التي لاتزيد صاحبَها من الله تعالى إلا بعداً، فلم يكن السلف الصالح يفعلون ذلك، ولو كان خيراً لكانوا أسبقَ الناس إليه، وهو من الغلو في القبور الذي حرَّمته الشريعة لكونه يفضي إلى الشرك بالله تعالى والتعلق بالمخلوقين ودعائهم وسؤالهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وأما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه ؛ وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين"[٢].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٥٣٣- ٥٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى ٨٠/٢٧، وانظر: التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة لشيخنا العلاّمة عبد المحسن العباد حفظه الله، جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة للدكتور الغنيمان ١٠٦٧/٢- ١٠٨٠ .

المطلب الثالث:

تعظيم بلدان لم يرد الشرع بتعظيمها

تقدم في بداية هذا الفصل بيان أنه لايجوز تعظيمُ أزمنةٍ ولا أمكنةٍ لم يرد في الشرع تعظيمها، وأنه لايجوز القياس في ذلك، ووجوب الاقتصار على ما ورد في الشرع من ذلك. وقد وجد في المنتسبين للإسلام من عظم بعض البلدان وزعم أن لها فضيلة على غيرها وأن لها بركة وأن لقصدها وزيارتها مزية .

وممن عظم بلداناً غيرَ معظمة في الشرع: الرافضة حيث عظموا بلداناً كثيرة لم يعظمها الشرع، وقد وصل بهم الغلو أن فضلوا بعض تلك الأماكن على مكة والمدينة وبيت المقدس، فإليها يحجون، ولها يشدون الرحال في أوقات معينة، وهذه المدن التي عظمها الرافضة منها: (النجف[١]) الذي يسمونه (بالنجف الأشرف) و(كربلاء)[٢] و(الكوفة)[٣] و(قم)[٤] . فقالوا عن النجف: إن الله تعالى جعله حرماً آمناً يأمن من لجأ إليه[٥].

---

(١) النجف موضع بظهر الكوفة، كالمسنّاة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، وبالقرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (على مايزعم الرافضة) انظر: معجم البلدان ٨/٣٧٦- ٣٧٧.

(٢) كربلاء بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده باء معجمة بواحدة، ممدود: موضع بالعراق من ناحية الكوفة في طرف البرّيّة، وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما. انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري ٤/١١٢٣، معجم البلدان لياقوت ٧/١٢٥- ١٢٦.

(٣) الكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، قيل: سميت الكوفة لاستدارتها،وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها، مصّرها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سنة(١٧) أو (١٩ هـ). انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري ٤/١١٤١ - ١١٤٢، معجم البلدان لياقوت ٧/١٦٠- ١٦٣.

(٤) قُمّ مدينة بأرض الجبال بين ساوة وأصفهان، وهي كبيرة طيبة خصبة، مُصِّرتْ في زمن الحجاج بن يوسف سنة: (٨٣هـ). أهلها شيعة غالية جداً، وهي الآن في دولة إيران. انظر: معجم البلدان لياقوت ٧/٨٨- ٨٩، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص: (٤٤٢- ٤٤٣).

(٥) انظر مفاتيح الجنان ص: (٥٢٦).

وقالوا عن كربلاء: إن الله تعالى اتخذها حرماً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأن تربتها نورانية صافية، وأن تربتها ترفع كما هي فتجعل في روضة من رياض الجنة لايسكنها إلا النبيون والمرسلون[١]. وقالوا: إن تربتها أفضل من تربة مكة، وأن مكة إنما خلقت من أجل كربلاء. وزعموا: أن الله تعالى قال لمكة: كوني ذَنَباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولامستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم[٢].

وعن الكوفة قالوا: إنها إحدى المدن الأربع التي اختارها الله تعالى[٣]، وأن مسجدها تضاعف الصلاة فيه، فالفريضة تعدل ألف صلاة، وتعدل أيضاً حجة مقبولة، وفي مسجدها قد صلى ألف نبي وألف وصي[٤].

وقالوا عن مسجدها: لاتذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه[٥].

وقالوا عن مدينة قم المقدسة بزعمهم: إن أهل مدينة قم يحاسبون في حفرهم، ويحشرون من حفرهم إلى الجنة[٦].

وقالوا: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها، فطوبى لهم ثم طوبى[٧].

وما وصل بهم الغلو في تعظيم تلك البلدان إلى ما وصل إلا بسبب ما فيها من المشاهد والقبور؛ فتعظيمهم لها بسبب تعظيمهم للقبور والمشاهد ومراقد أهل البيت التي بنوا

---

(١) انظر بحار الأنوار للمجلسي ١٠٧/٩٧ وسائل الشيعة للحر العاملي ٤٠٣/١.

(٢) انظر: بحار الأنوار ١٠٧/٩٨ وسائل الشيعة ٤٠٣/١ .

(٣) انظر: مفاتيح الجنان ص: (٥٨٣).

(٤) انظر: مفاتيح الجنان ص: (٥٨٤)، وانظر: معجم البلدان لياقوت ١٦١/٧-١٦٢ فقد ذكر من هذه الأخبار مايضحك الثكالى.

(٥) انظر: وسائل الشيعة ٣٠٩/٣ .

(٦) انظر: بحار الأنوار ٢١٨/٦٠ .

(٧) انظر: بحار الأنوار ٢١٥/٦٠ .

عليها الأبنية والصروح العظيمة، ويمارسون عندها من الطقوس والعبادات الشركية الشيء الكثير؛ من دعاء الموتى والمقبورين، وسؤالهم، والاستشفاع بهم، ومن الطواف حول تلك المشاهد، والاعتكاف بسوحها، وذبح الذبائح حولها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن تعظيم الرافضة للمشاهد: "يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم، ويخربون المساجد أكثر من غيرهم، فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة، ولا يصلون فيها إن صلوا إلا أفراداً، وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام، ويسمونها الحج الأكبر، وصنف ابن المفيد[(١)] منهم كتاباً سماه " مناسك حج المشاهد " وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف، وإن كان في غيرهم أيضاً نوع من الشرك والكذب والبدع ؛ لكن هو فيهم أكثر"[(٢)].

وهذا كله من افترائهم وكذبهم على الله تعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو من الابتداع في دين الله.

ولو جاز القياس في فضائل البلدان لفضّل كثيرٌ من الناس ديارَهم وبلدانَهم، وعظموها، وأهملوا تعظيم ما عظمه الله تعالى، وهذا هدم لدين الإسلام.

وأكثر هذه المشاهد إن لم تكن كلها لم تثبت نسبتها لأهلها؛ كالضريح الذي يزعمون أنه قبر علي رضي الله عنه بالنجف، والصواب أن قبر علي رضي الله عنه كان بالكوفة[(٣)].

أضف إلى ذلك ما يحدث عند تلك المشاهد من الشرك بالله سبحانه من دعاء المقبورين وسؤالهم والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم كما يفعل عبدة الأصنام.

---

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان، انتهت إليه رياسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار، مولده سنة: (٣٣٨هـ)، وتوفي سنة: (٤١٣هـ) انظر: الفهرست لابن النديم ص: (٢٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى ٤٩٧/١٤– ٤٩٨، وانظر: إغاثة اللهفان ١٩٧/١، الدر النضيد للشوكاني ص: (٤٠).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية ٤٣/٧، مجموع الفتاوى ٥٠٢/٤.

والصوفية أيضاً عظّموا أماكن لم يعظمها الشرع، حيث عظّموا القبور والأضرحة، وعظموا الأماكن التي فيها تلك القبور والمشاهد؛ فعندهم أن المكان الذي فيه قبر يعظم ويزار هو مكان معظم مبارك، والقرية التي ليس فيها قبر ولي هي قرية منزوعة البركة، ولاخير فيها.

ويفعل الصوفية زيارة القبور طلباً لبركتها واعتقاداً منهم لعظمة تلك البقاع وفائدةِ المجاورة عندها والعكوف حولها، وأن ذلك سبب لكشف الشدائد وقضاء الحوائج، وينسجون القصص الخيالية حول ذلك، يقول الغزالي: زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين لأجل التبرك مع الاعتبار(١).

ويقول القشيري(٢) عن معروف الكرخي(٣):"كان من المشائخ الكبار ، مجاب الدعوة ، يستشفى بقبره، يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب"(٤).

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤١٨.

(٢) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي، أبو القاسم، من أئمة التصوف، وهو صاحب الرسالة المشهورة، وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة، وصنف مصنفات كثيرة منها: لطائف الإشارات، وكان في أصول الدين على مذهب الأشعري، ولازم الجويني مدة. توفي سنة: (٤٦٥هـ) . انظر: السير ١٨/٢٢٧-٢٣٣، الوافي بالوفيات ١٨/٢٠٠- ٢٠١، طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٥٣- ١٦٢.

(٣) هو معروف بن فيروز، وقيل: فيرزان،الكرخي أبو محفوظ البغدادي من الزهاد المتصوفة، قيل: كان أبوه من الصابئة. وقيل: كان أبواه نصرانيين، ثم إنهما أسلما، وجاءت عنه الأخبار الكثيرة في الزهد وفي الوعظ، توفي سنة: (٢٠٠ هـ) وقيل: في التي بعدها .انظر: الرسالة القشيرية ١/٤٢-٤٤، حلية الأولياء ٨/٣٦٠- ٣٦٨، السير ٩/٣٣٩- ٣٤٥.

(٤) الرسالة القشيرية ١/٤٢.

ويقول الصوفية عن بعض القبور: مقصود للزيارة واستنجاح الحوائج. وعن بعضها: قَلَّما قصده ذو حاجة إلا وقضيت. وعن بعضها: ويستنزل به المطر. وعن بعضها: إنها متخصصة لحاجات معينة، فهذا قبر مجرب لحصول الولد، وآخر للاستسقاء، وثالث للاستشفاء وهكذا[1].

وسأذكر في المطلب التالي بمشيئة الله تعالى بعض النصوص المانعة من تعظيم القبور، ومن فعل العبادات عندها، وأن ذلك من وسائل الشرك التي حذر منها الشرع أبلغ تحذير، ثم أذكر نماذج لما يفعلونه حول القبور والأضرحة والمشاهد مما هو تعظيم لها ودخول في الشرك والوثنية وعبادة غير الله تعالى.

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في القبورية لأحمد المعلم ص: (٣٤٠ – ٣٥٨) .

المطلب الرابع:

تعظيم القبور

عباد القبور والجهال يعظمون قبور من يسموهم الأولياء، ويعتقدون أن الأماكن حولها مباركة، ويعظموها تعظيماً يضاهي تعظيمَ ماشرع الله تعظيمَه كبيته الحرام ومشاعر الحج، ويضاهئون بالأفعال التي يفعلونها عندها الأفعال التي شرعها الله في البيت الحرام والمشاعر المقدسة التي عظمها الله ﷻ، وشَرَعَ في كل مشعر منها عبادةً وذكراً له ﷻ، وما شرعها الله تعالى وما أذن بتعظيمها إلا لإقامة ذكره وتوحيده تعالى، قال الله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[الحج: ٢٨].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (**إنما جُعل رميُ الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله**)[١].

فأخذ هؤلاء المفتونون بالقبور يعظموها[٢]، ويفعلون عندها من العبادات كالصلاة والدعاء وغير ذلك، وربما فعلوها لله تعالى، ويظنون أن فعلها في تلك الأماكن أفضل، وأن فعلها عند قبر الولي يجعلها متقبلة ويجعل الدعاءَ مستجاباً.

وهذا من المنكرات والمحرمات، ومن البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهو ذريعة إلى الشرك الأكبر بدعاء أصحاب القبور، والاستغاثة بهم، والذبح والنذر لهم، وصرفِ سائر العبادات لهم، وقد وقع كثير منهم في صرف تلك العبادات لغير الله، وبذلك وقعوا في الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة هنالك رجاءً أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد

---

(١) تقدم تخريجه ص: (١٢٩).

(٢) حتى إنه قد ألف بعضهم كتاباً في تعليم مناسك الحج سماه (مناسك حج المشاهد) وهو ابن المفيد الرافضي. انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٤/٤٩٧- ٤٩٨، إغاثة اللهفان ١/١٩٧، الدر النضيد للشوكاني ص: (٤٠).

من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء ولا الصالحين المتقدمين... وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات، ودهمتهم نوائبُ غير ذلك فهلاّ جاءوا فاستسقوا واستغاثوا عند قبر النبي ﷺ، بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به، ولم يستسق بالنبي ﷺ"[(١)].

وسائر العبادات مثل الدعاء، والقول فيها " جميعاً كالقول في الدعاء، فليس في ذكر الله هناك أو القراءة عند القبر، أو الصيام عنده، أو الذبح عنده فضل على غيره من البقاع، ولا قصد ذلك عند القبور مستحباً، وما علمتُ أحداً من علماء المسلمين يقول: إن الذكر هناك أو الصيام، أو القراءة أفضل منه في غير تلك البقعة"[(٢)].

وقال: "فأما إذا قصد الرجلُ الصلاةَ عند بعض قبور الأنبياء والصالحين متبركاً بالصلاة في تلك البقعة؛ فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ من أن الصلاة عند القبر- أي قبر كان — لا فضل فيها لذلك، ولا للصلاة في تلك البقعة مزية خير أصلاً، بل مزية شر"[(٣)].

وقد عقد الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب —رحمه الله- باباً في كتاب التوحيد عنون له بـ: " باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عَبَدَه؟ "[(٤)].

وساق فيه أحاديث منها: عن عائشة رضي الله عنها: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (**إن أولئك إذا**

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٤٩-٤٥٠) وخبر استسقاء عمر بالعباس تقدم تخريجه ص: (٥٢٩).

(٢) المرجع السابق ص: (٤٨٨).

(٣) المرجع السابق: ص: (٤٤٧).

(٤) انظر: كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ١/٥٦٦.

مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[١].

وحديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا:" لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يحذر ما صنعوا"[٢].

وقال قبل أن يموت بخمس: (... **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**)[٣].

ثم قال الإمام رحمه الله: " فقد نهى عنه وهو في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: "خشي أن يتخذ مسجداً" فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، بل كل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: (**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**)[٤]"[٥].

ففي هذه الأحاديث النهي الشديد عن قصد قبور الأنبياء أو الصالحين لأداء عبادة الله ﷻ عندها؛ فكيف بمن عبد المقبورَ نفسه، وصَرَف له شيئاً من العبادة التي هي حق خالص لله تعالى ؟.

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٥٩٨).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٤٦٠).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥١٩).

(٤) رواه البخاري برقم (٣٣٥) كتاب التيمم، باب رقم: (١) ٥٦٥/١، ومسلم برقم: (١١٦٣) كتاب المساجد، باب: جعلت لي الأرض مسجداً ٥/٦- ٧، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ٥٦٦/١.

ولا شك أن نهيَه ﷺ ولعنَه لمن فعل ذلك وهو إنما تعبَّد لله عز وجل سدٌ لذريعة الشرك بالله عز وجل؛ فإن الناس الذين يؤدون بعض العبادات لله عز وجل عند القبور لا يزال بهم إبليس بخفي مكره حتى يعبدوا المقبورين أنفسهم.

وقد كان أول شرك وقع في الأرض بسبب هذه الحيلة الشيطانية. قال ابن عباس رضي الله عنهما عن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ورد ذكرهم في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[نوح:٢٣]. قال: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "[(١)].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: " وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع، هي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك؛ فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب، ونحو ذلك، فإنْ يشرَك بقبر الرجل الذي يعتقد بنوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا نجد أقواماً كثيرين يتضرعون عندها، ويخشعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد، بل ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد التي تشد إليها الرحال.

فهذه المفسدة التي هي مفسدة الشرك كبيرِهِ وصغيرِهِ هي التي حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة ونحو ذلك، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها

(١) تقدم تخريجه ص: (٢).

وغروبها[١]؛ لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فينهى المسلم عن الصلاة حينئذ — وإن لم يقصد ذلك – سداً للذريعة.

فأما إذا قصد الرجلُ الصلاةَ عند بعض قبور الأنبياء والصالحين متبركاً بالصلاة في تلك البقعة؛ فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به"[٢].

وقد ضل وأبطل من زعم أن العلة من النهي عن الصلاة في المقبرة هي النجاسة، وهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ، بل العلة في ذلك الخوف على الأمة أن يقعوا فيما وقعت فيه اليهود والنصارى وعباد اللات والعزى من الشرك، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة؛ لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع؛ فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريون[٣].

ومن هذه الأفعال التي يعظمون بها القبور:

أولاً: شد الرحال لزيارتها:

وهذا من الأمور المحرمة، ومن البدع المضلة، وهو من الغلو في القبور وتعظيمها حيث يضاهى بها المساجد الثلاثة التي لايجوز شد الرحال لزيارة بقعة إلا إليها، لقول النبيﷺ: (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**)[٤].

---

(١) عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ قال: (ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أوأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب) رواه مسلم برقم (١٩٢٦) كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها ٣٥٤/٦.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص: ٤٤٦-٤٤٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٥٨٢/١ باختصار، وانظر: إغاثة اللهفان ١٨٧/١-١٨٩.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٥٨٩).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "من اعتقد السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنه قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرماً بإجماع المسلمين"[1].

ثانياً: اعتقاد أن الدعاء مستجاب عندها:

فتجد المفتونين بالقبور يتوجهون إليها، ويقصدونها، ويدعون اللهَ تعالى عندها ظناً منهم أن ذلك أنجح لسؤالهم، وهذا من وسائل الشرك كما تقدم قبل قليل.

ثالثاً: حلق الرأس عند زيارة القبور من أجل الزيارة، فربما حلق بعض زائري القبور والغلاة منهم رؤوسهم عندها تعظيماً وعبودية وخضوعاً، وتشبيهاً بالحِلاق عند أداء النسك عبادة.

قال ابن القيم رحمه الله: " فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره"[2].

قال الشيخ محمد بن سالم البيحاني[3] رحمه الله: " فمنهم من يذهب إلى بعض القبور، وينذر لصاحبه إن هو حظي بولد ذكراً كان أو أنثى بقُرَب لا يجوز التقرب بها إلا إلى الله تعالى؛ فمن ذلك أنهم يقولون: يا شيخ فلان بفضلك ومقامك عند الله أنذر لك بربع رأس ابني أو بنتي إنْ عاش وسلم من الآفات، فإذا بلغ الطفل السابعة من عمره ذهب به أبواه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢١/٢٧ وانظر: نفس المرجع ٣٨٤/٢٧- ٣٨٥.

(٢) الجواب الكافي ص: (٣٠٥).

(٣) هو الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني الكدّادي، ولد سنة: (١٣٢٦هـ)، كان عالماً داعية إلى التوحيد محارباً للبدع، عاش أغلب حياته في عدن، وتولى التدريس فيها والإمامة والخطابة. من كتبه: إصلاح المجتمع (شرح فيه مائة حديث)، أشعة الأنوار على مرويات الأخبار (في التاريخ). توفي سنة: (١٣٩٢ هـ)، انظر: قبسات من حياة البيحاني ص: (١٨)، (٢٥)، حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن ص: (١٢٣)، من أبرز أعلام الدعاة... ص: (٣٣)، القبورية في اليمن ص: (٥٩٤).

المشركان إلى ضريح المنذور له، فحلقا رأسه، وجعلا في شعره من أنواع الطيب شيئاً كثيراً، ودفناه إلى جانب القبر، وذبحا هناك كبشاً يتحريان سلامته أكثر مما يتحريانه لذبحه في الأضحية والعقيقة، وإذا كان الولد أنثى جعلا نصف دفعها حين زواجها لذلك الشيخ الصالح ينفقانه عليه في إقامة الحضرات(١) وتسريج قبته وضريحه، فلا حول ولا قوة إلا بالله"(٢).

رابعاً: الطواف بها: ومما يفعله عباد القبور حين زيارتها الطواف بها-والعياذ بالله-.

ولم يشرع الله عز وجل الطواف بشيء في هذه الأرض إلا ببيته الحرام، وهو من العبادات العظام؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[الحج: ٢٦] . وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج: ٢٩].

والطواف بالبيت الحرام الكعبةِ المشرفة ركن من أركان الحج والعمرة.

وقد صرف عباد القبور هذه العبادة العظيمة لضرائح الموتى فيطوفون حول قبور من يقدسونهم ويعظمونهم(٣). وهذا العمل لا يجوز باتفاق المسلمين، وذلك معلوم من الدين

---

(١) الحضرات هي الحفلات والموالد وجلسات الذكر الصوفية التي يزعمون أن النبي ﷺ يحضرها ومعه رجال الغيب، فيكونون في حضرته، ولابد في الحضرة من وجود الشيخ أو نائبه إذ بدون ذلك لا يحضرها الرسول ﷺ، انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية ص: (٣٤٣) وما بعدها، وانظر: تقديس الأشخاص ٢/٢٣-٢٥، وقد أصبحت الحضرة الصوفية فناً ترافقه آلات الطرب، وتصور حفلاته تلفزونياً، وقد يحدث هذا في المساجد، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢) هداية المريد مع تعليق البيحاني، ط: دار الوطن ص: (٢٤).

(٣) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/١٥٩.

بالضرورة[١]، وليس لهم أي دليل على ذلك، بل هو بدعة باتفاق المسلمين إن لم يكن شركاً.

خامسا: النحر عندها: النحر أوالذبح عبادة من العبادات العظيمة، قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ عن هذه الآية: " وفي الآية دلائل متعددة على أن الذبح لغير الله شرك"[٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لعن الله من لعن والده، لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدِثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض**)[٣]. ففيه لعن من ذبح لغير الله لأنه صرف هذه العبادة العظيمة إلى غير مستحقها.

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: (إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا– مكان يذبح فيه أهل الجاهلية – قال: (**لصنم ؟**) قالت: لا، قال: (**لوثن؟**) قالت: لا، قال: (**أوف بنذرك**)[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٦/١٢١–٢٥٠، وانظر: بدع القبور أنواعها وأحكامها ص: (٤٣٢–٤٣٥)، الباعث على إنكار البدع والحوادث ص: (١٥٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٣٦٠.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٢٩٤).

(٤) رواه أبو داود برقم: (٣٣١٢) كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء في النذر ص: ٥٠٦، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة[١]، فقال رسول الله ﷺ: (**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟**) قالوا: لا، قال: (**كان فيها عيد من أعيادهم؟**) قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: (**أوف بنذرك..**)[٢].

ففي هذين الحديثين الأمر بالوفاء بنذر الطاعة وهو الذبح أو النحر لمّا كان خالياً من الموانع المستفصل عنها، وفيه أن الذبح إذا كان لغير الله تعالى من صنم أو وثن ونحو ذلك كالقبر أو للجن فهو ممنوع.

وفي هذه الأحاديث النهي عن الذبح لله تعالى في مكان يذبح فيه لغير الله، وبذلك ترجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد فقال: " باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله "[٣].

سادسا: الاعتكاف والمجاورة عند القبور:

العكوف عند الأضرحة والقبور والتماثيل هو من دين أهل الشرك وعملهم، قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٣٨].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي، أو غير نبي، أو مقام نبي، أو غير نبي، فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا

---

(١) بوانة: هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر، وقريب منها ماء يسمى القُصَيْبة. معجم البلدان ١/٣٩٨.

(٢) رواه أبو داود برقم: (٣٣١٣) كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر، ص: (٥٠٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب: إسناده على شرطهما. كتاب التوحيد مع شرحه التيسير ١/٣٧٣.

(٣) كتاب التوحيد مع شرحه التيسير ١/٣٧٣.

هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٨]... فهذا عكوف المشركين، وذلك عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه ويخافونه من دون الله وما يتخذونهم شركاء وشفعاء"[1].

وعن أبي واقد الليثي[2] ﵁ أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط، كما لهم ذاتُ أنواط، فقال النبي ﷺ: (**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **والذي نفسي بيده لتركبن سُنة من كان قبلكم**)[3].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى في شرحه لحديث أبي واقد ﵁ الذي أورده الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما: " أخبر النبي ﷺ أن هذا الأمر الذي طلبوه منه — وهو اتخاذ شجرة للعكوف عندها وتعليق الأسلحة بها تبركاً - كالأمر الذي طلب بنو إسرائيل من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٥٤٨-٥٤٩).

(٢) أبو واقد الليثي صحابي، مختلف في اسمه قيل: الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل: عوف بن الحارث بن أسيد. والأقرب أنه أسلم يوم الفتح لقوله: "ونحن حدثاء عهد بكفر". وكان خرج إلى مكة فجاور بها سنة فمات، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعن عمر وغيرهما، مات سنة: (٦٨)، وقيل: (٨٥ هـ) انظر: الإصابة ٤/٢٣٩٩ –٢٤٠٠.

(٣) رواه الترمذي برقم: (٢١٨٠) كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنة من كان قبلكم ص: (٤٩٣)، وقال: حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني.

موسى عليه السلام حيث قالوا: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾؛ فإذا كان اتخاذُ شجرة لتعليق الأسلحة، والعكوف عندها اتخاذَ إلهٍ مع الله، مع أنهم لا يعبدونها، ولايسألونها؛ فما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم، والذبح والنذر لهم، والطواف بقبورهم، وتقبيلها، وتقبيل أعتابها وجدرانها، والتمسح بها، والعكوف عندها، وجعل السدنة والحجاب لها ؟ وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً؟"[(١)].

● **سابعاً: ومن تعظيم القبور بناء المساجد عليها:**

فبناء المساجد على القبور هو من تعظيم القبور وهو من أعظم أسباب الشرك ووسائله التي حذر منها رسول ﷺ غاية التحذير وقد سبق إيراد بعض الأحاديث في هذا ومنها:

عن جندب رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**)[(٢)].

وقال ﷺ: (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)[(٣)].

فبناء المساجد على القبور مما حذر منه الشرع حتى إن النبي ﷺ حذر منه قبل موته بخمس وحذر منه وهو في سياق الموت لئلا تفعل الأمة مثل ما فعل من قبلها من اليهود والنصارى فتهلك كما هلكوا؛ إذ كانت سبباً في انصراف الأمم قبلنا عن دينهم وتحولهم إلى الشرك والوثنية وعبادة غير الله تعالى. ومع هذا التحذير الشديد والنهي البليغ الأكيد إلا أنه وجد في المنتسبين للإسلام من بنوا المساجد على القبور مخالفين بذلك أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ ومخالفين بذلك ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، مما

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٥١/١.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٥١٩).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٤٦٠).

كان سبباً في صرف كثير من المسلمين عن دينهم وتعلقهم بالموتى والمقبورين ودعائهم والاستغاثة بهم منه دون الله.

والواجب هو إزالة تلك المساجد التي بنيت على القبور؛ فإن كان القبر أسبق أزيل المسجد وهدم. وإن كان المسجد هو السابق أخرج المقبور ودفن في مقابر المسلمين وسوي القبر بالأرض. قال شيخ الإسلام رحمه الله: " لا يجوز دفن ميت في مسجد . فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر: إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً . وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد، وإما أن تزال صورة القبر؛ فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل؛ فإنه منهي عنه"(١).

من وقع منهم هذا الغلو في القبور وتعظيمها:

وقع الغلو في القبور وتقديسها من طائفتين في هذه الأمة وهما الرافضة والصوفية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " والغلو في الأمة وقع في طائفتين: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية، وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين"(٢).

والرافضة لهم قصب السبق في التعلق بقبور من يعظمونهم من آل البيت وغيرهم، وهم أول من بنى المشاهد على القبور وعطلوا المساجد من هذه الأمة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الرافضة: " صار شعاراً لهم تعطيل المساجد، وتعظيم المشاهد؛ فإنهم يأتون من تعظيم المشاهد وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا أحد من أئمة الدين ؛ بل نهى الله عنه ورسوله عباده المؤمنين . وأما المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فيخربونها؛ فتارة لا يصلون جمعة ولا جماعة، بناء على ما أصَّلوه من شعب النفاق، وهو أن الصلاة لا تصح إلا خلف معصوم ونحو ذلك من ضلالتهم...

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٥/٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٦٦/١ .

فهؤلاء الضالون المفترون أتباعُ الزنادقة المنافقون يعطلون شعار الإسلام وقيام عموده، وأعظمه، سنن الهدى التي سنها رسول الله ﷺ بمثل هذا الإفك والبهتان فلا يصلون جمعة ولا جماعة. ومن يعتقد هذا فقد يسوي بين المشاهد والمساجد حتى يجعل العبادة: كالصلاة والدعاء والقراءة والذكر وغير ذلك مشروعاً عند المقابر كما هو مشروع في المساجد، وربما فضل بحاله أو بِقالِه العبادةَ عند القبور والمشاهد على العبادة في بيوت الله التي هي المساجد، حتى تجد أحدهم إذا أراد الاجتهاد في الدعاء والتوبة ونحو ذلك قصد قبر من يعظمه كشيخه أو غير شيخه، فيجتهد عنده في الدعاء والتضرع والخشوع والرقة ما لا يفعله مثله في المساجد ولا في الأسحار ولا في سجوده لله الواحد القهار . وقد آل الأمر بكثير من جهالهم إلى أن صاروا يدعون الموتى ويستغيثون بهم كما تستغيث النصارى بالمسيح وأمه؛ فيطلبون من الأموات تفريج الكربات، وتيسير الطلبات، والنصر على الأعداء، ورفع المصائب والبلاء، وأمثال ذلك مما لا يقدر عليه إلا رب الأرض والسماء . حتى أن أحدهم إذا أراد الحج لم يكن أكثر همه الفرض الذي فرضه الله عليه وهو " حج بيت الله الحرام " وهو شعار الحنيفية ملة إبراهيم إمام أهل دين الله، بل يقصد المدينة. ولا يقصد ما رغب فيه النبي ﷺ من الصلاة في مسجده... بل يقصد من زيارة قبره أو قبر غيره ما لم يأمر الله به ورسوله ولا فعله أصحابه ولا استحسنه أئمة الدين . وربما كان مقصوده بالحج من زيارة قبره أكثر من مقصوده بالحج، وربما سوّى بين القصدين، وكل هذا ضلال عن الدين باتفاق المسلمين "[(١)].

والصوفية ورثوا تعظيم القبور وتقديسها عن الرافضة وربما زادوا عليهم؛ فإنه لايحصى عدد القبور التي يقدسها الصوفية ويقصدونها لقضاء الحوائج ويعكفون عندها[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١٨/٤، وانظر: نفس المرجع ١٧٦/٢٧ .

(٢) من القبور التي لها شأن عند الصوفية والقبورية وفتنوا بها فتنة عظيمة: القبر الذي يزعمون أن للنبي هود عليه السلام شرق حضرموت، والقبر الذي يزعمون أنه للنبي صالح عليه السلام بحضرموت أيضاً، انظر: القبورية في اليمن ص: (٣٦٥-٣٦٨). وقبر الشيخ عبد القادر الجيلاني بالعراق، =

الزيارة المشروعة للقبور:

زيارة القبور مشروعة في دين الإسلام بشروط:

بشرط أن لا تشد الرحال إليها لقول النبيﷺ: (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**)[١].

وبشرط أن لا يكون الزائر امرأة على الراجح؛ لما جاء من النهي عن زيارة النساء للقبور، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن زوارات القبور[٢].

وبشرط أن لا يقول الزائر أو يفعل ما نهى عنه الشرع، قال النبي ﷺ: (... **ونهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هجراً**)[٣].

أي: فحشاً ومحظوراً في الشرع[٤].

ومن الفحش ما يفعله المفتونون بالقبور مما تقدم وصفه.

وقبر ابن عربي بدمشق. وكذلك قبر الإمام الشافعي وقبر الإمام الليث بن سعد، وقبر السيدة نفيسة وقبر السيد أحمد البدوي، وقبر الحسين بمصر، وقبور كثيرة بالقرافة في القاهرة، وغيرها كثير وكثير.انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٢٧- ٤٢٩) ، (٤٨٧)، الخطط المقريزية ٣١٦/٤- ٣٣١، ٣٥٦- ٣٦٢.

(١) تقدم تخريجه ص: (٥٨٩).

(٢) رواه الترمذي برقم (١٠٥٦) كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ص: (٢٥٠) وقال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الألباني كما في أحكامه على سنن أبي الترمذي.

(٣) رواه النسائي برقم: (٢٠٣٣) كتاب الجنائز باب زيارة القبور ص: (٣٢٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في أحكامه على سنن النسائي.

(٤) انظر: النهاية ص: (١٠٠٠)، معارج القبول ٥١٦/٢، فتح الباري ١٩٠/٣.

وزيارة القبور مشروعة لأمور:

● **تذكر الآخرة،** فيتعظ الزائر بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم، وأنهم قد قدموا على ما عملوا، وأنهم سيبعثون من قبورهم للعرض على الله ﷻ، فيتأهب للآخرة ويتوب إلى ربه. لقول النبي ﷺ: (**فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت**)[١].

وقال ﷺ: (**قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكر الآخرة**)[٢].

● **الإحسان إلى المزور** بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له.

ومن الدعاء الوارد عن النبي ﷺ مما يقال عند زيارة المقابر: (**السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون**)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: (**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما**

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢٢٥٦) كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ٧/٤٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي برقم: (١٠٥٤) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ص: (٢٥٠)، وقال حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن الترمذي من حديث بريدة ﷺ، وأصله عند مسلم. (الحديث المتقدم).

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٢٥٣) كتاب الجنائز، باب ما يقول عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٧/٤٥-٤٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

توعدون غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد)[١].

فهذه هي الزيارة الشرعية للقبور، فيها يحسن الزائر إلى نفسه بتذكر الآخرة والاستعداد لها، ويحسن أيضاً إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عندما شرعه الرسول ﷺ، ويحسن إلى المزور بالدعاء له والاستغفار له[٢].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢٢٥٢) كتاب الجنائز، باب ما يقول عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٧/٤٥ من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان ١/٢١٨.

المطلب الخامس:

تعظيم بعض الأشجار والأحجار والعيون والمغارات والعمد والحيطان ومواضع مخصوصة

فمن البدع المضلة الموصلة إلى الشرك بالله تعالى: ما يفعله كثير من الجهلة من تعظيم بعض الأشجار أو الأحجار أو المغارات والكهوف في الجبال وأماكن مخصوصة جلس فيها ولي من الأولياء، أو رآه أحد من الناس ولو في المنام في ذلك المكان، فيتبرك العوام بذلك المكان، ويلتمسون فيه الشفاء وقضاء الحاجات. وما كان مبتدأ عبادة الأصنام والأوثان إلا هكذا.

وهذا التعظيم منهم لتلك الأماكن واعتقاد بركتها هو من الشرك؛ فإن كانوا يعتقدون أنها تبارك من طلب البركة منها بنفسها فهو شرك أكبر، أما إذا اعتقدوا أنها مجرد سبب لحصول البركة من الله فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل سبب لم تثبت سببيته لا في الشرع ولا في القدر[1].

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط، كما لهم ذاتُ أنواط، فقال النبي ﷺ: (**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، والذي نفسي بيده لتركبن سُنة من كان قبلكم**)[2].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في ذكر بعض فوائد هذا الحديث:" أن ما يفعله من يَعتقِد في الأشجار والقبور والأحجار؛ من التبرك بها، والعكوف عندها، والذبح لها، هو الشرك، ولا يُغْتَرُّ بالعَوَام والطَّغام، ولا يُسْتبعَد كون هذا شركًا، ويقع في هذه الأمة.

---

(١) انظر هذه القاعدة في الأسباب: القول المفيد لابن عثيمين ١/١٦٤-١٦٥، وانظر: تيسير العزيز الحميد ١/٣٠٤، ٣١٤- ٣١٥.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦٢٠).

فإذا كان بعض الصحابة[١] ظنوا ذلك حسنًا، وطلبوه من النبي ﷺ حتى بَيّن لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾، فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟"[٢].

قال السيوطي رحمه الله:" ومن البدع أيضاً: ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد بالزعفران المجبول بماء الورد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد بمنام لُبِّس عليهم، فيفعلون ذلك، ويظنون أنهم يتقربون بذلك، ثم يتجاوزون في ذلك إلى تعظيم تلك الأماكن في قلوبهم؛ فيعظمونها، ويرجون الشفاء، وقضاء الحوائج بالنذر لها، وتلك الأماكن من بين عيون وشجر وحائط وطاقة وعامود، وما أشبه ذلك بذات أنواط الواردة في الحديث[٣]..... وهذا أمر منكر قبيح؛ فإن هذا يشبه عبادة الأوثان وهو ذريعة إليها، أو نوع من عبادة الأوثان؛ إذ عباد الأوثان كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال هناك، أو غير تمثال، يرجون الخير بقصدها. ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعوا أو ليقرأ، أو ليذكر الله، أو ليذبح عندها ذبيحة، أو يخصها بنوع من العبادات.

وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهناً لتنويرها أو شمعاً، ويقول: إنها تقبل النذر، كما يقوله بعض الضالين، أو ينذر ذلك لقبر، أي قبر كان، فإن هذا نذر معصية باتفاق العلماء، لا يجوز الوفاء به، بل عليه كفارة يمين عند كثير من العلماء... "[٤].

---

(١) الذين طلبوا ذلك وظنوه حسناً هم الذين كانوا حديثي عهدٍ بإسلام ممن أسلموا في فتح مكة.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٣٥٣.

(٣) الحديث تقدم تخريجه ص: (٦٢٠).

(٤) الأمر بالاتباع ص: (١١٥- ١١٨)، وأول الكلام مستفاد من الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص: (٣٤- ٣٥).

قال الإمام الطرطوشي رحمه الله:" فانظروا – رحمكم الله – أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قِبلها، وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها"[١].

وتعظيم تلك الأماكن وتلك الأحجار هو من جنس فعل المشركين عبدة الأصنام والأوثان، والتبرك بتلك الأمكنة آيل إلى عبادتها من دون الله، وقد تقدم أثر نافع مولى ابن عمر قال:"كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت"[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ذكر دخول بعض الصحابة الشام:" فلم يذهب أحد منهم إلى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام، لا ببيت المقدس، ولا بدمشق، ولا غير ذلك، مثل الآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون[٣]، في غربيه: الربوة المضافة إلى عيسى عليه السلام، وفي شرقيه: المقام المضاف إلى الخليل عليه السلام، وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة إلى هابيل لما قتله قابيل[٤]، فهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون

---

(١) الحوادث والبدع ص: (٣٨– ٣٩).

(٢) تقدم ص: (٦٠٣).

(٣) قاسيون بالفتح، وسين مهملة، والياء تحتها نقطتان مضمومة: الجبل المشرف على دمشق. وفيه عدّة مغاور، وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح. ذكرهذا ياقوت ثم قال: وهو جبل معظّم مقدّس يروى فيه آثار، وللصالحين فيه أخبار. معجم البلدان ٧/١٠.

(٤) قال ياقوت عن جبل قاسيون: " وبه مغارة تعرف بمغارة الدم، يقال: بها قتل قابيلُ أخاه هابيل، وهناك شبيه بالدم يزعمون أنه دمه، باق إلى الآن، وهو يابس، وحجر ملقى يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته، وفيه مغارة الجوع يزعمون أنه مات بها أربعون نبيّاً". معجم البلدان ٧/١٠.

يقصدونها، ولا يزورونها، ولا يرجون منها بركة؛ فإنها محل الشرك. ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً..."[١].

" ...وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، فهذه البقاع لا يعتقد لها خصيصة كائنة ما كانت، فإن تعظيم مكان لم يعظمه الله شر مكان، وهذه المشاهد الباطلة إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله، وتعظيماً لما لم يعظمه الله، وعكوفاً على أشياء لم تنفع ولم تضر، وصداً للخلق عن سبيل الله، وهي عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسول الله"[٢].

(١) مجموع الفتاوى ٤٦٥/١٧.

(٢) الأمر بالاتباع ص: (١٢٢- ١٢٣)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٣٠).

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأزمنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأزمنة.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والشركي للأزمنة .

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي للأزمنة.

فضّل الله تعالى بعض الأزمنة على بعض ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وشرع الله سبحانه تعظيم تلك الأزمنة التي فضلها على غيرها، وشرع فيها طاعات وعبادات يفعلها المسلم متقرباً إلى الله تعالى؛ فيكون العمل المشروع في تلك الأزمنة أكثر فضلاً وأعظم أجراً؛ فهي أزمنة مباركة معظمة.

ومن هذه الأزمنة المعظمة في الشرع:

أولاً: شهر رمضان:

فشهر رمضان، شهر مبارك معظم، بل هو أعظم الشهور وأفضلها، وشرع الله فيه عباداتٍ وقرباً، وفضّل ثوابها على ثواب العمل في غيره.

ومما يدل على تعظيم الشرع له:

- أن الله تعالى فرض صومه وأوجبه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة:١٨٥].
- أن الله تعالى أنزل فيه القرآن: فقد كان ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ في شهر رمضان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .
- أن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه بقدومه، ويهنئهم ببلوغه، ويذكر لهم مباركةَ الله تعالى له وتعظيمَه وتشريفَه؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما حضر رمضان، قال رسول الله ﷺ: **(قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة،**

وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم)[1].

- أن النبي ﷺ كان يجتهد في العبادة في شهر رمضان ما لايجتهد في غيره بأنواع العبادات؛ كقراءة القرآن الكريم والقيام والصدقة وغير ذلك، وكان جبريل يدارسه القرآن في كل ليلة من رمضان فكان حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، ويجتهد في العشر الأواخر منه مالايجتهد في غيرها، ومن ذلك أنه ﷺ كان يعتكف فيها تفرغاً للعبادة وانقطاعاً عن شواغل الدنيا.
- أن فيه ليلة خير من ألف شهر، فمن اجتهد في العبادة في تلك الليلة حصّل من الأجور العظيمة مايعادل العبادة في ألف شهر، أي: مايزيد على ثلاث وثمانين سنة . قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١ – ٥] .

وفي الحديث المتقدم قال رسول الله ﷺ: **(فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم)**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺقال: **(من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**[2].

وليلة القدر في رمضان، وهي من الأزمنة التي عظّمها الشرع، وأبان عن جليل قدرها، وأخبر عن كثير بركتها وخيرها، وحث على اغتنام العمل الصالح فيها.

وسميت ليلة القدر بهذا الاسم من القَدْر، وهو الشرف والعظمة والمكانة العالية[1]؛ فهي ليلة عظيمة شريفة مباركة. أو لأنه يقدر فيها مايكون في السنة تقديراً سنوياً . قال الله

---

(١) رواه أحمد برقم: (٧١٤٨) في مسند المكثرين مسند أبي هريرة رضي الله عنه ٥٩/١٢.

(٢) رواه البخاري برقم: (١٩٠١) كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية ١٤٨/٤، ورواه مسلم برقم: (١٧٧٨) كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان ٢٨٣/٦.

تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الدخان: ٣ - ٥] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"﴿ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به.

وهذه الكتابة والفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز، فتطابق الكتابَ الأولَّ الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم. ثم إن الله تعالى قد وكّل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكّلهم بعد وجوده إلى الدنيا، وكّل به كراماً كاتبين، يكتبون ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه"[(٢)].

- من تعظيم الشرع لرمضان مايحصل في هذا الشهر من فتح أبواب الجنان، وإغلاق أبواب الجحيم، وتصفيد مردة الشياطين وتقييدهم، فهذا فيه تعظيم للشهر[(٣)]، وبيان لفضيلته وكثرة المقبلين على الله تعالى فيه، الذين انبعثت نفوسهم للعبادة؛ فيعتقهم الله من النار، ويدخلهم الجنة .

وتعظيم المسلم لشهر رمضان يكون بترسم هدي النبي ﷺ والاقتداء به، وذلك بالاحتفاء بهذا الشهر، وحبه وتعظيمه، ومعرفة قدره، وبالاجتهاد في العبادة فيه، من صيام نهاره وجوباً وهو أحد أركان الإسلام، وقيام ليله استحباباً، والإكثار من نوافل الطاعات من الصدقة، وتفطير الصائمين، وأداء العمرة، وغيرها من العبادات المشروعة.

---

(١) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص: (١٣١- ١٣٢)، هدي الساري لابن حجر ص: (٢٦٦) فتح الباري له ٣٢٣/٤- ٣٢٤.

(٢) تفسير السعدي ص: (٩٠٩- ٩١٠).

(٣) انظر: فتح الباري ١٤٧/٤.

كما يكون تعظيمه بالبعد عن الابتداع فيه مما يفعله بعض الناس في هذا الشهر من إيقاد السرج[(١)]، والاحتفال بليلة سبع وعشرين منه، وغيرها من البدع التي نهى عنها الشرع فإنها لاتزيد الإنسان إلا بعداً عن الله تعالى، كما أنها تحرم الإنسان من الاجتهاد في العبادة المشروعة، قال حسان بن عطية[(٢)] رحمه الله وغيره من السلف:" ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة"[(٣)].

كما أن من تعظيم هذا الشهر: البعد عن المعاصي وهجران الذنوب في ليله ونهاره؛ لأن الذنوب يعظم وزرها في الأوقات الفاضلة والأماكن الفاضلة.

ثانياً: عشر ذي الحجة: العشر الأول من ذي الحجة من أفضل أيام السنة عند الله وأعظمها، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من العمل في غيرها .

ومما يدل على عظمة هذه الأيام العشر:

- أن الله تعالى أقسم بها، ولايقسم سبحانه إلا بعظيم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الفجر: ١ – ٢]، والليالي العشر هي عشر ذي الحجة كما عليه جمهور المفسرين[(٤)].

قال ابن القيم رحمه الله:" وعَرّف الفجر باللام إذ كل أحد يعرفه، ونَكَّر الليالي العشر لأنها إنما تعرف بالعلم، وأيضاً **فإن في التنكير تعظيماً لها**؛ فإن التنكير يكون للتعظيم"[(٥)].

---

(١) انظر: الخطط المقريزية ١٧٥/٣.

(٢) هو الإمام حسان بن عطية أبو بكر المحاربي مولاهم، أبو بكر الدمشقي، بصري الأصل، حَدّث عن: أبي أمامة الباهلي ﷺ، وسعيد بن المسيب وغيرهما، توفي في حدود سنة: (١٣٠ هـ)انظر: حلية الأولياء ٧٠/٦– ٧٩، السير ٤٦٦/٥ – ٤٦٨، الوافي بالوفيات ٢٨٠/١١ .

(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة برقم: (١٢٩) ١٠٤/١ وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص: (٣٧)، وذكر آثاراً عن السلف في هذا، وانظر: شرح السنة للبربهاري ص: (٣٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٠٤/٣٠-٢٠٦، تفسير ابن كثير ٣٩٠/٨-٣٩١، التبيان في أيمان القرآن لابن القيم ص: (٤٠)، لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص: (٤٧٠).

(٥) التبيان في أيمان القرآن ص: (٤٨).

- أنها هي الأيام المعلومات التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وشرع فيها ذكره وتعظيمه، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الحج: ٢٨]، قال كثير من العلماء: إنها عشر ذي الحجة[١].

وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما[٢].

- مضاعفة العمل الصالح فيها وأنه أحب إلى الله من العمل في غيرها: فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما العمل في أيام أفضل منها في هذه. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**)[٣].
- ومما يدل على عظمتها اجتماع أمهات العبادة فيها التي لاتجتمع في غيرها: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة: لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره"[٤].

وتعظيم المسلم لعشر ذي الحجة يكون بمعرفة عظمة هذا الموسم الكبير من مواسم الخير، ويكون بالاجتهاد في الأعمال الصالحة فيه، والإكثار من نوافل الطاعات، كنوافل الصلاة والصيام والصدقة والذكر من قراءة القرآن الكريم والتسبيح والتحميد والتهليل، وكذلك التكبير فهو من أعظم الأعمال في هذه العشر كما كان يفعل السلف الصالح

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧٣/٧- ١٧٤، تفسير ابن كثير ٤١٥/٥- ٤١٦، صحيح البخاري ٥٨٩/٢ – ٥٩٠، مجموع الفتاوى ٢٢٥/٢٤ – ٢٣١، لطائف المعارف لابن رجب ص: (٤٧١ - ٤٧٢).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلَّقاً في كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ٥٨٩/٢.

(٣) رواه البخاري برقم: (٩٦٩) كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق ٥٨٩/٢.

(٤) فتح الباري ٥٩٣/٢.

رضوان الله عليهم، فقد كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما[١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[الحج: ٢٨]، وقد كان النبي ﷺ يقول عند الذبح باسم الله والله أكبر[٢]، ويشرع التكبير في هذه العشر من أولها، كما يشرع مقيداً بأدبار الصلوات من فجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق[٣]، وبالجملة فينبغي للمسلم أن يكثر من الأعمال الصالحة في هذه العشر، فالعمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من العمل في غيرها.

ومن الأيام العظيمة الفاضلة: يوم عرفة، ويوم النحر، والأيام الثلاثة بعده:

يوم عرفة ذلك اليوم العظيم الذي يقف فيه الحجيج على صعيد عرفات، فيباهي الله بهم ملائكته، ويعطيهم ما سألوا، ويجيرهم مما خافوا وحذروا، ويصومه المسلمون في الأمصار اقتداء بسنة النبي ﷺ، وطلباً للفضل الذي أخبر به ﷺ حيث سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (**يكفر السنة الماضية والباقية**)[٤]. وهو اليوم الذي أكمل الله لنا فيه الدين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة[٥].

---

(١) تقدم قريباً ص: (٦٣٦).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٢٩١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢١/٢٤ - ٢٢٩.

(٤) رواه مسلم برقم: (٢٧٣٨) كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام ٢٩١/٨- ٢٩٢.

(٥) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٥) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه ١٤١/١، ورواه مسلم برقم: (٧٤٤١) كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة ٣٤٧/١٨.

ويوم النحر واليوم الذي بعده من الأيام العظيمة قال رسول الله ﷺ: (**أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر**)(١). ويوم القر هو اليوم الذي يلي يوم النحر(٢). ويأتي الكلام على يوم النحر بمشيئة الله تعالى .

وسمى النبي ﷺ هذه الأيام العظيمة أعياداً، فقالﷺ: (**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق، عيدنا أهل الإسلام، وهُنَّ أيام أكل وشرب**)(٣).

ثالثاً: الأشهر الحرم:

الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب.

عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:(**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب شهر مضر، الذي بين جمادى وشعبان**)(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٩٠٧٥) في مسند الكوفيين، حديث عبد الله بن قرط ﷺ ٤٢٧/٣١، وأبو داود برقم: (١٧٦٥)، كتاب المناسك، باب في الهدي إذا عطب ص: (٢٧١)، وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) انظر سنن أبي داود ص: (٢٧١)، النهاية في غريب الحديث ص: (٧٤١).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٧٣٧٩) في مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر ﷺ ٦٠٥/٢٨، وأبو داود برقم: (٢٤١٩)، كتاب الصيام، باب صيام أيام التشريق ص: (٣٦٧)، والترمذي برقم: (٧٧٣) كتاب الصوم، باب ماجاء في كراهية صيام أيام التشريق ص: (١٩٠)، والنسائي برقم: (٣٠٠٤)كتاب مناسك الحج، باب النهي عن صوم يوم عرفة ص: (٤٦٥)، وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٤) رواه البخاري في مواضع كثيرة منها برقم: (٤٦٦٢) كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ عِـدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ ٤١١/٨- ٤١٢، ورواه مسلم برقم: (٤٣٥٩) كتاب الحدود، باب تغليظ تحريم الدماء ١٦٩/١١ - ١٧١ .

والأشهر الحرم عظمها الله تعالى وعظم حرمتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة: ٣٦].

عن قتادة رحمه الله قال:" أما قوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾، فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئةً ووِزْرًا، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظِّم من أمره ما شاء. وقال: إن الله اصطفى صَفَايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسُلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكرَه، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر، **فعظِّموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظَّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل**"[(١)].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٢].

قال ابن كثير رحمه الله:" ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال، وتأكيد اجتناب المحارم"[(٢)].

رابعاً: العيدان: العيدان هما عيد الفطر وعيد الأضحى، فلاعيد للمسلمين سوى هذين اليومين، وهناك عيد ثالث أسبوعي هو يوم الجمعة.

والعيدان يومان عظيمان من أيام الله تعالى يأتيان بعد أداء عبادة من العبادات؛ فيوم الفطر يأتي بعد استكمال المسلمين لصوم شهر رمضان. وعيد الأضحى يأتي بعد وقوف

(١) تفسير الطبري ١٤٥/١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٩/٣ .

الحجاج بعرفة حيث تتنزل الرحمات على أهل الموقف وتعم البركة كلَّ المسلمين، خاصة من اجتهد في عشر ذي الحجة، وصام يوم عرفة.

فالعيدان يوما عيد وفرح وسرور وشكر لله تعالى وذكر له، وهما خير من كلِّ عِيد وأفضل؛ لأنهما مرتبطان بعبادات جليلة، وقائمان على ذكر الله تعالى، وتعظيمه وتكبيره، وإخلاص الدين له، والقيام بالعبودية له؛ فعن أنس ﷺ، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله ﷺ: **ما هذان اليومان** ؟قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال:"**إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم النحر**)[١].

ولعظمة هذين اليومين وتنزل البركات الإلهية فيهما أُمر جميعُ المسلمين بالخروج إلى حيث تقام صلاة العيد، حتى يخرج النساء وذوات الخدور والحُيَّض؛ إلا أن الحيض يجتنبن المصلى. فعن أم عطية رضي الله عنها قالت:" كنا نؤمر أن نَخرج يوم العيد، حتى نُخرِج البكرَ من خِدرها، حتى نخرج الحُيَّض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته"[٢].

وتعظيم العيدين يكون بذكر الله وتكبيره وطاعته، واقتفاء سنة النبي ﷺ فيهما.

ويكون بالاهتمام والاحتفاء بهما ومعرفة منزلتهما في دين الإسلام، ويكون تعظيمهما أيضا بتكبير الله تعالى وذكره وشكره، وبلبس أحسن الثياب والاغتسال والتطيب والتجمل في حدود المشروع، وبالفرح بهما والسرور بمقدمهما.

ويكون تعظيمهما بالاقتصار على هذين العيدين وعدم ابتداع أعياد جديدة، إذ من شأن إحداث أعياد غيرهما مزاحمة هذين العيدين وإضعاف الاحتفاء بهما. وقد تقدم أن

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٣٦٢٢) في مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ﷺ ٢٢٥/٢١ - ٢٢٦، وأبو داود برقم: (١١٣٤)، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين ص: (١٧٧)، وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود، وصحح إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) رواه البخاري برقم: (٩٧١) كتاب العيدين، باب التكبير أيام منى ٥٩٤/٢.

رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله ﷺ:(**ما هذان اليومان ؟**)قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال: (**إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم النحر**)[1]. والإبدال يقتضي ترك المبدَل منه؛ فمن تعظيم هذين العيدين الإسلاميين الاكتفاء بهما، والاقتصار عليهما، وترك جميع الأعياد غيرهما سواء كانت من أعياد المشركين والوثنيين أو أهل الكتاب أو الأعياد التي ابتدعها بعض المنتسبين للإسلام كعيد المولد النبوي أو عيد الغدير ونحوهما .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "... فلا يخفى ما جعل الله في القلوب من التشوُّق إلى العيد والسرور به، والاهتمام بأمره اتفاقاً واجتماعات وراحة، ولذة وسروراً، وكل ذلك **يوجب تعظيمه** لتعلق الأغراض به، فلهذا جاءت الشريعة في العيد بإعلان ذكر الله فيه، حتى جُعل فيه من التكبير في صلاته وخطبته وغير ذلك مما ليس في سائر الصلوات، وأقامت فيه من تعظيم الله وتنزيل الرحمة خصوصاً العيد الأكبر ما فيه صلاح الخلق، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨] ، فصار ما وُسع على النفوس فيه من العادات الطبيعية عوناً على انتفاعها بما خص به من العبادات الشرعية، فإذا أعطيت النفوس في غير ذلك اليوم حظَّها أو بعضَه الذي يكون في عيد الله فترتْ عن الرغبة في عيد الله، وزال ما كان له عندها **من المحبة والتعظيم** فنقص بسبب ذلك تأثير العمل الصالح فيه، فخسرت خسراناً مبيناً، وأقل الدرجات أنك لو فرضت رجلين، أحدهما قد اجتمع اهتمامه بأمر العيد على المشروع، والآخر مهتم بهذا وبهذا، فإنك بالضرورة تجد المتجرد للمشروع أعظم اهتماماً به من المشرك بينه وبين غيره، ومن لم يدرك هذا فلغفلته أو إعراضه، وهذا أمر يعلمه من يعرف بعض أسرار الشرائع..."[2].

---

(١) تقدم قريباً ص: (٦٤٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٢٧ – ٣٢٨)، وانظر تتمة الكلام فيه فإنه مفيد جداً .

خامسا: يوم الجمعة:

يوم الجمعة هو خير أيام الأسبوع، وفضّله الله على سائر الأيام، وجعل له منزلة ومزية على غيره " **وكان من هديه ﷺ تعظيمُ هذا اليوم وتشريفه**، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره"(١).

وما يدل على تعظيم الشرع لهذا اليوم:

● **أن الله تعالى جعله سيدَ الأيام وخيرَها:** فعن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم، و فيه أدخل الجنة، و فيه أخرج منها، و لا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**)(٢).

● **ماوقع فيه، وماسيقع من الأحداث العظام:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**)(٣).

● **أنه يوم تغفر فيه الذنوب لمن قام بحقه:** عن أبي هريرة رضي الله عنهأن رسول الله ﷺكان يقول: (**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**)(٤).

وعن سلمان الفارسيرضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين**

---

(١) زاد المعاد ١/٣٦٣ .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٧٢٨) كتاب الجمعة، باب ذكر الخبر... ٣/١١٥، والحاكم في مستدركه برقم: (١٠٢٦) كتاب الجمعة، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم برقم: (١٩٧٤) كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة ٦/٣٨٠.

(٤) رواه مسلم برقم: (٥٥١) كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... ٣/١١١- ١١٢.

اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)[١].

● **ماشرع من آداب إتيان صلاة الجمعة،** فصلاة الجمعة صلاة عظيمة في يوم عظيم، قد شرعت لنا آداب كثيرة نتحلى بها قبل إتيان الجمعة، ورتب الشرع على فعلها ثواباً جزيلاً، ومن ذلك: الغسل، والتطيب، ولبس أحسن الثياب، والتبكير لصلاة الجمعة، والإنصات للخطبة وجوباً، وغيرها من الآداب التي تدل على عظمة هذا اليوم، وعلى عظمة صلاة الجمعة.

كما شرعت آداب وأعمال ليوم الجمعة، ككثرة الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلته، وقراءة السجدة والإنسان في فجر ذلك اليوم، وقراءة سورة الكهف في يوم الجمعة. والأدلة على هذه الآداب كثيرة ذكرها أهل العلم في مصنفاتهم ومن أجمع المؤلفات التي حوت تلك الآداب وأدلتها: زاد المعاد لابن القيم رحمه الله[٢].

● **أن فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء:** عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: (**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه**)، وأشار بيده يقلِّلُها[٣].

وفي تحديد هذه الساعة أقوال كثيرة لأهل العلم ذكرها ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ثم قال:" وأرجح هذه الأقوال: قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة، وأحدهما أرجح من الآخر.

الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة... والقول الثاني: أنها بعد العصر، وهذا أرجح القولين" وذكر أدلة كل قول ثم قال: " وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى

---

(١) رواه البخاري برقم: (٨٨٣) كتاب الجمعة، باب الدهن للجمعة ٤٧٦/٢ .

(٢) انظر: زاد المعاد ٣٦٣/١ - ٤١١ .

(٣) رواه البخاري برقم: (٩٣٥) كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ٥٣٤/٢، ورواه مسلم برقم: (١٩٦٦) كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة ٣٧٨/٦.

فيها الإجابة أيضاً، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها، ويكون النبي ﷺ قد حض أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين"[1].

● أنه يوم يجتمع فيه المسلمون اجتماعاً عظيماً، هو من أعظم المجامع وأكبرها، يؤدون فيه فريضة من آكد الفرائض، وهي صلاة الجمعة، ويستمعون للخطبة، ولهذا الاجتماع العظيم سميت الجمعة بهذا الاسم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩].

قال ابن كثير رحمه الله: وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: اقصدوا واعمدوا، واهتموا في مَسيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [الإسراء: ١٩] ... فأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه، لما أخرجاه في الصحيحين، عن أبي هُرَيرةرضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تُسرِعوا، فما أدركتم فصَلُّوا، وما فاتكم فأتموا**)[2]... قال الحسن: " أما

(١) زاد المعاد ٣٧٧/١ - ٣٨٢ وانظر تتمة الكلام فيه، وانظر: فتح الباري ٥٣٥/٢-٥٤٣.

(٢)رواه البخاري برقم: (٦٣٦) كتاب الأذان، باب لايَسعى إلى الصلاة... ١٥٣/٢، ورواه مسلم برقم: (١٣٥٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ١٠٠/٥- ١٠١ وهذا لفظ البخاري.

والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع"(١).

وتعظيم المسلم ليوم الجمعة يكون بالاحتفاء بهذا اليوم، ومعرفة فضله وعظيم قدره عند الله تعالى، وأداء صلاة الجمعة، والتحلي بالآداب التي شرعت في هذا اليوم.

سادساً: يوم عاشوراء:

يوم عاشوراء هو العاشر من شهر المحرم، وهو من الأيام المعظمة في الإسلام، وقد صامه النبي ﷺ، وأمر بصيامه، وهو يوم عظيم، وحرمته قديمة؛ فقد صامه قبل ذلك موسى عليه السلام شكراً لله تعالى على نجاته وقومه، وهلاك فرعون وقومه؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: (**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**) فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومَه وغرَّق فرعونَ وقومَه، فصامه موسى شكراً؛ فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: (**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**) فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه(٢).

كما أنه ﷺ أرشد إلى صيامه وصيام يوم قبله وهو التاسع مخالفة لليهود، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: (**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع**) قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢٠/٨، وأثر الحسن رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣٥٦/١٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦٢/٨ إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بالإضافة إلى ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٢٠٠٤) كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء ٣١٠/٤، ورواه مسلم برقم: (٢٦٥٣) كتاب الصيام، باب فضل صيام يوم عاشوراء ٢٥١/٨.

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٦٦١) كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء ٢٥٢/٨.

وقد كان النبي ﷺ يصومه مع قومه قبل البعثة، ولما قدم المدينة أوجب صيامه على المسلمين، فلما فرض صيام رمضان نُسخ وجوب صومه، وبقي على الاستحباب، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت:"كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فُرض شهر رمضان قال: **(من شاء صامه ومن شاء تركه)**[(١)].

وكان النبي ﷺ يتحرى صوم عاشوراء ويفضِّله على غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيامَ يومٍ فضّله على غيره إلا هذا اليومَ يومَ عاشوراء، وهذا الشهر يعني: شهر رمضان"[(٢)].

ومما جاء في فضل صوم يوم عاشوراء قول النبي ﷺ: **(وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)**[(٣)].

ويكون تعظيم يوم عاشوراء بالاقتداء بسنة النبي ﷺ فيه وهي صيامه، فيصومه المسلم اقتداءً بالنبي ﷺ وطلب لفضيلة صومه، دون أن يخصصه المسلم بعبادة من العبادات غير الصيام، ولا أن يظهر فيه حزناً كفعل الرافضة الذين يتخذون هذا اليوم يوم حزن وعزاء ونياحة لمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في هذا اليوم، ولا أن يجعله يوم فرح وسرور كفعل الذين يعادون آل البيت، فيجعلون هذا اليوم يوم عيد وفرح وسرور، بل يكون المسلم فيه كسائر أيامه مع صيامه لهذا اليوم اقتداءً بالنبي ﷺ وطلباً للفضيلة المترتبة على صوم ذلك اليوم.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢٠٠٢) كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء ٣١٠/٤، ورواه مسلم برقم: (٢٦٣٢) كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء ٢٤٥/٨.

(٢) رواه البخاري برقم: (٢٠٠٦) كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء ٣١٠/٤، ورواه مسلم برقم: (٢٦٥٧) كتاب الصيام، باب فضل صيام يوم عاشوراء ٢٥٢/٨ - ٢٥٣.

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٧٣٨) كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام ٢٩١/٨- ٢٩٢ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

المبحث الثاني:

التعظيم البدعي والشركي للأزمنة.

أولاً: التعظيم البدعي للأزمنة:

من المنتسبين للإسلام من عظم بعض الأزمنة تعظيماً بدعياً، وهذه التعظيم لايخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون الدافع لتعظيم ذلك اليوم هو التشبه بالكفار.

الثاني: أن يخص البعضُ أياماً فاضلة بعبادات لم يرد في الشرع الأمر بها في ذلك اليوم.

الثالث: ابتداعُ تعظيمِ أيامٍ لم تأت الشريعة بتعظيمها.

أما الأول: وهو تعظيم أيام لم يرد الشرع بتعظيمها اقتداءاً بالكفار، ففيه التشبه بغير المسلمين، وقد قال النبي ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**(١). ومن التشبه بهم: التعييد بأعيادهم، وتعظيم ما عظموه من الأزمنة اقتداءاً بهم، وهذا من صور الموالاة للكفار، وأقل أحوالها التحريم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" موافقتهم في أعيادهم لا تجوز من طريقين:

الطريق الأول: هو ما تقدم من أن هذا موافقة لأهل الكتاب فيما ليس من ديننا، ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم، وفي تركه مصلحة مخالفتهم، حتى لو كانت موافقتهم في ذلك أمراً اتفاقياً ليس مأخوذاً عنهم؛ لكان المشروع لنا مخالفتهم؛ لما في مخالفتهم من المصلحة لنا... فمن وافقهم فقد فوت على نفسه هذه المصلحة، وإن لم يكن قد أتى بمفسدة، فكيف إذا جمعهما؟.

---

(١) رواه أبو داود برقم: (٤٠٣١) كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة ص: (٦٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال عنه الألباني: حسن صحيح. كما صححه في الإرواء برقم: (١٢٦٩) ٥/١٠٩ .

ومن جهة أنه من البدع المحدثة، وهذه الطريق لا ريب في أنها تدل على كراهة التشبه بهم في ذلك، فإن أقل أحوال التشبه بهم أن يكون مكروهاً، وكذلك أقل أحوال البدع أن تكون مكروهة، ويدل كثير منها على تحريم التشبه بهم في العيد، مثل قوله ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)** فإن موجب هذا: تحريم التشبه بهم مطلقاً.

أما الطريق الثاني: الخاص في نفس أعياد الكفار فالكتاب والسنة والإجماع والاعتبار..."[(١)].

ومما يدل على منع التعييد بأعياد الكفار والمنع من تعظيم الأزمان التي كانوا يعظمونها مارواه أنس بن مالك ﵁، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله ﷺ: **ما هذان اليومان** ؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال: **(إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم النحر)**[(٢)].

وجه الدلالة: " أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ، ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة، بل قال: **(إن الله قد أبدلكم بهما يومين آخرين)** والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدَل منه؛ إذ لا يجمع بين البدل والمبدَل منه"[(٣)].

وعلى ترك تعظيم أعياد الكفار والتعييد بها كان عمل الصحابة وتابعوهم بإحسان؛ فلم يكونوا يتخذون تلك الأيام المعظمة عند الكفار أعياداً، كما لم يكونوا يشاركون الكفار في أعيادهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" من كان له خبرة بالسيرة علم يقيناً أن المسلمين على عهد رسول الله ﷺ ما كانوا يشركونهم (أي اليهود والنصارى والفرس) في شيء من أمرهم،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٢٨٧) وانظر الأدلة الكثيرة التي ساقها رحمه الله في تحريم التشبه بالكفار في أعيادهم ص: (٢٨٨ - ٣٣١) ، وانظر: تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٥٠٠-٥٠٣).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦٤٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٢٩٢).

ولا يغيرون لهم عادة في أعياد الكافرين، بل ذلك اليوم عند رسول الله ﷺ وسائر المسلمين يوم من الأيام، لا يخصونه بشيء أصلاً... فلولا أن المسلمين كان من دينهم الذي تلقوه عن نبيهم المنع من ذلك والكف عنه لوجب أن يوجد من بعضهم فعل بعض ذلك؛ لأن المقتضي لذلك قائم، كما تدل عليه الطبيعة والعادة، فلولا المانع الشرعي لوجد مقتضاه. ثم على هذا جرى عمل المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين[1].

ومما يدل على المنع من موافقة الكفار في تعظيم أيام مخصوصة:

● أن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه عنها: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ [الحج: ٦٧] كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج؛ فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر.

● أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله، إما محدث مبتدع، وإما منسوخ، وأحسن أحواله ولا حسن فيه أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس بعد تحويل القبلة إلى الكعبة.

● أنه إذا سُوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس، بل عيداً حتى يضاهَى بعيد الله، بل قد يزيد عليه، حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر.

● أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل، خصوصاً إذا كانوا مقهورين تحت ذل الجزية والصغار، فرأوا المسلمين قد صاروا فرعاً لهم في خصائص دينهم، فإن ذلك يوجب قوة قلوبهم وانشراح صدورهم، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء، وهذا أيضاً أمر محسوس لا يستريب فيه عاقل؛ فكيف يجتمع ما يقتضي إكرامهم بلا موجب مع شرع الصغار في حقهم؟.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٠٣).

● أن مما يفعلونه في عيدهم: ما هو كفر، وما هو حرام، وما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة، ثم التمييز بين هذا وهذا يظهر غالباً، وقد يخفى على كثير من العامة.

● أن المشابهة في الظاهر تورث نوعَ مودةٍ ومحبةٍ وموالاةٍ في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم، وإن كانا في مصرهما لم يكونا متعارفين، أو كانا متهاجرين... فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم؛ فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوعٍ من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان، قال الله تعالى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] ... فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة فتكون محرمة(١).

الثاني: أن يخص البعضُ أياماً معظمة في الشرع بعبادات لم يَرِدْ الأمر بها في ذلك اليوم.

فمن البدع المحدثة أن يخص بعض المسلمين أياماً معظمة في الشرع بعبادات لم يرد الأمر بها بخصوصها في ذلك اليوم.

ومن أمثلة هذا النوع:

● ما يفعله الرافضة في يوم عاشوراء من جعل هذا اليوم يوم حزن وعزاء ونياحة ولطم للخدود وضرب لأجسادهم حتى تسيل الدماء؛ لأنه اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأكرمه الله تعالى بالشهادة فيه، فيظهر الرافضة الحزن والنوح عليه في ذلك اليوم، فيتركون ما أمرت به الشريعة من الصبر والاحتساب على المصائب، كما يتركون ما

---

(١) هذه الوجوه وغيرها انظرها في ذلك الكتاب الذي لم يؤلف مثله في هذا الباب وهو: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام رحمه الله ص: (٣١٧-٣٣١).

شرع من صيام ذلك اليوم[١]. قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ما أحدث بعض أهل الأهواء في يوم عاشوراء من التعطش والتحزن والتجمع، وغير ذلك من الأمور المحدثة التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، ولا أحد من السلف، لا من أهل بيت رسول الله ﷺ، ولا من غيرهم، لكن لما أكرم الله فيه سبط نبيه، أحد سيدي شباب أهل الجنة وطائفة من أهل بيته بأيدي الفجرة الذين أهانهم الله، وكانت هذه مصيبة عند المسلمين يجب أن تُتلقى بما يُتلقى به أمثالها من المصائب من الاسترجاع المشروع، فأحدث بعض أهل البدع في مثل هذا اليوم خلاف ما أمر الله به عند المصائب، وضموا إلى ذلك من الكذب والوقيعة في الصحابة البرآء من فتنة الحسين وغيرها أموراً أخرى مما يكرهها الله ورسوله، وقد روي عن فاطمة بنت الحسين[٢] عن أبيها الحسين رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**من أصيب بمصيبة، فذكر مصيبته، فأحدث لها استرجاعاً وإن تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثلها يوم أصيب**) رواه الإمام أحمد وابن ماجه[٣]. فتدبر كيف روى مثل هذا الحديث الحسين بن علي رضي الله عنهما وعنه بنته التي شهدت مصابه.

---

(١) انظر: مفاتيح الجنان ص: (٤٤٧-٤٥٠) وفي وصف مايجري منهم في العصر الحاضر من التهيؤ لذلك اليوم ومن ومايجري منهم فيه من أعمال. وانظر: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص: (٣٦٩- ٣٧٠)، البدع الحولية ص: (١٠٨ – ١١٠).

(٢) هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية القرشية، روت عن جدتها فاطمة مرسلاً، وعن أبيها وأم المؤمنين عائشة ﵄، وروى عنها بنوها. لما قتل أبوها ﵁ حملت إلى الشام مع أهله وخدمه، ثم عادت معهم إلى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن، ثم لما مات عنها تزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان، توفيت بعد سنة: (١١٠ هـ)انظر: تاريخ دمشق ١٠/٧٠-٢٥، تاريخ الإسلام ٢٩٥/٣، الأعلام ١٣٠/٥.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد برقم: (١٧٣٤) مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ٢٥٦/٣ – ٢٥٧، ورواه ابن ماجه برقم: (١٦٢٣) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة ص: (١٢٤) . وقال عنه الشيخ الألباني: =

وأما اتخاذ أمثال أيام المصائب مآتم فليس هذا من دين المسلمين، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوتوا بذلك ما في صوم هذا اليوم من الفضل"[(١)].

وأيضاً من ذلك: مايفعله البعض من المبغضين لآل البيت من إظهار الفرح والسرور في يوم عاشوراء والتوسعة على العيال، وطبخ أطعمة خاصة، ونحو ذلك هو من البدع المحدثة، ولعل الذين أحدثوا هذا أرادوا مقابلة مايفعله الرافضة في هذا اليوم، فوقعوا في بدعة أيضاً، قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثة المقابلة للرافضة، وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك ... وليس فيها ما يصح، لكن رويت لأناس اعتقدوا صحتها فعملوا بها، ولم يعلموا أنها كذب، فهذا مثل هذا.

وقد يكون سبب الغلو في تعظيمه من بعض المنتسبة لمقابلة الروافض؛ فإن الشيطان قصده أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم، ولا يبالي إلى أي الشقين صاروا، فينبغي أن يجتنب هذه المحدثات"[(٢)].

● ومن أمثلة هذا النوع أيضاً: ابتداع عبادات في شهر رجب من صومه والعمرة فيه ونحو ذلك، فإن هذا لم تأت به الشريعة ولم يرد عن النبي ﷺ الأمر بقصد الصوم أو الاعتمار في شهر رجب، وإنما رجب أحد الأشهر الحرم، ولايجوز أن يقصد فيه الصوم أو العمرة اعتقاداً لفضيلتهما فيه على سائر الشهور.

ضعيف جداً . انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص: (١٢٤)، السلسلة الضعيفة برقم: (٤٥٥١) ٥٤/١، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده ضعيف جداً.

(١)اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٨-٤٠٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤١١)، وانظر: المنار المنيف لابن القيم ص: (١٠٣- ١٠٤)، وانظر: تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٤٩٤- ٤٩٥).

وروى ابن وضاح بسنده أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يضرب الرجبيين الذين يصومون رجب كله[١]، وجاء أيضاً عنه ﷺ أنه كان يضرب أيدي الرجال في رجب إذا رفعوها عن طعامه حتى يضعوها فيه، ويقول: إنما هو شهر كان أهل الجاهلية يعظمونه[٢].

ولايجوز للمسلم أن يخص أوقاتاً بعبادات لم يدل عليها الشرع، وإلا كان مستدركاً على الشرع، مبتدعاً مأزوراً غير مأجور، قال أبو شامة[٣] رحمه الله:" ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصصها بها الشرع، بل يكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمان، ليس لبعضها على بعض فضل، إلا ما فضله الشرع وخصه بنوع من العبادة، فإن كان ذلك اختص بتلك الفضيلة تلك العبادة دون غيرها، كصوم يوم عرفة وعاشوراء، والصلاة في جوف الليل، والعمرة في رمضان، ومن الأزمان ما جعله الشرع مفضَّلاً فيه جميع أعمال البر، كعشر ذي الحجة وليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر؛ أي: العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فمثل ذلك يكون أي عمل من أعمال البر

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص: (٤٤).

(٢) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي ص: (١٤٠ – ١٤١)، الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص: (٧٨ – ٧٩) فقد نسبه للفاكهي في أخبار مكة، ولم أجده في المطبوع، ونقل أبو شامة عن بعض العلماء قوله في سند هذا الأثر: " وهذا سند مجمع على عدالة رواته".

(٣) هو الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المقرئ اللغوي المحدث الفقيه، المعروف بأبي شامة لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، قرأ القرآن وهو دون العشر، وله المصنفات الكثيرة، ككتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وكتاب الذيل عليها، والباعث على إنكار البدع والحوادث، وشرحٍ للشاطبية، توفي سنة: (٦٦٥هـ) انظر: الوافي بالوفيات ١٨/٦٧–٧٠، طبقات الشافعية للسبكي ٨/١٦٥– ١٦٨، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/١٣٣– ١٣٥.

حصل فيها كان له الفضل على نظيره في زمن آخر. فالحاصل أن المكلف ليس له منصب التخصيص، بل ذلك إلى الشارع، وهذه كانت صفة عبادة رسول الله ﷺ "[١].

الاحتفال بليلة القدر (ليلة سبع وعشرين)[٢]، فليلة القدر ليلة عظيمة شريفة مباركة، وتعظيمها كما تقدم يكون بالاجتهاد بالأعمال الصالحة فيها كقراءة القرآن الكريم وقيام الليل والذكر والدعاء كما قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: (**قولي: اللهم إنك عفو كريم، تحب العفو فاعف عني**)[٣]. لكن من المؤسف أن تجد من المسلمين من يعرض عن هذه الأعمال الصالحة والاجتهاد في تلك الليلة ويذهب يحتفل بها بإقامة السراديق وإلقاء الخطب وإنشاد القصائد ونحو ذلك، مما هو بدعة تفوت ما أرشد إليه الشرع من تحري ليلة القدر والحرص على العمل الصالح فيها[٤].

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص: (٧٧)، وانظر: في مسألة صيام رجب وحال الأحاديث في فضله: تبيين العجب بما ورد في شهر رجب لابن حجر العسقلاني، السنن والمبتدعات للشقيري ص: (١٦٢- ١٦٤)، البدع الحولية ص: (٢٢٦- ٢٣٩).

(٢) مع أن الراجح أن ليلة القدر تتنقل بين ليالي العشر الأخيرة من رمضان، فليست ليلة سبع وعشرين في كل عام. انظر: فتح الباري لابن رجب ٥/٥١٦، فتح الباري لابن حجر ٤/٣٣٠ .

(٣) رواه الترمذي برقم: (٣٥١٣) كتاب الدعوات، باب رقم: (٨٥) ص: ٧٩٨، وابن ماجه برقم: (٣٩١٨) كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية ٣/٢٥٩.

(٤) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٣٨٣- ٣٨٨)، قال الإمام الطرطوشي: " ومن البدع: اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان" الحوادث والبدع ص: (١٥٠).

الثالث: تعظيم أيام لم تأت الشريعة بتعظيمها.

وهذا من البدع المحدثة، ومن الاستدراك على الشرع، كما أن فيه مضاهاةً لما عظمه الشرع من أيام، وفيه مفاسد كثيرة، منها: إهمال ما عظمه الشرع من أزمنة، والاستعاضة بها بأزمنة بدعية .

ولهذا أمثلة كثيرة منها:

- تعظيم يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول على أنه يوم مولد الرسول ﷺ، فإنه لم يرد الأمر بتعظيم ذلك اليوم في الشرع، ولم يرد الاحتفال به عن النبي ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، ولو كان خيراً لكانوا أسبق الناس إليه، فهم كانوا أشد منا حباً للرسول ﷺ، بل إن أول من أحدث بدعة الاحتفال بالمولد هم العبيديون الباطنية(١)، وقد كانوا زنادقة منافقين ومن أفسق الناس وأفجرهم(٢)، وإنما أحدثوا هذه البدعة وغيرها من البدع(٣) لتغيير دين المسلمين، وزرع البدع والمحدثات فيهم، وللتدليس

(١) العبيديون ويسمون أنفسهم بالفاطميين هم باطنية زنادقة، يتظاهرون بحب آل البيت والتشيع لهم، ويبطنون الكفر والإلحاد والكيدَ للإسلام وأهله، وقد حكموا مصر أزماناً متطاولة (٣٥٨- ٥٦٧ هـ). انظر البداية والنهاية ٢٦٦/١١- ٢٦٨/١٢. قال شيخ الإسلام رحمه الله: " العبيديون، الذين كانوا يدعون أنهم من وَلَد علي. وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل، وأن جدهم يهودي في الباطن وفي الظاهر، وجدهم ديصاني من المجوس، تزوج امرأة هذا اليهودي، وكان ابنه ربيباً لمجوسي؛ فانتسب إلى زوج أمه المجوسي...وأئمة هؤلاء في الباطن ملاحدة زنادقة، شر من الغالية، ليسوا من جنس الاثني عشرية... منهاج السنة ١١/٨- ١٢، وانظر: البداية والنهاية ٢٦٧/١٢. وانظر في تاريخ دولتهم وذكر حكامها: الخطط المقريزية ١٨٠/٢- ٢٠٠ على أن المقريزي هنا يذكر صحة نسبهم إلى علي ؓ ويرد على من نفى ذلك.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٢٧/٣٥ — ١٣٢، البداية والنهاية ٢٦٧/١٢.

(٣) قال المقريزي: "ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم...وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب ؓ ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما =

على العامة بدعوى محبتهم للنبي ﷺ. كما أنه ممنوع لاعتبار آخر، وهو أن تعظيم هذا اليوم والاحتفال به فيه تشبه بالنصارى باحتفالهم بميلاد المسيح عليه السلام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وكذلك (أي من البدع) ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع، من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده؛ فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه، لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلفُ ﷺ أحقَّ به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص.

وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان"[1].

كما أن الاحتفال بالمولد - إضافة إلى كونه بدعة - يصاحبه في كثير من الأحيان منكرات أخرى، كإنشاد القصائد التي تشتمل على الغلو في المدح، وربما اشتملت على الشرك، واختلاط النساء بالرجال، والأغاني والمزامير وآلات اللهو[2].

السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات" الخطط المقريزية ٤٩٠/١، وانظر وصف احتفالهم بالمولد: الخطط ٤٣٣/١، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ٤٩٨/٣- ٤٩٩.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٤- ٤٠٥).

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج ٢/٢- ١٠، وانظر: تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٤٩٩- ٥٠٠)، وكل بدعة ضلالة للريسوني ص: (١٣٢- ١٣٣)، السنن والمبتدعات للشقيري ص: (١٦٠- ١٦١)، وانظر: رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي لمجموعة من العلماء، طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

- تعظيم أول خميس من رجب[١].

- تعظيم ليلة أول جمعة من رجب أيضاً، وقد أحدث فيها مايسمى بصلاة الرغائب[٢] في تلك الليلة بين المغرب والعشاء[٣].

- تعظيم ليلة سبع وعشرين من رجب على أنها ليلة الإسراء والمعراج، فيحتفل بها بعض الناس، ويجتمعون في المساجد، ويوقدون المصابيح والشموع[٤] مع أن الإسراء والمعراج لاتعرف ليلته بالتحديد، بل ولايعرف الشهر الذي وقع فيه الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ[٥]، ولو عرفت الليلة أو الشهر الذي وقع فيه ذلك فإنه لايشرع الاحتفال به، ولاجَعْل ذلك اليوم عيداً؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك، ولم يفعله خلفاؤه الراشدون، ولاأحد من أهل القرون المفضلة؛ فتبين أنه بدعة من البدع[٦].

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٣)، السنن والمبتدعات للشقيري ص: (١٦١- ١٦٢).

(٢) الرغائب جمع رغبة وهي العطاء الكثير، قال أبو شامة رحمه الله: " فكأنها سميت بذلك لأجل العطايا الحاصلة لمصليها بزعم واضع الحديث فيها". الباعث على إنكارالبدع والحوادث لأبي شامة ص: (٦١). والحديث المشار إليه حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ كما ذكر أبو شامة رحمه الله، ونقل عن ابن الصلاح ذلك أيضاً. الباعث ص: (٦٥- ٦٦)، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/١٢٤- ١٢٦، المنار المنيف لابن القيم ص: (٨٣ - ٨٤) .

(٣) انظر: الحوادث والبدع للطرطوشي، الباعث على إنكارالبدع والحوادث لأبي شامة ص: (٦١- ٦٧)، اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٣)، تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٤٩٦)، وكل بدعة ضلالة للريسوني ص: (١٣٠)، البدع الحولية ص: (٢٤٠- ٢٦٧).

(٤) انظر في وصف الاحتفال بها ومايجري من أولئك المحتفلين المبتدعة: المدخل لابن الحاج ١/٢٩٥، تنبيه الغافلين لابن النحاس ص: (٤٩٧).

(٥) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث ص: (١١٦- ١١٧)، زاد المعاد ١/٥٨.

(٦) انظر: تحذير المسلمين من الابتداع في الدين ص: (٣٤٦ - ٣٤٩)، ص: (٣٥٧- ٣٥٩) ، السنن والمبتدعات للشقيري ص: (١٦٤ - ١٦٥) البدع الحولية ص: (٢٦٨- ٢٨٢).

قال شيخ الاسلام رحمه الله كما ينقل عنه الامام ابن القيم:" ولا شُرِعَ للمسلمين تخصيصُ الليلة التي يُظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره ... ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها، ولهذا لا يُعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراءُ مِن أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يُشرع تخصيصُ ذلك الزمانِ، ولا ذلك المكانِ بعبادة شرعية، بل غارُ حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي، وكان يتحراه قبلَ النبوة، لم يقصِدْهُ هو ولا أحدٌ مِن أصحابه بعد النبوة مدةَ مُقامه بمكة، ولا خصَّ اليومَ الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرِها، ولا خصَّ المكانَ الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمانَ بشيء، ومن خص الأمكنَة والأزمنَة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله، كان مِن جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمانَ أحوال المسيح مواسمَ وعبادات، كيوم الميلاد، ويوم التعميد، وغير ذلك من أحواله"[1].

- تعظيم ليلة النصف من شعبان وقيامها، وتخصيص يومها بالصيام. ومن الصلوات المبتدعة في تلك الليلة مايسمى بالصلاة الألفية، سميت بذلك لأنه يقرأ فيها سورة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[الإخلاص: ١] ألف مرة، وهي صلاة مبتدعة والمروي فيها مكذوب على النبي ﷺ[2]، فقصد قيام ليلة النصف من شعبان بخصوصها وقصد صيام يومها اعتقاداً لفضيلتهما فذلك هو البدعة، إلا أن يكون صيام ذلك اليوم يوافق صياماً يصومه الشخص؛ كالاثنين والخميس، والأيام البيض فلا بأس، أو يقوم تلك الليلة غيرَ معتقد لفضيلتها على سائر الليالي فلا بأس بذلك أيضاً.

ومايسمونه بالصلاة الألفية لم تثبت عن النبي ﷺ في حديث صحيح فصارت من البدع المحرمة[3].

---

(١) زاد المعاد ١/٥٨- ٥٩ .

(٢) انظر: الموضوعات لابن الجوزي ٢/١٢٧ – ١٣٠، المنار المنيف لابن القيم ص: (٨٦ – ٨٧).

(٣) انظر: البدع والنهي عنها لابن وضاح ص: (٤٦)، الحوادث والبدع للطرطوشي ص: (١٢٨-١٣٣)، الباعث على إنكار البدع والحوادث ص: (٥٠ – ٦٠)، تحذير المسلمين من الابتداع في =

قال الإمام أبو شامة رحمه الله:" وقيام الليلة مستحب في جميع ليالي السنة، وكان على النبي ﷺ واجباً، فهذه الليلة بعض من الليالي التي كان يصليهاﷺ أويحيها، وإنما المحذور المنكر تخصيص بعض الليالي بصلاة مخصوصة على صفة مخصوصة، وإظهار ذلك على مثل ما ثبت من شرائع الإسلام كصلاة الجمعة والعيد وصلاة التراويح، فيتداولها الناس ويُنسى أصل وضعها، ويُربى الصغار عليها، قد ألفوا آباءهم محافظين عليها محافظتهم على الفرائض، بل أشد محافظة، ومهتمين لإظهار هذا الشعار بالزينة والوقيد[١] والنفقات، كاهتمامهم بعيدي الإسلام، بل أشد، على ما هو معروف من فعل العوام، وفي هذا خلط لضياء الحق بظلام الباطل، واعتبار بوضع الكاذب وفعل الجاهل"[٢].

– تعظيم الرافضة ليوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي خطب فيه النبي ﷺ بغدير خم[٣] لمارجع من حجة الوداع[٤]، حيث زعموا أن النبي ﷺ أوصى في خطبته تلك بالخلافة

الدين ص: (٣٤٩ – ٣٥٥)، السنن والمبتدعات للشقيري ص: (١٦٦ – ١٦٨)، البدع الحولية ص: (٢٩٩– ٣٠٤).

(١) هو إيقاد النيران فقد جاء في هذا الكتاب نفسه نقلاً عن بعض العلماء: " ومما أحدثه المبتدعون، وخرجوا به عما وسمه المتشرعون، وجروا فيه على سنن المجوس، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً: الوقيد ليلة النصف من شعبان، ولم يصح فيها شيء عن رسول الله ﷺ، ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد ذو صدق من الرواة، وما أحدثه المتلاعب بالشريعة المحمدية راغب في دين المجوسية؛ لأن النار معبودهم ..." الباعث ص: (٥٢).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص: (٥٥).

(٣) خم: هو اسم لغيضة بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من الجحفة، وعندها غدير مشهور. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢٤٨/٣، شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/١٥. ويقع شرق رابغ بمسافة (٢٥) كم. انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص: (١١٢).

(٤) انظر: تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص: (٢٢٦– ٢٢٩) .

لعلي ﷺ، فهم يعظمون هذا اليوم تعظيماً شديداً، ويفضلونه على سائر الأعياد[١]. واتخاذ هذا اليوم عيداً ووقتاً للاحتفال هو من البدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق ذكره لأنواع الأعياد المبتدعة: " النوع الثاني: ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره، من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً، ولا كان السلف يعظمونه؛ كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب فيه النبي ﷺ بغدير خم مرجعه من حجة الوداع، فإنه ﷺ خطب فيه خطبة وصَّى فيها باتباع كتاب الله، ووصى فيها بأهل بيته، كما روى ذلك مسلم في صحيحه[٢] عن زيد بن أرقم[٣] رضي الله عنه، فزاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه عهد إلى علي ﷺ بالخلافة بالنص الجلي بعد أن فَرَش له، وأقعده على فراش عالية، وذكروا كلاماً وعملاً قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء، وزعموا أن الصحابة تمالؤوا على كتمان هذا النص، وغصبوا الوصي حقه، وفسقوا وكفروا إلا نفراً قليلاً.

والعادة التي جبل الله عليها بني آدم، ثم ما كان عليها القوم من الأمانة والديانة، وما أوجبته شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقيني بأن مثل هذا يمتنع كتمانه.

وليس الغرض الكلام في مسألة الإمامة، وإنما الغرض أن اتخاذ هذا اليوم عيداً محدَث لا أصل له، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولا من غيرهم من اتخذ ذلك عيداً، حتى يحدث فيه أعمالاً؛ إذ الأعياد شريعة من الشرائع، فيجب فيها الاتباع لا الابتداع.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٢٤٣/١١ حوادث سنة: (٣٥٢)، الخطط للمقريزي ٣٨٩/١-٤٩٠.

(٢) صحيح مسلم برقم: (٦١٧٥)، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٧٤/١٥ - ١٧٥.

(٣) هو الصحابي الجليل: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، مختلف في كنيته قيل: أبو عمر، وقيل: أبو عامر، استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل: المريسيع، وغزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي ﷺ ومات بالكوفة سنة: (٦٦) وقيل: (٦٨ هـ). انظر: الإصابة ٦٤٠/١.

وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة، مثل: يوم بدر، وحنين، والخندق، وفتح مكة، ووقت هجرته ودخوله المدينة، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين، ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ أمثال تلك الأيام أعياداً، وإنما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً، أو اليهود، وإنما العيد شريعة، فما شرعه الله اتبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه"[1].

ثانياً: التعظيم الشركي لبعض الأزمنة:

قد أمر المسلم بأن يبتعد عن التشبه بالمشركين في أعيادهم، سواء كانت تلك الأعياد زمانية أو مكانية ولو في ظاهر الأمر، فقد قال النبي ﷺ: (**من تشبه بقوم فهو منهم**)[2].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال رسول الله ﷺ: (**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟**) قالوا: لا، قال: (**كان فيها عيد من أعيادهم؟**) قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: (**أوف بنذرك**..)[3]. فهذا الرجل أراد أن ينحر في ذلك المكان، فسأل النبيَّ ﷺ فاستفصل عليه الصلاة والسلام: هل كان في ذلك المكان وثن من أوثان الجاهلية، أو هل كان فيه عيد من أعياد الجاهلية، لأن في الذبح في ذلك المكان – ولو بعد زوال الوثن وزوال العيد – تقوية لدين المشركين، ومشابهة لهم في ظاهر الأمر، وتعظيم لأعيادهم، وإحياء لشعائرهم، مع أن ذلك الرجل لن يذبح لأصنام المشركين وأوثانهم، وإنما يذبح مخلصاً لله تعالى، فلما لم يكن هناك محذور أذن له النبي في الذبح ﷺ في ذلك المكان.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٤٠٣ – ٤٠٤).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٦٤٧).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٦١٩).

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قدم رسول الله ﷺالمدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال رسول الله ﷺ: **ما هذان اليومان** ؟قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، قال: " **إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم النحر**)[(١)].

فألغى النبي ﷺ ذينك العيدين الجاهليين، وعوّضهم بدلاً منهما عيدين إسلاميين، وهذا يقتضي ترك أعياد المشركين والإعراض عنها وإهمالها، فالإبدال يقتضي ترك المبدَل منه، لأنه لايُجمع بين البدل والمبدل منه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان... مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإن كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة، أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيدًا، وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوَّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام وعرفة ومنى والمشاعر "[(٢)].

أعياد مشركي العرب قبل الإسلام:

كان مشركوا العرب قبل الإسلام لهم أعياد يعظمونها، فقد اتخذوا بعض الأمكنة والأزمنة أعياداً؛ حيث يجتمعون في زمان معين أو في مكان معين، ويمارسون بعضاً من طقوسهم وعاداتهم، وهذه الأعياد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالى.

وقد كانت أشهر الأصنام التي يعبدونها ويجتمعون عندها:

- اللات وهي قرب الطائف، وكانت صخرة مربعة، وكان هناك رجل يهودي يلت عندها السويق، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٦٤٠).

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٩٠.

(٣) انظر: الأصنام للكلبي ص: (١٦).

- العزى وكانت بين مكة والطائف، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها، ويهدون لها، ويتقربون عندها بالذبح[١].

- مناة وكانت بين مكة والمدينة من ناحية الساحل بقُدَيد، وكانت العرب جميعاً تعظمها وتذبح حولها، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قاربها من المواضع يعظمونها ويذبحون لها ويهدون لها، ولم يكن أحد أشد إعظاماً لها من الأوس والخزرج[٢].

وكانت العرب تعظم هذه الأصنام الثلاثة أكثر من غيرها[٣] ويحجون إليها ويعكفون حولها، ولهم مواسم خاصة يقصدون فيها تلك الأصنام[٤].

وكان بعض العرب يعظمون بعض أعياد اليهود والنصارى والمجوس وذلك بسبب القرب والمجاورة لهم، أو بسبب اعتناق بعض العرب للديانة اليهودية أو النصرانية[٥].

كما كان للعرب أسواق يجتمعون فيها في أوقات معينة من السنة، وبعض هذه الأسواق يقام حول تلك الأصنام التي يعبدونها ويتقربون إليها، ومن أشهر أسواق العرب:

- سوق عكاظ: وهو أشهر الأسواق، ويقيمونه قرب الطائف في الأشهر الحرم من منتصف ذي القعدة حتى يروا هلال ذي الحجة[٦]، فتقوم فيه أسواقهم، ويتناشدون الأشعار، ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة[٧].

---

(١) انظر: الأصنام للكلبي ص: (١٨).

(٢) انظر: الأصنام للكلبي ص: (١٦).

(٣) فقد كان من أصنامهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وهي التي ذكرت في القرآن الكريم في سورة نوح عليه السلام، وأنها كانت معبودات لقومه، فقد آلت إلى العرب بعد ذلك على يدي عمرو بن لحي الخزاعي، حتى جاء الإسلام فقضى على تلك الأصنام وغيرها. انظر: الأصنام للكلبي ص: (٨ - ١٣).

(٤) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٨٥).

(٥) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٩٠).

(٦) انظر: الأزمنة والأمكنة للمرزوقي الأصفهاني ٣٨٢/١.

(٧) انظر: صبح الأعشى ٤٦٨/١.

- سوق دومة الجندل: أوّل يوم من ربيع الأوّل، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ وربما استمر إلى آخر الشهر[١].

- سوق المشقر: ويقام في هَجَر في شهر ربيع الآخر، ويوافيهم فيه أهل فارس ببضائعهم[٢].

- وللعرب أسواق أخرى، قيل: إنها تصل إلى ثلاثة عشر سوقاً[٣].

ومن أعياد المشركين التي يحتفلون بها:

- **عيد ميلاد المسيح عليه السلام:** وهو عيد يحتفل به النصارى في الرابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ويزعمون أنه ولد فيه المسيح عليه السلام[٤]، ويعرف اليوم باسم الكرسمس، وهو عيد محدث في الديانة النصرانية، ولم يكن على عهد المسيح عليه السلام ولاحوارييه، وإنما أحدث بعد ذلك[٥]، ولازال النصارى يحتفلون به حتى وقتنا الحاضر ويمارسون فيه الطقوس الكَنَسية، ويحتفلون به أيضاً خارج الكنيسة احتفالات عظيمة، ويحصل فيه من العربدة والفجور الشيءُ الكثير، ولازالت الشعوب والدول النصرانية يحتفلون به، بل إن كثيراً من المسلمين - مع الأسف - يحتفلون به تبعيةً للنصارى، وأصبح عيداً رسمياً ويوماً معظماً في كثير من الدول الإسلامية، وصار له مكانة عظيمة عند كثير من الشعوب الإسلامية، يحتفلون به، ويتبادلون الهدايا، ويهدون للنصارى بهذه المناسبة،

---

(١) انظر: صبح الأعشى ٤٦٨/١، الإمتاع والمؤانسة ٧٦/١، الأزمنة والأمكنة للمرزوقي الأصفهاني ٣٨٢/١.

(٢) انظر: الإمتاع والمؤانسة ٧٦/١، الأزمنة والأمكنة للمرزوقي الأصفهاني ٣٨٣/١ .

(٣) انظر: الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٨٢/١ .

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٣٦) ، الخطط المقريزية ٢٨/٢ - ٢٩.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦١١/٢٨ حيث ذكر أن عامة الأعياد التي هم عليها لم يُنزَل بها كتاب ولم يُبعَث بها رسول .

ويهنئونهم بهذا العيد. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله احتفاء بعض المسلمين به في عصره، فكيف بعصرنا الحاضر؟ لاشك أن الأمر أشد وأفظع بسبب ما حصل من انفتاح كثير من المسلمين على الغرب وإعجابهم به وتقليدهم له، يقول رحمه الله بعد أن ذكر عدداً من أعياد الكفار: " ومن ذلك: ما يفعله كثير من الناس في أثناء الشتاء، في أثناء كانون الأول لأربع وعشرين خلت منه، ويزعمون أنه ميلاد عيسى عليه السلام، فجميع ما يحدث فيه هو من المنكرات، مثل: إيقاد النيران، وإحداث طعام، واصطناع شمع وغير ذلك. فإن اتخاذ هذا الميلاد عيداً هو دين النصارى، ليس لذلك أصل في دين الإسلام، ولم يكن لهذا الميلاد ذكر أصلاً على عهد السلف الماضين، بل أصله مأخوذ عن النصارى، وانضم إليه سبب طبيعي، وهو كونه في الشتاء المناسب لإيقاد النيران، وأنواع مخصوصة من الأطعمة"[١].

- **يوم الأحد:** وهو يوم معظم عند النصارى بأمر الكنيسة، وإلا فليس في العهدين القديم والجديد مايشير إلى تعظيمه[٢]، ويحصل فيه الذهاب للكنيسة وإقامات الصلوات الخاصة، وهو يوم عطلة لدى الدول النصرانية، بل - ومع الأسف - فإن أغلب الدول الإسلامية قد جعلت هذا اليوم يوم عطلة ويوم راحة مشابهة للنصارى وتقليداً لهم.

وتعظيم النصارى ليوم الأحد واحتفاؤهم به هو من جملة ضلالاتهم؛ فإن الله تعالى قد أضل اليهود والنصارى عن يوم الجمعة، فكان لليهود السبت، وكان للنصارى الأحد، يقول النبي ﷺ: (أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، **فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،**

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٣٦) .

(٢) انظر: الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٤٩) .

الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ)[١]. فهل يليق بالمسلم الذي شرفه الله تعالى وهداه أن يتبع النصارى في ضلالهم؟.

وللنصارى أعياد وأيام معظمة كثيرة جداً ربما تربو على المائة، وبعضها أشهر من بعض[٢].

- **عيد النيروز:** وهو من أعياد الفرس والمجوس، ويوافق أوّل السنة عند الفرس وعند القبط بمصر، وهو أوّل يوم من توت، ويكون في أول فصل الربيع، ويوافق الرابع عشر من آذار[٣]. وأوّل من أحدثه ملك من ملوك الفرس يقال له: جمشيد، ويقال إنه ملك الأقاليم السبعة، فلما كمل ملكه، ولم يبق له عدوّ اتخذ ذلك اليوم عيداً، وسماه نوروزاً، ويحتفل به القبط في مصر أيضاً[٤].

وهو أكبر أعياد المجوس ويحتفلون به احتفالاً عظيماً على تراتيب معينة، ويكثر إيقاد النار فيه؛ لكون المجوس عبدة النار[٥].

ومما يحزن المسلم أن فيمن ينتسب للإسلام من يشارك في ذلك العيد الشركي المجوسي ويعظمه؛ من الرافضة الذين يستحبون صومه والتجمل فيه وأداء صلاة خاصة به[٦]. وكذلك يحتفل به غيرهم ممن تشبه بهم من بعض " الملوك والوزراء والتجار والأعيان وأرباب المدارس والكليات والجامعات وغيرهم، ويظهرون من الابتهاج والأفراح والسرور والحفلات الممتعة،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٣٦) .

(٢) انظر: الخطط المقريزية ٢٧/٢، الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٤٩ - ٦٣)، موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من تقديس الأماكن والأزمان ص: (٥٤١ - ٥٥٩) .

(٣) انظر: الخطط المقريزية ٣٣/٢، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص: (٢٢٤).

(٤) انظر: الخطط المقريزية ٣٤/٢ — ٣٧، صبح الأعشى ٤١٨/٢.

(٥) انظر: الخطط المقريزية ٣٥/٢ — ٣٦، نهاية الأرب للنويري ٨٥/١، صبح الأعشى ٤١٨/٢-٤٢٠، الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٦٧ - ٦٩).

(٦) انظر: مفاتيح الجنان ص: (٤٦٥).

والزينات والتهاني ما يفوق العد والوصف، بل ترى الأكثرية هناك[١] لايقيمون وزناً للاحتفال بعيدي الفطر والأضحى كما يقيمون وزناً لهذا العيد المجوسي، الذي هو من شعار الكفر وعباد النيران"[٢].

- **عيد المهرجان:** وهو أيضاً من أعياد الفرس، وهو في السادس والعشرين من تشرين الأوّل من شهور السّريان، وفي السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس، وفي التاسع من أبيب من شهور القبط؛ وبينه وبين النيروز مائة وسبعة وستون يوما، وهذا الأوان في وسط زمان الخريف... ومدّته ستة أيام، ويسمّى اليوم السادس منه المهرجان الأكبر، كما يسمّى اليوم السادس من أيام النّيروز عندهم النّيروز الأكبر[٣].

ولهم في هذا العيد طقوس وترتيبات يعملونها، ويحتفلون بها احتفالاً عظيماً[٤].

وللمجوس أعياد كثيرة وأشهرها سبعة أعياد[٥]، وأشهر السبعة هما النيروز والمهرجان.

هل يجوز أن يهنئ المسلمُ الكفارَ بأعيادهم؟.

بيّن أهل العلم أن لايجوز للمسلم أن يهنئ الكفار بأعيادهم أو يهدي إليهم فيها، فإن تهنئتهم بأعيادهم فيه نوعُ تعظيمٍ لهم، وفيه نوعُ إقرار للشرك التي هي علامة عليه؛ فإن أعياد المشركين مرتبطة بأديانهم، وتقوي تمسكهم بها وتعظيمهم لها، كما أن من مقصود أعياد المسلمين تقوية تمسكهم بدينهم وتعظيمهم له، قال ابن القيم رحمه الله: " وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق ؛ مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سَلِمَ قائلُه من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة

(١) أي: في بلاد إيران وما حولها.

(٢) تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص: (٢٢٤).

(٣) صبح الأعشى ٢/٤٢٠- ٤٢١، وانظر: نهاية الأرب للنويري ١/١٨٧.

(٤) انظر: صبح الأعشى ٢/٤٢٠- ٤٢١، الأعياد وأثرها على المسلمين ص: (٦٩ - ٧٠).

(٥) انظر: صبح الأعشى ٢/٤٢١- ٤٢٢.

بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه . وكثير مما لا قَدْرَ للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل . فمن هنأ عبداً بمعصيةٍ أو بدعةٍ أو كُفْرٍ؛ فقد تعرض لمقت الله وسخطه"(١).

أبرز شبه من ضل في تعظيم بعض الأمكنة والأزمنة:

من أعظم ما يعتمد عليه المبتدعة في تعظيم بعض الأمكنة والأزمنة التي لم يرد الشرع بتعظيمها: قياس بعض الأزمنة أو الأمكنة غير الفاضلة على الفاضلة.

وهذا خطأ – كما مرّ– فلا مجال للقياس هنا، قال أبو شامة رحمه الله:" ما قد أمر الشرع به في صورة من الصور من زمان مخصوص أو مكان معين كالصوم بالنهار والطواف بالكعبة، أو أمر به شخص دون غيره؛ كالذي اختص به النبي ﷺ من المباحات والتخفيفات، فيقيس الجاهل نفسه عليه فيفعله، وهو منهي عن ذلك، ويقيس الصور بعضها على بعض، ولا يفرق بين الأزمنة والأمكنة، ويقع ذلك من بعضهم بسبب الحرص على الآثار من إيقاع العبادات والقُرَب والطاعات، فيحملهم ذلك الحرص على فعلها في أوقات وأماكن نهاهم الشرع عن إيجاد تلك الطاعات فيها"(٢).

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/٢٠٥ – ٢٠٦، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية ٢٦/٤٠١– ٤١١ .

(٢) الباعث ص: (٣٨) .

الباب الرابع:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأشخاص وآثار التعظيم

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم صحابة رسول الله ﷺ، وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للصحابة رضي الله عنهم،

المبحث الثاني: المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم آل بيت رسول الله ﷺ، وفيه تمهيد ومبحثان.

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للمؤمنين من آل بيت رسول الله ﷺ،

المبحث الثاني: المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء،

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم ولاة أمور المسلمين، **وفيه تمهيد وثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لولاة أمر المسلمين،

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والتعظيم الشركي لولاة أمر المسلمين.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأولياء والصالحين، **وفيه تمهيد ومبحثان**.

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأولياء والصالحين.

المبحث الثاني: التعظيم الشركي والتعظيم البدعي للأولياء والصالحين.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم عموم المسلمين وغيرهم، **وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لعموم المسلمين

المبحث الثاني: التعظيم المنهي عنه للمبتدعة والعصاة من المسلمين .

المبحث الثالث: التعظيم المنهي عنه لغير المسلمين .

الفصل السادس: الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي، والآثار الناتجة عن التعظيم البدعي، **وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي إجمالاً .

المبحث الثاني: الآثار الناتجة عن التعظيم البدعي إجمالاً .

الفصل الأول:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم صحابة رسول الله ﷺ

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف الصحابي .

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للصحابة رضي الله عنهم

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد فضلهم وعدالتهم.

المطلب الثاني: محبتهم وموالاتهم، والترضي عنهم جميعاً، ونشر محاسنهم.

المطلب الثالث: اعتقاد أنهم نقلوا لنا هذا الدين كما بلغهم.

المطلب الرابع: عدم الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

المطلب الخامس: السكوت عن أخطائهم وزلاتهم.

المطلب السادس: السكوت والكف عما شجر بينهم.

المطلب السابع: اتباعهم والسير على منهاجهم.

المبحث الثاني: المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء

تمهيد:

تعريف الصحابة

الصحابة جمع صاحب وصحابي، وإذا أطلق هذا اللقب (الصحابة) فلا يراد بهم إلا الذين صحبوا رسول الله ﷺ ممن اختارهم الله للإيمان بنبيه ﷺ ومصاحبته ولقائه ومناصرته، وجاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في فضلهم.

تعريف الصحابي:

قال الإمام أحمد رحمه الله: "كل من صحبه سنة أوشهراً أو يوماً أوساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه "(١).

وقال الإمام البخاري رحمه الله: " ومن صحب النبيَّ ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " و الأصحاب، جمع صاحب، و الصاحب: اسم فاعل من صحبه يصبحه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهراً و صحبته سنة... قال الإمام أحمد و غيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك"(٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "والصحابي: من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الرائي، وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً. هذا قول جمهور العلماء، خلفاً وسلفاً"(٤).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٨٠ .
(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٥/٧.
(٣) الصارم المسلول ص: (٥٤٨- ٥٤٩).
(٤) الباعث الحثيث ص: (١٧٩).

وقال الحافظ ابن حجر: " من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح"[١]. ثم شرح الحافظ هذا التعريف، فقال:

المراد باللقاء: ما هو الأعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدها على الآخر وإن لم يكالمه، فيدخل فيمن لقيه وطالت مجالسته له أو قصرت، روى عنه أو لم يرو، غزا معه أو لم يغزو، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد (**الإيمان**) من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

ويخرج بقيد (**به**) من لقيه مؤمناً بغيره كأهل الكتاب.

وخرج بقيد (**ومات على الإسلام**) من لقيه ثم ارتد ومات على ردته.

وعبارة (**ولو تخللت ردة**) أي بين لقيه مؤمناً به وبين موته على الإسلام؛ فإن اسم الصحبة باق له.

وعبارة (**على الأصح**) إشارة إلى الخلاف في مسألة تخلل الردة[٢].

---

(١) نخبة الفكر مع شرحها نزهة النظر للحافظ ابن حجر ص: (١٤٩)، وانظر: الإصابة له ٧/١.

(٢) نخبة الفِكَر لابن حجر ص: (١٤٩-١٥٠)، الإصابة ٧/١-٨ باختصار.

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي للصحابة ﷺ

وفيه سبعة مطالب:

الصحابة رضي الله عنهم هم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، ودافعوا عنه ونافحوا، ونصروه بأموالهم وأنفسهم، وبذلوا كل غال ورخيص في ذلك، ونصروه ببذل نفوسهم رخيصة في الدفاع عنه، وأن لايُمَسَّ بسوء، وكان نصرهم له في الوقت العصيب الذي أراد فيه أعداء الله وأدَ الدعوة المحمدية في مهدها، والقضاءَ عليها أول ظهورها، فدافع الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ، وعن دعوته، وحموه ونصروه، وفدوه بأموالهم وأنفسهم، وتبرأوا ممن عاداه ولو كان أقرب قريب، وضربوا أروع الأمثلة في اتباع النبي ﷺ وطاعته والتسليم والانقياد لأمره، وفي التضحية لدينه والبذل والعطاء لنشره في الخافقين، اعتنوا بتعلم دين الله تعالى، وتحملوا القرآن والسنة من النبيﷺ، وطبقوها بإشرافه عليه الصلاة والسلام، ونشروا دين الله تعالى في الأرض؛ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨؛ فما وصل إلينا الدين والخير والعلم غضاً طرياً إلا عن طريقهم وبسببهم، فالواجب تجاهم أن يكرموا، وأن يحترموا، ويعظموا التعظيم اللائق بهم، وأن تعرف لهم منزلتهم وسابقتهم فهم سادة الأمة وكبراؤها ومقدموها، فتعظيمهم وتوقيرهم واجب لما بذلوه لدين الله ولرسوله، وطاعةً لله ورسوله حيث أَمَرَنا دينُنا بحبهم وموالاتهم والترضي عنهم والدعاء لهم.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " **وقد تواتر عنه ﷺ ما يدل على وجوب تعظيمهم وإكرامهم**، وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك في مواضع من كتابه، ويلزم من إهانة هؤلاء[1] إياهم استخفافهم لذلك عندهم، ومن اعتقد منهم ما يوجب إهانتهم فقد

---

(١) يقصد الرافضة.

كذّب رسولَ الله ﷺ **فيما أخبر من وجوب إكرامهم وتعظيمهم**؛ ومن كذبه فيما ثبت عنه قطعاً فقد كفر"(١).

ويتبين التعظيم الشرعي للصحابة رضي الله عنهم جميعاً في المطالب السبعة التالية:

المطلب الأول:

اعتقاد فضلهم وعدالتهم

العدالة لغة: هذه المادة (عدل) تدل على الاستقامة والاستواء والتوسط، والعدل من الناس: هو المرضي قوله وحكمه(٢).

واصطلاحاً: قال الحافظ ابن حجر: " المراد بالعدل: من له مَلَكَة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة"(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: " العدل هو سلوك الطريق المستقيم المعتدل في العقائد والأخلاق والأقوال والأفعال"(٤).

فمن الواجب والمتحتم على كل مسلم أن يعتقد عدالةَ الصحابة ﷺ وخيريّتَهم وفضلَهم على الأمة، وذلك لتعديل الله عز وجل لهم في كتابه وشهادته لهم بذلك، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٩]، وثنائِه عليهم بأجمل الثناء وأعطره، ووصفه لهم بالإيمان والخيرية، وأنه رضي عنهم، وأعد لهم جنات النعيم، ولتزكية رسول الله ﷺ لهم في سنته وذكره لفضائلهم، ونهيه عن التعرض لهم بسوء بقول أو فعل، وكذلك هم عدول وأصحاب منازل عالية لما بذلوه في سبيل نشر دين الله ﷻ من الأموال والأنفس وبذل المهج والتضحية بكل نفيس لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ومن نظر في سيرهم عرف شيئاً

(١) الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص: (٧٤).

(٢) انظر: معجم المقاييس ص: (٧٤٥)، لسان العرب ٦١/١٠.

(٣) نزهة النظر ص: (٨٣).

(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص: (٤٨٩).

من قَدْر جهادهم وتضحياتهم من أجل هذا الدين، وعرف أن الله تعالى اختار أولئك القوم وجعلهم وزراءَ وأنصاراً لنبيه ﷺ.

الأدلة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم وفضلهم:

أولاً: من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر: ٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠] . وأول من يدخل في هذه الآية هم الصحابة رضي الله عنهم.

فانظر إلى هذا الثناء العظيم من الله عز وجل على هؤلاء القوم، فقد أخبر بأنه رضي عنهم ورضوا عنه، ومن رضي الله عنه فلا يسخط عليه أبداً، وشهد لهم عز وجل بالإخلاص وابتغاء وجه الله بأعمالهم، وشهد لهم بالصدق والفلاح ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)﴾ [النساء: ٧٩، ووعدهم مغفرة منه ورضواناً وجنات لهم فيها نعيم مقيم. وأي شهادة وأي تزكية أعظم من شهادة الله تعالى وتزكيته؟.

والآيات في فضلهم كثيرة، فكتاب الله مملوء بالثناء عليهم وذكر فضائلهم[١].

ثانياً: من السنة النبوية:

قال النبي ﷺ: (**خير الناس قرْني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)[٢]. فقد شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، وأنهم أفضل ممن جاء بعدهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: (**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماءَ ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**)[٣].

قال النووي: "ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم، وتناثرت في القيامة، وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت. وقوله ﷺ: (**وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**) أي: من الفتن والحروب، وارتداد

(١) انظر: منزلة الصحابة الكرام في القرآن الكريم ص: (٣٧ – ١٤٢).

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٦٥١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٦/٧، ورواه مسلم برقم: (٦٤١٦) كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ٣٠١/١٦. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم برقم: (٦٤١٣) كتاب فضائل الصحابة،باب بيان أن بقاء النبي ﷺ، وبقاء أصحابه أمان للأمة ٢٩٩/١٦- ٣٠٠ من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً. وقد وقع كل ذلك. قوله ﷺ: (**وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**) معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاتهﷺ "[١].

وقال ﷺ: (**يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقولون: فيكم من صحبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال: فيكم من صَاحَبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحبَ صاحِبَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**)[٢].

وقال ﷺ: (**لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك من أحدهم ولا نصيفه**)[٣]. فنهى عن سبهم؛ وذلك لفضلهم وعلو منزلتهم وخيريتهم وسابقتهم في دين الله، وبيّن فضل العمل الصالح منهم على عمله ممن سواهم، " وسبب تفضيل نفقتهم: أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرتهﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾الآية[الحديد: ١٠]. هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة، والتودد، والخشوع، والتواضع، والإيثار،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٩٩/١٦- ٣٠٠.

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٦٤٩)كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٥/٧، ومسلم برقم: (٦٤١٤)كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ٣٠٠/١٦ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣) كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ، باب قول النبي ﷺ: (**لو كنت متخذاً خليلاً**) ٢٧/٧، ومسلم برقم: (٦٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ٣٠٩/١٦ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والجهاد في الله حق جهاده. وفضيلة الصحبة – ولو لحظة – لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[١].

فهذه الأحاديث وغيرها كثير كلها مبينة لخيريتهم وعدالتهم، والأحاديث الواردة في فضائلهم جملة أو في فضائل آحادهم كثيرة جداً[٢].

يقول الإمام الخطيب البغدادي[٣] رحمه الله: " والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج واحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق... على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها، من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣١٠/١٦.

(٢) انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، وانظر: بحثاً موسعاً جداً ولعله أشمل ما ألف في هذا الموضوع بعنوان: الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة في الكتب التسعة ومسندي أبي بكر البزار وأبي يعلى الموصلي والمعاجم الثلاثة لأبي القاسم الطبراني رسالة علمية للدكتور: سعود الصاعدي، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ وكتاب مناقب الأنصار من صحيح البخاري مع الفتح ٥/٧-٣٤٧ كتاب فضائل الصحابة في صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤٤/١٥-٢١٧، ٣١٧/١٦، وغير ذلك من كتب السنة وكتب الاعتقاد.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، وتقدم في علم الحديث والرجال، وجمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وكان سلفي الاعتقاد، له مصنفات منها: تاريخ بغداد، شرف أصحاب الحديث، الكفاية.مات سنة: (٤٦٣ هـ). انظر: السير ٢٧٠/١٨ – ٢٩٧، الأعلام ١٧٢/١.

لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكَّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء "[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل؛ علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله"[٢].

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: " الفصل الثالث في بيان حال الصحابة من العدالة: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"[٣].

---

(١) الكفاية للخطيب ص: (٤٨)، وانظر: الانتصار للصحابة الأخيار للعباد ص: (١٢٣-١٣٢).

(٢) الواسطية مع شرحها للهراس ص: (١٦٧).

(٣) الإصابة ٩/١، وحكى الإجماع كثير من العلماء منهم: الخطيب في الكفاية ص: (٤٩)، وابن الصلاح كما في مقدمة ابن الصلاح ص: (٢٦٠)، وابن عبد البر وإمام الحرمين، انظر: التنبيهات السنية ص: (٢٧٤).

المطلب الثاني:
محبتهم وموالاتهم، والترضي عنهم جميعاً، ونشر محاسنهم

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة محبة وموالاة الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، وعدم التبرؤ من أحد منهم، بل يحبوهم جميعاً محبة صادقة، قد امتلأت قلوبهم بمحبة القوم، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليهم والدعاء لهم، ونشر محاسنهم، وذلك معرفة منهم بفضل صحبتهم، وسابقتِهم في الدين، ونصرِهم لرسول الله ﷺ ودفاعِهم عنه، ويتبرأ أهل السنة ممن أبغض الصحابة أو بعضهم أو طعن فيهم أو سبهم وانتقصهم.

كما قال تعالى بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: " الناس على ثلاث منازل، فمضت منهم اثنتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ الآية[الحشر: ٨]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ الآية [الحشر: ٩]، ثم قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة وقد مضت، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ الآية[الحشر: ١٠] قال: فقد مضت هاتان المنزلتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه: أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت"(١).

ومالنا لانترضى ونترحم عمن أخبرنا الله تعالى أنه رضي عنهم؟، فالله تعالى يقول: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ويقول سبحانه: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم: (٣٨٠٠) كتاب التفسير، تفسير سورة الحشر ٦٠٥/٢، وصححه ووافقه الذهبي.

وهل ترك الترضي عنهم إلا رد لقول الله تعالى واعتراض عليه؟.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " ونحب أصحاب رسول اللهﷺ، ولا نُفْرِط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(١).

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله: " ويُشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان، والتوبة والرحمة من الله، ويستقر علمك، وتوقن بقلبك أن رجلاً رأى النبي ﷺ وشاهده، وآمن به واتبعه لو ساعة من نهار، أفضل ممن لم يره ولم يشاهده، ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين. ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، والاقتداء بهديهم، والاقتفاء لآثارهم، وأن الحق في كل ما قالوه، والصواب فيما فعلوه"(٢).

قال العوام بن حوشب(٣) رحمه الله: " أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ ؛ لتأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم"(٤).

ويعتقد أهل السنة تفاضل الصحابة رضي الله عنهم فيما بينهم، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي (على ترتيبهم في الخلافة)، ثم يليهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان(٥).

---

(١) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٧٠٤.

(٢) الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) ص: (٢٩٠- ٢٩٢).

(٣) هو الإمام المحدِّث العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الربعي الواسطي ثقة، ثبت، فاضل، مات سنة: (١٤٨هـ). انظر: السير ٦/٣٥٤- ٣٥٥، تقريب التهذيب ص: (٧٥٧) .

(٤) الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) ص: (١٨١- ١٨٢).

(٥) انظر: مقدمة ابن الصلاح (معرفة أنواع علوم الحديث) ص: (٢٩٩)، مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/١٢٩، الباعث الحثيث لابن كثير ص: (١٨٣)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي ٢/٦١٧- ٦١٨ .

المطلب الثالث:

اعتقاد أنهم نقلوا لنا هذا الدين كما بلغهم

فالصحابة رضي الله عنهم نقلوا إلينا ألفاظ النبي ﷺ، وما علمه لأمته من القرآن والسنة؛ حتى إن المرء في القرون اللاحقة ليعرف أدق التفاصيل عن أحوال النبي وشؤونه وسيرته وأقواله كأنه يعيش في ذلك العصر، ومع نقلهم لألفاظه ﷺ وأفعاله، فإنهم بينوا معنى ذلك المنقول على وجه الصواب، وماذا أراد النبي ﷺ به، فلم تعد هناك حاجة إلى إجهاد للنفس في المعنى المراد بعد بيان الصحابة له، وهم الذين عاصروا التنزيل وعرفوا التأويل، وشاهدوا الأحوال التي ينزل فيها الوحي، فهم أعرف الناس بمراد رسول الله ﷺ وقد أخذوا عن رسول الله ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أولاً، ثم يأخذون الألفاظ ليضبطوا بها المعاني حتى لا تشذ عنهم(١)، وقد سمعوا من رسول الله ﷺ من الأحاديث الكثيرة، ورأوا من الأحوال الشاهدة، وعلموا بقلوبهم من مقاصده ودعوته ما يوجب لهم فهم ما أراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه، فليس من سمع ورأى حال المتكلم كمن كان غائباً لم يَرَ ولم يَسمع، أو سمع وعلم بواسطة أو وسائط كثيرة، وإذا كان للصحابة من ذلك ما ليس لمن بعدهم كان الرجوع إليهم في ذلك دون غيرهم متعيناً قطعاً(٢).

ومن هنا فالواجب على كل مسلم أن يفهم القرآن والسنة كما فهمهما صحابة رسول الله ﷺ، وأن لايطَّرح آراءهم، بل يجعلها هي الأصل، وأن يرجع إليهم في تفسير كلام الله تعالى وتفسير كلام رسوله ﷺ، وتفسيرهم مقدم على تفسير غيرهم من الأمة، " فمستندهم في معرفة مراد الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله وهديه الذي هو يفصل القرآن ويفسره "(٣).

ولاشك أن في هذا توقيراً وتعظيماً لهم؛ بالاستنارة بعلمهم،وتقديم فهمهم وأقوالهم التي لاتخالف الدليل على قول كل أحد خلا رسول الله ﷺ، وبالوقوف حيث وقفوا.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ١٤١٤/٤.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١٤٣١/٤-١٤٣٢، وانظر: إعلام الموقعين ١١٨/٤-١٥٦.

(٣) إعلام الموقعين ١٥٣/٤.

المطلب الرابع:

عدم الغلو فيهم وادعاء عصمتهم

فالصحابة رضي الله عنهم بشر من البشر، تقع منهم الأخطاء والزلات، فلايجوز أن نعتقد العصمة في أحد منهم أن يقع في ذنب، مع أننا نعتقد عدالتهم كما تقدم.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفْرِط في حب أحد منهم"(١).

قال ابن أبي العز رحمه الله: " وقوله: " ولا نفرط في حب أحد منهم" أي: لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء: ١٧١]... وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الجاثية: ١٧]"(٢).

---

(١) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٧٠٤.

(٢) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٧١١.

المطلب الخامس:

السكوت عن أخطائهم وزلاتهم

بعد أن تبين في المطلب السابق أن الصحابة ﷺ غير معصومين وأنهم قد تبدر منهم المعصية، فهل يسع أحد وقف على مخالفة وقعت من أحد منهم أن ينشرها ويشنع بها عليه، ويطعن فيه؟.

في الجواب عن هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقريره لعقيدة أهل السنة في الصحابة: " ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زِيد فيه ونقص، وغُيِّر عن وجهه. والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صَدَر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: إنهم خير القرون، وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟.

ثم القَدْر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح"[١].

---

(١) الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٥٥ .

ويقول ابن القيم رحمه الله تحت قول النبي ﷺ: (**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**)[(١)]:"فالذي نظن في ذلك – والله أعلم – أن هذا خطاب لقوم قد عَلِمَ الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبةٍ نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم؛ كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا محال، ومن أوجب الواجبات: التوبة بعد الذنب، فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة... "[(٢)].

قال الإمام أحمد رحمه الله: " ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه بحدث منه، أو ذكر مساويَه؛ كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً"[(٣)].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: " فالقوم لهم سوابق، وأعمال مكفرة لما وقع منهم، وجهاد مَحّاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في مواضع، منها برقم: (٤٢٧٤)كتاب المغازي، باب غزوة الفتح... ٧/٦٤٩-٦٥٠، ومسلم برقم: (٦٣٥١)كتاب الفضائل، باب من فضائل أهل بدر ١٦/٢٧٢ - ٢٧٣ عن علي رضي الله عنه.

(٢) الفوائد ص: (٢١-٢٢) .

(٣) أصول السنة للإمام أحمد ص: (٥٤).

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٩٣ .

المطلب السادس:

السكوت والكف عما شجر بينهم

ماحصل بين الصحابة رضي الله عنهم من الاقتتال والفتنة فالواجب الإعراض والسكوت عنه، والإمساك عن التحدث به؛ فإن التحدث بذلك قد يتسبب بالطعن في أحد منهم والقدح فيه وبغضه، وهو اشتغال بما لايعني الإنسان لا في دينه ولا في دنياه، ولايؤمن على من اشتغل بذلك أن يقع في طعن بعض الصحابة وشتمهم[١].

ولايمكننا أن نغفل حقيقة مهمة وهي أن كتب التاريخ التي تحدثت عن تلك الفتن قد دُس فيها من جهة الروافض وأعداء الدين عموماً الشيءُ الكثيرُ مما يجعل من الصعوبة بمكان الوقوف على حقيقة تلك الأحداث والفتن، إضافة إلى أنه لافائدة يحصِّلها المرء من البحث وراء تلك الأحداث، والواجب على المسلم أن يدعو بما أرشد إليه ربنا تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عما وقع بين الصحابة: " تلك دماء كف الله عنها يدي، لا أريد أن ألطخ بها لساني"[٢].

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: "وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب"[٣].

---

(١) انظر كلاماً مهماً للغاية في خطورة الكلام فيما شجر بين الصحابة ﷺ في كتاب الشريعة للآجري رحمه الله ٥/٢٤٨٥- ٢٤٨٨ .

(٢) رواه الخلال في السنة برقم: (٧١٧) ١/٤٦١- ٤٦٢، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم: (٩٠٩) ٢/١٨٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق برقم: (٨٢٤٧) ٦٥/١٣٣.

(٣) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ص: (١٠).

وقال النووي رحمه الله: " ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المُحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً، وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ، لأنه لِاجتهادٍ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه"[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر:"واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين"[(٢)].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/٢١٩- ٢٢٠ .

(٢) فتح الباري ١٣/٤٣، وانظر: الشريعة للآجري ٥/٢٤٨٥- ٢٤٩٤، الإبانة الصغرى لابن بطة ص: (٢٩٤- ٢٩٦).

المطلب السابع:

اتباعهم والسير على منهاجهم

من الفرض على كل مسلم أن يتمسك بما كان عليه الصحابة ﷺ، وأن يقتدي بهم ويقتفي آثارهم فقد أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بذلك ؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[لقمان: ١٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

وأول المؤمنين الذين أمر باتباعهم وتوعد من خالفهم هم الصحابة رضي الله عنهم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠]. فقد أثنى الله تعالى على من اتبع الصحابة رضي الله عنهم بإحسان؛ فعلى من أراد رضا الله تعالى وجنته أن يلزم طريقتهم.

قال النبي ﷺ: (**خير الناس قرْني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)[1].

وهذا الثناء عليهم من النبي ﷺ دليل على حسن عقيدتهم وسلامة منهجهم.

وقال ﷺ: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة**)[2].

فسنة الخلفاء الراشدين مأمور باتباعها ،كما هو مأمور باتباع سنة النبي ﷺ؛ إذ ما سنوه هو من سنته ﷺ، لأنه ﷺ هو الذي أمر به ، ولا يكون واجباً في الدين إلا ما أوجبه،

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣٠).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٣٠).

ولا حراماً إلا ما حرمه ، ولا مستحباً إلا ما استحبه ، ولا مكروهاً إلا ما كرهه ، ولا مباحاً إلا ما أباحه [(١)] .

قال ابن القيم رحمه الله: " فقَرَن سنةَ خلفائه بسنته، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يُعَضَ عليها بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به وسنوه للأمة، وإن لم يتقدم من نبيهم ﷺ فيه شيء، وإلا كان ذلك سنتَه، ويتناول ما أفتى به جميعهم أو أكثرهم أو بعضهم؛ لأنه علق ذلك بما سنه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنهم لم يسنوا ذلك وهم خلفاء في آن واحد، فعُلِمَ أن ما سنه كلُّ واحد منهم في وقته فهو من سنة الخلفاء الراشدين " [(٢)] .

وجاء الأمر بالاقتداء بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال ﷺ:(**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**) [(٣)] ، وقال ﷺ:(**فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا**) [(٤)] .

ففي هذه الأدلة وغيرها كثير الأمر باتباع الصحابة رضي الله عنهم والسير على نهجهم واقتفاء أثرهم، وأن في ذلك صحة العقيدة وسلامة المنهج، وسعادة الدنيا والآخرة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨٢/١.

(٢) أعلام الموقعين ١٤٠/٤.

(٣) رواه الترمذي برقم: (٣٦٦٢) كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما ص: (٨٣٢)، ورواه ابن ماجه برقم: (٩٦)، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ٥١/١، من حديث حذيفة رضي الله عنه، وقال الألباني: صحيح. وصححه ابن حبان برقم: (٦٩٠٢) ٣٢٧/١٥- ٣٢٨.

(٤) رواه مسلم برقم: (١٥٦٠) كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة الفائتة ١٩٠/٥-١٩٤ عن أبي قتادة رضي الله عنه.

لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه؛ فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً، وعزْماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا، والله أعلم. ومن أدركنا ممن نرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا، وصاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، وقول بعضهم إن تفرقوا، فهكذا نقول، ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال واحدهم ولا يخالفه غيره أخذنا بقوله"[(١)].

" فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن؛ لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى؛ فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران: أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، والثاني: معناه كذا وكذا، وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما... هذا إلى ما خصوا به من قوى الأذهان وصفائها، وصحتها وقوة إدراكها، وكماله، وكثرة المعاون، وقلة الصارف، وقرب العهد بنور النبوة، والتلقي من تلك المشكاة النبوية، فإذا كان هذا حالنا وحالهم فيما تميزوا به علينا، وما شاركناهم فيه فكيف نكون نحن أو شيوخنا أو شيوخهم أو من قلدناه أسعد بالصواب منهم في مسألة من المسائل؟ ومن حدث نفسه بهذا فليعزلها من الدين والعمل، والله المستعان"[(٢)].

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٤٢- ٤٤٣، ونقله ابن القيم في إعلام الموقعين ١/٨٠.

(٢) إعلام الموقعين ٤/١١٣ - ١١٤.

المبحث الثاني:

المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء

تقدم في المبحث السابق أن بينت بحمد الله تعالى وجوب توقير الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم وتعظيمهم التعظيم اللائق بهم، وأن هذا هو منهج أهل السنة والجماعة تجاه الرعيل الأول من هذه الأمة، وهو المنهج المستند على الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وهما مملوءان بذكر فضائل الصحابة رضي الله عنهم والثناء عليهم وبيان عدالتهم.

وقد انحرف عن هذا المنهج شراذم من الناس طعنوا في خير القرون وتنقصوهم، وسبوهم وشتموهم، وتقربوا إلى الله تعالى بمعاداتهم، ولاشك أن هذا من خذلان الله تعالى لهؤلاء الطاعنين في الصحابة ﷺ، ومن اتصف بالطعن في الصحابة رضي الله عنهم فإنه متهم على الإسلام؛ إذ الطعن فيهم طعن في الشريعة التي حملوها ونقلوها إلينا.

ولذا يقول الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرْح بهم أولى، وهم زنادقة"[(١)].

الذين نفوا عدالة الصحابة: الذين نفوا عدالة أصحاب رسول الله ﷺ كلَّهم أو بعضَهم فرقتان مرذولتان مخذولتان:

الأولى: الروافض: الروافض من شر أهل البدع، ومقالتهم في الصحابة في غاية القبح، فإن الروافض نفوا عدالة الصحابة، وأساءوا إليهم، وعادوهم، وأبغضوهم ورموهم بالعظائم، وحطُّوا على خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

وسبوهم ولعنوهم وجعلوهم خونة كاتمين للحق، واعتقدوا فسقهم، بل ومنهم من اعتقد ردتهم إلا نفراً قليلاً[(٢)].

---

(١) رواه الخطيب في الكفاية ص: (٤٩).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين ١/١٢٨-١٢٩.

وفي المقابل يغلون في علي ﷺ وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما وفي أهل البيت من ذريتهم، فيقولون بعصمتهم، وتفضيلهم على سائر الصحابة ﷺ وغير ذلك من الغلو.

روى الكُلَيني في كتابه الكافي وهو أصح الكتب عندهم عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة ؟ قال: المقداد بن الأسود[1]، وأبو ذر الغفاري[2]، وسلمان الفارسي[3] ...)[4]وبعضهم يذكر أن الذين لم يرتدوا سبعة[5].

---

(١) هو الصحابي المقداد بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك البُهراني، وقيل: الحضرمي، كان أبوه أصاب دماً في قومه فحالف كندة فقيل له: الكندي، وتزوج فولد له المقداد، فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أحدهم خلاف فضرب رجله بالسيف، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبنى الأسود المقداد، فلما نزلت: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾[الأحزاب: ٥] قيل له: المقداد ابن عمرو وشهرته ابن الأسود، أسلم قديماً، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً ومابعدها، وكان فارساً يوم بدر.مات سنة: (٣٣ هـ).انظر: الإصابة٣/١٨٨١- ١٨٨٢.

(٢) أبو ذر الغفاري: هو الصحابي الجليل الزاهد المشهور، مختلف في اسمه واسم أبيه؛ والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقيل: ابن عبد الله، كان من السابقين إلى الإسلام، وله فضائل عدة ورواية عن رسول الله ﷺ، وكانت وفاته بالربذة سنة: (٣١ هـ)، وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر.انظر: الإصابة ٤/٢٢١٧ -٢٢٢٠.

(٣) هو الصحابي الجليل سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له: سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير. أصله من رامهرمز، وقيل: من أصبهان. وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسِر، وبِيع بالمدينة فأشتغل بالرق حتى كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق، وولي المدائن.ويقال: إنه شهد بدراً، وكان عالماً زاهداً. آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، مات سنة: (٣٦)، أو (٣٧ هـ).انظر: الإصابة ١/٧٤٨ - ٧٤٩.

(٤) الكافي ٨/٢٤٥، رجال الكشي ص: (١٢)، وانظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص: (٢٣).

(٥) انظر: الاختصاص للمفيد ص: (٦).

يقول نعمة الله الجزائري الرافضي: " الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفَّروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق، وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام"(١).

ولدى الرافضة دعاء صنمي قرش وابنتيهما، ويقصدون أبا بكر وعمر وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر(٢) رضي الله عنهم(٣)، وهو دعاء اعتنى به الرافضة اعتناءً بالغاً حيث اعتبروه من أفضل الأدعية وأعظمها، وزعموا أن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم(٤).

ويقول أحدهم: " لله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم، في كل عالم سبعون ألف أمة، كل أمة أكثر من الإنس والجن لا هَمَّ لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر"(٥).

ويقول أحد مشايخهم: "وإنَّما الإشكال في تزويج علي عليه السلام أم كلثوم لعمر ابن الخطاب وقت تخلفه؛ لأنه ظهرت منه المناكير، وارتد عن الدِّين ارتداداً أعظم من كلِّ مَن ارتدَّ، حتى إنَّه قد وردت روايات الخاصة أنَّ الشيطان يغل بسبعين غلاًّ من حديد جهنم، ويُساق إلى المحشر، فينظر، ويرى رجلاً أمامه تقوده ملائكة العذاب، وفي عنقه مائة وعشرون

---

(١) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري الرافضي ٢/٢٤٤.

(٢) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وأمها زينب بنت مظعون، وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند خنيس بن حذافة، وكان ممن شهد بدراً، ومات بالمدينة فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبي بكر فسكت، فعرضها على عثمان فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتزوجها رسول الله ﷺ بعد عائشة سنة ثلاث على الراجح. قيل: ماتت لما بايع الحسن معاوية، وذلك سنة: (٤١)، وقيل: بل بقيت إلى سنة: (٤٥ هـ). انظر: الإصابة ٤/٢٤٦٩- ٢٤٧٠.

(٣) مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار لعباس القمي ص: (١١٣-١١٤).

(٤) علم اليقين وأصول الدين للكاشاني ٢/٧٠١ .

(٥) الوشيعة ص: (٢٢).

غلاً من أغلال جهنم، فيدنو الشيطان إليه، ويقول: ما فعل الشقي حتى زاد عليَّ في العذاب، وإنَّما أغويت الخلق وأوردتهم موارد الهلاك؟ فيقول عمر للشيطان: ما فعلتُ شيئاً سوى أني غصبت خلافة علي بن أبي طالب.

والظاهر أنَّه استقلَّ سبب شقاوته ومزيد عذابه، ولم يعلم أنَّ كلَّ ما وقع في الدنيا إلى يوم القيامة من الكفر والطغيان واستيلاء أهل الجور والظلم، إنَّما هو من فَعْلَته هذه "[(١)].

ويسبون أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة زوجتي رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهما، ويطعنون فيهما ويشهدون لهما بالنار، ومن الرافضة من يتهمون أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حبَّ رسول الله ﷺ وزوجَه في الدنيا والآخرة يتهمونها بما برأها الله منه[(٢)]، ولاشك أن هذا تكذيب لما في القرآن من براءتها، وهو من أعظم الإيذاء لله ورسوله.

الرد على الرافضة في طعنهم في الصحابة:

الرد على الرافضة في هذه المسألة التي هي من أظهر المسائل ولله الحمد يكون من وجوه كثيرة، وسأذكر بعض الوجوه على سبيل الاختصار، ومن رام التوسع فعليه بمراجعة الكتب المتخصصة في الرد على هؤلاء الروافض والتي مر ذكر بعضها.

ومن أوجه الرد عليهم:

● مما يرد عليهم به الآيات والأحاديث الكثيرة الواردة في مدح الصحابة ﷺ والثناء عليهم، والتي مر ذكر بعضها.

● الطعن في الصحابة تكذيب لله تعالى ورسولهﷺ، وردٌ لما جاء في نصوص الوحيين من تعديلهم والثناء عليهم وذكر فضائلهم.

---

(١) القائل هو الرافضي المسمى بنعمة الله الجزائري (ت: ١١١٢هـ)في كتابه المسمى بـ: الأنوار النعمانية ١/٨١- ٨٢ .

(٢) انظر: تفسير القمي ٢/٣٧٧، بحار الأنوار للمجلسي ٢٢/٢٤٠، ٣٢/٢٧٦، مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي ص: (١٣٤).

● إن الشخص ليتملكه العجب كيف يجرؤ الروافض على القدح في خير الأمة وصحابة رسولها وتلامذته، الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا أعوان نبيه وأنصاره وحواريه، واجتهد في تعليمهم وتربيتهم حتى شهد بفضلهم وعلو منزلتهم وشدة اتباعهم لنبيهم حتى الأعداء، ولم يَرِدْ أن أمة من الأمم قدحوا في أصحاب أنبيائهم سوى هؤلاء الروافض، وهذا من خذلان الله تعالى لهم . قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " فمن أضل ممن يكون في قلبه غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فَضَلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة"(١).

● الطعن في الصحابة طعن في الإسلام وقدح في الدين؛ لأنهم هم نقلته فإذا كانوا ضُلالاً فجرة ظلمة كذبة أو كانوا مرتدين –وحاشاهم– فكيف يؤتمنون على الدين وعلى مصدريه الكتاب والسنة اللذين لم يصلانا إلى عن طريقهم؟(٢). وصدق الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله حين قال: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن

---

(١) شرح الطحاوية ٧١١/٢، وانظر: التبصير في الدين للإسفراييني ص: (٤١)، العواصم من القواصم لابن العربي ص: (١٩٢)، منهاج السنة ٢٧/١، ونسبت هذه المقارنة بين قول الروافض وقول النصارى واليهود في أصحاب أنبيائهم للإمام الشعبي رحمه الله، انظر: تفسير البغوي ٨٠/٨، منهاج السنة ٣٣/١.

(٢) انظر: كلاما طيباً للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته: الرد على الرافضة ص: (٥٢–٥٣).

والسنن أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"[١].

● أن الله سبحانه ما تعبد أحداً بلعن أحد من الكفار، ولو كان أكفرَ الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس الذي لعنه الله وطرده من رحمته في أوراد مخصوصة تقرباً إلى الله كما تتقرب الرافضة بلعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٢].

● الطعن في الصحابة طعن في رسول الله ﷺ ؛ وكذلك الطعن في زوجاته هو طعن فيه؛ فإن من يطعن في أصحاب رجل وفي أهله فذلك طعن فيه ولابد.

من غلا في بعض الصحابة رضي الله عنهم:

غلا الرافضة في بعض الصحابة ﷺ وهم علي وابناه الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، كما غلو في بقية الأئمة الاثني عشر من ذريتهما. كما سأبينه إن شاء الله في موضعه من هذا البحث.

وهذا من ضلال الرافضة فإنهم لم يسلكوا الصراط المستقيم لا في الصحابة ﷺ، ولا في آل البيت ﷺ، غلو في شأن الصحابة بغضاً وفي شأن بعض آل البيت حباً وتقديساً حتى صرفوا لهم ما لايجوز إلا لله تعالى من الدعاء والاستغاثة وادعاء علم الغيب وغير ذلك[٣].

---

(١) رواه الخطيب في الكفاية ص: (٤٩).

(٢) انظر: الانتصار للصحب والآل ص: (٦٢).

(٣) يقول الإمام القحطاني في نونيته ص: (٣١- ٣٢):

إن الروافض شر من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جانِ

مدحوا النبي وخونوا أصحابه ... ورموهم بالظلم والعدوانِ

حبوا قرابته وسبوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضانِ

فكأنما آل النبي وصحبه ... روح يضم جميعَها جسدانِ

فئتان عقدهما شريعة أحمد ... بأبي وأمي ذانك الفئتانِ

فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتانِ

"أمَّا أهل السنَّة والجماعة، فهم يتولَّون أهل بيت النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم والصحابة جميعاً، ويُنزلون كلاًّ منزلته بالعدل والإنصاف، وفقاً للنصوص الشرعية، وعندهم أنَّ أهلَ البيت هم أزواج رسول الله ﷺ وذريَّته، وكلُّ مسلم ومسلمة من بني هاشم بن عبد مناف، ... فأهل السنَّة يتولَّون الصحابةَ جميعاً، ويتولَّون كلَّ مسلم ومسلمة من قرابة النَّبيِّ ﷺ، ويعرفون الفضلَ لِمَن جمع اللهُ له بين شرف الإيمان وشرف النَّسب، فمَن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّهم يُحبُّونه لإيمانه وتقواه، ولصحبته إيَّاه، ولقرابته منه ﷺ، ومَن لم يكن منهم صحابيًّا، فإنَّهم يُحبُّونه لإيمانه وتقواه ولقربه من رسول الله ﷺ، ويَرون أنَّ شرفَ النَّسَب تابعٌ لشرف الإيمان، ومَن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحُسنيين، ومَن لَم يُوفَّق للإيمان فإنَّ شرفَ النَّسَب لا يُفيده شيئاً..."[١].

الثانية: الخوارج والمعتزلة:

الخوارج كما هو معلوم من مذهبهم يرون أن مرتكب الكبيرة كافر خارج من الملة، لذا جعلوا لسوء فهمهم وجهلهم وقلة بصيرتهم بدين الله تعالى، جعلوا علياً ﷺ كافراً بتحكيمه الحكمين بينه وبين معاوية بن أبي سفيان[٢] - رضي الله عنهما -، ومن ثم خرجوا عليه

---

(١) أغلو في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة، تأليف شيخنا العلاّمة عبدالمحسن العباد حفظه الله ص: (٤٣- ٤٤) .

(٢) هو الصحابي الجليل، كاتب وحي رب العالمين، أمير المؤمنين: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس القرشي الأموي، أخته أم المؤمنين أم حبيبة. وحُكي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح، كان من الكتبة الحسبة الفصحاء حليماً وقوراً. صحب النبي ﷺ، وكتب له، وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد، وأقره عثمان، ثم استمر فلم يبايع علياً، ثم حاربه، واستقل بالشام ثم مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين، ثم استقل لما صالح الحسن واجتمع عليه الناس فسمي ذلك العام عام الجماعة.مات سنة: (٦٠ هـ) على الصحيح. انظر: الإصابة ١٨٥٥/٣- ١٨٥٧.

لكفره كما زعموا، وكفروا معاويةَ ﷺ، وكفروا الحكمين ومن رضي بالتحكيم، لأنهم حَكّموا الرجال والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله: " أجمعت الخوارج على إكفار علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه أنْ حَكّم، وهم مختلفون: هل كفره شرك أم لا ؟"[١].

ويقول أيضاً: " والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكِّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم، ويكفرون معاويةَ وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري[٢]"[٣].

ومِن الخوارج مَن كفّر أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه[٤].

أما المعتزلة: فقد قال بعض أئمة المعتزلة بتفسيق الصحابة رضي الله عنهم الذين حكّموا والذين حصل بينهم قتال في الفتن التي وقعت بين بعض الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/١٦٧.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن حضّار، أبو موسى الأشعري، قيل: أسلم وهاجر إلى الحبشة. وقيل: بل رجع إلى بلاد قومه، وهذا قول الأكثر، قدم المدينة بعد فتح خيبر. واستعمله النبيّ ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمر على البصرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين. كان حسن الصوت بالقرآن، روى عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة أحاديث كثيرة. توفي سنة: (٤٢)، وقيل: (٤٤هـ) وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب ص: (٤٨٠)، الإصابة ٢/١١١١- ١١١٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ١/٢٠٤، وانظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص: (٤٦)، العقيدة في أهل البيت لشيخنا الدكتور: سليمان السحيمي حفظه الله ص: (٥١٤ – ٥٢٣).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين ٢/١٤٣، التبصير في الدين للإسفراييني ص: (٥٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: (٤٦)، البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص: (١٩)، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٤٦٨ .

فهذا واصل بن عطاء[١] من رؤوسهم يقول بفسق الصحابة المتقاتلين في معركتي صفين[٢] والجمل[٣] لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة من بينهم، وقال: لو شهد علي وطلحة، أو علي والزبير، أو رجل من أصحاب علي ورجل من أصحاب الجمل عندي على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما؛ لِعِلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه، وتبع واصلاً على ذلك عدد من المعتزلة[٤].

وعمرو بن عبيد[٥] تلميذُ واصل يقول بفسق كلا الفريقين المتقاتلين يوم الجمل[٦].

---

(١) واصل بن عطاء، أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري الغزَّال، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فانضم إليه عمرو، واعتزلا حلقة الحسن، فسموا المعتزلة.جالس أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم لازم الحسن، وكان كثير الصمت، له مؤلف في التوحيد، وكتاب المنزلة بين المنزلتين.قيل: مات سنة: (١٣١ هـ). انظر: السير ٥/٤٦٤- ٤٦٥.

(٢) صِفِّين بكسرتين وتشديد الفاء موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين (الرَقة) و(بالس)، وكانت فيه وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة: (٣٧ هـ) في غرة صفر. انظر: معجم البلدان ٣/١٩٥.

(٣) معركة الجمل وقَعَتْ بين جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من جهة وبين جيش أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم من جهة، وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة: (٣٦) في مكان بين الكوفة والبصرة. انظر: البداية والنهاية ١/٢٥٠ - ٢٥٤ .

(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص: (٨٨-٨٩)، الملل والنحل للشهرستاني ١/٦٣.

(٥) عمرو بن عبيد الزاهد، القدري، كبير المعتزلة، وأولهم، أبو عثمان البصري.له رواية عن أبي العالية وأبي قلابة، والحسن، من أئمة المعتزلة، فدخل معه عمرو بن عبيد، فأعجب به وزوجه أخته، له كتاب العدل، والتوحيد، وكتاب الرد على القدرية، قيل: مات بطريق مكة سنة: (٤٣)، وقيل: (٤٤ هـ). انظر: السير ٦/١٠٤- ١٠٦.

(٦) الفرق بين الفرق ص: (٨٩)، الملل والنحل للشهرستاني ١/٦٣.

والنظّام[١] من المعتزلة له فضائح في طعنه على أصحاب رسول الله ﷺ، وفي أقضيتهم وأحكامهم وأخبارهم[٢].

الرد على الخوارج والمعتزلة:

الرد عليهم من وجوه كثيرة أذكر بعضها:

- ما تقدم من النصوص من الكتاب والسنة وهي غيض من فيض كلها تبرهن على عدالة الصحابة ﷺ وخيريتهم، وكلها مصرحة بالنهي عن سبهم وشتمهم؛ فكيف يتجرأ هؤلاء الضلال من الخوارج والمعتزلة على تفسيقِ وتضليلِ مَن عدّلهم الله، وأثنى عليهم، ورضي عنهم؟ .
- بينت فيما سبق أن الواجب تجاه ماشجر بين الصحابة ﷺ هو الإمساك عن ذكرها، والترضي عن كلا الفريقين وموالاتهم، والاستغفار لهم جميعاً.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ؛ فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون"[٣].

---

(١) النظام شيخ المعتزلة، إبراهيم بن سيار النظام، مولى آل الحارث الضبعي .تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ.كان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادراً، لكنا لا نأمن وَقْعَ ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وكفّره جماعة. وقيل: كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث. له نظم وتصانيف، منها: الطفرة، الجواهر والأعراض. ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران، فمات سنة: بضع وعشرين ومائتين للهجرة.انظر: السير١٠/٥٤١- ٥٤٢.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص: (١٠٩-١١٢)، الملل والنحل ١/٧١-٧٢، العقيدة في أهل البيت ص: (٥٢٤ – ٥٢٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ٢/٩١٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/١٣١٨ – ١٣١٩، وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ٢/٣٩٥، وذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى ص: (١٣٦- ١٣٧)، وصحح إسناده شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/٢٢.

● ما شجر بين الصحابة ﷺ هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطؤون، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ولهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم(١)، فلا يجوز الطعن فيهم بذلك ولو عرف المحِقُ منهم.

● قولهم بكفر بعض هؤلاء، أو قولهم: بفسق أحد الفريقين أو فسق كليهما معارَض بقول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾[الحجرات: ٩- ١٠]. فأثبت للفريقين الإيمانَ مع اقتتالهما، وكذلك بعض الصحابة حصل بينهم اقتتال فلم يخرجهم ذلك من الإيمان.

وقال النبي ﷺ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: (**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**)(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وفيها [أي قصة الصلح بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً] ردٌ على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين، ومن ثم كان سفيان بن عيينة(٣) يقول عقب هذا الحديث: " قوله: (**من المسلمين**) يعجبنا جداً "(٤).

(١) انظر: العقيدة الواسطية مع شرح الشيخ ابن عثيمين ص: (٤٧٣-٤٧٩).

(٢) رواه البخاري برقم: (٧١٠٩) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن... ١٣/٧٧ من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) هو الإمام المحدث المفسر سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي، مولده بالكوفة سنة: (١٠٧هـ)، طلب الحديث، وهو غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علماً جماً، وأتقن، وجود، وجمع وصنف، وعُمِّر دهراً، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد، وكان صاحب سنة واتباع، وكان مشهوراً بالتدليس، إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة عنده.مات سنة: (١٩٨ هـ) انظر: السير ٨/٤٥٤ – ٤٧٥.

(٤) فتح الباري ١٣/٨٤.

• مِن الصحابة الذين كفرهم الخوارج والمعتزلة أو فسقوهم من هو من المبشرين بالجنة على لسان رسول الله ﷺ ؛ فكيف يكفرونهم أو يفسقونهم وهو مشهود لهم بالجنة؟.

قال الإمام الصابوني[١]: " فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين، ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله؛ فقد هلك في الهالكين ... ويرون [أي: أهل السنة والحديث] الكفَّ عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتطهيرَ الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، ونقصاً فيهم. ويرون الترحمَ على جميعهم والموالاةَ لكافتهم. وكذلك يرون تعظيمَ قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاءَ لهن، ومعرفةَ فضلهن، والإقرارَ بأنهن أمهات المؤمنين"[٢].

مسألة حكم سب الصحابة رضي الله عنهم:

مما يناقض التعظيم الشرعي للصحابة ﷺ الولوغ في أعراضهم سباً وشتماً وطعناً وتنقصاً، وهذا أمر من الأمور الخطيرة، التي يجب على من أراد الاحتراز لدينه أن يتنبه له، وأن يحذر منه، وإذا كان الوقوع في أعراض آحاد المسلمين بالغيبة أو بالهمز واللمز أو بالطعن والعيب أوبالسب والشتم بغير حق محرم تحريماً شديداً، وهو من كبائر الذنوب؛ فكيف بسادات المسلمين الذين عدّلهم الله تعالى وفضلّهم، واختارهم واصطفاهم ليكونوا أنصارَ نبيه وأعوانَه، ونقلةَ دينه ورواتَه؟ لاشك أن الطعن فيهم ليس كالطعن في غيرهم، وسبَّهم وشتمهم ليس كَسَبِّ غيرهم وشتمِه.

---

(١) هو الإمام العلامة القدوة: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري، أبو عثمان الصابوني من أئمة التفسير والحديث والسنة، وعظ وعمره تسع سنين، وله مصنف في السنة بعنوان: عقيدة السلف وأصحاب الحديث قال الذهبي عن كتابه: ما رآه منصف إلا اعترف له. توفي سنة: (٤٤٩ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٤٠- ٤٤.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص: (٢٩٢ — ٢٩٤).

وسأبين هذه المسألة على وجه الاختصار:

١. من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فهو كافر بالإجماع؛ لأنه معارِض لنص القرآن الكريم[(١)].

٢. ومن قذف غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فهو كقذف عائشة رضي الله عنها على الأصح؛ لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده[(٢)].

٣. من اقترن بسببه دعوى أن علياً إله، أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبرائيل في الرسالة؛ فهذا لاشك في كفره، بل لاشك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نُقص منه آيات وكُتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسقِط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم[(٣)].

٤. من سب الصحابة زاعماً كفرهم أو فسقهم جميعاً أو أكثرهم فهو كافر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامّتُهم؛ فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة: أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الأمة التي هي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(١) انظر: الصارم المسلول ص: (٥٣٩)، الإبانة الصغرى لابن بطة ص: (٢٩٦- ٢٩٧)، الشفا للقاضي عياض: (٤٩٣)، تفسير ابن كثير ٦/٣١- ٣٢، الصواعق المحرقة للهيتمي ١٤٩/١ الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص: (٦٦- ٧٢).

(٢) الصارم المسلول ص: (٥٤٠)، وانظر: تفسير ابن كثير ٣٢/٦، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص: (٤٤١- ٤٤٢).

(٣) الصارم المسلول ص: (٥٥٩).

أُخۡرِجَتۡ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتُهم كفاراً أو فسّاقاً. ومضمونها: أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ولهذا تجد عامةَ من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم... "[(١)].

فتبين أن من سب الصحابة جميعاً أو أكثرهم أنه كافر لمعارضته مافي القرآن، وأيضاً لإيذائه للنبي ﷺ؛ إذ في سب الأصحاب إيذاء عظيم للشخص، والله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] . ولتضمنه الطعن في الكتاب والسنة؛ إذ هم نقلتهما إلى الأمة.

٥. من سب بعض الصحابة في دينهم؛ بأن يتهم بعض الصحابة بالكفر أو الفسق وكان مما اشتهر في النصوص فضله كالخلفاء الأربعة، ففي تكفيره نزاع وخلاف عند أهل العلم، ولاريب في فسقه وضلاله[(٢)].

٦. "وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم؛ مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك؛ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم"[(٣)].

---

(١) الصارم المسلول ص: (٥٥٩- ٥٦٠)، وانظر: الصواعق المحرقة للهيتمي ١/١٣٥، الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص: (٥٦- ٦٠).

(٢) انظر: الصارم المسلول ص: (٥٤٠- ٥٥٩)، وانظر: الصواعق المحرقة للهيتمي ١/١٣٥، ١٣٩، الرد على الرافضة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص: (٦٠)، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص: (٤٤٤- ٤٥٧).

(٣) الصارم المسلول ص: (٥٥٩)، ويراجع في تغليظ سب الصحابة والنهي عنه وتحريمه: كتاب الشريعة للآجري ٥/٢٤٩٥- ٢٥١٠، النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب للإمام محمد بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله، صب العذاب على من سب الأصحاب للشيخ محمود شكري الألوسي رحمه الله .

الفصل الثاني:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم آل بيت رسول الله ﷺ.

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: المراد بآل بيت النبي ﷺ.

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للمؤمنين من آل بيت رسول الله ﷺ.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اعتقاد فضلهم وعلو منزلتهم.

المطلب الثاني: محبتهم المحبة الشرعية.

المطلب الثالث: توقيرهم وإكرامهم.

المطلب الرابع: الصلاة عليهم.

المطلب الخامس: ترك الغلو فيهم وترك اعتقاد عصمتهم.

المبحث الثاني: المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من غلا في آل البيت.

المطلب الثاني: من جفا أهل البيت وعاداهم.

تمهيد:

المراد بآل بيت النبي ﷺ

الآل لغة: قال في معجم المقاييس: " الهمزة والواو واللام أصلان:

ابتداء الأمر وانتهاؤه، ومن ابتداء الأمر: كلمة: الأول وهو مبتدأ الشيء.

ومن الثاني: قولهم: آل يؤول إذا رجع.

وآل الرجل رعيته إذا أحسن سياستها.

وآل الرجل أهل بيته من هذا أيضاً؛ لأنه إليه مآلهم، وإليهم مآله.

وآل الرجل شخصه من هذا أيضاً؛ كذلك آل كل شيء؛ وذلك أنهم يعبرون عنه بآله، وهم عشيرته، يقولون: آل أبي بكر، وهو يريدون أبا بكر "(١).

المراد بآل النبي ﷺ:

اختلف فيهم العلماء على أقوال، سأذكر أقواها:

١- **قيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة** وهو قول الإمام الشافعي(٢)، وأحمد والأكثرين، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي(٣)، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية(٤). وصححه ابن القيم(٥)، ورجحه ابن حجر(٦).

---

(١) معجم المقاييس ص: ٩٦-٩٧ باختصار، وانظر: لسان العرب ١/١٩٣-١٩٧ (مادة: أول)، وانظر: كلاماً موسعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٢/٤٦٣، ولابن القيم في جلاء الأفهام ص: (٢٢٧-٢٣٦)، ولابن حجر في الفتح ١١/١٩١- ١٩٢.

(٢) انظر: الأم للشافعي ٢/١٠٦ - ١٠٧، أحكام القرآن له ١/١٥٨، شعب الإيمان للبيهقي ٣/٤٥٨.

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب للنوي ٦/٢٢٦- ٢٢٨، روضة الطالبين ١/٢٦٣، جلاء الأفهام لابن القيم ص: (٢٣٧-٢٣٨).

(٤) الاختيارات لشيخ الإسلام ص: (٩٣).

(٥) جلاء الأفهام ص: (٢٥٠).

(٦) فتح الباري لابن حجر ١١/١٩٢.

٢- وقيل: هم ذريته وأزواجه خاصة. حكاه ابن عبد البر[١]، وصححه ابن العربي[٢].

٣- وقيل: هم أتباعه إلى يوم القيامة. حكاه ابن عبد البر[٣]، ورجحه النووي، وقال: إنه قول المحققين[٤].

٤- هم علي وفاطمة[٥] والحسن[٦] والحسين[٧] رضي الله عنهم، حكاه النووي[٨][١].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٦/١٩٦ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢/٨٥٧ .

(٣) التمهيد ١٦/١٩٦ .

(٤) المجموع للنووي ٣/٤٤٨، وشرحه على مسلم ٤/٣٤٥، ٧/١٧٤.

(٥) هي فاطمة بنت إمام المتقين رسول الله: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها، وتلقب بالزهراء. روت عن أبيها، وروى عنها ابناها وأبوهما وعائشة وأم سلمة وسلمى أم رافع وأنس وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها. كانت فاطمة أصغر بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحبهن إليه. وهي والدة الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ وريحانتاه، هي أول أهل النبي ﷺ لحوقاً به، توفيت في رمضان سنة: (١١ هـ) رضي الله عنها. انظر: الإصابة ٤/٢٥٩٦ - ٢٦٠٠.

(٦) هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته أمير المؤمنين، أبو محمد، ولد في نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث حفظها عنه، ولي الخلافة بعد استشهاد أبيه رضي الله عنه، ثم تنازل عنها لمعاوية رضي الله عنه قيل: مات سنة: (٤٩) وقيل: (٥٠) وقيل: (٥١ هـ)، ويقال: إنه مات مسموماً. انظر: الإصابة ١/٣٧٤ - ٣٧٧.

(٧) هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، أبو عبد الله، ولد في شعبان سنة أربع، وقيل: ست، حفظ عن النبي ﷺ، أخرج له أصحاب السنن أحاديث يسيرة، لما سلَّم أخوه الحسن رضي الله عنه الأمر إلى معاوية رضي الله عنه تحول إلى المدينة واستمر بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة، ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه؛ فأرسل إليهم فأخذ بيعتهم، فتوجه إلى هناك، وكان من قصة قتله رضي الله عنه ما كان، وكان قتله في يوم عاشوراء في كربلاء سنة: (٦١ هـ). انظر: الإصابة ١/٣٧٨ - ٣٨١.

(٨) المجموع للنووي ٣/٤٤٨- ٤٥٠.

(١) انظر لهذه الأقوال: جلاء الأفهام ص: ٢٣٦ - ٢٣٩، الشفا للقاضي عياض ص: (٣١٩ - ٣٢٠)، شرح النووي لصحيح مسلم ٤/٣٤٥، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢/٤٦٠، فتح الباري ٣/٤٤٦، ١١/١٩٢، الصلاة والسلام على النبي ﷺ ص: (١١٣-١٢٤).

أدلة أصحاب القول الأول:[وهم الذين قالوا بأنهم الذين حرمت عليهم الصدقة]:
من أدلة أصحاب هذا القول:

- قال أبو هريرةﷺ: "كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل؛ فيجيء هذا بتمره، وهذا بتمرهِ حتى يصير عنده كوماً من تمر؛ فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فأخرجها من فيه فقال: (**أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة**)(١).

- وقالﷺ: (**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس**)(٢).

أدلة أصحاب القول الثاني:: [وهم الذين قالوا بأنهم ذريته وأزواجه خاصة] .

استدلوا بما جاء في صفة الصلاة على رسول الله ﷺ حيث ورد أن النبي ﷺ قال في تعليمه الصحابة التشهد: (**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**)(٣).

وجاء في حديث غيره قال: (**قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**)(١)، وهذا غايته أن يكون أحد اللفظين مبهماً فسره اللفظ الآخر.

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (١٤٨٥)كتاب الزكاة،باب أخذ صدقة التمر٣/٤٤١، ومسلم برقم: (٢٤٧٠)كتاب الزكاة،باب تحريم الزكاة على رسول الله وعلى آله ٧/١٧٤.

(٢) رواه مسلم برقم: (٢٤٧٨) كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة ٧/١٧٦-١٧٨.

(٣) رواه البخاري رقم: (٦٣٥٧) كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ١١/١٨٢، ومسلم برقم: (٩٠٧) كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ٤/٣٤٥-٣٤٦ من حديث كعب بن عُجرة ﷺ.

(١) رواه البخاري برقم: (٦٣٦٠) كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم ١١/٢٠٢-٢٠٣، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

- كما استدلوا بقول النبي ﷺ: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**[(١)])[(٢)]." ومعلوم أن هذه الدعوة المستجابة لم تنل كلَّ بني هاشم ولا بني المطلب؛ لأنه كان فيهم الأغنياء، وأصحاب الجِدة وإلى الآن، وأما أزواجه وذريته ﷺ فكان رزقهم قوتاً، وما كان يحصل لأزواجه بعده من الأموال كن يتصدقن به، ويجعلن رزقهن قوتاً[(٣)].

أدلة أصحاب القول الثالث: [وهم الذين قالوا بأنهم أتباعه إلى يوم القيامة].

احتج أصحاب هذا القول بأن آل المعظم المتبوع هم أتباعه على دينه وأمره، قريبهم وبعيدهم. قالوا: واشتقاق هذه اللفظة يدل عليه؛ فإنه من آل يؤول إذا رجع، ومرجع الأتباع إلى متبوعهم؛ لأنه إمامهم وموئلهم.

قالوا: ولهذا كان قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ ﴾[القمر: ٣٤]، المراد به: أتباعه وشيعته المؤمنون به من أقاربه وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾ [غافر: ٤٦].المراد به: أتباعه وشيعته"[(٤)].

كما استدلوا بقول الله تعالى لنوح عليه السلام عن ابنه: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ [هود: ٤٦]؛ " فنفى أن يكون من أهله مع أنه ولده؛ لعدم اتباعه والإيمان به"[(١)].

---

(١) قوتاً أي: بقدر ما يمسك الرمق من المطعم. النهاية ص: (٧٧٦).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ٣٤١/١١، ومسلم برقم: (٢٤٢٤) كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة ١٤٦/٧، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جلاء الأفهام ص: (٢٤٤).

(٤) جلاء الأفهام ص: (٢٤٧-٢٤٨).

(١) الصلاة والسلام على النبي ﷺص: (١٢١).

أدلة أصحاب القول الرابع:[وهم الذين قالوا بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم]

استدل أصحاب هذا القول بما روته عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ[1] مُرَحَّل[2] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣][3].

وعن سعد بن أبي وقاص[4] رضي الله عنه قال: (ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمةَ وحسناً وحسيناً؛ فقال: (**اللهم هؤلاء أهلي**)[5].

والراجح من هذه الأقوال هو الأول، وبه تجتمع الأدلة، وقد تقدم أنه اختاره جمع من المحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية، وصححه ابن القيم، ورجحه ابن حجر رحمهم الله.

ومما يرجح هذا القول:

١- حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: (**أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلين: أولها: كتاب**

(١) المرط هو الكساء، ويكون من صوف وربما كان من خز أو غيره. النهاية ص: (٨٦٦).

(٢) المرحل: ما نقش فيه تصاوير رحال الإبل. انظر: النهابة ص: (٣٥٢).

(٣) رواه مسلم برقم: (٦٢١١) كتاب الفضائل، باب فضائل أهل البيت ١٥/١٩٠.

(٤) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن أهيب، ويقال له: ابن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أحد العشرة وآخرهم موتاً، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، روى عن النبي ﷺ كثيراً. كان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، مات سنة: (٥١ هـ). وقيل: (٥٦). وقيل: (٥٧هـ). والثاني أشهر. انظر: الإصابة ١/٧١٢- ٧١٣.

(٥) رواه مسلم برقم: (٦١٧٠) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي رضي الله عنه ١٥/١٧١.

الله، فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به)، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: (**وأهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي**)، فقال له حصين[١]: ومن أهل بيته يا زيد ؟، أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة ؟ قال: نَعم"[٢].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺقال عندما ذبح أضحيته: (**باسم الله، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد**)[٣]؛ "فعطف أمته على آله، وحقيقة العطف يقتضي المغايرة، وأمته أعم من آله"[٤].

٣- قول النبي ﷺ المتقدم: (**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد**).

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**)[١] فهذان الحديثان لا يراد بهما عموم الأمة قطعاً[٢]؛ فهذا رد على من زعم أنهم جميع أتباعه.

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن كنا آلَ محمدٍ ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء)[٣].

---

(١) أي: قال حصين لزيد بن أرقم رضي الله عنه، وحصين هو حصين بن سَبرة له إدراك، وسمع من عمر، نزل الكوفة. انظر: الإصابة ٤٢٧/١.

(٢) رواه مسلم برقم: (٦١٧٥) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي ﷺ١٧٤/١٥ - ١٧٥.

(٣) رواه مسلم برقم: (٥٠٦٤) كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية ١٢٣/١٣ - ١٢٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) جلاء الأفهام ص: (٢٤٣).

(١) تقدم تخريجه ص: (٧١٠).

(٢) جلاء الأفهام ص: (٢٥١).

(٣) رواه مسلم برقم: (٧٣٧٥) كتاب الزهد والرقاق، باب الدنيا سجن المؤمن ٣٠٧/١٨.

٦- وما جاء عنه ﷺ في صفة الصلاة عليه: (**اللهم صل على محمد وآل محمد**) وفي صفة أخرى: (**اللهم على محمد وأزواجه وذريته**)[١] فهذا تفسير للأول على لسان رسول الله ﷺ مبين أن أزواجَه وذريتَه من آل بيته.

٧- ومما يدل على دخول أزواجه ﷺ في أهل بيته قول الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].

فأزواجه من آل بيته كما في هذه الآية وغيرها، وجاء فيها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾؛ ليعم الخطابُ جميعَ آل البيت، ومنهم أزواجُه، وجاء الضمير (عنكم) بالتذكير؛ لأنه دخل في الخطاب الذكور من أهل البيت؛ لأنه إذا اجتمع المؤنث والمذكر، فيكون الخطاب بالمذكر تغليباً.

٨- أن تنصيص النبي صلى الله عليه وسلم على الأزواج والذرية لا يدل على اختصاص الآل بهم، بل هو حجة على عدم الاختصاص بهم[١].

٩- وأما ما استدل به أصحاب القول الرابع؛ فلا يدل على أن هؤلاء هم أهل البيت خاصة، بل يدل على أنهم من أهل البيت، وأنهم داخلون فيهم ليسوا خارجين عن ذلك، بل هم أحق من دخل في ذلك، وصلتهم به ﷺ كانت بالنسب، وصلة النسب أقوى من صلة الصهر[٢].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٧٠٩).

(١) جلاء الأفهام ص: (٢٥١).

(٢) انظر: الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ص: (١٢٣).

١٠- وأما من زعم أن الآل هم الأتباع، فيقال: لا ريب أن الأتباع يطلق عليهم لفظ الآل في بعض المواضع بقرينة، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ (الآل) يراد به الأتباع لما ذكرنا من النصوص"[١].

١١- " حصر الآل في بعض قرابته ﷺ دون غيرهم ممن ورد في النص أنهم من آله تحكم[٢] " فالواجب على من أراد الحق أن يوفق بين النصوص، وأن يجمع بينها.

فترجح من هذا آن آل النبي ﷺ هم الذين حرمت عليهم الصدقة.

من هم الذين حرمت عليهم الصدقة ؟:

اختلف العلماء في آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة على أقوال:

١- أنهم بنو هاشم وبنو المطلب. وهذا مذهب الشافعي[٣]، وأحمد في رواية[٤]، وهو قول مالك وأكثر أصحابه[٥].

٢- أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة[١]، والرواية الثانية عن أحمد[٢]، واختاره بعض المالكية[٣].

---

(١) جلاء الأفهام ص: (٢٥٦-٢٥٧).

(٢) الصلاة والسلام على النبي ﷺ ص: (١٢٣)، وانظر للتوسع في المسألة: العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط لشيخنا الدكتور: سليمان السحيمي وفقه الله ص: (٤ - ٥٦).

(٣) انظر: الأم للشافعي ١٠٧/٢، وانظر: شعب الإيمان للبيهقي ٤٥٨/٣، شرح النووي على مسلم ١٧٥/٧.

(٤) انظر: المغني لابن قدامة ١١١/٤ - ١١٢.

(٥) انظر: مواهب الجليل للحطاب ٢٢٣/٣ -٢٢٤، الذخيرة للقرافي ١٤١/٣.

(١) انظر: بدائع الصنائع ٧٩/٢-٨٠، شرح النووي على مسلم ١٧٥/٧، المغني ١١١/٤.

(٢) انظر: المغني ١١١/٤.

(٣) انظر: الذخيرة للقرافي المالكي ١٤٢/٣.

٣- **أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى بني غالب،** فيدخل معهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلى غالب[(١)]، وحكي عن بعض المالكية[(٢)].

والراجح هو القول الأول.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: بعد أن ذكر حديث: (**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**) وأدلةً غيرَه، قال: " دل هذا على أن آل محمد الذين حَرَّم الله عليهم الصدقة وعوضَّهم منها الخمس، وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ الأنفال: ٤١. فكانت هذه الآية في معنى قول النبيﷺ: (**إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**)... دل ذلك على أن الذين أعطاهم رسول الله ﷺ الخمس هم آل محمد الذين أَمَرَ رسول الله ﷺ بالصلاة عليهم معه، والذين اصطفاهم من خلقه بعد نبيه ﷺ "[(٣)].

ويوضح هذا الحديثُ الآتي:

قال سعيد بن المسيب[(١)] رحمه الله: " أخبرني جبير بن مطعم[(٢)] أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم من الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا

---

(١) جلاء الأفهام ص: (٢٣٧).

(٢) شرح النووي لمسلم ١٥/١٧٥.

(٣) أحكام القرآن للشافعي ١/٧٦- ٧٧.

(١) هو الإمام سعيد بن المسيب بن حزْن بن أبي وهب، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه.ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ﷺ، وقيل: لأربع.رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وعائشة وأبا هريرة، وابن عباس، وخلقاً سواهم.وقيل: إنه سمع من عمر. توفي سنة: (٩٤ هـ) على الأصح. انظر: السير٤/٢١٧- ٢٤٦.

(٢) هو الصحابي الجليل: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي.كان من أكابر علماء النسب، وقدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ سورة الطور قال: =

رسول الله، قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبي ﷺ: (**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد**) قال جبير: ولم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس... "[١].

وفي رواية أخرى قال النبي ﷺ: (**إنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد**) وشبك بين أصابعه[٢].

فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي، وأسلم بين الحديبية والفتح، مات سنة: سبع أو ثمان أو تسع وخمسين للهجرة انظر: الإصابة ٢٥٩/١.

(١) رواه البخاري رقم: (٣٥٠٢) كتاب المناقب، باب مناقب قريش ٦٥٢/٦ (مختصراً)، ورواه أبو داود برقم: (٢٩٧٨) ص: (٤٥٤)، (وهذا لفظه).

(٢) رواه أبو داود برقم: (٢٩٨٠) كتاب الخراج، باب في بيان مواضع قسم الخمس ص: (٤٥٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في أحكامه على سنن أبي داود.

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي للمؤمنين من آل بيت رسول الله ﷺ

آل بيت النبي ﷺ طهرهم الله وشرفهم وأذهب عنهم الرجس، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الطبري رحمه الله:" إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً"[(١)].

وقال السعدي رحمه الله: " ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: الأذى، والشر، والخبث، يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ حتى تكونوا طاهرين مطهرين.

أي: فاحمدوا ربكم، واشكروه على هذه الأوامر والنواهي، التي أخبركم بمصلحتها، وأنها محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجًا ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم"[(٢)].

وفي المراد بأهل البيت ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم نساء رسول الله ﷺ، لأنهنَّ في بيته، ويؤكّد هذا القولَ أن ما قبله وبعده متعلِّق بأزواج رسول الله ﷺ.

الثاني: أنه خاصٌّ برسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم.

والثالث: أنهم أهل رسول الله ﷺ وأزواجه[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٢٢.

(٢) تفسير السعدي ص: (٧٨٠).

(٣) زاد المسير ٤٦٢/٣- ٤٦٣ باختصار، وانظر: تفسير الطبري ١٠/٢٢ – ١٣، تفسير ابن كثير ٤١٠/٦ – ٤١٦.

وهذا هو الراجح بدلالة سياق الآيات، وبدلالة الأحاديث الكثيرة التي تنص على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في أهل بيته، فليس أهل بيت النبي خاص بزوجاته، وليس خاصاً بعلي وفاطمة وابنيهما[١].

قال ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: " وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح "[٢].

وقال: " ثم الذي لا يَشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣، فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[الأحزاب: ٣٤ أي: اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة... واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس..."[٣].

ومن آل بيته أزواجه –كما تقدم –، وهن أمهات المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[الأحزاب: ٦]. قال الإمام البغوي رحمه الله: "وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ﴾[الأحزاب: ٥٣]"[٤].

---

(١) ممن جمع الأحاديث في هذه المسألة: الحافظ ابن كثير في تفسيره، انظر: تفسير ابن كثير ٦/٤١١ – ٤١٦، وانظر: مقدمة محقق التفسير ١/١٩.

(٢)تفسير ابن كثير ٦/٤١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤١٥.

(٤) تفسير البغوي ٦/٣١٩.

وقال ابن الجوزي رحمه الله:" قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ أي: في تحريم نكاحهن على التأبيد، **ووجوب إجلالهن وتعظيمهن،** ولا تجري عليهن أحكام الأُمهات في كل شيء، إِذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتِهن، وَلَورِثْنَ المسلمين، ولجازت الخَلوة بهن"(١).

فآل بيت النبي ﷺ يجب احترامُهم وتقديرُهم ومعرفةُ فضلِهم وعلوِ منزلتهمِ وعظمةِ شأنهم، ويجب إنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله إياها؛ فهم ينتسبون إلى أشرف الخلق وإمام المرسلين وخاتمهم نبينا محمد ﷺ، فمن إكرامه وتوقيره توقير قرابته واحترامهم.

ويجب أن يكون إكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم من غير غلو فيهم ولاجفاء، بل يكون على سبيل التوسط، بدون غلو ولاتقصير.

قال الإمام الصابوني: " وكذلك يرون [أي أهل السنة والحديث] تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين"(٢).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: **ومن تعظيم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تعظيم أهل بيته،** وتعظيم أولاد المهاجرين والأنصار، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (**قدموا قريشاً، ولا تقدموا عليها**)(٣) وما ذلك إلا أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم "(٤).

---

(١) زاد المسير ٣/٤٤٨.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص: (٢٩٢ – ٢٩٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم: (٥٢٩٧) ٣/١٧٢ بلفظ مقارب، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٥٦٤) من حديث سهل بن أبي حثمة ﷺ، كما رواه من حديث عبد الله بن السائب ﷺ برقم: (١٥٦٢)، ومن حديث عتبة بن غزوان ﷺ برقم: (١٥٦٣)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الإرواء ٢/٢٩٥ - ٢٩٧ بمجموع طرقه.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ٣/٤٦٣ - ٤٦٤ .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله:" أهل السنة مجمعون على **تعظيم عائشة ومحبتها**، وأن نساءه أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين"[(١)].

ويتجلى التعظيم الشرعي لأهل البيت رضي الله عنهم في هذه المطالب الخمسة:

المطلب الأول:

اعتقاد فضلهم وعلو منزلتهم

فلأهل البيت المؤمنين بالله ورسوله، المتبعين للكتاب والسنة منزلة وفضيلة عظيمة، وذلك لقرابتهم لرسول الله ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣][(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسولُ الله ﷺ علياً وفاطمةَ وحسناً وحسيناً؛ فقال: (**اللهم هؤلاء أهلي**)[(٣)].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص: (٢١٧).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٧١١).

(٣) رواه مسلم برقم: (٦١٧٠) كتاب الفضائل، باب من فضائل علي رضي الله عنه ١٧١/١٥.

وأوصى النبي ﷺ بأهل بيته وامتثال وصيته وتنفيذها واجب، عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال: (**أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلين: أولها: كتاب الله، فيه الهدى والنور؛ فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**)، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: (**وأهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي**)[١].

ومعنى (**أذكِّركم الله في أهل بيتي**): أنبهكم حقَ الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم وإكرامهم ومحبتهم ومودتهم. وقيل: أحذركم الله في شأن أهل بيتي، وأقول لكم: اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم، فالتذكير بمعنى الوعظ، يدل عليه قوله: "وعظ وذكّر"[٢].

ولفضلهم وعلو منزلتهم وشرفهم حرمت عليهم الصدقة: قال أبو هريرة ﷺ: " كان رسول الله ﷺ يؤتى بالتمر عند صرام النخل؛ فيجيء هذا بتمرهِ، وهذا بتمرهِ حتى يصير عنده كوماً من تمر؛ فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فأخرجها من فيه فقال: (**أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة**)[٣].

وقال ﷺ: (**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس**)[٤].

وجاء في فضائل آحادهم أحاديث كثيرة، فلخديجة ولعائشة وغيرهما من أمهات المؤمنين فضائل، ولفاطمة ولعلي والحسن والحسين فضائل، وللعباس وحمزة عمي النبي ﷺ فضائل،

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٧١١).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح ٣٩٦٧/٩.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٧٠٩).

(٤) تقدم تخريجه ص: (٧٠٩).

ولأبناء عمومته عبد الله بن عباس وجعفر بن أبي طالب وغيرهما فضائل رضي الله عنهم جميعاً.

ومما يدل على فضلهم وشرفهم: طهارة نسبهم، وأنهم خيار العرب نسباً، قال النبي ﷺ: (**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**)[1].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٥٨٩٧) كتاب الفضائل،باب فضل نسب النبي ﷺ ١٥/٣٨، من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ.

ولمعرفة المزيد من فضائل آل البيت انظر: العقيدة في أهل البيت لشيخنا د. سليمان السحيمي، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم لشيخنا العلاّمة: عبد المحسن بن حمد العباد حفظه الله.

المطلب الثاني:

محبتهم المحبة الشرعية

فلأهل البيت على الأمة واجب المحبة، لأنهم آل النبي ﷺ وإليه ينتسبون، فلحبه نحبهم، فمن محبتنا لنبينا عليه الصلاة والسلام محبة أهل بيته المتبعين لطريقته، ويجب أن تكون هذه المحبة محبة معتدلة بلا غلو فيهم ولاجفاء، بلا إفراط ولاتفريط.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] .

قيل في معنى الآية عدة أقوال:

فقيل: معناها: إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم.

وقيل معناها: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودّوا قرابتي.

وقيل: بل معنى ذلك: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودّدوا إلى الله، وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة.

وقيل غير ذلك(١).

قال ابن كثير رحمه الله بعد أن رجح القول الأول: " ولا تُنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وُجِد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين"(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٩/٢٥ – ٣٤، تفسير البغوي ١٩٠/٧، زاد المسير ٦٤/٤ – ٦٥، تفسير ابن كثير ٢٠١/٧. ورجح القول الأول ابن جرير وابن الجوزي وابن كثير وابن تيمية في منهاج السنة ٢٥/٤– ٢٧ وذكر أنه الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٠١/٧.

يقول الإمام الآجري رحمه الله: ": واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبةُ أهل بيت رسول الله ﷺ: بنو هاشم ، علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته ﷺ، هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، واجب على المسلمين محبتهم، وإكرامهم، واحتمالهم، وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم.

فمن أحسن من أولادهم وذراريهم، فقد تخلق بأخلاق سلفه الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلق منهم بما لا يحسن من الأخلاق، دُعي له بالصلاح والصيانة والسلامة، وعاشره أهلُ العقل والأدب بأحسن المعاشرة، وقيل له: نحن نجلك عن أن تتخلق بأخلاق لا تشبه سلفَك الكرامَ الأبرار، ونغار لمثلك أن يتخلق بما نعلم أن سلفك الكرام الأبرار لا يرضون بذلك، فمن محبتنا لك أن نحب لك أن تتخلق بما هو أشبه بك، وهي الأخلاق الشريفة الكريمة، والله الموفق لذلك"(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"أهل بيت رسول الله ﷺ تجب محبتهم، وموالاتهم، ورعاية حقهم"(٢).

ويقول ابن الوزير رحمه الله: " فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم فإنهم أهل آيات المباهلة(٣)، والمودة(٤)، والتطهير(٥)، وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير"(٦).

---

(١) الشريعة ٥/٢٢٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٤٩١.

(٣) يقصد قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١] .

(٤) يقصد قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] .

(٥) يقصد قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب: ٣٣] .

(٦) إيثار الحق على الخلق ١/٤١٦.

المطلب الثالث:

توقيرهم وإكرامهم

ومن الواجب لأهل بيت النبي ﷺ توقيرهم وإكرامهم، وهو فرع عن توقير النبي وإجلاله وإكرامه؛ إذ هم أهل بيته وذريته.

ركب زيد بن ثابت رضي الله عنه يوماً دابته، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه، فقال: لا تفعل يابن عم رسول الله ﷺقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال له زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا"(١).

قال أبو بكر رضي الله عنه:"والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي"(٢). وعنه رضي الله عنه قال: "ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته"(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قوله:" ارقبوا محمداً في أهل بيته" يخاطب بذلك الناس، ويوصيهم به. والمراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم"(٤).

ولما وضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان، وقالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه فقال: لا، ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله. فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش(٥).

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢٦/١٩، وذكره ابن حجر في الإصابة ١٠٧٧/٢ ونسبه للمدائني في المجالسة، وذكره الهيتمي في الصواعق ٥٢٢/٢.

(٢) رواه البخاري برقم: (٣٧١٢) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٩٩/٧.

(٣) رواه البخاري برقم: (٣٧١٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ٩٩/٧.

(٤) فتح الباري ١٠١/٧.

(٥) ذكره شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٢٧١)، وانظر: عصر الخلافة الراشدة ص: (٢٣٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً إكرام الشيخين أبي وعمر رضي الله عنهما لخير أهل البيت وأفضلهم بعد رسول الله ﷺ وهو علي رضي الله عنه: " وعلي رضي الله عنه، ما زالا [يقصد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما] مكرمين له غاية الإكرام بكل طريق، مقدمين له، بل ولسائر بني هاشم على غيرهم في العطاء، **مقدمين له في المرتبة والحرمة والمحبة والموالاة والثناء والتعظيم، كما يفعلان بنظرائه،** ويفضلانه بما فضله الله عز وجل به على من ليس مثله، ولم يعرف عنهم كلمة سوء في علي قط، بل ولا في أحد من بني هاشم.

ومن المعلوم أن المعاداة التي في القلب توجب إرادة الأذى لمن يعادَى. فإذا كان الإنسان قادراً، اجتمعت القدرة مع الإرادة الجازمة، وذلك يوجب وجود المقدور؛ فلو كانا مريدين بعلي سوءاً، لكان ذلك مما يوجب ظهوره لقدرتهما؛ فكيف ولم يظهر منهما إلا المحبة والموالاة؟.

وكذلك علي رضي الله عنه قد تواتر عنه من محبتهما وموالاتهما وتعظيمهما وتقديمهما على سائر الأمة ما يعلم به حاله في ذلك. ولم يعرف عنه قط كلمة سوء في حقهما، ولا أنه كان أحق بالأمر منهما.

وهذا معروف عند من عرف الأخبار الثابتة المتواترة عند الخاصة والعامة، والمنقولة بأخبار الثقات"[(١)].

(١) منهاج السنة ١٧٨/٦ .

المطلب الرابع:

الصلاة عليهم

فمن حقوق أهل البيت، ومما هو رفع لشأنهم وإعلاء لمنزلتهم: الصلاة عليهم، فتشرع الصلاة عليهم في التشهد مع الصلاة على النبي ﷺ؛ فلا يصلي مسلم على وجه الأرض صلاة إلا صلى على النبي ﷺ وآله في تشهده. كما قال ﷺ في تعليمه الصحابة التشهد في الصلاة: (**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...**)[١].

وقال: (**قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وكذلك آل بيت رسول الله لهم من الحقوق ما يجب رعايتها؛ فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا: (**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)"[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " فآل النبي ﷺ يصلى عليهم بغير خلاف بين الأمة.

واختلف موجبوا الصلاة على النبي ﷺ في وجوبها على آله على قولين مشهورين لهم، وهي طريقتان للشافعية[٤]:

إحداهما: أن الصلاة واجبة على النبي ﷺ، وفي وجوبها على الآل قولان للشافعي...

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٧٠٩).

(٢) تقدم تخريجه ص: (٧٠٩).

(٣) مجموع الفتاوى ٤٠٧/٣.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب ٤٦٤/٣ – ٤٦٦، روضة الطالبين ٢٦٣/١.

والطريقة الثانية: أن في وجوبها على الآل وجهين، وهي الطريقة المشهورة عندهم، والذي صححوه أنها غير واجبة عليهم.

واختلف أصحاب أحمد في وجوب الصلاة على آله ﷺ،وفي ذلك وجهان لهم[١]، وحيث أوجبوها فلو أبدل لفظ الآل بالأهل فقال: اللهم صل على محمد وعلى أهل محمد؛ ففي الإجزاء وجهان[٢].

وحكى بعض أصحاب الشافعي الإجماع على أن الصلاة على الآل مستحبة لا واجبة، ولا يثبت في ذلك إجماع.

ثم قال الإمام ابن القيم: " وهل يصلي على آله منفردين عنه؟ فهذه المسألة على نوعين:

أحدهما: أن يقال: اللهم صل على آل محمد، فهذا يجوز، ويكون ﷺ داخلاً في آله؛ فالإفراد عنه وقع في اللفظ، لا في المعنى.

الثاني: أن يفرد واحد منهم بالذكر، فيقال: اللهم صل على علي، أو على حسن، أو حسين، أو فاطمة، ونحو ذلك؛ فاختلف في ذلك، وفي الصلاة على غير آله ﷺ من الصحابة ومن بعدهم؛ فكره ذلك مالك، وقال: لم يكن ذلك من عمل من مضى[٣]، وهو مذهب أبي حنيفة أيضاً، وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وبه قال طاووس[٤].

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٢/٢٣١- ٢٣٢.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٢/٢٣٢.

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ١/٢٣ .

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ٨/٦٧٨، ١١/٢٠٣. وستأتي ترجمة طاووس رحمه الله ص: () بمشيئة الله.

وقال ابن عباس" لا ينبغي الصلاة إلا على النبي ﷺ "[١]، ... عن ابن عباس أنه قال:" لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار"[٢]، ... كتب عمر بن عبد العزيز:" أما بعد: فإن ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدلَ صلاتهم على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين عامة"[٣].

وهذا مذهب أصحاب الشافعي، ولهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منع تحريم.

والثاني: وهو قول الأكثرين؛ أنه منع كراهية تنزيه.

والثالث: أنه من باب ترك الأولى، وليس بمكروه. حكاها النووي في الأذكار[٤]. قال: والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنه مكروه كراهة تنزيه"[٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/٢١٦، قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح. فتح الباري ٨/٦٧٨.

(٢) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم: (٧٥) ص: (٦٩) قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح. فتح الباري ٨/٦٧٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٣٥٠٩٣)٧/١٧٤، ومن طريقه رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم: (٧٦) ص: (٦٩- ٧٠) قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن. فتح الباري ٨/٦٧٨، وفي هذين المصدرين زيادة: "وَيَدَعُونَ ما سِوى ذلك" .

(٤) انظر: الأذكار للنووي ص: (١١٨).

(٥) جلاء الأفهام لابن القيم ص: (٥٤٦ - ٥٤٩) وانظر: تتمة الكلام فيه وحجة من أجاز ومن منع، ثم ترجيح ابن القيم ص: (٥٤٩- ٥٧٥).

المطلب الخامس:

ترك الغلو فيهم وترك اعتقاد عصمتهم

مع احترام أهل السنة والجماعة لأهل البيت وإكرامهم وتعظيمهم لهم، إلا أنهم لايغلون فيهم، ولايدَّعون فيهم ماتدعيه الرافضة من عصمتهم من الذنوب، وأنهم يعلمون الغيب، ومن جواز دعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك.

عن علي رضي الله عنه قال:" يهلك في رجلان: مفرط في حبي، ومفرط في بغضي"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن بعض مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة: " فلا يغلون في علي غلو الرافضة، ولا يكفرونه تكفير الخوارج"[٢].

ويقول:" اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرأوا من الناصبة الذين يكفرون علي بن أبي طالب ويفسقونه، ويتنقصون بحرمة أهل البيت؛ مثل من كان يعاديهم على الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق.

وتبرأوا من الرافضة الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين، ويكفرون عامة صالحي أهل القبلة"[٣].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٣٢١٣٦) ٣٤٧/٦، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٠١٨) ٦٧٥/٢. وقال محققه: إسناده حسن.

(٢) منهاج السنة ٤٦٩/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٩٢/٢٨- ٤٩٣.

قال الإمام القحطاني[1] رحمه الله في نونيته:

واحفظ لأهل البيت واجب حقهم ... واعرف علياً أيَّما عِرفانِ

لا تنتقصه ولا تزد في قدره ... فعليه تُصْلَى النار طائفتانِ

إحداهما لا ترتضيه خليفة ... وتَنَصُّه الأخرى آلهاً ثاني[2]

---

(١) قيل: هو أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي.

وقيل لعله: محمد بن صالح بن محمد بن سعد بن نزار، أبو عبد الله القحطاني الأندلسي الفقيه المالكي. سمع: بكر بن حماد التاهرتي، وإسماعيل الصفار، وأبا سعيد ابن الأعرابي، وجماعة، ورحل إلى المشرق، وحج. روى عنه: الحاكم، وأبو القاسم بن حبيب المفسر، وأبو سهل محمد بن نصرويه المروزي. توفي ببخارى سنة: (٣٨٣ هـ). انظر: تاريخ دمشق ٥٣/٢٧٠- ٢٧٢، تاريخ الإسلام للذهبي ٨/٥٤٨ - ٥٤٩. مقدمة نونية القحطاني ص: (٧- ٩).

(٢) نونية القحطاني ص: (٣٩).

المبحث الثاني:

المخالفون في هذا الباب من أهل الغلو وأهل الجفاء

وفيه مطلبان:

ضل في أهل البيت طائفتان:

طائفة غلو فيهم وهم الرافضة.

وطائفة جفتهم وتنقصتهم وعادتهم، وهم النواصب من الخوارج وغيرهم.

وهذا ماسأبينه بحول الله في المطلبين التاليين:

المطلب الأول:

من غلا في آل البيت

غلت الروافض في بعض آل البيت دون بعض؛ فقد غلوا في علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين وذريتهم دون سائر آل البيت.

ومن ذلك أنهم يدّعون العصمة لعلي ﷺ، ومن يزعمون فيهم الإمامة من أبنائه، قال أحد علمائهم، وهو محمد بن النعمان المشهور بالمفيد: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم صغيرة، إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام"(١).

وقال المجلسي: " أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى... "(٢).

ويقول الخميني: "نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ص: (٧١-٧٢).

(٢) بحار الأنوار ٢٥/٣٥٠.

مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم"(١).

ومن غلوهم زعمهم أن علياً أحق بالخلافة من الشيخين قبله، وأن ذريته هم الخلفاء من بعده: فقد رووا أن أبا عبد الله(٢) قال: "كان أمير المؤمنين عليه السلام إمامًا، ثم كان الحسن إمامًا، ثم كان الحسين إمامًا، ثم كان علي بن الحسين(٣) إمامًا، ثم كان محمد بن علي إمامًا، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ﷺ"(٤).

---

(١) الحكومة الإسلامية ص: (٩١).

(٢) هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أحد الأعلام، ويلقب بالصادق، أمه: هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي. وأمها: هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، وكان ممن روى الحديث، وكان ثقة مأموناً، فقيهاً، عالماً، عاملاً، على مذهب أهل السنة. توفي سنة: (١٤٨ هـ). انظر: حلية الأولياء ١٩٢/٣- ٢٦٠، السير ٢٥٥/٦- ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٩٨/١١- ١٠٠.

(٣) هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه أم ولد اسمها غزالة، وقيل: سلامة. وهو الملقب بزين العابدين لكثرة عبادته، ويكنى بأبي الحسين وقيل: بأبي الحسن، وقيل: غير ذلك، كان مع أبيه لما قتل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولكنه كان مريضاً فلم يشترك في القتال، حدَّث عن: أبيه، وحدّث عن جده مرسلاً، وعن: صفية أم المؤمنين، وذلك في (الصحيحين)، وعن: أبي هريرة، وعائشة، وروايته عنها في (مسلم)، كان ثقة، مأموناً، جواداً، كثير الإنفاق في السرّ، كثير الحديث، وَرِعاً. توفي سنة: (٩٤ هـ) وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١١/٥- ٢٢٢، السير ٣٨٦/٤- ٤٠١، الوافي بالوفيات ٢٣٠/٢٠- ٢٣١.

(٤) الكافي للكليني ١٣٩/١.

ومن غلوهم فيهم أنهم يفضلونهم على الأنبياء، فهم مع هذا الغلو يتنقصون الأنبياء وسائر الصحابة وبعض آل البيت[(١)].

يقول عبد الله شبر[(٢)]:"يجب الإيمان بأن نبينا ﷺوآله المعصومين، أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذلك، وتواترها فيما هنالك"[(٣)].

يقول الخميني:" وإن من ضروريات مذهبنا: أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم (ص) والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل كما ورد في روايات المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت، وقد ورد عنهم (ع): إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل"[(٤)].

ويزعمون بأن الأئمة من ذرية علي يعلمون الغيب، ويتخذونهم أرباباً من دون الله، ويدعونهم من دون الله، ويستغيثون بهم، ويسألونهم المدد.

وفي كتبهم الشي الكثير من الغلو في بعض آل البيت، ومن ذلك ماورد في كتاب الكافي للكليني (وهو أصح الكتب عندهم) من الغلو في بعض آل البيت، يتضح من كثير من تراجمه للأبواب فضلاً عما تضمنته تلك الأبواب، فيقول مثلاً:

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لحديث الوصاة بآل البيت (وقد تقدم): " وأبعد الناس عن هذه الوصية الرافضة؛ فإنهم يعادون العباس وذريته؛ بل يعادون جمهور أهل البيت". مجموع الفتاوى ٤١٩/٤ .

(٢) هو عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي، مفسر مجتهد شيعي إمامي، كان يُنعت بالمجلسي الثاني، ولد بالنجف، وعاش بالكاظمية والحلة، وتوفي بالكرخ. له مؤلفات، منها: الوجيز في تفسير القرآن، مصابيح الأنوار، حق اليقين في معرفة أصول الدين، توفي سنة: (١٢٤٢هـ). انظر: الأعلام ١٣١/٤.

(٣) حق اليقين ٢٠٩/١.

(٤) الحكومة الإسلامية ص: (٥٢).

- باب: أن الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل[١].

-باب: عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام[٢].

- باب: أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها[٣].

- باب: أنه لم يجمع القرآنَ كلَّه إلا الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كلَّه[٤].

- باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام[٥].

- باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم[٦].

- باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم[٧].

- باب: أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلِّمَه أميرَ المؤمنين عليه السلام، وأنه كان شريكه في العلم[٨].

وأهل البيت كانوا ينكرون غلو الروافض فيهم ويتبرؤون منهم ومن غلوهم، ومن ذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرّق الغلاة من الرافضة الذين زعموا أنه الله .

---

(١) الكافي للكليني ١/١٩٤.

(٢) الكافي للكليني ١/٢١٩.

(٣) الكافي للكليني ١/٢٢٧.

(٤) الكافي للكليني ١/٢٢٨.

(٥) الكافي للكليني ١/٢٥٥.

(٦) الكافي للكليني ١/٢٥٨.

(٧) الكافي للكليني ١/٢٦٠.

(٨) الكافي للكليني ١/٢٦٣.

وأقر ابنُ عباس رضي الله عنهما قتلَهم، لكنه يرى قتلهم بغير الإحراق بالنار، كما أن علياً رضي الله عنه أراد قتل عبد الله بن سبأ (وهو رأس الغلاة) لكنه هرب، فلم يقدر عليه[1].

وخطب علي رضي الله عنه على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر ما شاء الله أن يذكر ثم قال: "ألا إنه بلغني أن قوماً يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدُّم. من قال شيئاً من ذلك فهو مفتر، عليه ما على المفتري، خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضي الله عز وجل فيها ما أحب.أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما "[2].

وعن عمرو الأصم[3] قال: قلت للحسن بن علي: إن هؤلاء الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا قسمنا ماله[4].

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب لايعذب بعذاب الله ١٨٠/٦، وانظر نفس المرجع: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة ٣٣٥/١٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر ٣٣٨/١٢- ٣٣٩، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص: (١٨)، الفرق بين الفرق ص: (١٨١- ١٨٣)، الملل والنحل للشهرستاني ٢٠٤/١- ٢٠٥ .

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم: (١٣٩٤) ٥٨٢/٢، ورواه في زوائد المسند برقم: (١٠٥١) ٣١١/٢- ٣١٢، وهو في فضائل الصحابة برقم: (٤٨٤) ٣٣٦/١، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٠٢٧) ٦٨٠/٢ وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) هو أبو حية الوادعي عمرو بن عبد الله الأصم الهمداني الكوفي، من أصحاب علي، ويروي عن ابن مسعود، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة. انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٢٤/٩، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٦٠/٩، الثقات لابن حبان ١٨٠/٥. ولم أجد من ذكر فيه جرحاً ولاتعديلاً.

(٤) رواه عبد الله في زوائد المسند برقم: (١٢٦٦) ٤١٥/٢، ورواه أحمد في فضائل الصحابة برقم: (١١٢٨) ٦٦٢/٢ .

وعن علي بن الحسين رحمه الله أنه قال: يا أهل العراق، أحبونا حب الإسلام، فوالله ما زال حبكم بنا حتى صار شَيناً(١).

وعنه رحمه الله قال:" من زعم منا أهل البيت أو غيره أن طاعته مفترضة على العباد، فقد كذب علينا، ونحن منهم براء، فاحذر ذلك إلا لرسول الله ﷺ، ولأولي الأمر من بعده(٢).

وعن جابر الجعفي(٣) قال: قال لي محمد بن علي [يعني الباقر]: "يا جابر، بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عنهما"(٤).

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٢١٤/٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٢٦٨٢) ١٤٨١/٨، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٠٣٠) ٦٨٣/٢ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٢٦٨٤) ١٤٨١/٨.

(٣) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله، الكوفي، ضعيف رافضي، اتهم بالإيمان بالرجعة، مات سنة: (١٢٧ هـ) وقيل: في التي بعدها، وقيل غير ذلك.انظر: تاريخ الإسلام ٣٨٥/٣- ٣٨٦، تقريب التهذيب ص: (١٩٢- ١٩٣).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ١٨٥/٣، وأخرجه المقدسي في النهي عن سب الأصحاب برقم: (١٦) ص: (٥٩ - ٦٠)، وانظر: آثاراً أخر عن بعض أئمة آل البيت في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٤٧٩/٨- ١٤٨٥.

هذه عقيدة الرافضة في آل البيت يغلون في بعضهم غلواً عظيماً، ويصرفون خالص حق الله تعالى إليهم، ويجفون البعض من آل البيت كما جفوا سائر الصحابة إلا بضعة نفر، وفيمن تنقصوهم وجفوهم من هو أفضل ممن غلو فيهم[١].

أما أهل السنة فإنهم يحبون آل بيت النبي ﷺ من كان منهم مؤمناً بالله تعالى ورسوله ويوالونهم، ولايغلون فيهم ولا يجفون أحداً منهم، ولايناصبونهم العداء، فهم وسط فيهم، كما أنهم وسط في جميع أبواب الاعتقاد.

(١) ولذلك ألف شيخنا العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله رسالة مهمة في هذه المسألة سماها: أغلو في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة.

المطلب الثاني:

من جفا أهل البيت وعاداهم

قابل بدعة الرافضة في الغلو في آل البيت بدعة أخرى، وهي بدعة الطعن في آل البيت ومعاداتهم، وهؤلاء يقال لهم: (النواصب) من الخوارج والمعتزلة[(١)]؛ لأنهم ناصبوا أهل البيت العداء، فقد اعتقدوا أن الرفض هو محبة آل البيت؛ فلذا قابلوا بدعة التشيع لآل البيت والمغالاة فيهم بالتبرؤ منهم ومعاداتهم، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وهؤلاء النواصب المعادون لآل البيت مخالفون للنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تبين وجوبَ محبةِ آل البيت وإكرامِهم وإعطائِهم حقوقَهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ... ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ... ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل..."[(٢)].

ولقد دأب الرافضة على تسمية أهل السنة بالنواصب؛ لأنهم لم يوافقوهم على غلوهم في آل البيت، فعندهم أنه لا ولاء إلا ببراء؛ أي: أنه لا يمكن أن تَتَولى آلَ البيت إلا بالتبرؤ من الصحابة؛ وهذا كذب؛ فإن كانت صدور الرافضة لم تتسع لتولي ومحبة آل البيت والصحابة جميعاً، فقد اتسعت له صدور أهل السنة، وأحبوا الصحابة وآل البيت جميعاً، وترضوا عنهم جميعاً، وقاموا بحق كلٍ من القرابة والأصحاب خيرَ قيام كما تقدم أن ذكرت أقوالهم ولله الحمد والمنة.

---

(١) تقدم ذكر طعن الخوارج والمعتزلة في علي ﷺ ومن كان معه ومن رضي بالتحكيم وتفسيقهم، وبعضهم تجاوز إلى تكفيرهم. انظر ص: (٦٩٨) من هذا البحث. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الخوارج: " وهؤلاء هم الذين نصبوا العداوة لعلي ومن والاه، وهم الذين استحلوا قتله، وجعلوه كافراً، وقتله أحد رؤوسهم: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فهؤلاء النواصب الخوارج المارقون إذ قالوا: إن عثمان وعلي بن أبي طالب ومن معهما كانوا كفاراً مرتدين" مجموع الفتاوى ٤/٤٦٨.

(٢) الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/١٥٢ – ١٥٤.

الفصل الثالث:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم ولاة أمور المسلمين

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: بيان أن المراد بولاة أمر المسلمين هم العلماء والأمراء.

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لولاة أمر المسلمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعظيم علماء المسلمين.

المطلب الثاني: تعظيم أمراء المسلمين.

المبحث الثاني: التعظيم البدعي والتعظيم الشركي لولاة أمر المسلمين.

تمهيد:

بيان أن المراد بولاة أمر المسلمين هم العلماء والأمراء.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد اختلف المفسرون في المراد بأولي الأمر، الذين أمر الله بطاعتهم في هذه الآية.

فقال بعضهم: هم السلاطين والأمراء.

وقال آخرون: هم أهل العلم، وقيل غير ذلك(١).

قال القرطبي رحمه الله بعد أن أورد الأقوال في المراد بأولي الأمر: " وأصح هذه الأقوال الأول والثاني [أي أن المراد الأمراء والعلماء]، أما الأول فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم... وأما القول الثاني فيدل على صحته قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]. فأمر تعالى بِرَدِّ المتنازَعِ فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة، ويدل هذا على صحته كون سؤال العلماء واجباً، وامتثال فتواهم لازماً..."(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله:" والظاهر والله أعلم أن الآية في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء... "(٣).

وقال السعدي رحمه الله:" أَمَرَ بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما، الواجبِ والمستحب، واجتنابِ نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧٧/٥- ١٨٠، تفسير البغوي ٢٣٩/٢، تفسير ابن عطية ٧١/٢- ٧٢، زاد المسير ٤٢٤/١ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٥٠/٥- ٢٥١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٥/٢.

والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعةً لله ورغبةً فيما عنده، ولكن بشرط ألاّ يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكرِهِ مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومَنْ يطعْه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشَرْطُ الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية"[(١)].

فتبين من أقوال المفسرين أن لفظ (ولاة الأمر) يشمل الأمراءَ والعلماءَ، فهم الذين يأمرون الناس ويسوسونهم في أمر دينهم ودنياهم، ولاتستقيم الأمور الدنيوية والأخروية إلا بطاعتهم فيما ليس بمعصية.

---

(١) تفسير السعدي ص: (١٩٨)، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٥٥١، ٢٨/١٧٠.

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي لولاة أمر المسلمين

يجب على المسلمين أن يعظِّموا ولاة الأمور من العلماء والأمراء، وأن يعرفوا لهم منزلتهم، وأن يقدروا ما يقومون به من جهود، وأن يكرموهم ولايهينوهم، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بطاعتهم في المعروف؛ فإن ذلك من أسباب استقامة الأمور وحصول السعادة في الدنيا والآخرة، وهو من أسباب حفظ الدين والدنيا، ومن أسباب قوة المسلمين واجتماعهم وهيبتهم لدى أعدائهم.

قال سهل التستري[١]رحمه الله:" **لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛** فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم "[٢].

وقال القرافي رحمه الله:" ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا بعظمة الأيمة[٣] في نفس الرعية، ومتى اختلف عليهم، أو أهينوا تعذرت المصلحة"[٤].

---

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري، أبو محمد، تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم. من أهل الورع والزهد والتصوف، وكان تنسب إليه كرامات، وله كلمات نافعة، ومواعظ حسنة. توفي سنة: (٢٧٣) وقيل: (٢٨٣هـ) وصوبه الذهبي. انظر: حلية الأولياء ١٠/١٨٩- ٢١٣، وفيات الأعيان ٢/٤٢٩- ٤٣٠، السير ١٣/٣٣٠- ٢٣٣،، الوافي بالوفيات ١٦/١١- ١٢.

(٢) تفسير القرطبي ٥/٢٥١.

(٣) الأيمة لغة في الأئمة.

(٤) الذخيرة للقرافي ١٣/٢٣٤ .

وسيكون الحديث عن التعظيم الشرعي لولاة أمور المسلمين في مطلبين:

المطلب الأول:

تعظيم علماء المسلمين

لقد عظمت الشريعة شأن العلماء، وأعلت منزلتهم بين الناس، ورفعت شأنهم، فهم الأئمة ورؤوس الناس، وأهل الفضل والفضيلة، وهم الذين يبينون للناس دينهم، وهم الأدلاء على الله تعالى وشرعه وما أمر به وماهى عنه، تفضل الله عليهم "فعلَّمهم الكتاب والحكمة وفقَّههم في الدين، وعلَّمهم التأويل وفضَّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العُبّاد، وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكِّرون الغافل، ويعلِّمون الجاهل، لا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف منهم غائلة، بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، والصحيح على من خالف بقولهم محجاج. الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عند ... فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا..."[1].

والمراد بالعلماء الذين نتحدث عن تعظيمهم وتوقيرهم هم علماء الشريعة الموافقون للسنة، لا الذين تلبسوا بشيء من البدع، فأهل البدع لايوقرون ولايبجلون. قال النووي رحمه

(١) أخلاق العلماء للآجري ص: (٥- ٧).

الله في رياض الصالحين: "باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم"[١].

قال ابن علان[٢] رحمه الله:" والمراد علماء السنة والجماعة؛ لما ورد من الوعيد في تعظيم ذي البدعة"[٣].

ومن تعظيم الشريعة للعلماء:

أولاً: أن طاعتهم طاعة لله تعالى، فالله تعالى أمر بطاعتهم مالم يأمروا بمعصية، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء: ٥٩] .

ثانياً: أنهم هم أهل الخشية[٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨]. وأهل الخشية هم أهل الرضا والكرامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة: ٨] .

---

(١) رياض الصالحين مع شرح الشيخ ابن عثيمين ٢٦٥/٥ .

(٢) هو الشيخ محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، مفسر، محدث، مشارك في عدة علوم، ولد بمكة، ونشأ وتوفي بها. من تصانيفه: ضياء السبيل إلى معالم التنزيل في التفسير، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، توفي سنة: (١٠٥٧هـ). انظر: الأعلام ٢٩٣/٦، معجم المؤلفين لكحالة ٥٤/١١- ٥٥.

(٣) دليل الفالحين ٢٠٣/٣.

(٤) انظر: رسالة في الكلام على قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ﴾ [فاطر: ٢٨] للحافظ ابن رجب ضمن مجموع رسائله ٧٦٩/١ – ٨١٠، ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم ضمن مجموع رسائله ٤٠/١- ٤٢.

ثالثاً: أن الله تعالى جعلهم مرجعاً للفتوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٤٣، الأنبياء:٧]. فهم مرجع الناس فيما أشكل عليهم من أمور دينهم، وفي هذا تعديل لهم وتزكية، وتعظيم لشأنهم؛ حيث أُمر بسؤالهم والرجوع إليهم.

رابعاً: أن الله تعالى أخبر عن رفعة درجات العلماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١].

خامساً: أن الله تعالى استشهدهم دون غيرهم من البشر على أعظم مشهود عليه، وهو توحيده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]. قال ابن القيم رحمه الله:" وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم؛ فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه، وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه، وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين؛ فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهنيه الدالة على توحيده..."[(١)].

سادساً: أنهم ورثة الأنبياء وناقلوا علمهم، قال النبي ﷺ: (**وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر**)[(٢)]. قال ابن رجب رحمه الله:" يعني أنّهم وَرِثوا ما جاء به الأنبياء من العِلْم، فَخَلَفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله، والذب عن دينه"[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:" هذا من أعظم المناقب لأهل العلم؛ فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم... وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم؛ فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث... وفيه أيضاً إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم؛ فإنهم ورثة من هذه بعض حقوقهم على الأمة وخلفاؤهم فيهم، وفيه تنبيه على أن محبتَهم من الدين وبغضَهم منافٍ للدين، كما هو ثابت لموروثهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة لله، كما هو في موروثهم... "[(٤)].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/٧٠- ٧١ .

(٢) رواه أحمد برقم: (٢١٧١٥) في تتمة مسند الأنصار، مسند أبي الدرداء ﷺ ٣٦/٤٥- ٤٦، ورواه أبو داود برقم: (٣٦٤١) كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ص: (٥٥١- ٥٥٢)، والترمذي برقم: (٢٦٨٢) كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة ص: (٦٠٤)، وابن ماجه برقم: (٢٢٢) في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٩٢، وصححه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه.

(٣) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم ضمن مجموع رسائله ١/٤٧.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/٩٦ .

سابعاً: أن الله تعالى نفى التسوية بين العلماء وبين غيرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩. فنفي التسوية يدل على علو منزلتهم وفضلهم وعلو مرتبتهم ورفعة شأنهم.

ومايدل على فضل العلم والعلماء ومكانتهم في الإسلام كثير جداً في النصوص[١].

وجوب تعظيم العلماء ومعرفة منزلتهم:

لأهل العلم حق في أن يعظَّموا ويحترموا وتعرف لهم منزلتهم، بسبب ما تحملوه من دين الله، وبلغوه للناس، ووضحوه لهم، ودعوهم إليه، وساسوهم بهم، ودفعوا عنه شبه الغالين وتأويل الجاهلين وتحريف المبطلين.

يقول علي رضي الله عنه في بيان بعض حقوق العالِم:"... وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله..."[٢].

وتعظيم العلماء يكون بأمور:

● **النصيحة لهم:** عن تميم الداري ﷺ: (**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[٣]. فهم من أئمة المسلمين[٤] الذين تجب لهم النصيحة، ونصيحتهم تكون بمحبة الخير لهم، ومحبة سدادهم في شرع الله تعالى، وفيما يلونه من المناصب الدينية من تعليم للعلم وفتيا وقضاء وغير ذلك، وطاعتهم فيما يأمرون به مما ليس بمعصية، وإبداء الرأي ودلالتهم على مايكون خيراً في دعوة الناس لمن كان عنده

---

(١) وقد ذكر ابن القيم رحمه الله مايدل على ذلك من مائة وثلاثة وخمسين وجهاً. انظر: مفتاح دار السعادة ١/٧٠- ٢٥٨.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/٢٥٥.

(٣) تقدم تخريجه ص: (٤٠٤).

(٤) كما تقدم أن العلماء من ولاة الأمر، ونقل النووي عن الخطابي قوله: "وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين".انظر: شرح النووي على مسلم ٢/٢٢٧.

علم أو رأي، وتنبيههم - ممن كان عنده علم - على ما أخطأوا فيه برفق، وترك التشنيع عليهم والطعن فيهم فيما اجتهدوا فيه وأخطأوا، وترك متابعتهم على ما زلوا فيه وجانبوا الصواب، والذب عن أعراضهم. قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن علم منه الاجتهاد السائغ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه، بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته ومحبته، والقيام بما أوجب الله من حقوقه: من ثناء ودعاء وغير ذلك"[١].

ومن النصيحة لهم قبول روايتهم وإحسان الظن بهم[٢].

● **محبتهم وموالاتهم:**

فيجب على المسلمين محبة العلماء فهم أحق الناس بعد الأنبياء بالمحبة والموالاة، وتكون محبتهم وموالاتهم على قدر إيمانهم وتقواهم وعلمهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فيجب على المسلمين -بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ- موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن. خصوصاً العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر . وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمدﷺ فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين؛ فإن علماءهم خيارهم؛ فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا"[٣].

ولاتكون موالاة العالم بالتعصب له ولأقواله، واعتقاد بأن الحق يدور معه حيث دار، وليس من الموالاة المشروعة جعل العالِم مناط الولاء والبراء، فمن وافق ذلك العالمَ والاه وإلا عاداه؛ فإن هذا ليس بموالاة للعالم على الحقيقة، بل هو تعصب مذموم، واعتقاد لعصمة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣٤/٢٨.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ٢٢٧/٢.

(٣) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص: (١١- ١٢)، وانظر: شرح الطحاوية ٧٤٨/٢- ٧٤٩.

الشيخ أن يقع في خطأ، قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾الآية[الروم:٣٢]، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل: اتباع الأئمة والمشايخ؛ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم. فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه، والعمل به فهذا زاجر.

وكمائن القلوب تظهر عند المحن. وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قولَ أصحابه، ولا يناجز عليها، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله، أو أخبر الله به ورسوله، لكون ذلك طاعة لله ورسوله"[1].

- **احترام العلماء وتكريمهم وإجلالهم:**

فمن حقوق العلماء إجلالهم واحترامهم ومعرفة مكانتهم وفضلهم والتأدب معهم تقديراً لما يحملونه من العلم بدين الله تعالى والدعوة إليه والذب عنه، وإذا كان الله تعالى قد أشاد بالعلماء وفضّلهم وبين رفيع منزلتهم؛ فهل يليق بأحد من الناس أن يسيء ويهين من أكرمه الله؟.

بل إن إجلال العالِم وإكرامَه من إجلال الله تعالى: قال النبي ﷺ: (**إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط**)[2].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله:" فمن إجلال الله عز وجل: إجلال أولياء الله ومحبتهم، كما جاء في الأثر: (**من إجلال الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المسلم،**

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٨- ٩.

(٢) رواه أبو داود برقم: (٤٨٤٣) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ص: (٧٢٦) وحسن سنده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١١١٥/٣، وحسنه النووي انظر: رياض الصالحين مع شرح الشيخ ابن عثيمين ٢٧٣/٥، والألباني كما في أحكامه على سنن أبي داود.

وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) وإذا كان ذكرهم وذكر فضائلهم عمل بر؛ فما ظنك بحبهم وإخلاص الود لهم؟"[(١)].

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين: " باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم[(٢)]. وساق عدة أحاديث منها هذا الحديث .

قال ابن علان رحمه الله: " (**وحامل القرآن**) أي قارئه، سمي حاملاً لما تحمل في حفظه من الدرس والمشقة في تفهمه، والعمل بأحكامه وتدبره، فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة. (**غير**) بالنصب على الاستثناء، وبالجر على الوصفية. (**الغالي**) بالمعجمة (**فيه**) المتجاوز الحد في التشدد والعمل به، وتتبع ما خفي منه، واشتبه عليه من معانيه، والكشف عن دقيق علله التي لا يصلح فيها عقله بما يبتدعه في الدين ليضلّ ويضلّ غيره، ويجاوز حدود قراءته ومخارج حروفه ومده. (**والجافي عنه**) أي التارك له، البعيد عن تلاوته، والعمل بما فيه؛ فإن هذا من الجفاء، وهو البعد عن الشيء... وما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ بأحكامه ولا يعمل بها، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً "[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: " وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم؛ فلمن ورثهم نصيب من ذلك، أن يبجّل ويعظّم ويكرم، فلهذا عقد المؤلف رحمه الله لهذه المسألة العظيمة باباً لأنها مسألة عظيمة ومهمة. وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس، ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة. **كما أن ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين يجب احترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وطاعتهم، حسب ما جاءت به الشريعة**؛ لأنهم إذا

---

(١) التمهيد ٦/٣٥٥ .

(٢) رياض الصالحين مع شرح العثيمين ٥/٢٦٥ .

(٣) دليل الفالحين ٣/٢١٢ .

احتقروا أمام الناس، وأذلوا، وهُوِّن أمرهم، ضاع الأمن وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ. فهذان الصنفان من الناس: العلماء والأمراء إذا احتقروا أمام الناس فسدت الشريعة، وفسد الأمن، وضاعت الأمور، وصار كل إنسان يرى أنه هو العالم، وكل إنسان يرى أنه الأمير، فضاعت الشريعة، وضاعت البلاد، ولهذا أمر الله تعالى بطاعة ولاة الأمور من العلماء والأمراء فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[النساء: ٥٩]...فإذا استهان الناس بالعلماء لقال كل واحد: أنا العالم، أنا النحرير، أنا الفهامة، أنا العلامة، أنا البحر الذي لا ساحل له، ولمَاَ بقي عالم، ولصار كلٌ يتكلم بما شاء، ويفتي بماء شاء، ولتمزقت الشريعة بسبب هذا الذي يحصل من بعض السفهاء..."[1].

وقال ﷺ: (**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**)[2].

وقال ﷺ: (**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سِلْما...**)[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٥/٢٦٧- ٢٦٨ .

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم: (٢٣٢٩) ٤/١٧٠، والترمذي برقم: (١٩٢١) كتاب الأدب، باب ماجاء في رحمة الصبيان ص: (٤٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه الألباني، وقال محقق المسند صحيح لغيره. وله شواهد من حديث أنس ﷺ وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجهما الترمذي في الباب المذكور وصححهما الألباني، وأخرج حديث عبد الله بن عمرو الإمام أحمد برقم: (٦٧٣٣) ١١/٣٤٥ وحسنه محققه. كمارواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (٢٢٧٥٥) ٣٧/٤١٦، والحاكم في مستدركه برقم: (٤٢١) ١/١٦٠ من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وحسن إسناده الألباني في الصحيحة برقم: (٢١٩٦) ٥/٢٣٠- ٢٣١ .

(٣) رواه مسلم برقم: (١٥٣٠) كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة؟ ٥/١٧٧- ١٧٨ من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

فهذه النصوص وغيرها كثير[١] تدل على وجوب تعظيم علماء المسلمين السائرين على طريقة السلف الصالح، فهم وراث الأنبياء؛ فإكرامهم وإجلالهم متعين، وهو إكرام للعلم الذي يحملونه، والشريعة التي عنوا بتبيانها للناس.

ولذلك ذكر أهل العلم آداباً يتحلى بها المتعلم نحو شيخه، كلها تصب في إجلال العالم واحترامه وتقديره[٢].

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في سرد بعض تلك الآداب:" فليكن شيخُك محلَّ إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وتركِ التطاول والمماراة أمامه، وعدمِ التقدم عليه بكلام أو مسير، أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال، ولا سيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تناده باسمه مجرداً، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخي! أو يا شيخنا! فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار.

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ... ﴾ الآية[النور: ٦٣] ... والْتَزِمْ توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به.

---

(١) انظر: الترغيب والترهيب للمنذري ١/١٠٦- ١٠٨، رياض الصالحين مع شرح العثيمين ٥/٢٦٥- ٢٧٣ .

(٢) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/٢٤٦- ٢٥٦، أخلاق العلماء للآجري ص: (٣٣)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ص: (٨٥- ١١٢)، نور البصائر والألباب للسعدي ص: (٧٧- ٧٩).

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالماً؟ واحذر أن تعامله بما يضجره، ومنه ما يسميه المولدون: "حرب الأعصاب"، بمعنى: امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، فاستأذنه بذلك؛ فإنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك...واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق"[١].

● **البعد عن الطعن والقدح فيهم:**

لمّا ثبت أن للعلماء واجب المحبة والموالاة والتقدير والإكرام؛ فإن هذا يقتضي البعد عن الطعن والقدح فيهم؛ لما في ذلك من التنفير عنهم، ولما فيه من القدح في الشريعة التي يحملونها، فإذا طُعن في العلماء نفر الناس عنهم وعن علمهم، وتوقفوا عن الاستفادة منهم، فيضعف الدين، وتنطمس الشريعة، ويخلو الجو للمتعالِمين والمبتدعة فيضلوا الناس ويحرفونهم عن الصراط المستقيم.

وكيف يتجاسر أحد أن يتنقص علماء الشريعة الربانيين الذين نطقت النصوص بفضلهم، وأفنوا الأعمار في تعلم العلم من الكتاب والسنة وتعليمه، وأُقر لهم بالتقدم فيه، وشُهد لهم بالاستقامة على دين الله، ورجع الناس إليه في معرفة دين الله مستفتين ومسترشدين؟ إن هذا من الانحراف الخطير الذي له عواقبه السيئة على ذلك الطاعن المنتقِص وعلى الأمة.

ويخشى على الطاعن في العلماء المعادي لهم من الوعيد الشديد الوارد في قول النبي ﷺ: (**إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)[٢].

---

(١) حلية طالب العلم، ضمن المجموعة العلمية للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ص: (١٦٢- ١٦٣).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، باب التواضع ٤١٤/١١ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وإذا طُعن في العلماء وتُنقصوا انعدمت ثقة الناس فيهم، وإذا انعدمت الثقة بالعلماء الكبار المشهود لهم رجع الناس إلى المتعالمين وأهل الجهل والهوى فاستفتوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. وتلك والله ثلمة في الإسلام.

وإذا كانت غيبة عامة المسلمين محرمة، وكان النيل من أعراض المسلمين بغير حق محرماً؛ فإن غيبة العلماء والنيل منهم أشد تحريماً.

قال الحافظ ابن عساكر:"اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم. والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم، إذ قال مثنياً عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدها عليم:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾[الحشر:١٠]"[(١)].

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله:"وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل"[(٢)].

- **تلقي العلم عنهم، واستفتاؤهم فيما أشكل على الإنسان:**

فالعلماء هم ورثة الأنبياء فيؤخذ منهم علم الوحي من الكتاب والسنة، ويسألون عما أشكل من أمور الدين، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. فأمر بسؤال أهل العلم حين لا يعلم الإنسان حكم الله تعالى، ومفهوم المخالفة المنع من سؤال غير العلماء وتحريم سؤالهم.

---

(١) تبيين كذب المفتري ص: (٢٨).

(٢) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٧٤٨/٢.

وقد حذر أهل العلم من الاكتفاء بأخذ العلم من بطون الكتب دون الرجوع إلى العلماء، قال ابن جماعة[1] رحمه الله:" قال الشافعي رضي الله عنه: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام. وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية تشيخ الصحيفة، أي: الذين تعلموا من الصحف"[2].

"وقد قالوا: إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال"[3].

---

(١) هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، بدر الدين، أبو عبد الله الكناني الحموي. ولي القضاء في القدس ومصر والشام، ودرَّس بدمشق، وولي خطابة القدس ودمشق، وسار في القضاء سيرة حسنة، وله مشاركة حسنة في علوم الإسلام مع دين وتعبد، له نظم ونثر وخطب، وجلالة وعقل وخلق، وكان على المذهب الأشعري. توفي سنة: (٧٣٣هـ). انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي ٢/١٣٠- ١٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٩/١٣٩-١٤٦، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٢٨٠-٢٨٢.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص: (٨٧).

(٣) الموافقات للشاطبي ١/١٤٠.

المطلب الثاني:

تعظيم أمراء المسلمين

أمراء المسلمين لهم حق في الإجلال والإكرام والاحترام والسمع والطاعة في المعروف؛ فهذا مما أوجبه الشرع، لما في ذلك من رعاية حقهم وإنزالهم منزلتهم، ولما فيه من حفظ الأمن واستتبابه، واستقامة الأحوال، ونصرة المظلوم وردع الظالم، واجتماع كلمة الأمة وقوتها أمام أعدائها الظاهرين والمستترين، ولما في ذلك أيضاً من حفظ الدماء وتسكين الدهماء.

وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة[١].

وقد عقد الإمام ابن أبي عاصم رحمه الله في كتابه السنة بابين أحدهما بعنوان: "باب ماذكر عن النبي ﷺ من أمره بإكرام السلطان وزجره عن إهانته "، والآخر بعنوان: "باب ما ذكر في فضل تعزير الأمير وتوقيره" وذكر في البابين عدة أحاديث[٢].

منها: قول النبي ﷺ: **(من أكرم سلطان الله أكرمه الله، ومن أهان سلطان الله أهانه الله)**[٣].

---

(١) جملة: لا دين إلا بجماعة... هي من أثر عن عمر رضي رضي الله عنه رواه الدارمي في سننه ٣١٥/١ بلفظ: " يا معشر العُرَيب، الأرضَ الأرضَ، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة". وهي مشهورة في كلام أهل العلم. انظر: الدرر السنية ٦١/٩، ١١٤، ١٨٨، معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للبرجس ص: (٧).

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم ٦٩٤/٢ – ٦٩٨.

(٣) السنة لابن أبي عاصم ٦٩٤/٢، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال محققه: إسناده حسن، ورواه أحمد برقم: (٢٠٤٣٣) في مسند البصريين، حديث أبي بكرة رضي الله عنه ٧٩/٣٤، ورواه الترمذي برقم: (٢٢٢٤)كتاب الفتن، باب رقم: (٤٧) ص: (٥٠٣) وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الهيثمي في المجمع ٢١٥/٥: رجال أحمد ثقات. وقال الألباني: حسن.

وقولهﷺ: " **خمس من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه، وسلم من الناس)**[١].

وتعظيم أمراء المسلمين يكون بأمور، منها:

أولاً: النصيحة لهم، والنصيحة لفظ عام يشمل أموراً كثيرة فهي من الكلمات الجوامع، عن تميم الداري ﷺ: (**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[٢].

قال النووي رحمه الله:" وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم. قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يُغَرُّوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح"[٣].

---

(١) السنة لابن أبي عاصم ٦٩٦/٢، من حديث معاذ ﷺ، وقال محققه: حديث صحيح، ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ وقد توبع كما سيأتي في الحديث القادم. ورواه أحمد برقم: (٢٢٠٩٣) في تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل ﷺ ٤١٢/٣٦، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره، الترغيب والترهيب للمنذري مع أحكام الألباني على أحاديثه ٥٣٨/٢- ٥٣٩، وقال عن لفظ آخر للحديث: صحيح ٥٥٣/٢. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٤٧/٧ - ١١٥١.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٤٠٤).

(٣) شرح النووي على مسلم ٢٢٧/٢ .

وقال الحافظ ابن رجب: " وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ﷻ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله ﷻ "[١].

ومن النصيحة لولي الأمر: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يخاف عليه منه، ومن كل شيء يخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله:" والنصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم، والجهاد معهم، والمحافظة على بيعتهم، وإهداء النصائح إليهم دون المدائح التي تَغُرّ"[٣].

ومناصحة ولاة الأمر وتنبيههم على ما يقع منهم من أخطاء يجب أن يكون سراً بين المناصِح وولي الأمر، وإلا كانت فضيحة لانصيحة، تضر ولاتنفع، وإذا كان عامة الناس قد يتبرمون من مناصحتهم أمام الملأ، وقد يعميهم ذلك عن قبول الحق، ويصرفهم إلى العناد والاستكبار عن قبول الحق؛ فولاة الأمر أحرى أن تمنعهم النصيحة المعلنة أمام الناس من قبول الحق خوفاً على مرتبتهم، وحفاظاً على مكانتهم الاجتماعية في الغالب.

ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ: **(من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له)**[٤]،[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٢٢/١، وانظر: حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين ص: (٦- ٧).

(٢) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة ص: (٦٣).

(٣) كشف المشكل في حديث الصحيحين ٢١٩/٤.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم: (١٥٣٣٣) ٤٨/٢٤ – ٤٩، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢) من حديث عياض بن غُنم ، وصححه الألباني في تخريج السنة ٥٢٢/٢.

(٥) انظر في هدي السلف في كيفية نصح ولاة الأمر كتاب: طريقة السلف في نصح السلاطين وذوي الشرف للشيخ عبد المالك رمضاني فقد أجاد وأفاد.

ثانياً: محبتهم وموالاتهم:

فمن تكريم ولاة أمور المسلمين ومن تعظيمهم: محبتهم وموالاتهم. فيحبهم المسلم لما يقومون به من أمور يحصل بها حفظ الدين والدنيا، فهم إنما وضع منصبهم وهو الإمامة ليكونوا خلفاء للأنبياء في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، كما قال الحسن البصري رحمه الله:" هم يَلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود. والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا. والله لما يُصلح الله بهم أكثر مما يُفسدون، مع أن طاعتهم والله لغبطة، وإن فرقتهم لكفر"[١]. والمراد بقوله:"وإن فرقتهم لكفر" أي كفر دون كفر، وليس بالكفر الأكبر.

وقال رسول الله ﷺ: (**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**)، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: (**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة**)[٢].

ومعنى يصلون: يدعون[٣].

فمن علامة الخير في الأمة: المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية، ودعاء كل منهم للآخر، وإذا رُؤي الرجل يدعو لولي الأمر فهذه علامة خير إن شاء الله. قال الإمام البربهاري رحمه الله:" وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل

---

(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص: (١٢١)، جامع العلوم والحكم لابن رجب ١١٧/٢.

(٢) رواه مسلم برقم: (٤٧٨١)، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم ٤٤٦/١٢- ٤٤٧ من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ٤٤٧/١٢.

يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله. لقول فضيل[(١)]: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان... قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا.

قال: إذا جعلتها في نفسي لم تَعْدُني، وإذا جعلتها في السلطان صَلَحَ، فَصَلَح بصلاحه العباد والبلاد[(٢)]. فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نُؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"[(٣)].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في شرح هذا الحديث:" فيه دليل على مشروعية محبة الأئمة والدعاء لهم، وأن من كان من الأئمة محباً للرعية ومحبوباً لديهم وداعياً لهم ومدعواً له منهم فهو من خيار الأئمة، ومن كان باغضاً لرعيته، مبغوضاً عندهم يسبهم ويسبونه؛ فهو من شرارهم..."[(٤)].

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله عمن يمتنع من الدعاء لولاة الأمر، فقال: " هذا من جهله، وعدم بصيرته؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، **ومن النصيحة لله ولعباده**، والنبي ﷺ لما قيل له: إن دوساً عصت، وهم كفار، قال: (**اللهم اهد دوساً وائت بهم**)[(٥)]؛ فهداهم الله وأتوه مسلمين.

---

(١) هو الإمام القدوة الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بمكة، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيَوْرد، وارتحل في طلب العلم،كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً،كثير الحديث.توفي سنة: (١٨٧ هـ).انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٠٠، حلية الأولياء ٨/٨٤- ١٣٩، سير أعلام النبلاء ٨/٤٢١ - ٤٤٢.

(٢) قول الفضيل بن عياض رواه البربهاري بسنده في شرح السنة في هذا الموضع ص: (١١٣)، ورواه أبو نعيم في الحلية ٨/٩١.

(٣) شرح السنة للبربهاري ص: (١١٣ - ١١٤).

(٤) نيل الأوطار ٧/٢٠٦.

(٥) رواه البخاري برقم: (٢٩٣٧) كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى، ومسلم برقم: (٦٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار ١٦/٢٩٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالمؤمن يدعو للناس بالخير، والسلطان أولى من يدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصح: أن يوفق للحق، وأن يعان عليه، وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء، فالدعاء له بالتوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل وصلاح البطانة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات..."[(١)].

ومحبتهم وموالاتهم تقتضي مناصحتهم ودلالتهم على الخير وحثهم عليه، فعن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: (**نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحملها، فرب حامل الفقه فيه غير فقيه، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**)[(٢)].

قوله: (**لا يغل**) أي: لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم، بل يحبهن ويرضاهن[(٣)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث؛ إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصولَ الدين وقواعدَه وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة. وبيان ذلك أن الحقوق قسمان: حق لله وحق لعباده، فحق الله أن نعبده ولا نشرك به شيئاً... وحقوق العباد قسمان: خاص وعام؛ أما الخاص فمثل بر كل إنسان والديه، وحق زوجته وجاره؛ فهذه من فروع الدين؛ لأن المكلف قد يخلو عن وجوبها عليه؛ ولأن مصلحتها خاصة فردية. وأما الحقوق العامة فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة مناصحتهم؛ وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم، وهم لا يجتمعون على ضلالة؛ بل

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٨/٢١٠.

(٢) رواه أحمد برقم: (١٣٣٥٠)، مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ٢١/٦٠- ٦١، وصححه محققه.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/٥٢.

مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعاً؛ فهذه الخصال تجمع أصول الدين"[١].

ثالثاً: إجلالهم واحترامهم:

قال النبي ﷺ: (**إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط**)[٢]. قال ابن علان: (**وإكرام ذي**) أي صاحب (**السلطان**) أي الملك والتسلط (**المقسط**) بضم الميم: أي العادل في حكمه بين رعيته "[٣].

قال ابن جماعة الكناني رحمه الله في سياق ذكره لبعض حقوق ولي الأمر:" أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس من السنة"[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين **يجب احترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وطاعتهم، حسب ما جاءت به الشريعة**؛ لأنهم إذا احتقروا أمام

(١) مجموع الفتاوى ١/١٨- ١٩.

(٢) رواه أبو داود برقم: (٤٨٤٣) كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ص: (٧٢٦) وحسن سنده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١١١٥/٣، وحسنه النووي انظر: رياض الصالحين مع شرح الشيخ ابن عثيمين ٢٧٣/٥، والألباني كما في أحكامه على سنن أبي داود.

(٣) دليل الفالحين ٢١٢/٣.

(٤) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص: (٦٣).

الناس، وأُذِلوا، وهُوِّن أمرهم؛ ضاع الأمن، وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ "[١].

رابعاً: السمع والطاعة لهم ولزوم بيعتهم وترك الخروج عليهم:

من حقوق ولاة الأمر ومما يدل على احترامهم وإنزالهم منزلتهم السمع والطاعة لهم في المعروف، وعدم الافتئات عليهم، وعدم الخروج عليهم؛ فإن في الافتئات عليهم والخروج عن طاعتهم ونقض بيعتهم شرور ومفاسد عظيمة هي أضعاف أضعاف ما يحصل منهم من الظلم والجور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: (**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة**)[٢].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بِشَرٍّ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: (**نعم**)، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: (**نعم**)، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: (**نعم**)، قلت: كيف؟ قال: (**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**)، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: (**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع**)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢٦٧/٥، وانظر: نور البصائر والألباب للسعدي ص: (٦٥- ٦٦).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٩٣) كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى ٢٣٩/٢ .

(٣) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٣٣٠٦) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٧٥٢/٦، ومسلم برقم: (٤٧٦١) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ٤٣٩/١٢- ٤٤٠ وهذا اللفظ لمسلم.

وقال ﷺ في وصية له في آخر حياته: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**)(١) .

وقد بلغ من اهتمام الشرع بقضية طاعة ولاة الأمر والسمع لهم في المعروف: أن جعل طاعتهم من طاعة الله تعالى ورسولهﷺ، وعصيانَهم معصيةً لله ورسوله، فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول اللهﷺ أنه قال: (**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**)(٢). وفي لفظ لمسلم: (**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**)(٣).

ويجب الوفاء ببيعة ولاة الأمر وعدم نقضها، قال النبي ﷺ: (**من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية**)(٤).

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٣٠).

(٢) رواه البخاري برقم: (٧١٧٣) كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]. ١٣/١٣٨، ومسلم برقم: (٤٧٢٦) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/٤٢٧.

(٣) رواه مسلم برقم: (٤٧٢٤) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٢/٤٢٦ – ٤٢٧.

(٤) رواه مسلم برقم: (٤٧٧٠) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ١٢/٤٤٣، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: (**من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً، فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية**)[١].

والأحاديث في الباب كثيرة جداً[٢]، مما يدل على عظم اهتمام النبي ﷺ بهذه المسألة، وهو من جملة حرصه على استقامة أحوال الأمة ونجاتها من الفتن والشرور.

قال الإمام أحمد رحمه الله: " والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين.

والغزو ماض مع الإمام إلى يوم القيامة البر والفاجر، لا يترك، وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض، ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة، نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه بَراً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّاه جائزة، باقية، تامة، ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم ... ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كانوا اجتمعوا عليه، وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة؛ فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس؛ فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق"[٣].

---

(١) رواه مسلم برقم: (٤٧٦٨) كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ١٢/٤٤٢- ٤٤٣، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وقد ذكر الإمام مسلم في صحيحة جملة كبيرة من تلك الأحاديث انظرها في كتاب الإمارة من صحيحه، ١٢/٤٠٥- ١٣/١٥.

(٣) أصول السنة للإمام أحمد ص: (٤٢- ٤٧)، وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة كما يرويه حرب بن إسماعيل الكرماني ص: (٥٢- ٥٥).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[١].

خامساً: نشر محاسنهم في رعيتهم:

فمن تعظيم ولاة أمور المسلمين: نشر محاسنهم في الرعية وبيان جهودهم في خدمة الدين وفي خدمة الناس؛ ليلزموا بيعتهم، ولتأتلف القلوب عليهم، وليدعو لهم.

ومن إهانة ولاة الأمر: نشر معايبهم والقدح فيهم أمام الناس، والطعن فيهم، وإيغار الصدور عليهم. وفي هذا وعيد شديد كما تقدم في قول النبي ﷺ: **(من أكرم سلطان الله أكرمه الله، ومن أهان سلطان الله أهانه الله)**[٢].

قال ابن جماعة رحمه الله في بيان بعض حقوق ولي الأمر:" رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة"[٣].

سادساً: الحذر من القدح والطعن فيهم:

فسب ولاة الأمر والقدح فيهم والوقيعة في أعراضهم جرم كبير لما يترتب عليه من المفاسد؛ وهو البوابة الموصلة إلى الخروج على ولاة الأمر ونقض بيعتهم.

وإذا كانت الوقيعة في أعراض عوام المسلمين وغيبتهم محرمة؛ فكيف بغيبة ولاة الأمر؟؛ فإن حقهم أعظم من حق عامة الناس، والمفاسد المترتبة على القدح فيهم أعظم بكثير من الوقيعة في غيرهم.

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٥٧٥- ٥٧٦.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٧٥٧).

(٣) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ص: (٦٤).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: (**لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب**)(١).

وعن زياد بن كسيب العدوي(٢)، قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر(٣) وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال(٤): انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**)(٥).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: " وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامه"(٦).

وإن رؤي منهم مالايستحسن يلتمس العذر لهم مع مناصحتهم من أهل العلم. قال الإمام الطرطوشي رحمه الله:" وكان العلماء يقولون: إن استقامت لكم أمور السلطان فأكثروا

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (١٠٤٩) ٦٩٣/٢، وقال محققه: إسناده حسن . وقال الشيخ الألباني: إسناده جيد ورجاله ثقات... كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة للألباني)٤٨٨/٢ .

(٢) زياد بن كُسَيب (بالتصغير) العدوي، البصري، مقبول، روى له الترمذي والنسائي حديثاً واحداً. انظر: تهذيب الكمال ٥٠٤/٩، تقريب التهذيب ص: (٣٤٧).

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كريز القرشي، الذي افتتح إقليم خراسان، رأى النبي ﷺ، وروى عنه حديثاً، وهو ابن خال عثمان رضي الله عنه، وأبوه عامر: هو ابن عمة رسول الله ﷺ: البيضاء بنت عبد المطلب، ولي البصرة لعثمان ولمعاوية، وكان سخياً كريماً شجاعاً توفي سنة: (٥٩ هـ). انظر: الإصابة ١٤١٢/٢، السير ١٨/٣- ٢١.

(٤) قال القارئ: لعله أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، ولده بلال كان والياً على البصرة. انظر: مرقاة المفاتيح ٢٤٠٧/٦، ونقله في تحفة الأحوذي ٨٦/٦، وقال الحافظ الذهبي: أبو بلال: هو مرداس بن أدية، من الخوارج. سير أعلام النبلاء ٢٠/٣، وتسميته بمرداس أبو بلال جاء مصرحاً به عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥٥/٢٩.

(٥) تقدم تخريجه ص: (٧٥٧).

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم: (٨٩٥٩) ٤٤٢/١٣.

حمد الله تعالى وشكره، وإن جاءكم منه ما تكرهون وجهوه إلى ما تستوجبونه بذنوبكم، وتستحقونه بآثامكم، فأقيموا عذر السلطان بانتشار الأمور عليه، وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة، واستئلاف الأعداء، ورضاء الأولياء، وقلة الناصح، وكثرة المدلس والفاضح"[1].

وقال المناوي[2] رحمه الله:" السلطان جعله الله معونة لخلقه، فيصان منصبه عن السب والامتهان؛ ليكون احترامه سبباً لامتداد فيء[3] الله، ودوام معونة خلقه، وقد حذر السلف من الدعاء عليه؛ فإنه يزداد شراً، ويزداد البلاء على المسلمين"[4].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" فاللهَ اللهَ في منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها.

---

(١) سراج الملوك للطرطوشي ص: (٤٨).

(٢) هو محمد: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، تفرغ للبحث والتصنيف. وكان صاحب زهد وعبادة وتصوف، له نحو ثمانين مصنفاً منها: فيض القدير، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. توفي سنة: (١٠٣١ هـ) . انظر: خلاصة الأثر للمحبي ٤١٢/٢- ٤١٦، الأعلام ٢٠٤/٦.

(٣) فيء الله، أي: ظل الله، ومن مشهور كلام أهل السنة أنهم يسمون السلطان ظل الله. انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين ص: (٢٧٥). ومعنى كونه ظل الله أي يدفع الله به الأذى عن الناس كما أن الظل يدفع حر الشمس، وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتكريم. انظر: معاملة الحكام ص: (٥٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٥/٣٥ – ٤٦ .

(٤) فيض القدير للمناوي ٣٩٩/٦.

فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر، ضاع الشرع والأمن، لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم، وحصل الشر والفساد. فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب.

وليعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة"[(١)].

هذه بعض الجوانب التي يتبين منها وجوب إكرام ولاة الأمر وتعظيمهم والسمع والطاعة لهم في غير معصية الله، وهي مسألة عظيمة يخطئ فيها كثير من الناس في ماضي العصور وفي عصرنا كثر الخطأ والانحراف في هذه المسألة من أهل الحماس غير المنضبط، وكذا ممن تأثر بأفكار الخوارج، والخوارج اشتهروا بمنازعة ولاة الأمر والخروج عليهم ونقض بيعتهم مخالفين بذلك الأحايث الصحيحة الكثيرة ومخالفين لما قرره علماء الإسلام في مؤلفاتهم التي لايخلو أغلب الكتب التي ألفوها في العقائد من ذكر هذه المسألة، خاصة في وقت الفتن حيث تشتد الحاجة إليها[(٢)].

---

(١) حقوق الراعي والرعية لابن عثيمين ص: (٢٩- ٣٠).

(٢) ومن الكتب المخصصة في هذه المسألة: الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموع فتاويه ٢٨/٢٤٤ – ٣٩٧، كثير من الجزء السابع من الدرر السنية، الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية للشيخ: محمد بن عبد الله بن سبيل رحمه الله، معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة للدكتور: عبد السلام البرجس رحمه الله، الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم له أيضاً، نبذة مفيدة عن حقوق ولاة الأمر للدكتور: عبد العزيز العسكر، مفهوم الجماعة والإمامة للدكتور: سليمان أبا الخيل، ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة وأثرها على الأمة لخالد الظفيري. وغيرها كثير.

المبحث الثاني:

التعظيم البدعي والتعظيم الشركي لولاة أمر المسلمين.

تقدم فيما سبق كيفية التعظيم الشرعي لولاة أمور المسلمين وأنه يقوم على التوسط في حالهم؛ فتعرف لهم منزلتهم، ويحترمون ويقدرون، ومع هذا لايجوز الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم، أو اعتقاد عصمتهم، أو أن الحق يدور معهم حيث داروا، ونحو ذلك.

ومن المسلمين من انحرف في هذا الباب وخالف الحق في هذه المسألة فوقع في أحد الطرفين المتضادين، إما في الغلو في ولاة الأمر من العلماء والأمراء، أو وقع في الجفاء في حقهم.

فمن التعظيم المحظور لولاة أمر المسلمين:

أولاً: اتباع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ماحرم الله: وهذا من الأمور الخطيرة؛ فإن التشريع والتحليل والتحريم مرجعه ومرده إلى الله تعالى، فالحلال ما أحله الله تعالى، والحرام ماحرمه، فإذا أطاع أحد عالماً أو أميراً فيما يخالف حكم الله معتقداً ذلك مستحلا له، مع علمه بمخالفته لحكم الله سبحانه؛ فقد جعله متصرفاً مشرِّعاً مع الله تعالى، وجعله شريكاً ونداً لله تعالى في الطاعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[التوبة: ٣١] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله:"﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ ﴾وهم علماؤهم ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ ﴾ أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يُحِلُّون لهم ما

حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها"[١].

ومما يوضح هذه الآية ويبينها: مارواه عدي بن حاتم ﵁ قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (**يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك**)، فطرحته، فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: (**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟**) قلت: بلى، قال: (**فتلك عبادتهم**)[٢].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله: " وهذا قد وقع في كثير من الناس مع من قلدوهم، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك.

ومنهم من يغلو في ذلك، واعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره، أو يحرم، فعظمت الفتنة. ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد، وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام[٣] كما قال شيخنا[٤] رحمه الله في المسائل[٥]: فتغيرت الأحوال، وآلت إلى هذه الغاية؛ فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي

---

(١) تفسير السعدي ص: (٣٨١- ٣٨٢).

(٢) رواه الترمذي برقم: (٣٠٩٥) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة ص: (٦٩٤)، ورواه ابن جرير في تفسيره ١٠/١٣٠- ١٣١، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٩٢/١٧، وقال حديث غريب. وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٦٧/٧، وحسنه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي.

(٣) انظر رد العلامة ابن أبي العز الحنفي رحمه الله على أحد هؤلاء المتعصبة في رسالة مفيدة سماها: الاتباع.

(٤) يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(٥) أي مسائل باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، وهي المسألة الخامسة. انظر: كتاب التوحيد مع شرح العثيمين ١٦٥/٢ .

أفضل الأعمال، ويسمونها: ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه. ثم تغيرت الحال إلى أن عُبد من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين"[١].

وقد بين أهل العلم أن طاعة العلماء والأمراء فيما يخالف شريعة الله تعالى لها أقسام:

الأول: أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم، مقدماً له، ساخطاً لحكم الله؛ فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله، فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله؛ فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله، وعالماً بأنه أمثل، وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره، كأنه يريد مثلاً وظيفة؛ فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق، وله حكم غيره من العصاة.

الثالث: أن يتابعهم جاهلاً، فيظن أن ذلك حكم الله؛ فينقسم إلى قسمين:

أ- أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه؛ فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب- أن لا يكون عالماً، ولا يمكنه التعلم، فيتابعهم تقليداً، ويظن أن هذا هو الحق؛ فهذا لا شيء عليه؛ لأنه فعل ما أُمر به، وكان معذوراً بذلك، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن (**من أفتي بغير علم؛ فإنما إثمه على من أفتاه**)[٢]. لو قلنا: بإثمه بخطأ غيره؛ للزم من ذلك الحرج والمشقة، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه"[٣].

---

(١) فتح المجيد ٢/٦٥٣- ٦٥٤ .

(٢) رواه أحمد برقم: (٨٧٧٦) مسند المكثرين، مسند أبي هريرة ﷺ ١٤/٣٨٤، ورواه أبو داود في سننه برقم: (٣٦٥٧) كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا ص: (٥٥٣- ٥٥٤) والحاكم في المستدرك برقم: (٤٦٣) ١/١٦٥ وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

(٣) القول المفيد ٢/١٥٧- ١٥٨، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٧/٦٧- ٧٢، ٢٢/٢٥٢- ٢٥٣.

ثانياً: الغلو فيهم بالمدح والثناء:

وهذا يقع كثيراً من الجهلة والمتزلفين إلى العلماء والولاة، فيبالغ أحدهم في مدح العالم أو الأمير، وقد يضفي عليه من الألقاب ما لايستحق، وربما وصفه بصفات لايجوز أن يوصف بها إلا الله تعالى. كما يقول أحد الشعراء في مدح أحد الأمراء:

فكن كما شئت يا من لا شبيه له وكيف شئت فما خلق يدانيكا(١).

ويقول آخر:

ولله علم ليس يحجب دونكم ... ولكنه عن سائر الناس محجوب(٢).

ويقول:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار(٣).

فانظر كيف قد أوصل مدحُ المخلوقين والمبالغة في تعظيمهم على غير ما حدده الشرع إلى وصفهم بالصفات التي لاتكون إلا لله تعالى، وإلى الوقوع في الكذب وقول الزور.

ثالثاً: القيام على رؤوسهم تعظيماً لهم:

فمن التعظيم الممنوع للعلماء أو الأمراء وسائر الكبراء: ما يفعله بعض الناس من القيام على رؤوسهم وهم قعود من غير حاجة، تعظيماً لهم، وهذا قد نهى عنه النبي ﷺ وبين أنه من صنيع الكفرة في تعظيم ملوكهم؛ فالواجب على المسلمين ترك التشبه بهم.

عن جابر رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ، فصلينا وراءه، وهو قاعد، وأبو بكر يُسمِع الناسَ تكبيرَه، فالتفت إلينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعوداً، فلما سلم

---

(١) البيت للشاعر المشهور أبي الطيب المتنبي يمدح عبد الله بن يحيى البحتري . انظر: ديوانه ص: (٥٢) مع شرح عبد الرحمن المصطاوي، وانظر: فتح البرية بتلخيص الحموية ص: (١٩).

(٢) البيت للشاعر أبي هانئ الأندلسي (ت: ٣٦٢ هـ) يمدح المعز العبيدي وهو في ديوانه ص: (٩٥).

(٣) البيت من قصيدة يمدح بها المعز أيضاً. انظر: ديوان أبي هانئ الأندلسي ص: (٣٦٥).

قال: (**إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم، وهم قعود، فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً**)(١).

بوب عليه الإمام البخاري في الأدب المفرد بقوله:" باب قيام الرجل للرجل القاعد"(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: " فيه النهي عن قيام الغلمان والتباع على رأس متبوعهم الجالس لغير حاجة"(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد؛ لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود"(٤).

وقال ﷺ:(**من سره أن يتمثل له الرجال قياماً؛ فليتبوأ مقعده من النار**)(٥).

ترجم له الإمام البخاري في الأدب المفرد بقوله:" باب قيام الرجل للرجل تعظيماً"(٦).

أما القيام على رأس الرجل لحاجة؛ كخوف عليه من عدو، أو من أجل إغاظة عدو، ونحو ذلك، فلا بأس به؛ فقد جاء في قصة صلح الحديبية: (والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف، وعليه المغفر...)(٧).

---

(١) تقدم ص: (٣٣).

(٢) الأدب المفرد ص: (٣٤٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٥٦/٤ .

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٧٦/١ .

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٩٧٧) ص: (٣٦١- ٣٦٢)، وأبو داود برقم: (٥٢٢٩) كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ص: (٧٨٢)، والترمذي برقم: (٢٧٥٥) كتاب الأدب، باب ماجاء في كراهية قيام الرجل للرجل ص: (٦١٩) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في الصحيحة برقم: (٣٥٧) المجلد الأول، القسم الأول ص: (٦٩٤).

(٦) الأدب المفرد ص: (٣٦١).

(٧) رواه البخاري برقم: (٢٧٣١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد ٤٠٣/٥- ٤٠٨ من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان بن الحكم.

قال ابن القيم رحمه الله:" وفي قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف – ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد – سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر وتعظيم الإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبي ﷺ بقوله: (**من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار**) كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره"[(١)].

وقد بين أهل العلم أن القيام ثلاثة أقسام:

الأول: القيام على الرجل، وهو محرم إلا لحاجة كما تقدم.

الثاني: القيام له، وهو منهي عنه.

الثالث: القيام إليه لتلقيه واستقباله والسلام عليه، فلا بأس به[(٢)].

أما القيام للرجل إذا أقبل: حيث يقام للشخص إذا أقبل بدون مصافحة له، إنما هو قيام وجلوس؛ فهذا مكروه، والأولى تركه، لم يكن يفعله الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ لما يعلمون من كراهته لذلك، ولايشرع إلا لتلقي من قدم من سفر ونحوه، قال شيخ الإسلام رحمه الله:" لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺوخلفائه الراشدين: أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام، كما يفعله كثير من الناس؛ بل قد قال أنس بن مالك:" لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته

(١) زاد المعاد ٣/٣٧٠- ٣٧١.

(٢) انظر: تهذيب السنن لابن القيم المطبوع بحاشية مختصر أبي داود للمنذري ٨/٨٤، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٤٠٦- ٤١٤، شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين (ط: ١٤٢٦ هـ) ١/١٥٥- ١٥٨، فتاوى اللجنة الدائمة (ط: الخامسة) ١/٢٢٨- ٢٣٠، مجموع فتاوى الإمام ابن باز ٤/٣٩٤ — ٣٩٥، شرح سنن أبي داود للشيخ العباد، الدرس رقم: (٥٩٢) من الدروس الصوتية المفرغة من موقع الشبكة الإسلامية.

لذلك"[١]؛ ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقياً له كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة[٢]، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: **(قوموا إلى سيدكم)**[٣]، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة؛ لأنهم نزلوا على حكمه. والذي ينبغي للناس: أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله ﷺ؛ فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه. وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد.

وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن.

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو تُرِك لاعتقد أن ذلك لترك حقه، أو قصد خفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة؛ فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات

---

(١) رواه أحمد في عدة مواضع من مسنده، منها برقم: (١٢٣٤٥) ١٩/٣٥٠، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٩٤٦) ص: (٣٤٣)، والترمذي برقم: (٢٧٥٤) كتاب الأدب، باب ماجاء في كراهية قيام الرجل للرجل ص: (٦١٩)، وقال الترمذي حسن صحيح غريب. وصححه الألباني وقال عنه: على شرط مسلم. انظر: الصحيحة برقم: (٣٥٨) المجلد الأول، القسم الأول ص: (٦٩٨).

(٢) الحديث الذي فيه النص على تلقي النبي ﷺ لعكرمة رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم: (١٠٢١) ١٧/٣٧٣. ورواه الترمذي برقم: (٢٧٣٥) كتاب الاسئذان، باب ماجاء في مرحباً ص: (٦١٥) بدون ذكر تلقي النبي له، كما رواه الحاكم برقم: (٥٠٥٩) ٣/٣٠٣- ٣٠٤. وصحح إسناده، لكن تعقبه الذهبي بأنه منقطع. وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بصحيح. وضعفه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي.

(٣) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٣٠٤٣) كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل ٦/١٩٨، ورواه مسلم برقم: (٤٥٧١) كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد ١٢/٣١٣- ٣١٤ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

البين، وإزالة التباغض والشحناء. وأما مَن عَرف عادة القوم الموافقة للسنة: فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ:(**من سره أن يتمثل له الرجال قياماً؛ فليتبوأ مقعده من النار**)[١]؛ فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء؛ ولهذا فرقوا بين أن يقال قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد"[٢].

أما القيام إلى الرجل لتلقيه واستقباله والسلام عليه والأخذ بيده فهو جائز، بل هو من السنة[٣]، ومما يدل على ذلك: قول النبي ﷺ للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: (**قوموا إلى سيدكم**)[٤].

وما وقع من بعض الصحابة ﭫ في حضرة النبي ﷺ من تلقيهم لكعب بن مالك ﭬ لتهنئته بتوبة الله تعالى عليه، قال كعب:"... وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنّاني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة..."[٥].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٧٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٧٤- ٣٧٥ .

(٣) انظر: مجموع فتاوى الإمام ابن باز ٤/٣٩٥.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٧٧٧).

(٥) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٤١٨) كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك ٨/١٤١- ١٤٥، ومسلم برقم: (٦٩٧٤) كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ١٧/٨٩- ٩٨ .

رابعاً: الذبح عند قدوم الأمير أو بحضرته تعظيماً له:

فمما يفعله بعض أهل الجهل والضلال الذبح عند قدوم الأمير أو السلطان إلى بلد، فيذبح في طريقه أو في وجهه، ليس ضيافة له من أجل أن يأكل منها، بل يقصدون من وراء ذلك التقربَ إليه وتعظيمه، وهذا من الذبح لغير الله تعالى[١]، وهو من الشرك الأكبر الناقل عن ملة الإسلام، ومن التعظيم الذي لايجوز لمخلوق.

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله:" أن يذكر اسم الله على الذبيحة، أو على المنحور، ويكون قصده بالذبح أن يتقرب به للسلطان، أو للملِك، أو لأميرٍ ما، كما يحدث عند بعض البادية، وكذلك بعض الحضر، إذا أرادوا أن يعظموا ملكاً قادماً، أو أميراً، أو سلطاناً، أو شيخَ قبيلةٍ، فإنهم يستقبلونه بالجمال، أو بالبقر، أو بالشياه، ويذبحونها في وجهه، فيسيل الدم عند إقباله، فهذا الذبح وإن سمى الله عليه، فإن الذبيحة قصد بها غير الله جل وعلا، ولذا أفتى العلماء بتحريمها؛ لأن فيها إراقة دم لغير الله جل وعلا فلا يجوز أكلها، ومن باب أولى قبل ذلك **لا يجوز تعظيم أولئك بمثل هذا التعظيم؛ لأن إراقة الدم إنما يعظم به الله جل وعلا وحده؛** لأنه سبحانه هو الذي يستحق العبادة والتعظيم بهذه الأشياء وحده، فهو الذي أجرى الدماء في العروق سبحانه وتعالى"[٢].

قال ابن نجيم الحنفي[٣] رحمه الله: " ذَبحٌ لقدوم الأمير أو لواحد من العظماء، يحرم ولو ذَكَرَ اللهَ تعالى، وللضيف لا"[٤].

---

(١) تقدمت الأدلة على أن الذبح عبادة يجب إخلاصها لله تعالى، وأن من ذبح لغيره فقد كفر.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: (١٤٠)، وانظر: نفس المرجع ص: (٦٠٥)، القول المفيد لابن عثيمين ٢١٤/١ .

(٣) هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد المصري، المشهور بابن نجيم، من كبار فقهاء الحنفية، أخذ العلوم عن جماعة منهم: الشيخ شرف الدين البلقيني وغيره، له عدة تصانيف، منها: الأشباه والنظائر في أصول الفقه، والبحر الرائق في شرح كنز الدقائق في الفقه. توفي سنة: (٩٦٩هـ) انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزي ١٣٧/٣– ١٣٨، الأعلام ٦٤/٣.

(٤) الأشباه والنظائر ص: (٢٤٦).

قال النووي رحمه الله:" وذكر الشيخ إبراهيم المروزي[(١)] من أصحابنا: أن مايذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارة بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله تعالى"[(٢)].

وإذا حصل الذبح أمامهم ولم يقصد به التقرب إليهم وتعظيمهم، وإنما قصد به التقرب إلى الله تعالى، فهو محرم، ومن وسائل الشرك.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله:" أما إن كان الذبح يقصد به التقرب إلى الله سبحانه والشكر له، ولا يقصد به تعظيم الملوك والسلاطين، فهو في هذه الحال يعتبر منكراً، وتشبهاً بأهل الجاهلية في عقرهم الذبائح لعظمائهم وعلى قبورهم، ووسيلة من وسائل الذبح لغير الله"[(٣)].

أما إذا كان الذبح إنما يحصل استبشاراً بقدومهم وتكريماً لهم وضيافة، وليس تقرباً إليهم وتعظيماً لهم؛ فلا بأس به حينئذ.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: " إن كانوا يَذبحون استبشارًا... فلا يدخل في ذلك[أي: لايدخل فيما أهل لغير الله]، وإن كانوا يذبحونه تقربًا إليه فهو داخل في الحديث[(٤)].

---

(١) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي بن عطاء المروروذي أبو إسحاق، من أئمة الشافعية، ومن كبار العلماء العاملين، تفقه على الإمام أبي المظفر السمعاني وغيره، وسمع الحديث الكثير، وحدث بالكتب الكبار، قتل سنة: (٥٣٦ هـ) في الفتنة الخوارزمية عن (٨٣) سنة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣١/٧- ٣٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٩٨/١- ٢٩٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤١/١٣، وانظر: بحثاً علمياً بعنوان: المسائل العقدية المتعلقة بالذبائح (في مجلة جمعية العقيدة السعودية، العدد السادس) ص: ٢٣٥ – ٢٣٧، مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله ٤٤٢/١، ٣٩٣/٩- ٣٩٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ٣٩٤/٩، وانظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص: (٦٠٥) .

(٤) تيسير العزيز الحميد ٣٦٦/١، ويقصد بالحديث: حديث (**لعن الله من ذبح لغير الله**...) وقد تقدم ص: (٢٩٦).

خامساً: تقبيل الأرض أمامهم، والانحناء لهم:

فمن التعظيم الممنوع، والذي قد يصل بصاحبه إلى حد الشرك والعياذ بالله: الانحناء للملوك والرؤوساء، وتقبيل الأرض أمامهم، والسجود أمامهم، لأن ذلك يدل على خضوعه وانكساره وذله لذلك المخلوق خضوعاً وانكساراً وذلاً لا يجوز إلا لله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" تقبيل الأرض، ورفع الرأس ونحو ذلك مما فيه السجود، مما يفعل قدام بعض الشيوخ وبعض الملوك: فلا يجوز؛ بل لا يجوز الانحناء كالركوع أيضاً كما قالوا للنبي ﷺ: الرجل منا يلقى أخاه أينحني له؟ قال: (**لا**)[١]، ولما رجع معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، فقال: ما هذا يا معاذ؟ قال: يا رسول الله، رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم. فقال: (**كذبوا عليهم، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من أجل حقه عليها، يا معاذ إنه لا ينبغي السجود إلا لله**)[٢] . وأما فعل ذلك تديناً وتقرباً؛ فهذا من أعظم المنكرات، ومن اعتقد مثل هذا قربة وتديناً؛ فهو ضال مفتر، بل يبين له أن هذا ليس بدين، ولا قربة؛ فإن أصر على ذلك استتيب، فإن تاب وإلا قتل"[٣].

وقال: " وأما الانحناء عند التحية: فينهى عنه كما في الترمذي عن النبي ﷺ أنهم سألوه عن الرجل يلقى أخاه ينحني له؟ قال: (**لا**)؛ ولأن الركوع والسجود لا يجوز فعله إلا لله ﷻ؛ وإن كان هذا على وجه التحية في غير شريعتنا كما في قصة يوسف: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا

---

(١) رواه أحمد برقم: (١٣٠٤٤) مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، والترمذي برقم: (٢٧٢٨) كتاب الاسئذان، باب ماجاء في المصافحة ص: (٦١٣)، ورواه ابن ماجه برقم: (٣٧٦٩) كتاب الأدب، باب المصافحة ٢٢٢/٣- ٢٢٣، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه الترمذي، وصححه ابن القيم في زاد المعاد ١٤٨/٤، وحسنه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي وابن ماجه.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٣٢).

(٣) مجموع الفتاوى ٣٧٢/١ .

وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وفي شريعتنا لا يصلح السجود إلا لله، بل قد تقدم نهيه عن القيام، كما يفعله الأعاجم بعضها لبعض؛ فكيف بالركوع والسجود؟ وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه"[١].

وقال رحمه الله: " ولهذا لم يصلح السجود إلا لله، فمن سجد لغيره فهو مشرك، ومن لم يسجد له فهو مستكبر عن عبادته، وكلاهما كافر من أهل النار"[٢].

وقال الإمام ابن القيم:" جاء شيوخ الضلال، والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة، فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم، فزينوا لهم حلق رءوسهم لهم، كما زينوا لهم السجود لهم، وسموه بغير اسمه، وقالوا: هو وضع الرأس بين يدي الشيخ، ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه...وأشرف العبودية: عبودية الصلاة، وقد تقاسمها الشيوخ[٣]والمتشبهون بالعلماء والجبابرة، فأخذ الشيوخُ منها أشرفَ ما فيها وهو السجود، وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع، فإذا لقي بعضهم بعضاً ركع له، كما يركع المصلي لربه سواء، وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم، عبودية لهم وهم جلوس، وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذه الأمور الثلاثة، على التفصيل، فتعاطيها مخالفة صريحة له، فنهى عن السجود لغير الله وقال:(**لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد**) ، وأنكر على معاذ لما سجد له، وقال: (**مه**)[٤].

وتحريم هذا معلوم من دينه بالضرورة، وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله، وهو من أبلغ أنواع العبودية، فإذا جوز هذا المشرك هذا النوعَ للبشر، فقد جوز العبودية لغير الله،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٧٧/١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٥/٢٣ .

(٣) يقصد شيوخ الصوفية، كما هو واضح من سياق الكلام.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٣٢).

وقد صح أنه قيل له: الرجل يلقى أخاه أينحني له؟ قال: (**لا**) ، قيل: أيلتزمه ويقبله؟ قال: (**لا**) . قيل أيصافحه؟ قال: (**نعم**)[١] .

وأيضا: فالانحناء عند التحية سجود، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] أي منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول على الجباه"[٢].

وقال العلامة المقريزي رحمه الله: " ومن خصائص الألوهية: السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به"[٣].

و تكفير من سجد لغير الله هو بشرط أن لا يكون مكرهاً في ذلك؛ فإنه إذا كان مكرهاً فلا يكفر لوجود المانع، وهو الإكراه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[النحل: ١٠٦]؛ لأن المكرَه إنما فعل أو قال ذلك الأمر المحرم لدفع الضرر والتلف عنه، وليس له غرض في نفس القول أو الفعل.

"وإذا أُكره على مثل ذلك ونوى بقلبه أن هذا الخضوع لله تعالى كان حسناً، مثل أن يَكْرَهَ كلمة الكفر وينوي معنى جائزاً. والله أعلم"[٤].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٧٨١).

(٢) زاد المعاد ١٤٦/٤ – ١٤٨، وانظر: الجواب الكافي ص: (٣٠٥)، تجريد التوحيد ص: (٦٤)، مفيد المستفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: (٢٤)، تيسير العزيز الحميد ١٣٠/١- ١٣٢، السيل الجرار للشوكاني ٥٨٠/٤، منار السبيل شرح الدليل لابن ضويان ١٢١٥/٣، فتاوى اللجنة الدائمة (ط: الخامسة) ٢٣٣/١- ٢٣٤، ٣٣٤/١ – ٣٣٧ .

(٣) تجريد التوحيد ص: (٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى ٣٧٢/١-٣٧٣.

الجفاء في حق العلماء والأمراء:

الجفاء في حق العلماء والأمراء له صور كثيرة، ومنها:

- اعتقاد أن الأمراء والعلماء ليس لهم مرتبة تعليهم على غيرهم، وليس لهم منزلة على من سواهم، وبنوا على ذلك أنهم ليسوا فوق النقد من عامة الناس، وتصدوا لمعارضة أقوالهم من غير حكمة ولا روية، ومن غير علم ولا برهان. وهذا كما نشاهده ونقرؤه من معارضة بعض الصحفيين ومن يسمَّون بالمثقفين فتاوى كبار العلماء وتقريراتهم، فيتسلطون على أقوالهم بالنقد والرد، وهم ليسوا لذلك بأهل، وربما كانت تلك القضايا من المسلَّمات في العقيدة لكنها لاتروق لهم أو تخالف توجهاتهم.

- تصيد أخطاء العلماء أو الأمراء، أو ما يُظن أنه خطأ، وقد يكون من المسائل الاجتهادية، فترى البعض ممن يتصيد أخطاء ولاة الأمر ينشر ذلك ويذيعه ويكبّره.

والواجب حين يرى الإنسان مايُشكل عليه أن لا يغلب سوء الظن، بل يلتمس العذر، ويحمل الأمر على أحسن المحامل، وأن يرجع إلى أهل العلم ليتجلى حقيقةَ الأمر، وأن لايحكم بالتخطئة على جهل.

- الطعن في ولاة الأمر من العلماء والأمراء والقدح فيهم، واتهامهم بما هم براء منه، كما يتهم بعض المنحرفين (وخاصة ممن يتبنون الفكر الخارجي والثوري) العلماءَ بأنهم أصحاب مداهنة، وأنهم عملاء للسلاطين، وأنهم لا يفقهون الواقع، يقصدون من وراء ذلك أن يتمرد الناس على فتاواهم، وأن لا يرجعوا إليهم في النوازل.

وكما يتهم بعض المنحرفين أيضاً أمراء المسلمين بالعلمنة والنفاق ومعادة الإسلام والعمالة لليهود والنصارى، من غير سبب شرعي واضح بيِّن موجبٍ لذلك.

الفصل الرابع:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم الأولياء والصالحين

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد: ضابط الأولياء والصالحين.

المبحث الأول: التعظيم الشرعي للأولياء والصالحين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محبتهم وموالاتهم ومعرفة فضلهم.

المطلب الثاني: عدم الغلو فيهم.

المطلب الثالث: التصديق بما ثبت من كراماتهم .

المبحث الثاني: التعظيم الشركي والتعظيم البدعي للأولياء والصالحين.

تمهيد:

ضابط الأولياء والصالحين.

الأولياء جمع ولي، والولي ضد العدو، والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية: المحبة والقرب والنُّصرة[(١)].

المراد بولي الله: قال ابن حجر: " المراد بولي الله: العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته"[(٢)].

فالأولياء والصالحون هم أهل الإيمان بالله والتقوى له، الذين آمنوا بالله تعالى وبكل ما يجب الإيمان به، واستقاموا على دين الله تعالى بعلم وبصيرة؛ كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس: ٦٢ – ٦٣] .

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله:" ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى"[(٣)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله:" ذكر وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدّقوا إيمانهم باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ فكل من كان مؤمنًا تقيًا كان لله تعالى وليًا"[(٤)].

---

(١) انظر: معجم المقاييس ص: (١١٠٤)، المفردات للراغب ص: (٥٤٧- ٥٤٩)، لسان العرب ٢٨١/١٥ -٢٨٥.

(٢) فتح الباري ٤١٥/١١ .

(٣) تفسير الطبري ١٥٣/١١.

(٤) تفسير السعدي ص: (٤٢٣)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (٤٩،٩٠، ١٢١)، الإنصاف في حقيقة الأولياء وماهم من الكرامات والألطاف ص: (٤٤- ٥٠).

وقد بيّن الله تعالى صفة أوليائه بياناً شافياً بحيث لايلتبس أمرهم ولا أمر من ادعى أنه منهم على أحد؛ فهم المؤمنون المتقون، فمن لم يكن من أهل الإيمان والتقوى، بل يكفر بالله تعالى، ويدعي علم الغيب، ويترك الصلاة، ويغشى المحارم، ويرتكب الموبقات؛ فليس ولياً لله تعالى وإن ادَّعى هو أو ادُّعي أنه منهم، أو ظهر على يديه خارق من خوارق العادات كأن يمشي على الماء أو يطير في الهواء.

وأفضل أولياء الله تعالى هم الأنبياء والمرسلون، ثم يليهم صحابة رسول الله ﷺ وأولهم الخلفاء الأربعة(١) ثم سائر الصحابة على ترتيبهم في الفضل(٢)، ثم سائر المؤمنين على حسب إيمانهم وتقواهم؛ فمن كان أكملَ في الإيمان والتقوى كان أكملَ في ولاية الله، ومن انتقص الإيمانَ والتقوى كان نصيبُه من الولاية بحسبه.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (٥٥- ٦٢).

(٢) تقدم ترتيب الصحابة في الفضل ص: (٦٨٢).

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي للأولياء والصالحين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

محبتهم وموالاتهم ومعرفة فضلهم

المؤمن المتقي لله تعالى هو ولي لله تعالى ومحبوب له، وهو يحب الله تعالى وينصر الله بالتمسك بدينه والذب عنه والجهاد في سبيله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾[يونس:٦٢]،وهو ولي للمؤمنين، بمحبتهم ومودتهم والعطف عليهم ونصرتهم؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾[التوبة: ٧١].

كما أن الله تعالى ولي للمؤمن المتقي يحبه سبحانه، ويحفظه ويدافع عنه، ويهديه لأقوم السبل علماً وعملاً، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾[آل عمران: ٦٨].

فالله ولي المؤمنين، والمؤمن ولي لله، ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

ومن الواجب للأولياء والصالحين محبتهم وموالاتهم لما قاموا به من طاعة الله، ولمحبة الله تعالى لهم وتكريمه إياهم وإشادته بهم وبيانه لفضلهم؛ وإذا ثبتت الموالاة والمحبة لعامة المؤمنين؛ فلاشك أن الصالحين أولى بالمحبة والموالاة والتكريم بلا غلو فيهم أو تقديس لذواتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ [التوبة: ٧١] .

قال القرطبي رحمه الله:"قوله تعالى:﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف"(١).

وقال السعدي رحمه الله:"﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" **والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء مع أنه يحرم الغلو والشرك بهم**؛ فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركًا، وبعضهم يقصّر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر..."(٣).

ومحبة الأولياء والصالحين تقتضي متابعتهم فيما هم عليه من الخير، والاقتداء بهم في طاعتهم لله تعالى حتى ينال المقتدي بهم من الخير مانالهم، ولا تقتضي بحال من الأحوال الغلوَ فيهم ودعاءَهم من دون الله أو الاستغاثةَ بهم أو التبركَ بذواتهم أو بناءَ القباب والأضرحة على قبورهم أو الاستشفاءَ بتربتها؛ فإن غلا فيهم بذلك ونحوه فليس هو بمحب لهم في الحقيقة.

ومن محبتهم وموالاتهم: الدعاء لهم وسلامة اللسان من التعرض لهم بالأذى، وسلامة القلب من الغل والحقد عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:" **وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم** إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم دون عبادة

---

(١) تفسير القرطبي ١٨٦/٨.

(٢) تفسير السعدي ص: (٣٩٣).

(٣) الرد على الأخنائي ص: (٤٨٥).

قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أعياداً؛ فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً إلى تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حَرَمَ نفسه وحَرَمَهم ذلك الأجر؛ فأيُّ تعظيم لهم واحترام في هذا؟"(١).

وإن اتصف أحد بضد المحبة للأولياء والصالحين فعاداهم فقد بارز الله بالمحاربة؛ لأنه عادى أولياءه الذين تكفل الله تعالى بنصرتهم والدفاع عنهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج: ٣٨].

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ: **(إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)**(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:" قوله ﷻ: **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)** يعني: فقد أعلمته بأني محارب له، حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي ... فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم، قال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦]..."(٣).

---

(١) إغاثة اللهفان ٢١٣/١.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٧٥٤).

(٣) جامع العلوم والحكم ٣٣٤/٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر ٤١٦/١١.

المطلب الثاني:

عدم الغلو فيهم

محبة الأولياء والصالحين تقتضي - كما تقدم -: محبتهم في الله ومن أجْلِ الله، كما تقتضي الاقتداءَ والتأسي بهم، فإن وقع الإنسان في الغلو فيهم برفعهم فوق منزلتهم كان غير محب لهم في الحقيقة وغير معظم لهم في الحقيقة، قال ابن عبد الهادي رحمه الله: " وكل من عظّم مخلوقاً بما يكرهه ذلك المعظم ويبغضه ويمقت فاعله؛ فلم يعظمه في الحقيقة، بل عامله بضد تعظيمه...

فالتعظيم نوعان: أحدهما: ما يحبه المعظم ويرضاه ويأمره ويثني على فاعله، فهذا هو التعظيم في الحقيقة .

والثاني: ما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله، فهذا ليس بتعظيم، بل هو غلو مناف للتعظيم، ولهذا لم يكن الرافضة معظمين لعلي بدعواهم فيه الإلهية والنبوة، أو العصمة ونحو ذلك، ولم يكن النصارى معظمين للمسيح بدعواهم فيه ما ادعوا، والنبي ﷺ قد أنكر على من عظمه بما لم يشرعه، فأنكر على معاذ سجوده له[1]، وهو محض التعظيم "[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به وتكون مما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان لبّسها عليه لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ...[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٣٢).

(٢) الصارم المنكي ص: (٢٨٨).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٤٤).

ويقول: " وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء، فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله، وله أجر على اجتهاده، ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]..."(١).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٥٨- ١٥٩).

المطلب الثالث:

التصديق بما ثبت من كراماتهم

تعريف الكرامة:

الكرامة لغة: مصدر كرم، يقال: كرم الرجل كرامة وكرماً، والكرامة نقيض اللؤم ويطلق على الشرف والأفعال المحمودة[(١)].

والكرامة اصطلاحاً: قال صاحب التعريفات: "وهي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة"[(٢)].

وعرفها بعض الباحثين بأنها: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة، معونة له على أمر ديني أو دنيوي[(٣)].

وقيل: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد عبد حي من عباده الصالحين؛ إكراماً له فيدفع به عنه ضراً، أو يحقق له نفعاً، أو ينصر به حقاً[(٤)].

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بما ثبت من كرامات الأولياء وعدم إنكار ذلك، قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"[(٥)].

---

(١) انظر: المفردات ص: ٤٣١، لسان العرب ١٣/٥٤.

(٢) التعريفات ص: (٢٦٥).

(٣) تقديس الأشخاص ٢/٢٧٩.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة بالمملكة ١/٥٧٤ ط: الخامسة.

(٥) الواسطية مع شرحها التنبيهات السنية ص: (٣١٠- ٣١٣).

ولابد لعد الخارق للعادة كرامة أن يكون من جرى على يديه ذلك مستقيماً على طاعة الله مؤمناً تقياً، موحداً لله تعالى، مخلصاً له الدين، متبعاً لرسول الله ﷺ، فاعلاً للمأمورات، مجتنباً للمنهيات، فهذا القيد لابد منه؛ فإن الخارق للعادة لا يسمى كرامة إلا إذا صدر من ولي لله عز وجل حقاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فالأحوال الرحمانية وكرامات أوليائه المتقين يكون سببه الإيمان؛ فإنَّ هذه حال أوليائه؛ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢ - ٦٣]. وتكون نعمةً لله على عبده المؤمن في دينه ودنياه، فتكون الحجة في الدين، والحاجة في الدنيا للمؤمنين، مثل ما كانت معجزات نبينا محمد ﷺ كانت الحجة في الدين والحاجة للمسلمين، مثل البركة التي تحصل في الطعام والشراب؛ كنبع الماء من بين أصابعه، ومثل نزول المطر بالاستسقاء، ومثل قهر الكفار، وشفاء المريض بالدعاء، ومثل الأخبار الصادقة والنافعة بما غاب عن الحاضرين، وأخبار الأنبياء لا تكذب قط"(١).

ضوابط الكرامات:

ليس كل من جرى على يديه أمر خارق للعادة يعد ولياً من أولياء الله، فلذلك لا بد من تقييد إثبات الكرامات بقيود توضح حقيقة هذا الأمر وتمنع التباسه بغيره، ومن هذه الضوابط:

١- ليس من منهج الإسلام ولا من تعاليمه الاعتماد على الخوارق والكرامات إذا فقدت فقد معها الإيمان، وإذا وجدت وجد الإيمان، ولهذا كان معجزة هذا الدين وآيته الكبرى هي القرآن الكريم، ولم تكن دعوة النبي ﷺ معتمدة على خرق العادات بقدر ما هي معتمدة على الحجة والبرهان(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ١/٨٤.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٣٣-٣٣٤.

٢- أن الخوارق ليس من صنع الرسل ولا الأولياء، إنما هي من أمر الله ﷻ وفق تقديره وتدبيره وحكمته، وليس من شأن أحد منهم أن يأتي بها إذا لم يعطه الله إياها، ولذلك كانت كرامات الصحابة تقع بدون تكلف منهم أو طلب لها برياضة روحية ونحوها.

٣-أن الاستقامة على طريق الهدى طريق أهل السنة والجماعة -بحد ذاتها- هي عين الكرامة، وهي سبب لتكريم الله تعالى لعبده في الدنيا والآخرة، وهي علامة الولاية، لا الخوارق وحدها؛ فإنها لا تدل على ولاية، وعدم حصول الكرامة قد يكون أنفع للعبد في دينه. قال بعض العلماء:"كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة"(١).

٤- أن صاحب الكرامة لا بد أن يكون بعيداً عن الدعاوى والكذب والتكلف وحب الشهرة؛ لأن ذلك كله يقدح في النية والقصد.

٥-أن الكرامة تكون لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله، فلو حصل من إنسان خارق ولم تكن الغاية من حصوله أمرًا يحبه الله؛ لم تكن كرامة، بل إنها عقوبة ونقمة عليه(٢).

الانحرافات في مسألة الكرامات:

هناك انحرافات كثيرة في مسألة الكرامات، ومنها:

أولاً: إنكار كرامات الأولياء: ذهب أكثر المعتزلة(٣)وابن حزم الظاهري(٤) إلى إنكار كرامات الأولياء قالوا: لو صحت لاشتبهت بالمعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالولي وذلك لا يجوز، والتزموا طرداً لذلك إنكار جميع الخوارق عدا معجزات الأنبياء.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ٧٥٤/٢ .

(٢) تقديس الأشخاص ٢٨٨/٢-٢٩٢ باختصار، وانظر: كرامات الأولياء للعنقري ص: (١٧٩-٢٣٣).

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل ١٨٩/١٥ النبوات ١٢٩/١-١٣٠، شرح الطحاوية ٧٥٨/٢، أصول الدين للبغدادي ص: (١٩٩)، كرامات الأولياء للعنقري ص: (٢٨٥- ٢٨٨).

(٤) انظر: المحلى لابن حزم ٣٦/١، النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٠/١.

الرد عليهم: أن كرامات الأولياء إنما حصلت لهم لمتابعتهم للرسل عليهم السلام، فهي تعتبر من معجزات الأنبياء عليهم السلام[١].

- أن كرامات الأولياء موجودة ومشهورة و متواترة عند كثير من الناس، وقد شهدها خلق لم يشهدوا معجزات الأنبياء[٢]؛ فإنكارهم لكرامات الأولياء بمنزلة إنكار المحسوسات[٣].

- قولهم: إنه يحصل بها التباس النبي بالولي؛ فهذه الدعوى تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة؛ وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة؛ لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً[٤].

- لو ظهر خارق للعادة على يد الكذاب والفاسق لم يدل على الصدق؛ فبطلت دعوى الالتباس.

ثانياً: جعل كل من صدر منه خارق للعادة ولياً:

فمن الناس من يتوسع في مفهوم الولاية فيجعل كل من صدر منه أمر خارق للعادة ولياً وإن كان من أفجر الناس، ويجعل ذلك الخارق للعادة كرامة لذلك الإنسان، وهم المتصوفة[٥].

---

(١) انظر: النبوات ١٣٣/١.

(٢) انظر: النبوات ١٣٣/١.

(٣) شرح الطحاوية ٧٥٩/٢.

(٤) شرح الطحاوية ٧٥٩/٢.

(٥) انظر: الرسالة القشيرية ٦٧٨،٦٨٢،٦٨٥/٢، الطبقات الكبرى للشعراني ١١٤/٢، ١٢٤، ١٦٠، كرامات الأولياء للعنقري ص: (٢٣٩-٢٤٣)، تقديس الأشخاص٢٩٣/٢-٣٠٨؛ فقد ذكر العجب العجاب عن الصوفية في عدهم للفواحش، بل والكفر الصادر من شيوخهم من الكرامات!!.

الرد عليهم:

١- ما ذكروه من جعل كل خارق للعادة كرامة، ومن صدرت عنه جعلوه ولياً غير صحيح ؛ فإن العادة تنخرق حتى لغير الأولياء، فقد تنخرق بفعل الساحر والكاهن وصاحب الأحوال الشيطانية، حيث تعينه الشياطين على فعل تلك الأمور لخداع الناس وإضلالهم

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:" وتجد كثيراً من هؤلاء، عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل: أن يشير إلى شخص فيموت، أويطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه، فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سُرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه. وكرامات أولياء الله تعالى، أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله، فقد يكون عدواً لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة..."[١].

٢- أن الله عز وجل قد فرق في كتابه بين أعدائه وأوليائه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٦٨- ١٦٩).

[يونس: ٦٢ - ٦٣]؛ فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، ولم يشترط أن يجري على أيدهم شيء من خوارق العادة.

٣- أن المطلوب من العبد أن يحرص على الاستقامة على طاعة الله؛ فإن ذلك هو الكرامة حقاً لا أن يطلب الكرامة ويحرص عليها، فإن ذلك ليس من فعل سلف الأمة[١].

ومن سبيل الصادقين أنه إذا وقع في طريق أحدهم خارق كان كأن لم يقع، فما يبالي ولا ينقص بذلك[٢] فضلاً عن أن يشيعها بين الناس ويحرص على تبليغهم إياها.

٤- أصحاب الكرامات حقاً بعيدون عن الإدعاء والكذب وحب الاشتهار بين الناس؛ لأن ذلك يقدح في الإخلاص والنية، وهو من مداخل الشياطين على الإنسان وربما أوقعه في الغرور[٣].

٥- الكرامة لا تكون معصية لله عز وجل ولا تكون مخالفة للشرع؛ فإن من هؤلاء المتصوفة من يجعل من كرامات من يسموهم أولياء: ترك الفرائض والجمع والجماعات، وغشيان الفواحش، وترك الطهارة الواجبة، والتلبس بالنجاسات، ومعاشرة الكلاب، والخلوة بالنساء والمردان، والتعري أمام الناس على المنبر، وتلاوة آيات ليست من القرآن، والإخبار بشيء من الأمور المستقبلة. والعياذ بالله[٤].

ثالثاً: القول بأن كل ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي:

ذهب الأشاعرة إلى أن كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي[٥].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٢٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٢١.

(٣) انظر: ما تقدم في ضوابط الكرامة ص: (٧٩٤).

(٤) انظر: الأمثلة على ذلك في: الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٨٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/٢٩٣-٣٠٨، فرق معاصرة للدكتور غالب حفظه الله ٣/١٠٥١-١٠٥٨، هذه هي الصوفية ص: (٩٩-١٠١).

(٥) انظر: الإرشاد للجويني ص: (٣١٧-٣١٩).

وهذا غير صحيح؛ فإن كرامات الأولياء لا تصل إلى درجة معجزات الأنبياء على الإطلاق " فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغار وكبار؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النازعات: ٢٠] فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١٨] فالآيات الكبرى مختصة بهم، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين؛ مثل تكثير الطعام؛فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين(١)، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير؛ فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، فهم مختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم، كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير، وإما بقدرها، وكيفيتها، كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني(٢) وغيره صارت النار عليهم برداً وسلاماً(٣)، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله"(٤).

---

(١) كما في قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الآتية.

(٢) هو عبد الله بن ثُوب، أبو مسلم الخولاني، من خولان ببلاد اليمن، تابعي فقيه ثقة أدرك الجاهلية وقدم المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ، وحدَّث عن بعض الصحابة، وتوفي سنة: (٦٢هـ)، انظر: السير ٤/٧- ١٤، الأعلام ٤/٧٥.

(٣) أخرج القصة أبو نعيم في الحلية ٢/١٢٨- ١٢٩، وابن الجوزي في صفة الصفوة٤/٢٠٨، وانظر: السير ٤/٩.

(٤) النبوات ٢/٨٠٢-٨٠٤، وانظر: نفس المرجع١/١٤٢-١٤٣، ١/٥٢٦-٥٢٧، ٢/٨٦٥-٨٦٦، فتح الباري ٧/٤٧٩.

رابعاً: عدم التفريق بين الكرامات والأحوال الشيطانية:

إذا صدر أمر خارق للعادة من غير الأنبياء والأولياء المستقيمين على طاعة الله؛ فإنه ليس من باب الكرامة –كما تقدم– بل هو من باب الشعوذة والاحتيال على الناس وخداعهم، وسبب ذلك: إما حيل طبيعية؛ كما يفعل من يدهنون بأدهان معينة يدخلون بها النار، فلا تؤثر فيهم(١).

وإما أن يكون سببها هو الجن والشياطين؛ فتعمل لهم الشياطين تلك الحيل، وتخدع الناس، وتحصل لأولئك البشر بالبدع المذمومة في الشرع وبالمعاصي لله ولرسوله ﷺ، وعند الاستغاثة بالشياطين ودعائهم والتقرب والخضوع إليهم، أو بجهلهم بالشرع الحنيف مع ما يكون لديهم من تعبد فتدخل عليهم الشياطين من هذا الباب، أو بسبب ما تعلمه الشياطين من حال ذلك الإنسان من محبته للشهرة والرفعة والجاه، فتدخل عليه من هذا الطريق ولا ينبغي أن تشتبه كرامات الأولياء بالأحوال الشيطانية والشعوذات؛ فإن بينهما فروقاً كثيرة أذكر بعضها:

أولاً: أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله عنه ورسوله، ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾[الأعراف: ٣٣] .

فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى، ولا يستعان بالكرامات عليها(٢).

ثانياً: الأحوال الشيطانية تقوى عند سماع الأغاني والملاهي، وهو سماع المشركين، وتضعف عند ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن، وتوحيد الله عز وجل، وكلما كان الإنسان

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (٣٦٨-٣٦٩)، مناظرة شيخ الإسلام للبطائحية ضمن مجموع الفتاوى ١١/٤٤٥-٤٧٥.

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (٣٢٨).

أبعد عن الكتاب والسنة كانت الخوارق الشيطانية له أقوى وأكثر من غيره، وهذا بخلاف الكرامات فإنها لا تحصل إلا بعبادة الله، والتقرب إليه ودعائه وحده لا شريك له، والتمسك بكتابه واجتناب المحرمات.

ثالثاً: كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة من الشرك والكفر وقتل النفوس(١).

رابعاً: الكرامات لا تحصل بالتعلم والتعليم ولا بمزاولة أعمال مخصوصة يتقنها صاحبها، بخلاف الشعوذة والكهانة والخوارق الشيطانية فإنها يكتسبونها بالتعلم والرياضة وترك الشرع.

خامساً: الخوارق الشيطانية يحصل بينها تعارض بسبب أنها ليست خاضعة للشرع فصارت تحت تصرف الأهواء والآراء فيعارض بعضهم بعضاً بها لإبراز المهارات في المكر والخداع.

سادساً: أصحاب الأحوال الشيطانية يمتازون بالكذب والدجل وكثرة الدعاوى للكرامات لاستمالة الجهلة، بخلاف أصحاب الكرامات فإن إيمانهم وتقواهم تمنعهم من التلبيس والكذب واختلاق الأساطير(٢).

---

(١) انظر: المرجع السابق ص: (٣٤٤).

(٢) انظر: الفروق الرابع والخامس والسادس في: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/٢٨٣-٢٨٥ باختصار.

نماذج من كرامات الأولياء:

عن البراء[١] رضي الله عنه قال: " كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين[٢] فتغشته سحابة ؛ فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له؛ فقال: (**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**)[٣].

وفي قصة أضياف أبي بكر رضي الله عنه قال ابنه عبد الرحمن[٤]:" ماكنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، قال لامرأته يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار...)[٥].

---

(١) هو الصحابي الجليل: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمارة، ويقال: أبو عمرو، له ولأبيه صحبة، استصغر يوم بدر، وشهد أحداً، وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث، افتتح الري، وشهد غزوة تُستَر، وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج، ونزل الكوفة، وابتنى بها داراً، ومات سنة: (٧٢ هـ) انظر: الإصابة ١/١٦١.

(٢) تثنية شطن وهو الحبل .انظر: شرح مسلم للنووي ٦/٣٢٢، فتح الباري ٩/٧٢.

(٣) رواه البخاري برقم: (٥٠١١) كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف ٩/٧٢، ورواه مسلم برقم: (١٨٥٣) كتاب صلاة المسافرين، باب تزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٣٢٢-٣٢٣.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، وقيل: أبو عثمان، ابن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي التيمي وأمه أم رومان والدة عائشة. كان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ، تأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه، روى عن النبي ﷺ أحاديث منها في الصحيح وعن أبيه. كان شجاعاً رامياً، شهد اليمامة فقتل سبعة من أكابرهم.مات سنة: (٥٣ هـ) عند الأكثر.انظر: الإصابة ٢/١١٧١- ١١٧٣.

(٥) رواه البخاري برقم: (٦٠٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل ٢/١٠٠، ورواه مسلم برقم: (٥٣٣٣) كتاب الأطعمة، باب إكرام الضيف... ١٤/٢٤٤-٢٤٧.

المبحث الثاني:

التعظيم الشركي والتعظيم البدعي للأولياء والصالحين.

وقع كثيرٌ من المنتسبين للإسلام في التعظيم الممنوع للأولياء والصالحين، حيث أفرطوا في تعظيم الأولياء والصالحين فوقعوا في الغلو فيمن يظنون فيهم الولاية، وهذا وقع في الأمة من طائفتين؛ وهما الرافضة والصوفية.

الغلو في الأولياء والصالحين عند الصوفية:

يعتقد الصوفية في الأولياء عقائد كفرية كثيرة، فمنهم من يجعل الولي مساوياً لله تعالى في كل صفاته؛ فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في السموات والأرض كيف شاء، ويدبر أمور الخلق[(١)]. فيزعمون أن الأولياء يتصرفون في الكون، وأنهم يقولون للشيء كن فيكون، وأنهم ينفعون من دعاهم واستغاث بهم، ومن نهى عن الشرك بهم والغلو فيهم فإنه غير محب للأولياء والصالحين، وأنه سيأتيه مغبة ذلك، وسيصله الضرر من قبلهم ولابد[(٢)].

ويدعون أنهم يعلمون الغيب، يقول أحدهم:: " ما السموات السبع والأرضون السبع في نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة في فلاة"[(٣)].

---

(١) الموسوعة الميسرة ٢٦٢/١ وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، فقد توسع في ذكر هذه المسألة.

(٢) انظر: جواهر المعاني لعلي حرازم الصوفي٢/٧٦-٧٧، وانظر: الإنصاف في حقيقة الأولياء ص: (٨٨- ٨٩) حيث أورد قول بعض الصوفية في هذه المسألة، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/١٣٤-٢٢٠، القبورية لأحمد المعلم ص: (١٩٤-١٩٩)، وكل بدعة ضلالة ص: (٥٤-٥٥).

(٣) الإبريز للدباغ ص: (٢٤٢).

ويقول:" إن الجنين إذا سقط من بطن أمه يراه العارف في تلك الحالة إلى آخر عمره"(١).

ويقول أحدهم عن شيخه التيجاني:"فيعرف أحوال قلوب الأصحاب وتحول حالهم...ويعرف ماهم عليه ظاهراً وباطناً ...حتى إذا جالسناه كلنا يخاف على نفسه الفضيحة"(٢).

ومن غلو الصوفية في الأولياء والصالحين: ما يحصل منهم من بناء الأضرحة والقباب على قبور الأولياء ووضع الأستار على القبور وإسراجها ووضع السدنة عندها، والعكوف حولها، وشد الرحال إليها، والاستشفاء بتربتها كما يقولون عن معروف الكرخي: يستشفى بقبره ، ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب(٣).

وذكر أحد من تأثر بالصوفية في هذا الجانب وهو ابن الحاج صفة زيارة القبور، ومنها في زعمه: التوسل بالأموات ودعائهم وصرف خالص حق الله إليهم من الذل والانكسار والمسكنة والفقر والخضوع وغير ذلك، يقول: " ثم يدعو للميت بما أمكنه، وكذلك يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم... فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته إلى النبي ﷺ، بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ، إذ هو العمدة في التوسل... ثم يتوسل بأهل تلك المقابر أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه... فمن أراد حاجة فليذهب إليهم، ويتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه... وما زال الناس من العلماء، والأكابر كابراً عن كابر، مشرقاً ومغرباً يتبركون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى... وأما عظيم جناب الأنبياء، والرسل

---

(١) الإبريز للدباغ ص: (٢٧٤).

(٢) القائل هو علي حرازم في كتابه: جواهر المعاني ١/٦٣ - ٦٤.

(٣) الرسالة القشيرية ١/٧٤، وتقدم بيان ضلال الصوفية في تعظيم قبور الأولياء والصالحين انظر: ص: (٦١١).

- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فيأتي إليهم الزائر، ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والفاقة، والحاجة، والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره؛ لأنهم لا يَبْلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم، ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك؛ فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حوائجه، ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردون من سألهم، ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم..."[(١)].

ومن غلوهم في الأولياء والصالحين: دعاء المقبورين ممن يظنون فيهم الولاية، والتوجه إليهم وسؤالهم والاستغاثة بهم ومناداتهم من المسافات البعيدة لقضاء الحوائج وتفريج الكربات وشفاء المرضى[(٢)].

ومن غلوهم في الأولياء: تفضيلهم الولي على النبي، وأن النبي يأخذ من الولي بعض الحقائق، فيفضلون الولي على النبي، ويزعمون أن الولي يصل إلى مراتب من العلم لم يصل إليها النبي.

ومن مشهور كلامهم: قول ابن عربي:

سماء النبوة في برزخ دوين الولي وفوق الرسول[(٣)].

---

(١) المدخل لابن الحاج ٢٥٤/١- ٢٥٨، مع أن كتابه هذا (المدخل) من الكتب المفيدة في التحذير من كثير من البدع والمحدثات ومحاربتها غير أنه في هذا الجانب تأثر بالصوفية فقال مثل هذا الكلام الذي نقلته.

(٢) تقدم بيان هذه المسائل من واقع الصوفية انظر: ص: (٦٠٩).

(٣) لطائف الأسرار لابن عربي ص: (٤٩).

ويقولون: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله[١]. وقد تقدم النقل عنهم في هذا[٢].

ومن غلوهم في الأولياء: القول بعصمة الأولياء:

فيعتقد الصوفية أن الأولياء معصومون من الوقوع في الذنوب والخطايا، وأنه لاتصدر منهم معصية، يقول القشيري:" واعلم أن أجَلَّ الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة من المعاصي والمخالفات"[٣].

ويقول أحدهم واصفاً العارفين:" ليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهو فيهم مطمع، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات"[٤].

وبناءً على ذلك فيجب على الطالب الصوفي أن يطيع الشيخ طاعة عمياء في كل ما يأمره به، وأن يصدقه في كل ما يقوله وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي المغسل، وإن رأى منه فعلاً لمعصية فليتيقن أنها ليست معصية في الحقيقة، إنما هي طاعة؛ فالولي معصوم لاتصدر منه معصية عندهم.

الغلو في الأولياء والصالحين عند الرافضة:

الرافضة شاركوا الصوفية في الغلو في الأولياء والصالحين، وغلو في بعض آل البيت كالأئمة الاثني عشر عندهم، وفيمن يزعمون أنهم من الأولياء ممن هم على عقيدتهم، وحصل منهم ما حصل من الصوفية من اعتقادات باطلة في الأولياء من أنهم يعلمون الغيب

---

(١) انظر: الإنسان الكامل للجيلي ١٢٤/١ فقد نسبه لأبي الغيث بن جميل، ونسبه لأبي يزيد البسطامي الدباغ في الإبريز ص: (٢٧٦)، وعلي حرازم في جواهر المعاني ٦٣/٢، والشعراني في الطبقات الكبرى ١٦/٢.

(٢) انظر: ص: (٤٧٩) من هذا البحث.

(٣) الرسالة للقشيري ٥٢٦/٢.

(٤) ذكر هذا القول أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٧٩/٩ عن ذي النون المصري.

ويتصرفون في الأمور ويدبرون الكون[١]، كما وقع منهم تعظيم قبور الأولياء والصالحين وبناء الأضرحة إليها والحج إليها والطواف والذبح حولها، وسؤال أصحابها والاستغاثة بهم ودعائهم من دون الله[٢].

وكما حصل من الصوفية تفضيلُ الولي على النبي حصل هذا من الرافضة. يقول عبد الله شبر:"يجب الإيمان بأن نبينا ﷺوآله المعصومين أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتظافر الأخبار بذلك، وتواترها فيما هنالك"[٣].

ويقول الخميني:" وإن من ضروريات مذهبنا: أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل..."[٤]. وهذه النقول وغيرها نقلتها فيما سبق[٥].

ويقول الرافضة بعصمة الأولياء من الوقوع في الذنوب. يقول شيخهم المعروف بالمفيد: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم صغيرة، إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام"[٦].

ويقول الخميني: "نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه

---

(١) تقدم بيان هذه المسائل من واقع الرافضة انظر: ص: (٧٣٢).

(٢) وأيضاً تقدم بيان هذه المسائل من واقع الرافضة انظر: ص: (٦٠٦)، (٦٢٢).

(٣) حق اليقين ٢٠٩/١.

(٤) الحكومة الإسلامية ص: (٥٢).

(٥) انظر: ص: (٧٣٤) من هذا البحث.

(٦) أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ص: (٧١-٧٢).

مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم"(١).

الرد على من غلا في الأولياء والصالحين:

تقدمت الأدلة الناهية عن الغلو من الكتاب والسنة، كما تقدم الرد على الصوفية والرافضة في غلوهم في الأولياء والصالحين في ثنايا هذا البحث، وسأكتفي هنا بذكر بعض الوجوه في المسألة.

أولاً: أن ما وقع من الصوفية والرافضة هو من الغلو في الأولياء والصالحين الذي نهت عنه نصوص الوحيين، والحق هو موالاة الأولياء والصالحين وتعظيمهم التعظيم الشرعي بدون غلو فيهم ولا جفاء، وهذا هو التوسط الذي جعل اللهُ أهلَ الحق عليه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالواجب على المسلم أن يسلك سبيل الوسطية في جميع الأمور، فيوالي الأولياء والصالحين ويحبهم، ويعرف لهم منزلتهم بدون أن يتجاوز الحق فيهم؛ فإنْ تجاوزَ الحقَّ فيهم فقد وقع في تنقص الرب تعالى؛ فإنَّ من زعم أنهم يتصرفون في الكون، ويدبرون أمر الخليقة، وأنهم يعلمون الغيب، وأنه يصح أن يُدْعَون من دون الله تعالى فقد تنقص الربَّ تعالى، وصرف خالص حقه إلى غيره، وأشرك به، وهذا هو أظلم الظلم الذي لايغفره الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبةَ والموالاةَ والتكريمَ والثناءَ مع أنه يحرم الغلو والشرك بهم؛ فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركًا، وبعضهم يقصِّر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوعٌ من الكفر... فالتوكل على الله وحده، والرغبة إليه وحده، والرهبة منه وحده، ليس

(١) الحكومة الإسلامية ص: (٩١)، وهذان النقلان تقدما حين الكلام على غلو الرافضة في آل البيت.

لمخلوق، لا للملائكة ولا الأنبياء في هذا حق، كما ليس لهم حق في العبادة. ولا يجوز أن نعبد إلا الله وحده، ولا نخشى ولا نتقي إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢]، فإذا قال القائل: لا يجوز التوكل إلا على الله وحده، ولا العبادة إلا لله وحده، ولا يتقى ويخشى إلا الله وحده، لا الملائكة، ولا الأنبياء ولا غيرهم؛ كان هذا تحقيقًا للتوحيد، ولم يكن هذا سبًّا لهم ولا تنقصًا بهم ولا عيبًا لهم، وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية؛ فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق. ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق، والملائكة والأنبياء كلهم عباد لله يعبدونه، كما قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢]... فإذا نفى عن مخلوق ملكٍ أو نبيٍ أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية، وبين أنه عبد لله، كان هذا حقًّا واجب القبول، وكان إثباته إطراءً للمخلوق، فإن رفعه عن ذلك كان عاصيًا بل مشركًا... "(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم، صراطِ أهلِ نعمتِه ورحمته وكرامته أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا وأعياداً وأنصاباً، والنهي عن اتخاذها مساجد، أو بناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها: غض من أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص كما يحسبه أهل الإشراك والضلال. **بل ذلك من إكرامهم وتعظيمهم واحترامهم**، ومتابعتهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه. فأنت والله وليهم ومحبهم، وناصر طريقهم وسنتهم، وعلى هديهم ومنهاجهم. وهؤلاء المشركون أعصى الناس لهم، وأبعدهم من هديهم ومتابعتهم. كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى عليهما السلام، والرافضة مع علي رضي الله عنه . فأهل الحق أولى بأهل الحق من أهل الباطل، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ... وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما

---

(١) الرد على الأخنائي ص: (٤٨٥ - ٤٨٩).

هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها أعياداً؛ فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً إلى تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه، واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الأجر؛ فأي تعظيم لهم واحترام في هذا؟"[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "ومن العجب أن اللعين [يقصد إبليس أعاذنا الله منه] كادهم مكيدة أدرك بها مأموله، فأظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه، ومحبةِ الصالحين وتعظيمِهم، ولعمر الله إنَّ تبرئتهم من هذا التعظيم والمحبة، هوالتعظيم لهم والمحبة، وهو الواجب المتعين.

وأظهر لهم التوحيد والإخلاص في صورة بغضِ النبي ﷺ وبغضِ الصالحين، والتنقصِ بهم، وما شعروا أنهم تنقصوا الخالق سبحانه وتعالى، وبخسوه حقه، وتنقصوا النبي ﷺ والصالحين بذلك.

أما تنقصهم للخالق تعالى: فلأنهم جعلوا المخلوقَ العاجزَ مثلَ الربِّ القادرِ في القدرة على النفع والضر.

وأما بخسهم حقه تعالى: فلأنَّ العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى، فإذا جعلوا شيئاً منها لغيره فقد بخسوه حقه.

وأما تنقصهم للنبي ﷺ وللصالحين: فلأنهم ظنوا أنهم راضون منهم بذلك أو أمروهم به، وحاشا لله أن يرضوا بذلك، أو يأمروا به؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]."[(٢)].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: " وقد عَلِم كلُ عالمٍ أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا تعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب إليها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلى

(١) إغاثة اللهفان ١/٢١٣- ٢١٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٤٧٤-٤٧٥ .

حد لا يكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهدِ مَنْ يعتقده أو قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله، أو في مسجد من المساجد أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غُلاتهم بالله كاذباً ولم يحلف بالميت الذي يعتقده"(١).

ثانياً: أن ما وقع منهم من تعظيم قبور الأولياء والصالحين هو عين ما وقع من تعظيم المشركين للأصنام والأوثان؛ فإن عبادة قوم نوح عليه السلام للأصنام كانت بسبب تعظيمهم للأولياء والصالحين، وإلا لم يكونوا يعظمون تلك الأصنام والتماثيل لذواتها في بادئ الأمر. قال ابن عباس رضي الله عنهما عن ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ذُكروا في قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣]: "... أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فلما هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ التي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ "(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله:" فتبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم... وهو أصل عبادة الأصنام، فإنهم عظَّموا الأموات تعظيمًا مبتدعًا، فصوروا صورهم، وتبركوا بها، فآل الأمر إلى أن عبدت الصور وَمَنْ صُورَتُه، وهذا أول شرك حدث في الأرض، وهو الذي أوحاه الشيطان إلى عُبّاد القبور في هذه الأزمان، فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم، وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة

---

(١) الدر النضيد ص: (١٨-١٩)، وانظر: مفيد المستفيد ص: (٣٦)، الرد على شبهات المستغيثين بغير الله ص: (٥٥٠-٥٥٣).

(٢) تقدم ص: (٢).

من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد، فاعتادوها لذلك. فإذا تقرر ذلك عندهم، نقلهم منه إلى الدعاء به والإقسام على الله به[١]... "[٢].

ثالثاً: أن سيد الأولياء والأنبياء وأشرفهم لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا لغيره، وإذا كان هو لا يملك ذلك فمن دونه من الأولياء والصالحين لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولانفعاً من باب أولى، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ ﴾ [الجن: ٢٠ - ٢٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: (**يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**)[٣].

فإذا كان ﷺ لا يملك شيئاً لقومه وعشيرته وعمه وعمته وابنته، ولا يستطيع أن يمنع عذاب الله تعالى بهم إن أراد أن ينزله بهم، وهم أحق الناس ببره؛ فلأن لا يملك ذلك لغيرهم

---

(١) إلى أن ينقلهم إلى دعاء الميت نفسه وصرف العبادات إليه.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٥٥٤/١، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥٧/٢٧-٣٦٠، ٢٨٣/٢٧- ٢٨٦، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين ص: (١٤٩).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٥٢٣).

من باب أولى، وإذا كان وهو أشرف الخلق وسيد الأنبياء والرسل لايملك ضراً ولانفعاً فغيره ممن هو دونه من الأولياء والصالحين من باب أولى.

وإنما الذي يملك الضر والنفع هو الله تعالى، فالواجب على العبد أن يتقرب إليه بتوحيده وطاعته؛ فهذا هو الذي ينجي من عذاب الله، فالنبي ﷺ في الحديث أرشد قومه وقرابته إلى ما أرشد إليه غيرهم من السعي في نجاة أنفسهم من النار بتوحيد الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله؛ فإن هذا هو الذي ينفع وينجي في الدنيا والآخرة.

رابعاً: تفضيلهم الولي على النبي مخالف لما دلالة عليه النصوص دلالة قاطعة من تفضيل الأنبياء والرسل على جميع الخلق، وأن الله تعالى اختارهم واصطفاهم على البرية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [مريم: ٥٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩] .

وقال النبي ﷺ: (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع**)[1].

فهذه الأدلة وغيرها تبيِّن بجلاء أن الله تعالى قد اختار الأنبياء والرسل واصطفاهم وفضلهم على غيرهم، وأنه لا يمكن لأحد أن ينال مرتبتهم، كما أنه لا يمكن أن يكون في أممهم من هو أفضل منهم، وإنما التفاضل هو بين الأنبياء والمرسلين أنفسهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ

(١) تقدم تخريجه ص: (٤٨٤).

مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وغير خاف أن القول بتفضيل الولي على النبي متضمن تنقص النبي تنقصاً عظيماً[(١)].

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:"ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[(٢)].

خامساً: القول بعصمة الأولياء قول باطل؛ فلا معصوم من الخلق إلا الأنبياء، فقد عَصَم الله الأنبياء من الوقوع في الكبائر واختلف في الصغائر هل تصدر من الأنبياء أم لا[(٣)]. أما الأولياء فلم يأت في النصوص ما يدل على عصمتهم، بل إن الله تعالى لم يأمرنا بطاعة أحد كائناً من كان إلا هو سبحانه ورسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠] .

أما ماورد من الأمر بطاعة ولاة الأمر: فهو مقيد بكون المأمور به من طاعة الله ورسوله، ولهذا إذا أَمَر ولاة الأمر بمعصية فلا سمع لهم ولا طاعة في تلك المعصية.

وقد قال النبي ﷺ: (**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**)[(٤)] ، ولا يخرج عن هذا العموم إلا من أخرجهم الدليل وهم الأنبياء.

---

(١) انظر في الرد على عقيدة الصوفية في تفضيل الولي على النبي: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٨٦- ١٩٩)، شرح الطحاوية ٧٤٩/٢- ٧٥٢.

(٢) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٧٤٩/٢.

(٣) انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص: (٣٠٠)، الشفا للقاضي عياض ص: (٣٧٢)، الفصل لابن حزم ٢٨٤/٢ - ٢٨٥، مجموع الفتاوى ٢٨٩/١٠-٣١٦، ٣١٩/٤-٣٢٠، منهاج السنة ٤٧٢/١، بغية المرتاد ص: (٥٠١)، فتح الباري لابن حجر ١٢٢/١١.

(٤) رواه أحمد برقم: (١٣٠٤٩) مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه ٣٤٤/٢٠، والترمذي برقم: (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة، باب رقم: (٤٩) ص: (٥٦٣)، وابن ماجه برقم: =

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" لما كان ولي الله يجوز أن يغلط، لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله، إلا أن يكون نبياً.

بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثةً وخطاباً من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعَه على ماجاء به محمد ﷺ ؛ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف عنه.

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: طرفان ووسط، منهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله، وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبُه عن ربه، وسلَّم إليه جميعَ ما يفعله. ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية، وإن كان مجتهداً مخطئاً، وخير الأمور أوسطها، وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يُتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده"(١).

ويقول رحمه الله معلقاً على قول الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٣٥ ﴾[الزمر:٣٣ - ٣٥]:" فقد وصفهم الله بأنهم هم المتقون، والمتقون هم أولياء الله، ومع هذا فأخبر أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا. وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والإيمان. وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون أنه من الأولياء. فالرافضة تزعم أن " الاثني عشر " معصومون من الخطأ والذنب، ويرون هذا من أصول دينهم. والغالية في المشايخ قد يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم. وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه؛ فحاله حال من يرى أن الشيخ والولي لا يخطئ ولا يذنب. وقد بلغ الغلو بالطائفتين

(٤٣٢٧) كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ٣٨٣/٣ من حديث أنس ﷺ. وحسنه الألباني في أحكامه على سنن الترمذي وسنن ابن ماجه.

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: (١٤٦– ١٤٨) وانظر نفس المرجع ص: (١٤٤، ١٤٨– ١٦٣)

إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي وأفضل منه، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية. وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهية للضلالات النصرانية؛ فإن في النصارى من الغلو في المسيح والأحبار والرهبان ما ذمهم الله عليه في القرآن؛ وجعل ذلك عبرة لنا؛ لئلا نسلك سبيلهم"[١].

(١) مجموع الفتاوى ١١/٦٧- ٦٨.

الفصل الخامس:

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم عموم المسلمين وغيرهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعظيم الشرعي لعموم المسلمين، **وفيه ثمانية مطالب:**

المطلب الأول: النصيحة لهم.

المطلب الثاني: مولاتهم ومحبتهم ومودتهم.

المطلب الثالث: معاملتهم بالرحمة ولين الجانب.

المطلب الرابع: ترك ازدرائهم واحتقارهم.

المطلب الخامس: الحكم بإسلامهم ما لم يظهر منهم خلاف ذلك.

المطلب السادس: عدم تكفير المسلم بغير دليل شرعي.

المطلب السابع: تعظيم حرماتهم.

المطلب الثامن: إكرام ذوي الفضل من عامة المسلمين وتوقيرهم.

المبحث الثاني: التعظيم المنهي عنه للمبتدعة والعصاة من المسلمين . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النهي عن تعظيم المبتدعة من المسلمين.

المطلب الثاني: النهي عن تعظيم العصاة من المسلمين .

المبحث الثالث: التعظيم المنهي عنه لغير المسلمين .

المطلب الأول: تحريم تعظيم غير المسلمين.

المطلب الثاني: مظاهر تعظيم غير المسلمين.

المبحث الأول:

التعظيم الشرعي لعموم المسلمين

وفيه ثمانية مطالب:

المسلمون جميعاً أعلى الإسلام منزلتهم، وأوجب لهم حقَّ الاحترام والتقدير من أجل إسلامهم وإيمانهم، وأوجب رعاية حرماتهم، وأوجب لهم الموالاة والمحبة بقدر إيمانهم، وهذا الحق الواجب هو حق متبادل بين المسلمين، يجب على كل مسلم أن يؤديه لإخوانه المسلمين حسب القدرة والاستطاعة.

وإذا قام كل واحد بذلك ووقَّر إخوانَه المسلمين، وعظَّم حرماتِهم، وقام بحقوقهم تحققت السعادة للجميع، وصاروا إخوة متحابين متآلفين، مجتمعين على الخير، يحب كل منهم الخير لأخيه، ولا يحسده، ولا يغشه، يؤذي كلَّ واحد منهم ما يؤذي الآخر، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

والتعظيم الشرعي لعموم المسلمين يكون بأمور، أذكرها في المطالب التالية:

المطلب الأول:

النصيحة لهم

فالنصيحة واجبة لعموم المسلمين، كما قال النبي ﷺ: **(الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[1].

والنصيحة كلمة عامة جامعة تشمل معاني كثيرة، ولذا عد أهل العلم هذا الحديث من جوامع كلام النبي ﷺ[2].

---

(١) تقدم ص: (٤٠٤).

(٢) ولذا أورده الإمام النووي في الأربعين من جوامع كلم النبي ﷺ، وهو الحديث السابع منها.

قال النووي رحمه الله:" وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر: فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات"[(١)].

---

(١) شرح النووي على مسلم ٢/٢٢٧، وانظر: جامع العلوم والحكم ١/٢٢٣ .

المطلب الثاني:

موالاتهم ومحبتهم ومودتهم

فمن تعظيم المسلمين ومن الحقوق الواجبة لهم: موالاتهم ومحبتهم في الله تعالى، **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[المائدة:].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي الحديث عن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار**)[١].

وقال ﷺ: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)[٢].

ومن لوازم هذه المحبة والمودة للمسلمين: أن يحب لهم من الخير ما يحبه لنفسه، وأن يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، فعن أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: (**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)[٣].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٨٧).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٠١١) كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٥٣٨/١٠، ورواه مسلم برقم: (٦٥٢٩) كتاب الأدب، باب تراحم المؤمنين ٣٥٦/١٦ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم: (١٣) كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٧٩/١، ومسلم برقم: (١٦٨) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ٢٠٦/٢ - ٢٠٧.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله عن هذا الحديث:" يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد؛ فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يَفوقَه أحد في خير، أو يساويَه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يَشْركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء"[(١)].

ولتحقيق هذه المودة والإلفة بين المسلمين جعل الله تعالى المؤمنين إخوة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وشرع الإسلام شرائع كثيرة لتحقيق المودة والمحبة بين المسلمين، ومن ذلك: مشروعية السلام على المسْلِمين؛ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**)[(٢)]. وكذلك عيادة المريض، والتعزية عند المصيبة، وإجابة الدعوة، والمشاركة في الأفراح والأتراح.

كما حرم الإسلام أشياءَ كثيرة تقدح في هذه المحبة حتى تزيلها؛ كالغيبة، والنميمة، والكذب، والغش، والحسد، وغير ذلك.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٣٠٦/١ .

(٢) رواه مسلم برقم: (١٩٢) كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ٢٢٤/٢.

المطلب الثالث:

معاملتهم بالرحمة ولين الجانب

يجب على المسلم أن يرحم إخوانه المسلمين، وأن ويتواضع لهم، ويلين جانبه، وهذا مما يثمر المودة والإخاء والإلفة بين المسلمين. وقد كان هذا من صفات خير القرون أصحابِ رسول الله ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩] .

وأمر الله نبيه ﷺ بذلك؛ فقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: ٨٨] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

فيأمر الله تعالى نبيه ﷺ – وهو أرفع الناس منزلة وأعلاهم قدراً – بأن يتواضع للمؤمنين، وأن يرفق بهم، وأن يلين لهم المقال والفعال محبة وإكراماً لهم وتودداً إليهم. وقد فعل عليه الصلاة والسلام ما أمره الله تعالى به، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٩]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] .

قال الشيخ العلامة السعدي بعد أن فسّر قولَ الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٦] :" فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعَه والاقتداءَ به، أن يكون كَلاًّ على المسلمين، شرسَ الأخلاق، شديدَ الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ وإن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لينَ عنده، ولا أدبَ لديه، ولا توفيق. قد حَصَل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتَقِراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، قد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسَه

ورَفَعَها، وأُعجِب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ في أمر من الأمور، فلا تتبرأْ منهم، ولا تتركْ معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفعِ احترازِ وهمِ مَنْ يتوهم أن قوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم"[(١)].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٧٠٢).

المطلب الرابع:

ترك ازدرائهم واحتقارهم

من الواجب على المسلم تجاه إخوانه المسلمين ألاّ يحتقرهم أو يزدريهم أو يصغِّر من شأنهم؛ فإن شأن المسلمين عند الله تعالى عظيم، وإن كانوا ضعفاء أو مساكين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]: ففي هذه الآية " يأمر تعالى نبيه محمداً ﷺ، - وغيره أسوته في الأوامر والنواهي - أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ أي: أول النهار وآخره، يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى"[١].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا**) ويشير إلى صدره ثلاث مرات (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**)[٢].

---

(١) تفسير السعدي ص: (٥٥٢).

(٢) رواه مسلم برقم: (٦٤٨٧) كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ١٦/٣٣٦- ٣٣٧ .

قال ابن رجب رحمه الله:" وقوله ﷺ: (**التقوى هاهنا**) يشير إلى صدره ثلاث مرات: فيه إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى، فَرُبَّ من يحقره الناس لضعفه، وقلة حظه من الدنيا، وهو أعظم قدراً عند الله تعالى ممن له قدر في الدنيا، فإنما الناس يتفاوتون بحسب التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]...

قوله ﷺ: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) يعني: يكفيه من الشر احتقار أخيه المسلم، فإنه إنما يحتقر أخاه المسلم لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشر"(١).

قال ابن دقيق العيد(٢) رحمه الله:" قوله: (**ولا يحقره**) هو بالحاء المهملة والقاف: أي لا يتكبر عليه ويستصغره... قوله: (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) فيه تحذير عظيم من ذلك؛ لأن الله تعالى لم يحقِّره إذا خلقه ورزقه، ثم أحسن تقويم خلقه، وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعاً لأجله، وإن كان له ولغيره فله من ذلك حصة، ثم إن الله سبحانه سماه مسلماً ومؤمناً وعبداً، وبلغ من أمره إلى أن جعل الرسول منه إليه محمداً ﷺ؛ **فمن حقر مسلماً من المسلمين فقد حقر ما عظم الله** ﷻ، وكافيه ذلك، فإن من احتقار المسلم للمسلم: أن لا يسلم عليه إذا مر، ولا يرد عليه السلام إذا بدأه به، ومنها: أن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يبعده من النار. وأما ما ينقمه العاقل على

(١) جامع العلوم والحكم ٢٧٨/٢.

(٢) هو الشيخ محمد بن علي بن وهب القشيري، أبو الفتح، تقي الدين ابن الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد، كان مجتهداً حافظاً زاهداً مشتغلاً بالعلم، له مصنفات كثيرة منها: الإلمام في الحديث، وشرح عمدة الأحكام، وله كتب في الفقه، وله شِعر بليغ. توفي سنة: (٧٠٢ هـ) انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٠٧/٩ — ٢٤٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢٢٩/٢ — ٢٣٢.

الجاهل، والعدل على الفاسق؛ فليس ذلك احتقاراً للمسلم، بل لِمَا اتصف به الجاهل من الجهل، والفاسق من الفسق، فمتى فارق ذلك راجعه إلى احتفاله به ورَفْعِ قدرِه"[(١)].

فينبغي إكرام المسلمين وإن كانوا ضعفاء أو مساكين، فإن هذا مما حث عليه ديننا، وكان عليه سلفنا الصالح، قال المروذي[(٢)] عن الإمام أحمد:" وكان أبو عبد الله كثير التواضع يحب الفقراء، لم أر الفقيرَ في مجلس أحد أعزَّ منه في مجلسه، مائلٌ إليهم، مقصرٌ عن أهل الدنيا"[(٣)].

---

(١) شرح الأربعين النووية ص: (١٥٢- ١٥٣) .

(٢) هو الإمام الفقيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز، أبو بكر المروذي، كانت أمه مروذية وأبو خوارزميًا، وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله، وكان الإمام أحمد يأنس به وينبسط إليه، وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله. وحدّث عنه، وروى عنه مسائل كثيرة، وكان إماماً في السنة، شديد الاتباع، له جلالة عجيبة. توفي سنة: (٢٧٥ هـ) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/٥٦- ٦٣، السير ١٣/١٧٣- ١٧٧.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٥ .

المطلب الخامس:

الحكم بإسلامهم ما لم يظهر منهم خلاف ذلك

إذا أظهر الإنسان الإسلام، وبان منه سلامة المعتقد، ولم يكن منه ما يخالف ذلك، فإننا نحكم بمقتضى ذلك أنه من أهل الإسلام، ومن أهل السنة، وليس إلينا ما وراء ذلك مما ينطوي عليه صدره، فإن ذلك مردود إلى العليم الخبير سبحانه، قال النبيﷺ:(**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**)[١].

قال الإمام الخطابي رحمه الله" وقوله: (**حسابهم على الله**) معناه: فيما يستسرون به دون ما يخلون به من الأحكام الواجبة عليهم في الظاهر، وفيه دليل أن الكافر المستسر بكفره لا يتعرض له إذا كان ظاهره الإسلام، وتقبل توبته إذا أظهر الإنابة من كفر عُلم بإقراره أنه كان يستسر به، وهو قول أكثر العلماء"[٢].

وفي قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ: اتق الله، فقال النبي ﷺ: (**ويلك، أولستُ أحق أهل الأرض بأن يتقي الله؟**) قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد[٣]رضي الله عنه: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: (**لا، لعله أن يكون يصلي**)، فقال خالد: وكم من مصل يقول

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٢٥٥).

(٢) معالم السنن للخطابي ٢/١٧٠.

(٣) هو الصحابي الجليل خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله، أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة زوج النبي ﷺ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وشجعانها، شهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، أسلم في سنة: (٧ هـ)، وأخذ راية المسلمين يوم مؤتة فنصرهم الله، وسماه الرسول ﷺ سيف الله، وشهد فتح مكة، وأرسله النبي ﷺ إلى أكيدر دومة فأسره، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى، ثم ولاه حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً وفتح دمشق، واستخلفه على الشام إلى أن عزله عمر، مات بحمص سنة: (٢١ هـ).انظر: الإصابة ١/٤٦٩- ٤٧٢.

بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: **(إني لم أؤمر أن أنقُبَ قلوبَ الناس ولا أشق بطونهم)**[(١)].

فهذه الأحاديث تدل على أن الناس تجرى أحكامهم على الظاهر، وأنه ليس لأحد أن ينقب عن بواطنهم، ويفتش عن سرائرهم إذا لم يظهر منهم خلاف ما أعلنوه من الإسلام والدين.

قال عمر ﷺ: " إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أَمِنّاه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرته، ومن أظهر سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة"[(٢)].

فيجب على المسلم أن يعتني بهذا الأمر، وألا يرمي إنساناً بكفر أو بدعة أو فسق ونحو هذا بمجرد الظن والهوى، وإن بعض الظن إثم، و أيضاً يجب على الناصح لنفسه أن لا يحكم على أحد إلا بما ظهر منه، فالحكم على أحد من الناس بالإيمان أو الكفر أو السنة أو البدعة لا علاقة له بالباطن، بل هو متعلق بما ظهر من الإنسان، فمن أظهر إسلامه وانتسابه للسنة فإنه لا ينفى ذلك عنه إلا إذا طرأ عليه ما ينافي ذلك، فإن ظهر عليه كفر أو بدعة حُكِم عليه بذلك من قِبَلِ العلماء إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في سياق كلام عن أهل الإسلام وأهل القبلة: " ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى". قال الشارح رحمه الله بعده: " لأنا قد أُمِرنا بالحكم بالظاهر ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم... قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]"[(٣)].

---

(١) رواه البخاري رقم: (٤٣٥١) كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ٨/٨٤-٨٥، ومسلم برقم: (٢٤٤٩) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧/١٦٢-١٦٣. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم: (٢٦٤١) كتاب الشهادات، باب الشهود العدول ٥/٣١٠.

(٣) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٥٧٥، وانظر: جامع العلوم والحكم ١/٢٣٦- ٢٣٧.

المطلب السادس:

عدم تكفير المسلم بغير دليل شرعي

إن مما يخالف التعظيم الواجب للمسلمين وينافي الإخوة الإسلامية: التسلط على المسلمين بالتكفير والإخراج من الإسلام، فإن التكفير مؤداه قطع الصلاة بين المكفَّر وسائر المسلمين، وإباحة دمه الذي كان محترماً في الأصل وكذلك ماله، وأن نكاحه من زوجته المسلمة مفسوخ، وأنه لاتوارث بينه وبين قرابته المسلمين إلى غير ذلك من الأحكام المترتبة على التكفير.

ولذا فإن من أشد الأمور خطورة تكفير مسلم بغير مسوغ شرعي، وهو من أعظم البغي والعدوان، وهو أعظم وأخطر من قذف شخص بأنه زان أو شارب خمر ونحو ذلك...

ولقد جاء الوعيد الشديد في حق من وصف أحداً من المسلمين بالكفر أو دعاه به وهو ليس كذلك؛ قال ﷺ: (**أيما امرئ قال لأخيه: كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**)(١).

وقال ﷺ: (**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوَّ الله، وليس كذلك إلا حار عليه**)(٢).

وقال ﷺ: (**ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله**)(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم: (٢١٣) كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر ٢/٢٣٨ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم برقم: (٢١٤) كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ٢/٢٣٩ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري برقم: (٦٠٤٧) كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن ١٠/٥٧٠-٥٧١، ورواه مسلم برقم: (٢٩٨) كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ٢/٣٠٢-٣٠٣ من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، وهذا لفظ البخاري.

فالتكفير مسألة خطيرة عظمت فيها الفتنة، وقد انتشر في هذا الزمان التكفير بغير ما دليل بين كثير من المنتسبين للإسلام، وصاروا يكفرون ولاة أمور المسلمين ومن يتولى ولاية من ولاياتهم، بل قد وصل الأمر إلى تكفير رجالِ الأمن والشعوبِ الإسلامية التي تدين بالطاعة لأولئك الولاة، ونتج عن ذلك فتن وشرور كالتفجيرات الإرهابية والعمليات الإنتحارية التي أهلكت الحرث والنسل في كثير من البقاع.

والتكفير مزلة أقدام وأفهام، وباب خطير جداً، لذا فقد ضبطه أهل العلم والإيمان بضوابط تجب مراعاتها، والانتباه لها، وله شروط يجب توفرها وموانع يجب الخلو منها لوقوع التكفير[1].

(١) انظر في مسألة شروط وموانع تكفير المعين: نواقض الإيمان القولية والعملية ص: (٥٢ – ٨٤)، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير ١/٢٠١- ٢/٥١، التكفير وضوابطه للشيخ صالح الفوزان، التكفير وضوابطه للدكتور الرحيلي ص: (٢٢٣ – ٣٠٦)، ضوابط تكفير المعين لعبد الله الجبرين، التكفير في ضوء السنة النبوية للجوابرة ص: (٤٢ – ٤٥).

المطلب السابع:
تعظيم حرماتهم

قال النووي رحمه الله في رياض الصالحين: " باب تعظيم حرمات المسلمين، وبيان حقوقهم، والشفقة عليهم، ورحمتهم "(١).

حرمات المسلمين هي: ما لا يحل انتهاكه والمساس به من أنفس المسلمين وأهليهم وأموالهم وأعراضهم.

فيشمل تعظيم حرمات المسلمين المنع من التعدي عليهم في أنفسهم وفي أموالهم وفي أعراضهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

قال السعدي رحمه الله:" ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ أي: بغير جناية منهم موجبة للأذى ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ ﴾ على ظهورهم ﴿ بُهْتَٰنًا ﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها، ولهذا كان سب آحاد المؤمنين موجبًا للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ، وتعزير من سب العلماء، وأهل الدين، أعظم من غيرهم"(٢).

ففي النفوس: حرم الإسلام التعدي على المسلم بضربه أو قتله وسفك دمه بغير حق، وجَعَل نفسَ المسلم أعظمَ النفوس المعصومة، ورتب العقوبة الشديدة على من سفك دم امرئ مسلم بغير حق. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

---

(١) رياض الصالحين مع شرحه للعثيمين ٤/٦٦١.

(٢) تفسير السعدي ص: (٧٨٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دماً حراماً**)[١].

وقال رسول الله ﷺ: (**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**)[٢].

والأحاديث المعظمة لحرمة نفس المسلم ولإثم سفك دمه، وأنه من أعظم الذنوب كثيرة جداً[٣].

بل إن الإسلام أمر بالاحتراز من إيذاء المسلمين بأي سبب ولو قل؛ فكيف بالقتل وإزهاق النفوس؟، قال ﷺ: (**إذا مر أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها، – أو قال: فليقبض بكفه –، أن يصيب أحداً من المسلمين منها شيء**)[٤].

وفي الأموال: حرم الإسلام التعدي على مال المسلم وأخذه بغير حق بأي سبب كان كسرقة أو غصب أو نهب أو غير ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وشرع الإسلام حد السرقة لحفظ أموال المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٥٢) كتاب الصلاة، باب المرور بالمسجد، ٧٠٧/١–٧٠٨، ومسلم برقم: (٦٦٠٨) كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها ٣٨٥/١٦ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٦٨٦٤) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾[النساء: ٩٣] ٢٣٢/١٢، ومسلم برقم: (٤٣٥٧) كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة ١٦٨/١١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر طائفة منها في الترغيب والترهيب للمنذري ٩٢٧/٢–٩٣١، الكبائر للذهبي ص (٦–١٠).

(٤) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٦٨٦٢) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] ٢٣١/١٢.

وقال رسول الله ﷺ: (**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**)[١].

وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع في يوم النحر في منى: (**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**)[٢].

وفي الأعراض: حرم الإسلام قذف المسلم بالفاحشة من غير بينة، وجعل ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وشرع حد القذف حماية لأعراض المسلمين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٣ - ٢٤].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

وحرم الإسلام اغتياب المسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: كنا مع رسول الله ﷺ فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال: (**إنهما لا يعذبان في كبير، وبلى، أما أحدهما: فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يتأذى من البول...**)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(**أتدرون ما الغيبة؟**) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (**ذكرك أخاك بما يكره**) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: (**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**)[٤].

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٨٢٤).

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٧) كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: (**رب مبلَّغ أوعى من سامع**) ٢٠٨/١، ورواه مسلم برقم: (٤٣٥٩) كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٦٩/١١ – ١٧٠ من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) رواه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد باب الغيبة برقم: (٧٣٥) ص: (٢٦٢). وقال عنه الألباني في أحكامه على الكتاب: صحيح لغيره. وهو في الصحيحين بذكر النميمة بدل الغيبة. وانظر: الكبائر لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ص: (٤٩).

(٤) رواه مسلم برقم: (٦٥٣٦) كتاب الأدب، باب تحريم الغيبة ٣٥٨/١٦. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الثامن:

إكرام ذوي الفضل من عامة المسلمين وتوقيرهم

ذوو الفضل وأهل المنازل من عامة المسلمين لهم حق في الإكرام والتوقير، ومنهم:

الوالدان: الوالدان هما سبب وجود ولدهما في هذه الحياة، وهما الذين رعيا الولد واهتما بشأنه وقت ضعفه، فلهما حق عظيم جداً، ولعظم حقهما عطف الله تعالى حقهما على حقه في كثير من آيات القرآن الكريم، وذلك يدل دلالة واضحة على عظم حقهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[البقرة:٨٣] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

وهما أحق الناس بالتبجيل والاحترام والتعظيم وانتقاء أحسن الألفاظ، والبعد عن كل ما يُشعر بانتقاصهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]. فأمر تعالى بالإحسان إليهما، وهذا الإحسان يشمل الإحسانَ القوليَ والفعليَ، ثم نهى عن التضجر منهما بقول:" أف "ونحوها مما يشعر بشيء من الملال منهما والاستثقال لهما والاستكثار لطلباتهما، ولا سيما في وقت ضعفهما وكبرهما، ثم أمر بمخاطبتهما بأحسن الألفاظ وأجملها، ثم أمر بالتواضع لهما ولين الجانب، وعدم الترفع عليهما رحمة بهما ورفقاً، ثم أمر بالدعاء لهما، جزاء ما قدماه للولد حال صغره وضعفه.

فتدل هذه الآيات على وجوب تكريم الوالدين، وتعظيمهما، والإحسان إليهما بالقول والفعل دلالة واضحة.

وقال النبي ﷺ: (**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**)[١].

وقال النبي ﷺ: (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور**)

قال عطاء[٢] رحمه الله: "لا ينبغي لك أن ترفع يديك على والديك، ولا إليهما **تعظيماً لهما**"[٣].

قال طاوس[٤] رحمه الله: " **من السنة أن يوقر أربعة**: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، ومن الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه"[٥].

وقال أبو هريرة ﷺ لرجل وهو يعظه في بر أبيه: " لا تمش أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تَدْعُه باسمه".

---

(١) رواه الترمذي برقم: (١٨٩٩) كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، ص: (٤٣٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الذهبي في الكبائر ص: (١٨)، والألباني في أحكامه على سنن الترمذي، وفي الصحيحة برقم: (٥١٥) ٢/٤٣- ٤٤.

(٢) هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم، إمام من أئمة المسلمين، من التابعين، أبو محمد، ولد في خلافة عثمان ﷺ، حدث عن: عائشة، وأم سلمة، وأم هانئ، وأبي هريرة، وابن عباس، وحكيم بن حزام، وعدد من الصحابةﷺ، كان هو المفتي في الحج زمناً، مات سنة: (١١٤ أو ١١٥هـ) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٦٧- ٤٧٠، سير أعلام النبلاء ٥/٧٨ — ٨٨ .

(٣) ذكره البغوي في شرح السنة ١٣/١٥ .

(٤) هو طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني، من الفقهاء المعدودين، من التابعين، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، سمع من: زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس ﷺ،ولازم ابن عباس، وهو من كبار أصحابه. مات سنة: (١٠٦ هـ) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٣٧- ٥٤٢، السير ٥/٣٨ — ٤٩ .

(٥) ذكره البغوي في شرح السنة ١٣/٢٧، وابن مفلح في الآداب ١/٢٢٦.

وقال ابن محيريز[١] رحمه الله: "من مشى بين يدي أبيه، فقد عقه، إلا أن يميط له الأذى عن الطريق، وإن كناه، أو سماه باسمه، فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبه"[٢].

ذووا الرحم والقرابة:

الأرحام لقب يطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان ذا محرم أم لا، وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام، وليس كذلك[٣].

وذووا الرحم والقرابة لهم حق عظيم على الإنسان؛ فيجب احترامهم وتكريمهم وصلتهم وإعطاؤهم حقوقهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ – ٢٣]. فقطيعة الرحم من أعظم الكبائر والعياذ بالله.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**) قال رسول الله ﷺ:

---

(١) هو الإمام الفقيه عبد الله بن محيريز بن جنادة القرشي الجمحي المكي، من التابعين الأجلاء، حدث عن: عبادة بن الصامت، وأبي محذورة المؤذن زوج أمه، ومعاوية، وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة ﷺ، وكان كثير العبادة، مات سنة: (٩٩ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٤ – ٤٩٦، الوافي بالوفيات ١٧/٣٢٢.

(٢) ذكر هذه الآثار الثلاثة البغوي في شرح السنة ١٣/٢٧ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٠/٥٠٨– ٥٠٩، وانظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٣٢٩ .

(**فاقرءوا إن شئتم:** ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢])(١).

ذو الشيبة المسلم: فتعظيم ذي الشيبة وكبير السن من المسلمين وإجلاله من إجلال الله تعالى وتعظيمه، قال النبي ﷺ: (**إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط**)(٢).

قوله:"(**إكرام ذي الشيبة المسلم**) أي: **تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام**؛ بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله؛ لحرمته عند الله"(٣).

وقال ﷺ: (**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**)(٤).

قال المروذي عن الإمام أحمد:" وكان أبو عبد الله من أشد الناس **إعظاماً لإخوانه** ومن هو أسن منه"(٥).

الجار: والجار له حق التكريم والاحترام وبذل المعروف، جاءت النصوص الكثيرة بالوصاة به، قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ [النساء: ٣٦]. والجار ذي القربى

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٤٨٣٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] ٢٠٨/١، ورواه مسلم برقم: (٦٤٦٥) كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٣٢٨/١٦.

(٢) تقدم تخريجه ص: (٧٥٠).

(٣) عون المعبود ٨٧/١٣، وانظر: دليل الفالحين ٢١٢/٣.

(٤) تقدم تخريجه ص: (٧٥٢).

(٥) الآداب لابن مفلح ٤١٦/١.

هو الجار الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، وقيل ذي القربى هو المسلم، والجنب من ليس بمسلم، وقيل غير ذلك[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه)**[٢].

قال الحافظ في الفتح: " قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة:" حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه. ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه، إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية"[٣].

---

(١) انظر: زاد المسير ١/٤٠٤، تفسير ابن كثير ٢/٢٩٨.

(٢) رواه البخاري برقم: (٦٠١٥) كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار ١٠/٥٤٢، ورواه مسلم برقم: (٦٦٣٠) كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ١٦/٣٩٢، كما رواه الشيخان أيضاً من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نفس الكتاب والباب.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٤٣.

المبحث الثاني:

التعظيم المنهي عنه للمبتدعة والعصاة من المسلمين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

النهي عن تعظيم المبتدعة من المسلمين

مما يجب تجاه أهل البدع في معاملتهم: ترك تعظيمهم، والبعد عن كل ما يشعر بتوقيرهم واحترامهم؛ وذلك زجراً لهم عن بدعتهم حتى يثوبوا ويتوبوا ويرجعوا، وأيضاً: حماية للناس من شرهم وضلالهم حتى لايتأثروا بهم في بدعهم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠]. والمبتدعة من جملة المحادين لله ورسوله ودين الله وشرعه؛ فهم أذلاء صاغرون لايجوز تكريمهم ولاتعظيمهم.

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨]. فأخبر تعالى أن العزة له سبحانه ولرسوله وللمؤمنين؛ فمن لم يكن من المؤمنين فليس بعزيز، فقد أهانه الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾. [الأنعام: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠]. قال الإمام الطبري رحمه الله: " وفي هذه الآية الدلالة

الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم"[١].

وقال النبي ﷺ: (**لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم** ﷻ)[٢].

ترجم عليه المنذري[٣] رحمه الله في الترغيب والترهيب بقوله:" الترهيب من قوله لفاسق أو مبتدع: يا سيدي أو نحوها من الكلمات **الدالة على التعظيم**"[٤].

وترجم عليه النووي رحمه الله في رياض الصالحين بقوله:" باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بِسَيد ونحوه"[٥].

" قوله (**إن يك سيداً**) أي: سيد قوم، أو صاحب عبيد وإماء وأموال (**أسخطتم ربكم**) أي: أغضبتموه؛ **لأنه يكون تعظيماً له، وهو ممن لا يستحق التعظيم**، فكيف إن لم يكن سيداً بأحد من المعاني، فإنه مع ذلك يكون كذباً ونفاقاً"[٦].

قال ابن علان رحمه الله:" **ومثله سائر ألفاظ التعظيم**"[٧]. أي: مثل قول: سيد.

---

(١) تفسير الطبري ٣٨٢/٥ - ٣٨٣ .

(٢) رواه أبو داود برقم: (٤٩٧٧)كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك: ربي. ص: (٧٤٦)، من حديث بريدة ﷺ، وصححه الألباني في أحكامه على سنن أبي داود.

(٣) هو الإمام عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري، زكي الدين، أبو محمد، الشامي الأصل ثم المصري المولد والوفاة، الحافظ الكبير الورع الزاهد، من مصنفاته: الترغيب والترهيب، مختصر صحيح مسلم، توفي سنة: (٦٥٦ هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢٥٩/٨- ٢٦١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١١١/٢- ١١٣.

(٤) الترغيب والترهيب للمنذري ١٠٧٥/٣.

(٥) رياض الصالحين مع شرحه المسمى ب: بهجة الناظرين ٢١٠/٣.

(٦) مرقاة المفاتيح ٣٠٠٩/٧ .

(٧) دليل الفالحين ٥٤٢/٨.

فقد نهى النبي ﷺ عن تعظيم المنافق ولو باللفظ كمناداته بسيد ونحوه مما يشعر تكريمه وتبجيله ورفع منزلته على المسلمين، ويقاس على الفاسق: المبتدع؛ فكلاهما من المحادين لله تعالى وشرعه.

ولو قيل لمنافق أو كافر أو مبتدع: إنه سيد قومه أو عظيم قومه أو كبيرهم فلا بأس بذلك؛ أي الذي سوّده قومه وعظموه، فقد كتب النبي ﷺ إلى هرقل كتاباً، وقال فيه: (**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى** ...)[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله في سياق ذكره لبعض فوائد الحديث:" ومنها: التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها؛ فلا يُفْرِط ولا يُفَرِّط، ولهذا قال النبي ﷺ: (**إلى هرقل عظيم الروم**) فلم يقل: ملك الروم؛ لأنه لا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ، أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة، ولم يقل: إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال: (**عظيم الروم**) أي: الذي يعظمونه ويقدِّمونه..."[(٢)].

وتعظيم أهل البدع الذي حذر منها السلف يكون بأمور، منها: مجالستهم لغير عالم يريد دعوتهم، والانبساط إليهم، ومشاورتهم، وتقليدهم الوظائف التي يرتفعون فيها على أهل الإيمان، وتلقيبهم بالألقاب الطيبة التي قد توقع من لم يَخْبُرْهم في الافتتان بهم.

وقد نهى علماء السلف رحمهم الله عن تعظيم أصحاب البدع وعن تكريمهم، ومن كل ما يفيد تقديمهم والاهتمام بهم.

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٧)كتاب بدء الوحي، باب رقم: (٦) (بدون ترجمة) ١/٤٣- ٤٦، ومسلم برقم: (٤٥٨٣) كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ١٢/٣٢٢- ٣٢٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢/٣٢٦.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله:" من عظم صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله ﷻ على محمد ﷺ، ومَن زَوّج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع"[(١)].

وعن إبراهيم بن ميسرة[(٢)] رحمه الله قال: "ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"[(٣)].

وقال الأوزاعي رحمه الله: " من وقَّرَ صاحب بدعة فقد أعان على فُرْقة الإسلام"[(٤)].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته؛ دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

---

(١) شرح السنة للبربهاري ص: (١٣٧) .

(٢) هو الإمام الفقيه إبراهيم بن ميسرة الطائفي، نزيل مكة، حدث عن: أنس بن مالك ﷺ، وعمرو بن الشريد، وطاووس، وسعيد بن جبير وغيرهم، وهو ثقة روى له الجماعة. جزم ابن حجر في التقريب أنه مات سنة: (١٣٢ هـ). انظر: تهذيب الكمال ٢/٢٢١ – ٢٢٣، سير أعلام النبلاء ١٢٣/٦ – تقريب التهذيب ص: (١١٧).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم: (٢٧٣) ١/١٥٧.

(٤) رواه السِّلفي في الطيوريات ٢/٣١٦ .

والثانية: أنه إذا وُقر من أجل بدعته؛ صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء. وعلى كل حال، فتحيا البدع، وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه"[(١)].

بل قد نهى السلف الصالح رحمهم الله عن مجرد مجالستهم والاستماع إلى كلامهم حتى لايتأثر المجالس لهم والمستمع لحديثهم ببدعتهم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: " أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وينهون عن أصحاب البدع"[(٢)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: " أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يأنس بهم "[(٣)].

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله: " فالله الله معشر المسلمين لا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشد فتنة من الدجّال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم؛ فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صَبَوا إليهم"[(٤)].

---

(١) الاعتصام ١/١٥١- ١٥٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي برقم: (٢٦٧) ١/١٥٦.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية رقم: (٤٩٥) كتاب الإيمان، المجلد الثاني ص: (٤٧٥).

(٤) المرجع السابق ص: (٤٧٠).

المطلب الثاني:

النهي عن تعظيم العصاة من المسلمين

العصاة والفساق من المسلمين لايجوز تعظيمهم وتبجيلهم ولا رفع شأنهم؛ لماّ كانوا من أهل المحادَّة لله تعالى ورسوله ﷺ، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٠] . فالفساق يصدق عليهم وصف المحادة لله ورسوله، وإن كانوا ليسوا من أهل المحادة التامة وهم الكفار، فالفساق هم من الذين كتب الله عليهم الذلة لفسقهم وعصيانهم لأوامر الله ورسوله؛ فلا يجوز تكريمهم ولاتعظيمهم ولا مخاطبتهم بما فيه رفعة من شأنهم.

وقال النبي ﷺ: (**لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنَّه إنْ يَكُ سيداً فقد أسخطتم ربكم** ﷻ)[١].

ترجم عليه المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب بقوله:" الترهيب من قوله لفاسق أو مبتدع: يا سيدي أو نحوها من الكلمات الدالة على التعظيم"[٢].

وترجم عليه النووي رحمه الله في رياض الصالحين بقوله:" باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بِسَيد ونحوه"[٣].

فالحديث فيه النهي عن مخاطبة المنافق بسيد ويقاس على المنافق المبتدع والفاسق ونحوهما"لأن المعنى فيه تعظيم من أهانه الله، وذلك قدر مشترك بين المذكور فيه والمقيس عليه"[٤].

فتعظيم الفسقة من موجبات سخط الرب تعالى وغضبه أعاذنا الله من ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه ص: (٨٤٠).

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ١٠٧٥/٣.

(٣) رياض الصالحين مع شرحه المسمى ب: بهجة الناظرين ٢١٠/٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان ٥٤٢/٨ .

المبحث الثالث:

التعظيم المنهي عنه لغير المسلمين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

تحريم تعظيم غير المسلمين

غير المسلمين من الكفار والمنافقين واليهود والنصارى وسائر من لايدين بالإسلام لايجوز تعظيمهم ولا تكريمهم ولا الرفعة من شأنهم؛ فإن الله تعالى قد أهانهم وأذلهم؛ ومن ذا الذي يعظِّم من أهانه الله؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ [الحج: ١٨].

بل يجب على كل مسلم هجرانهم لما أعرضوا عن الإيمان بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ، وأن يتقرب المسلم إلى الله تعالى بترك مودتهم، وتعظيمهم، وترك بدئهم بالسلام، وترك التوسعة لهم في الطريق احتراماً لهم، والبعد عن تقديمهم في المجالس، وتلقيبهم بالألقاب التي فيها تفخيم لهم، وتوليتهم الوظائف التي فيها استطالة على المسلمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: " ...﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: ذليلون حقيرون مهانون. فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء..."(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣] .

"أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم"(٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢٠].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٣٣.

(٢) تفسير السعدي ص: (٣٩٣).

"وقوله: ﴿ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ أي: الذين هم أعظم الناس ذلاً. والذل: الصغار والهوان والحقارة"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروه إلى أضيقه**)(٢).

قال النووي رحمه الله:" قال أصحابنا: لايترك للذمي صدر الطريق، بل يضطر إلى أضيقه إذا كان المسلمون يطرقون، فإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج. قالوا: وليكن التضييق بحيث لايقع في وهدة ولايصدمه جدار ونحوه. والله أعلم"(٣).

وقال القرطبي:"(**وإذا لقيتموهم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**) أي: لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً. وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى والعطف. وليس معنى ذلك: أنا إذا لقيناهم في طريق واسع أننا نلجئهم إلى حَرْفِه حتى نضيق عليهم؛ لأن ذلك أذى منا لهم من غير سبب، وقد نهينا عن أذاهم "(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" المعنى: لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم، حتى يكون لهم السعة، ويكون الضيق عليكم، بل استمروا في اتجاهكم وسيركم، واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء، ومن المعلوم أن هدى النبي ﷺ ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار، ما كان النبي ﷺ يفعل هذا باليهود في المدينة، ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار.

---

(١) أضواء البيان ٨٢٣/٧.

(٢) رواه مسلم برقم: (٥٦٢٦) كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ٣٧٣/١٤.

(٣) شرح النووي على مسلم ٣٧٣/١٤.

(٤) المفهم للقرطبي ٤٩٠/٥.

فالمعنى: أنكم كما لا تبدءونهم بالسلام، لا تفسحوا لهم، فإذا لقوكم فلا تتفرقوا حتى يعبروا، بل استمروا على ما أنتم عليه، واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق، وليس في الحديث تنفير عن الإسلام، بل فيه إظهار لعزة المسلم، وأنه لا يذل لأحد إلا لربه عز وجل"(١).

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله:" وقد وردت أحاديث كثيرة بالنهي عما فيه تعظيم لأعداء الله تعالى، ولو بأدنى شيء من التعظيم، والمقصود من ذلك – والله أعلم – سد الذريعة إلى موالاتهم وموادتهم؛ فمن ذلك بداءتهم بالسلام ومصافحتهم، والترحيب بهم، والقيام لهم، وتصديرهم في المجالس، والتوسيع لهم في الطريق "(٢).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/٣٩.

(٢) تحفة الإخوان ص: (١٧).

المطلب الثاني:

مظاهر تعظيم غير المسلمين

من مظاهر تعظيمهم: ابتداؤهم بالسلام والتحية:

لقول رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم: (**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام**)

قال القرطبي رحمه الله:" يفيد ترك السلام عليهم ابتداء؛ **لأن ذلك إكرام**، والكافر ليس أهله"(١).

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:" ولا يجوز كذلك أن يبدءوا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها؛ **لأن في ذلك إكراماً لهم، وتعظيماً لهم**، ولكن إذا قالوا لنا مثل هذا، فإننا نقول لهم مثل ما يقولون؛ لأن الإسلام جاء بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه، ومن المعلوم أن المسلمين أعلى مكانة ومرتبة عند الله ﷻ؛ فلا ينبغي أن يذلوا أنفسهم لغير المسلمين فيبدءوهم بالسلام... لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك؛ ولأن في هذا إذلالاً للمسلم، حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم، والمسلم أعلى مرتبة عند الله ﷻ، فلا ينبغي أن يذل نفسه في هذا، أما إذا سلموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ما سلموا.

وكذلك أيضاً لا يجوز أن نبدأهم بالتحية مثل: أهلاً وسهلاً ومرحباً وما أشبه ذلك، لما في ذلك من تعظيمهم، فهو كابتداء السلام عليهم"(٢).

ومن مظاهر تعظيمهم: إقامة الحفلات لهم لتكريمهم:

فالكفار ليسوا أهلاً للتكريم حتى تقام الحفلات لتكريمهم، قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه:" إقامة حفل توديع لهؤلاء الكفار -لا شك- أنه من باب الإكرام أو إظهار الأسف على فراقهم، وكل هذا حرام في حق المسلم؛ قال النبي ﷺ: (**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**) والإنسان المؤمن

---

(١) تفسير القرطبي ١١/١٠٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/٣٤- ٣٥.

حقًا لا يمكن أن يكرم أحدًا من أعداء الله تعالى، والكفار أعداء الله بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨] "[١].

ومن مظاهر تعظيمهم: توليتهم الولايات التي فيها تقديم لهم على المسلمين، واستشارتهم:

فلا يجوز تولية الكفار ولاية يتقدمون بها على المسلمين ويتسلطون بها عليهم، ويطلعون على أسرار الدولة المسلمة، كالإمارة أو القضاء أو الوزارة أو المسؤوليات الأمنية والعسكرية، كما لا يجوز جعلهم مستشارين لولاة الأمر وغيرهم من ذوي المناصب، لأنه قد يغشون من استشارهم ويخدعونه بسبب عداوتهم للمسلمين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

قال القرطبي رحمه الله:" نهى الله ﷻ المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه... ﴿ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا ﴾ يقول: فساداً. يعني: لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة"[٢].

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/٣٠٣.

(٢) تفسير القرطبي ٤/١٧٥.

"وفي هذه الآية: دلالة على أنَّه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة"[١].

وقيل لعمر بن الخطاب ﵁: إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة[٢]، لم ير قط أحفظ منه، ولا أكتب منه، فإن رأيت أن تتخذه كاتباً بين يديك، إذا كانت لك الحاجة شهدك، قال: فقال عمر: "قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين"[٣].

قال ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد هذا الأثر في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ ﴾: "ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب"[٤].

وورد أن أبا موسى الأشعري ﵁ وفد إلى عمر بن الخطاب ﵁، ومعه كاتب نصراني ، فأعجب عمرَ ﵁ ما رأى من حفظه ، فقال: " قل لكاتبك يقرأ لنا كتاباً " ، قال: إنه نصراني ، لا يدخل المسجد ، فانتهره عمر﵁ ، وهَمَّ به ، وقال: " لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله ، ولا تأتمنوهم إذ خَوّنهم الله عز وجل "[٥].

---

(١) نقله ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى. انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣١٨/١.

(٢) الحِيْرَة: مدينة بالعراق على ثلاثة أميال من الكوفة. كانت مسكن ملوك العرب من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حاريّ على غير قياس، قيل: سمّيت الحيرة لأن تبّعاً الأكبر لما قصد خراسان خلّف ضعفة جنده بذلك الموضع، وقال: حيّروا به أي أقيموا .انظر: معجم ما استعجم للبكري ٤٧٨/٢، معجم البلدان لياقوت ٢٠١/٣- ٢٠٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٢٥٨٧٢) ٢٥٩/٥.

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٧/٢.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم: (٢٠٤٠٩) ٢١٦/١٠ .

ففي قول عمر ﷺ هذا " دليل على أنه لا يجوز للمسلمين أن يولوا في أعمالهم أحداً من أعداء الله تعالى؛ لأن في ذلك إكراماً لهم وإعزازاً وإدناءاً، وهو خلاف ما شرعه الله من إهانتهم وإذلالهم وإقصائهم"[١].

ومن مظاهر تعظيمهم: تهنئتهم بأعيادهم:

فلا تجوز تهنئة الكفار بأعيادهم؛ إذْ ذلك تكريم لهم، كما أنه يتضمن الاعتراف بتلك الأعياد التي أبطلها الإسلام.

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله:" وأما تهنئتهم وتعزيتهم فالأصح تحريم ذلك، كما جزم به كثير من العلماء، وعللوا ذلك بأنه يحصِّل الموالاة ويثبت المودّة، ولما فيه من تعظيم أعداء الله تعالى، فيحرم لذلك، كما تحرم بداءتهم بالسلام، والتوسيع لهم في الطريق.

ومما لا ريب فيه أنه من موالاة أعداء الله وموادتهم: ما يفعله بعض الناس من الذهاب إلى أعداء الله تعالى في أيام عيدهم، فيدخلون عليهم في بيوتهم وكنائسهم، ويهنئونهم بأعيادهم الباطلة، وما هم فيه من السرور بها، ولقد ذُكِر لنا أن هذا يفعله كثير من المنتسبين إلى العلم فضلاً عن العامة"[٢]. وقد تقدم شيء من الكلام على المسألة[٣].

---

(١) تحفة الإخوان ص: (٧)، وانظر: أحكام أهل الذمة ٢٠٨/١- ٢٣٦ .

(٢) تحفة الإخوان ص: (٢١) .

(٣) انظر ص: (٦٦٧).

ومن مظاهر تعظيمهم: تلقيبهم بالألقاب الحسنة، وتكنيتهم بالكنى تعظيماً لهم:

فأعداء الله تعالى لاينبغي أن يكنوا[(١)]، ويمنعون من التكني بكنى المسلمين؛ لأن الكنية فيها نوع تكريم للمكنى، قال ابن القيم رحمه الله" وهذا لأن الكنية وضعت تعظيماً وتكريماً للمكنى بها، كما قال:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسوأة اللقبا[(٢)]

وأيضاً: ففي تكنيهم بكنى المسلمين: اشتباه بالكنية، والمقصود التمييز حتى في الهيئة والمركب واللباس... "[(٣)].

كما لايجوز تلقيبهم بالألقاب الحسنة الموجبة لتفخيمهم وتعظيمهم. كما تقدم الحديث في النهي عن قول (سيد) للمنافق.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما أن يخاطب بسيدنا ومولانا ونحو ذلك فحرام قطعاً. وفي الحديث المرفوع: (**لا تقولوا للمنافق سيدنا، فإن يكن سيدكم فقد أغضبتم ربكم**)[(٤)] وأما تلقيبهم بِمُعِزّ الدولة وعَضُدِ الدولة ونحو ذلك، فلا يجوز "[(٥)].

قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله:" ولا يجوز وصف أعداء الله تعالى بصفات الإجلال والتعظيم كالسيد والعبقري والسامي ونحو ذلك"[(٦)].

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله آثاراً عن السلف في جواز تكنية بعض الكفار تأليفاً لقلوبهم وطمعاً في إسلامهم، ثم قال: " ومدار هذا الباب وغيره مما تقدم على المصلحة الراجحة". أحكام أهل الذمة ٢/٧٦٨- ٧٧٠ .

(٢) أورده أبو تمام في الحماسة ونسبه إلى بعض الفزاريين. انظر: شرح ديوان الحماسة ص(٨٠٥)، خزانة الأدب ٩/١٤٠.

(٣) أحكام أهل الذمة ٢/٧٦٨ .

(٤) تقدم تخريجه ص: (٨٤٠).

(٥) أحكام أهل الذمة ٢/٧٧١ .

(٦) تحفة الإخوان ص: (٢٦).

وقال:" ومما ورد النهي عنه أيضاً: مكاتبة أعداء الله تعالى، وتكنيتهم بكنى المسلمين كأبي عبد الله وأبي القاسم، وكذلك تلقيبهم بألقاب المسلمين كعز الدين ونحوه "(١).

هذه بعض صور تعظيم الكفار والتي منعها الشرع إعزازاً للمسلم وتعظيماً وتشريفاً له، وإهانة للكافر وإذلالاً له، كما أمر الشرع بأمر هو من أصول الدين وأسسه، وهو البراءة من الكفار، وهو أوسع مما تقدم ذكره من النهي عن تعظيم الكفار، فإن تعظيم الكفار هو من موالاتهم.

والبراءة من الكفار مما أوجبته الشريعة، وجاء منصوصاً عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع وجوب موالاة أهل الإيمان ومحبتهم في الله تعالى.

فهما أمران لابد منهما وإلا لم يصح دين ولا إيمان: الولاء للمسلمين والبراءة من المشركين، وهما أوثق عرى الإيمان.

وجوب موالاة أهل الإيمان، والبراءة من الكفار:

الولاء والبراء معناه: محبة ونصرة الله ورسوله والمؤمنين ودين الإسلام، وإفراد الله بالعبادة، مع بغض ومعاداة كل مشرك وكل معبود سوى الله عز و جل.

وهو من الواجبات في الدين كما دل على ذلك كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.
فقد دلت الأدلة على وجوب موالاة أهل الإيمان، كما دلت على وجوب البراءة من الشرك وأهله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني: مصاحبتهم، ومصادقتهم، ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ

---

(١) تحفة الإخوان ص: (٢٥).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨] . أي حجة عليكم في عقوبته إياكم"[١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥].

ولا يكون المرء متولياً لله عز وجل حتى يفرده سبحانه بالعبادة، ولا تكفي الموالاة بدون البراءة، وهي بغض ومعاداة كل مشرك من أي نحلة كان أو ديانة، وبغض ومعاداة المعبودات الباطلة، وهي كل ما سوى الله عز وجل. كما قال تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

والولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الشرك والكفر أصل أصيل من أصول الإسلام، وركيزة من أعظم ركائزه العظام.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " أصل دين الإسلام، وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله"[٢].

وقال رحمه الله: " من أطاع الرسول، ووحَّد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقربَ قريب، والدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٤١/٢.

(٢) الدرر السنية ٢٢/٢، وانظر: الأصول الثلاثة مع حاشية ابن قاسم ص: ٤٦-٤٧.

أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة: ٢٢] "[١].

وقد نهى الله تعالى عن موالاة أعدائه وأعداء المؤمنين ومودتهم، وبيّن أن البراءة منهم من لوازم الإيمان به تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[المائدة: ٥١] .

ونهى الله ﷻ عن موالاة الكفار ولو كانوا أقرب الناس، كما في آية المجادلة المتقدمة، وكما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣] .

والآيات في الولاء والبراء كثيرة جداً[٢].

وفي الحديث عن النبي ﷺقال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**)[٣].

---

(١) الأصول الثلاثة مع حاشية ابن قاسم ص: (٢٢-٢٤).

(٢) انظر: رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك للشيخ سليمان بن عبد الله مع شرحها للشيخ الفوزان ص: (٤١- ٢٠٢).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٢٨٧) .

وقال النبي ﷺ: (**ألا إنَّ آل أبي- يعنى فُلاناً - ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**)(١). ترجم عليه النووي في تراجمه لصحيح مسلم بباب: موالاة المؤمنين، ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم.

وقال عليه الصلاة و السلام:(**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**)(٢).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب الولاء والبراء، وأنهما بالمنزلة العالية من الدين(٣).

أقسام الناس فيما يجب لهم من الولاء والبراء:

الناس فيما يجب لهم من الولاء أو البراء على ثلاثة أقسام:

١- من يُحَب محبة لا معاداة فيها: وهم المؤمنون الخُلَّص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء ثم صحابة رسول الله ﷺ،وصالحوا القرون الثلاثة بعد الصحابة، ثم سائر أهل العلم والتقوى وسائر أهل السنة المتمسكين بها قولاً وفعلاً واعتقاداً.

٢- من يبغَض ويعادَى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما: وهم الكفار الخلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين وغيرهم على اختلاف نحلهم.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٥٩٩٠) كتاب الأدب، باب تبل الرحم ببلالها ٥١٤/١٠، ومسلم برقم: (٥١٨) كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم ٨٣/٣ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان برقم: (١٣٤) ص: (٨٤) ، والطبراني في المعجم الكبير برقم: (١١٥٣٧) ٢١٥/١١.من حديث ابن مسعودرضي الله عنه، وحسنه الألباني في تخريجه للإيمان لابن أبي شيبة، ورواه ابن أبي شيبة في الإيمان أيضاً برقم: (١١٠) ص: (٧٢) عن البراء رضي الله عنه.

(٣) انظر: تحفة الإخوان فيما جاء في الموالاة والمعاداة ص: (٣١-٣٤).

٣- من يُحَب من وجه ويبغَض من وجه؛ فيجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين؛ يحبون لما فيهم من الإيمان، ويبغضون لما تلبسوا به من المعاصي التي دون الكفر والشرك، وهذا هو الاعتدال في شأنهم؛ فلا يخرجون من الإسلام كما يزعم الخوارج والمعتزلة، وبالتالي يعادون معاداة خالصة، ولا يشهد بأنهم كاملوا الإيمان كما تقول المرجئة فيستحقون الموالاة التامة[(١)]، فقول أهل السنة فيهم إنهم مؤمنون بإيمانهم فاسقون بكبائرهم، ولهذا يجتمع فيهم الحب والبغض، الحب لما معهم من الإيمان، والبغض لما اجترحوه من السيئات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وليعلم أن المؤمن تجب موالاته، وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته، وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية، وسنة، وبدعة؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة"[(٢)].

تنبيهات في مسألة البراء من الكفار:

أولاً: مع وجوب البراء من الكفار إلا أن ذلك لا يعني أن يُعتدى على أنفسهم وأموالهم، ولا أن يؤذَوا بقول أو فعل إذا كانوا ليسوا من أهل الحرب.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله:" وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك، وتعاديهم بقبلك، ولا يكونوا

---

(١) انظر: حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة ص: (٨٩-٩٦)، وانظر: الولاء والبراء في الإسلام ص: (١٣٦-١٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٩.

أصحاباً لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم، فإذا سلموا ترد عليهم السلام، وتنصحهم، وتوجههم إلى الخير، كما قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ الآية[العنكبوت:٤٦]. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وهكذا غيرهم من الكفار الذين لهم أمان أو عهد أو ذمة، لكن من ظلم منهم يجازى على ظلمه، وإلا فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار مع بغضهم في الله للآية الكريمة السابقة، ولقوله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلا يتعدى عليهم، ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله، ويشرع له أن يدعوهم إلى الله، ويعلمهم ويرشدهم إلى الحق، لعل الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب[1].

والدماء المحرمة في الإسلام إضافة إلى دم المسلم: دم الذمي، ودم المعاهد، ودم المستأمن[2].

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٢٤٦/٥- ٢٤٧.

(٢) الذمي هو الذي يقيم في بلاد المسلمين وتجرى عليه أحكام الإسلام، ويدفع الجزية، والمعاهد: هو من بينه وبين المسلمين عهد. والمستأمن: هو من دخل في بلاد المسلمين وأعطاه الإمام أو أحد من المسلمين الأمان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص: (٣٣٠)،(٦٥٢)، أحكام أهل الذمة ٤٧٥/٢- ٤٧٦، المطلع للبعلي ص: (٢٢١)، فتح الباري لابن حجر ٣٢٣/١٢، القول المفيد لابن عثيمين ٤٩٩/١ .

قال ابن كثير رحمه الله: " وقوله:﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ الآية، أي: فإن كان القتيل أولياؤه أهلُ ذمةٍ أو هدنة، فلهم دية قتيلهم، فإن كان مؤمناً فدية كاملة، وكذا إن كان كافراً أيضاً عند طائفة من العلماء، وقيل: يجب في الكافر نصف دية المسلم، وقيل: ثلثها، كما هو مفصل في كتاب الأحكام، ويجب أيضاً على القاتل تحرير رقبة مؤمنة"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦].

وقال البخاري رحمه الله: باب إثم من قتل معاهداً بغير جُرم. ثم روى بسنده عن النبي ﷺقال: (**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً**)(٢).

وقال ﷺ: (**وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل**)(٣).

ثانياً: ولا تعني البراءة منهم حرمة البيع والشراء والتعامل معهم، فقد كان النبي ﷺ يدخل أسواقهم، واشترى من يهودي طعاماً نسيئة فأعطاه درعاً رهناً(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٧٦.

(٢) الصحيح برقم: (٣١٦٦) كتاب الجزية والموادعة ٦/٣٢٤ من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم: ٣١٧٩)، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر ٦/٣٣٦، ورواه مسلم برقم: (٣٣١٤)، (٣٣١٥) كتاب الحج، باب فضل المدينة ٩/١٤٥-١٤٧ من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٢٠٦٨) كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة ٤/٣٨٢ ومسلم برقم: (٤٠٩٠) كتاب البيوع، باب الرهن ١١/٤٠-٤١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال النووي عن هذا الحديث: " فيه جواز معاملة أهل الذمة... وأما اشتراء النبي ﷺ الطعام من اليهودي ورهنه عنده دون الصحابة، فقيل: فعله بياناً لجواز ذلك، وقيل: لأنه لم يكن هناك طعام فاضل عن حاجة صاحبه إلا عنده.

وقد أجمع المسلمون على جواز مبايعة أهل الذمة وغيرهم من الكفار، إذا لم يتحقق تحريم ما معه، لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحاً وآلة حرب، ولا يستعينون به في إقامة دينهم، ولا بيع مصحف، ولا العبد المسلم لكافر مطلقاً. والله أعلم"[1].

ثالثاً: كما أنه لا يعني عدم الإحسان إلى بعض الكفار لقرابة كوالد أو أخ أو لمعروف كان منهم إلى مسلم، أو لكونهم لا يقاتلون المسلمين ولم يعتدوا عليهم؛ فمن كان كذلك فلا بأس بالإحسان إليه وبره.

قال الله تعالى عن الوالدين المشركين: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[لقمان: ١٥]. وقال تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة: ٨].

وقال النبي ﷺ في أسارى بدر: (**لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى**[2] **لتركتهم**)[3]، وذلك لأنه أجار النبي ﷺ لما رجع إلى مكة بعد خروجه للطائف.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١١/٤١-٤٢.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ص: (٨٩٩): " واحدهم نتِن، كزمِن وزمْنَى، سماهم نتنى لكفرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨]".

(٣) رواه البخاري برقم: (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، باب ما مَنّ النبي ﷺ على الأسارى.. ٦/٢٩٢ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

حكم موالاة الكفار: بين أهل العلم أن موالاة الكفار ثلاثة أقسام:

١- **موالاة كفرية**: وهي الموالاة العامة المطلقة التامة المرتبطة بالعقيدة والدين، أو ما يعبر عنه بعض أهل العلم بالتولي الذي يكون فاعله كافراً مرتداً خارجاً عن الإسلام.

٢- **موالاة محرمة**: وهي الموالاة المقيدة أو الخاصة التي لا يكفر مرتكبها ، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وبغض الكفر وأهله أو إعانتهم، ويكون الحامل له على ذلك مصلحة شخصية، أو خوف، أو عداوة دنيوية بينه وبين من يقاتله الكفار من المسلمين؛ فهذه كبيرة من كبائر الذنوب لا يخرج صاحبها من الإسلام، وذلك مثل ما وقع من الصحابي البدري حاطب بن أبي بلتعة ﵁، وتقدم حديثه.

٣- **موالاة معفو عنها**: وهي الموالاة الواقعة في الظاهر للضرورة مع بغضهم وبغض دينهم في الباطن، واعتقاد بطلان ما هم عليه؛ كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وذلك إذا خاف المسلم منهم وهو في سلطانهم؛ فله أن يتقيهم بظاهره، ويظهر لهم الولاية بلسانه، ويضمر لهم العداوة في باطنه[(١)] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة ونحوها، مثل إتيانه أهل الباطل، واتباعهم في شيء من مقالهم وفعالهم الباطل،كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك..."[(٢)] . وقال ابن عطية[(٣)] : " ومن تولاهم بمعتقده ودينه؛ فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في

---

(١) حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة ص: (٢٦٨-٢٩٧) باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٠١ .

(٣) ابن عطية هو: الإمام العلامة، أبو محمد، عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب ابن عطية المحاربي الغرناطي، على مذهب مالك في الفقه، كان إماماً في الفقه، وفي التفسير، والعربية، قوي المشاركة، ذكياً فطناً، مولده سنة: ثمانين وأربع مائة، اعتنى به والده، ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو =

النار ،ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليه وعليهم "[(١)] .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]:" لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم ، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم"[(٢)] .

وقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩]: " وذلك الظلم يكون بحسب التولي ، فإن كان تولياً تاماً كان ذلك كفراً مخرجاً عن دائرة الإسلام ،وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ ، وما هو دونه"[(٣)] .

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله: "فهاهنا عندنا في الشرع وعند أئمة التوحيد لفظان، لهما معنيان ، يلتبس أحدهما بالآخر عند كثيرين:

الأول: التولي

والثاني: الموالاة.

التولي مكفِّر.

الموالاة غير جائزة.

والثالث: الاستعانة بالكافر واستئجاره جائزة بشروطها.

فهذه ثلاث مسائل: أما التولي فهو الذي نزل فيه قول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

مراهق، ولي قضاء المريّة، توفي سنة: (٥٤١ هـ) رحمه الله تعالى.انظر: السير ٥٨٧/١٩ – ٥٨٨، الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ٥٧/٢– ٥٩.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٧/٥ ، وانظر: حقيقة الولاء والبراء ص: (٢٦٥).

(٢) تفسير السعدي ص: (١٩٧).

(٣) تفسير السعدي ص: (٧٩٥) .

﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة: ٥١]. وضابط التولي: هو نصرة الكافر على المسلم وقت حرب المسلم والكافر، قاصداً ظهور الكفار على المسلمين.

فأصل التولي: المحبة التامة، أو النصرة للكافر على المسلم، فمن أحب الكافر لدينه ، فهذا قد تولاه تولياً، وهذا كفر.

وأما موالاة الكفار فهي مودتهم ومحبتهم لدنياهم، وتقديمهم ورفعهم، وهي فسق وليست كفراً؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الممتحنة: ١] قال أهل العلم: ناداهم باسم الإيمان، وقد دخل في النداء من ألقى المودة للكفار؛ فدل على أن فعله ليس كفراً، بل ضلال عن سواء السبيل، وذلك لأنه ألقى المودة وأسر لهم، لأجل الدنيا لا شكاً في الدين، ولهذا قال النبي ﷺ: (**ما حملك على ما صنعت؟**) قال: " والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي... " الحديث أخرجاه في الصحيحين[(١)] .

فمن هذا يتبين أن مودة الكافر والميل له، لأجل دنياه ليس كفراً، إذا كان أصل الإيمان والاطمئنان به حاصلاً، لمن كان منه نوع موالاة.

وأما الاستعانة بالكافر واستئجاره، فهذا قال أهل العلم بجوازه في أحوال مختلفة يفتي أهل العلم في كل حال، وفي كل واقعة بما يرونه يصح أن يفتى به.

وأما إعطاء الكفار أموالاً صدقة، أو للتأليف، أو لدفع الشرور، فهذا له مقام آخر، وهو نوع آخر غير الأقسام الثلاثة "[(٢)] .

(١) تقدم تخريجه ص: (٦٨٦).

(٢) الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن ص: (٥٠-٥٢)، وانظر: الدرر السنية ٤٢٢/٨.

الفصل السادس:

الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي، والآثار الناتجة عن التعظيم البدعي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي إجمالاً.

المبحث الثاني: الآثار الناتجة عن التعظيم البدعي إجمالاً .

المبحث الأول:

الآثار الناتجة عن التعظيم الشرعي إجمالاً .

للتعظيم المشروع آثار عظيمة على العبد في دينه ودنياه. ومن تلك الآثار:

أولاً: آثار التعظيم المشروع على الفرد:

للتعظيم المشروع آثار كثيرة على الفرد، وقد تقدم في أول البحث أن ذكرت آثار تعظيم العبد لربه، مما يغني عن إعادته هنا، وسأكتفي بإشارة إلى ذلك. فمن آثار التعظيم المشروع على الفرد:

● إذا عظم العبد ربه سبحانه امتلأ قلبه محبة لله تعالى وخوفاً منه وخشية له، ورجاء له وطمعاً في نواله وفضْلِه وخيره، وتعلق به سبحانه، وتوكل عليه، وفوض أموره إليه، ولهج لسانه بذكره تعالى وحمده وشكره والثناء عليه، وتحركت جوارحه وأركانه في طاعته، وقَلَت وأبغضت معصيتَه.

وراقبَ الله تعالى في حركاته وسكناته، حتى في حركات القلب وإراداته، فيضعف عند ذلك تأثير وسوسة الشيطان، وكيف للشيطان أن يدخل على قلب حُرس بتعظيم الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه، قد حفظه الله تعالى ولم يجعل للشيطان عليه سبيلاً؟، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾، يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان. وقال مثله سعيد بن جبير، وقيل يحول بين الكافر وطاعته، وبين المؤمن ومعصيته[(١)].

● بتعظيم الله تعالى وإجلاله تحصل ولاية الله تعالى للعبد، حيث يحقق العبد التوحيد ويخلص الدينَ كلَّه لله، ولا يشرك به شيئاً، ويراقب الله تعالى، ويستيقن أنه مطلع عليه، وأنه

(١) روى هذه الآثار الطبري في تفسيره ٢٥٣/٩ - ٢٥٤.

سبحانه يراه، ولايخفى عليه شيء من أمره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣] . فإبراهيم عليه السلام حقق التوحيد، وبلغ الغاية في تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ فنال ولاية الله تعالى وذلك لما اتصف به من الصفات العظيمة من كونه قدوة ومعلماً للخير، ومخلصاً لله، ودائم الطاعة والعبادة لله تعالى، ومتبرئاً من الشرك وأهله. وما ذاك إلا لما وقر في قلبه من تعظيم الله تعالى وإجلاله، فليس في قلبه عليه السلام إلا حب الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وإخلاص الدين له، ولذلك اتخذه الله تعالى خليلاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥]. ولما أمره الله تعالى بذبح ابنه البكر إسماعيلَ عليه السلام امتثل الأمر مباشرة بدون تردد، مما يدل على شدة تعظيمه لله تعالى وأمره ونهيه، وتقديم ما أمر الله به على ماتهواه نفسه وتحبه.

وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (**احفظ الله يحفظك**) قال ابن رجب رحمه الله:" قوله ﷺ: (**احفظ الله**) يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه" (١).

وقال عن معنى قوله ﷺ: (**يحفظك**):" وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله...

النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان (٢).

---

(١) جامع العلوم والحكم ٤٦٢/١.

(٢) جامع العلوم والحكم ٤٦٥/١ - ٤٦٨.

● لتعظيم الرسول ﷺ وإجلاله ومحبته أثر عظيم على الإنسان؛ فإنه داع إلى اتباعه ولزوم سنته؛ فمن عرف سيرةَ النبي ﷺ وهديَه وشمائلَه الكريمةَ أحبه وأجله، وحرص على التأسي به واتباعه والاهتداء بهديه، ولزم الأدب معه، وحَفِظ حرمته، وعظّم سنته، وأكثر ذكره والصلاة عليه، وتشوق لرؤيته والشربِ من حوضه يوم القيامة.

● التعظيم المشروع فيه السلامة والنجاة من الانحراف عن الجادة المستقيمة والشِّرعة الإسلامية السمحة، وفيه لزوم للوسطية التي جعل الله الأمة عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومن انحرف عن التعظيم المشروع فإنه سيقع في الغلو والإفراط، أو الجفاء والتفريط ولابد، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

● التعظيم الشرعي الموافق للكتاب والسنة السالم من الإفراط والتفريط هو الذي به نجاة العبد في الدنيا والآخرة، وبه تحقق سعادة الدارين، وذلك لأن الله تعالى رتب الفوز والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة على ماشرع، فمن زاد أو نقص عن المشروع فإنه لم يطابق عملُه أو قولُه ما أمر الله تعالى به وماشرعه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: ١٥].

ففي هاتين الآيتين الأمر بالاستقامة على الدين كما أمر الله ﷻ لا بالبدع وما تهواه النفس وما يستحسنه العقل، كما أن في الآية الأولى النهي عن الطغيان، وهو التجاوز، والمراد: تجاوز ما شرعه الله ورسوله والزيادة فيه والاستدراك عليه، كما أن الطغيان يصدق على من فرط في المأمورات أو ارتكب المنهيات.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

ومن آمن بالله تعالى وبكل ما أمر الله تعالى ولم يخلط إيمانه وتوحيده بشرك فله الأمن والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. **قَالَ تَعَالَى:** ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾**﴾ [الأنعام: ٨٢].

● المسلم المعظم لدين الله تعالى وشرعه يستيقن تمام اليقين أن هذا الدين هو الدين الكامل الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه، وأنه الدين الشامل لكل نواحي الحياة، وأنه هو المصلح لجميع شؤون العباد، وأنه لاسعادة لأحد ولانجاة له إلا بالتمسك به والتحاكم إليه، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، فعند ذلك تطمئن نفسه ويرتاح قلبه، ويتمسك بهذا الدين، ويعض عليه بالنواجذ، ويكره ضده كما يكره أن يلقى في النار.

● تعظيم الأمر والنهي ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، ولتعظيم الأمر والنهي الشرعيين أثر كبير في زيادة تعظيم العبد لربه سبحانه وزيادة إيمانه؛ لِما لفعل الطاعة وترك المعصية من أثر في زيادة الإيمان وزيادة تعظيم الله تعالى وحبه وإجلاله والأنس به وبطاعته وذكره وحصول حلاوة الإيمان التي من وجدها فلن يرضى بها بدلاً، ولن يبتغي عنها حِولاً.

● مَنْ أَجلَّ الله تعالى وعظّمه ووقره قذف الله تعالى في قلوب الخلق محبتَه وإجلالَه وتوقيرهَ، والعكس بالعكس. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (**إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القَبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثم**

ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض) [(١)].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله:" إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله" [(٢)].

قال ابن الجوزي رحمه الله:" إخواني: اسمعوا نصيحة من قد جَرَّب وخَبَر: إنه بقدر إجلالكم لله عز وجل يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم أقداركم وحرمتكم.

ولقد رأيت والله من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه، ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته.

ولقد رأيت من كان يراقب الله ﷻ في صبوته – مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالِم – فعظّم اللهُ قدرَه في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير" [(٣)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:" من أعظم الظلم والجهل: أن تطلب التعظيم والتوقير من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره؛ فإنك توقر المخلوق وتجله أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها ... ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره فذاك وقارُ بغضٍ لا وقار حب وتعظيم ... والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره؟..." [(٤)].

---

(١) رواه البخاري في مواضع منها برقم: (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٦/٣٦٥-٣٦٦ مختصراً، ورواه مسلم برقم: (٦٦٤٧) كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده ١٦/٤٠٠ وهذا لفظه.

(٢) حلية الأولياء ٨/١١٠.

(٣) صيد الخاطر ص: (٢٠٧- ٢٠٨).

(٤) الفوائد ص: (٢٧٢- ٢٧٤)، وانظر: الداء والدواء ص: (١٧٠- ١٧٢) جلاء الأفهام ص: (٢٠٥- ٢٠٦).

ثانياً: آثار التعظيم المشروع على المجتمع:

● إذا اهتم الدعاة إلى الله تعالى بمسألة التعظيم المشروع، وعظموا الله تعالى في نفوس العباد، بالتركيز على التوحيد والاهتمام به في دعوتهم، وجعله هو الأساس الذي يصدرون منه، فإن المدعوين ستمتلئ قلوبهم بحب الله تعالى وإجلاله وتعظيمه، وسينقادون لكل ما يدعونهم إليه، وسيكونون أسرع إلى طاعة الله وأبطأ وأبعد عن معصيته.

● لو تم التركيز على بيان عظمة بعض الأمور الشرعية التي ضعف اهتمام بعض الناس بها، لكان ذلك أجدى في اقتناع الناس وسرعة قبولهم للحق، أكثر مما لو بُين مجرد وجوبها أو مشروعيتها. فمثلاً لو عُظِّمت الصلاة في نفوس الناس، واهتم الدعاة والمصلحون والمربون بمسألة تعظيم قدرها لكان تأثير هذا النوع من الخطاب عظيماً.

ومثل ذلك تعظيم القرآن الكريم، وتعظيم قَدْر الرسول ﷺ، وتعظيم السنة النبوية، وكذلك تعظيم مكة البلدِ الحرام، والمدينة النبوية، وتعظيم المساجد، فإن لذلك أثراً بمشيئة الله في اختفاء كثير من الأمور التي تقدح في تعظيم هذه الأماكن المقدسة.

لكن لابد أن يكون هذا الخطاب صادراً عن النصوص الشرعية الثابتة وما عليه سلف الأمة، بدون مبالغة أو تجاوز، وإلا فسيقع الناس فيما هو أدهى وأمرّ.

● في تعظيم اللهِ تعالى ورسولِه ﷺ ودينِ الله تعالى وشرعِه وكلِ ما أمر الله تعالى بتعظيمه حفظٌ لدين الله تعالى، وهو من دواعي التمسك به، وهو مما يحصن شباب الأمة من الدعوات الهدامة التي تريد للأمة عموماً وللشباب خصوصاً أن ينحرفوا عن دينهم، وأن يتملصوا من تعاليمه، وأن يتنكروا لمقدساته، ففي ذلك وقاية لهم من أن يصغوا لمن يدعوهم للاستخفاف بدينِ الله وشرعِه ومقدساتِ المسلمين، أو يشككهم في ثوابته ومسلَّماته.

● لو عظمت الأمةُ كتابَ ربها كما ينبغي لزالت الفتن عنها ولاستعادت ريادتها ومكانتها السابقة وسادت الأمم، ولأقبلت على كتاب الله تعالى حفظاً له وتطبيقاً له وعملاً به، واستشفاءً به من أمراض القلوب والأبدان، ولَمَا شبعوا من كلام ربهم وسماع لذيذ خطابه.

ومن المناظر السيئة التي تدمي القلب مانشاهده من رمي بعض الطلبة للكتب الدراسية التي تحتوي على آيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة وغير ذلك بعد أداء الامتحانات، أو الجلوس على الحقائب التي تحوي الكتب أثناء الانتظار، وقد يكون من ضمنها بعض المصاحف، فلو عَرَف أولئك الطلبة عظمةَ كلامِ الله وكتابِه الكريم لَما صدرت منهم هذه الفعال القبيحة، ولَوَضَعُوا المصاحف والكتب التي تحتوي على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وعلى ذكر الله تعالى في الأماكن التي تصان فيها وتحترم.

● التعظيم لله تعالى ولشرعه ودينه ومعرفة حرمة المسلمين ومكانتهم ووجوب النصح لهم وتحريم غشهم يجعل المسلم يؤدي أعماله الدنيوية التي لها صلة بالمخلوقين بإتقان وإحسان ومراقبة لله تعالى، ولايدخر وسعاً في أداء عمله على أكمل وجه، لأنه يعلم أن الله تعالى يراه، ويعلم أن هذا مما حث عليه الإسلام ورغب فيه ورتب عليه عظيم الأجر والثواب، كما يعلم أن هذا من حقوق إخوانه المسلمين، وأن الله تعالى قد عظم حرماتهم وأوجب نصيحتهم وحرم غشهم، وهذا من الإحسان الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

● كما أن المجتمع الإسلامي إذا عظموا الله تعالى بالإيمان به وعبادته وحده لاشريك له، وعظموا رسوله عليه الصلاة والسلام بمحبته واتباعه وتعزيره ونصره، وقاموا بما أوجب الله تعالى عليهم من الأعمال الصالحة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وقاموا بسائر فرائض الدين التي بها يتحقق تعظيم الله تعالى في النفوس وتعظيم أمره ونهيه، إذا توفر ذلك في المجتمع الإسلامي كان ذلك المجتمع تحوطه عناية الله تعالى وحسنُ تدبيره، وكان له الغلبة والسيادة والريادة والنصر والظفر، وسيجعل الله تعالى في قلوب أعدائهم الذل والخور والهيبة لجنابهم، فلو عظم المؤمنون ربهم وعظموا أمره ونهيه وكل ما أمرهم الله بتعظيمه لجازاهم بالعزة والغلبة والظهور، واستعظمهم أعداؤهم وخافوهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ

كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٣٨ – ٤١] . وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

● تعظيم الله تعالى وتعظيم أمره ونهيه وتعظيم ما أمر الله بتعظيمه له أثر كبير في معالجة كثير من القضايا الاجتماعية التي تشكو منها كثير من المجتمعات المعاصرة؛ كمشكلة عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والتصارم بين الإخوة والجيران، وقضايا العنف الأسري وغيرها من القضايا التي لاعلاج لها إلا بترسيخ تعظيم الله تعالى في النفوس، ثم ببيان عظيم حقوق الوالدين والأولاد والأرحام والأقارب والجيران، ولذلك كان النبي ﷺ كثيراً ما يربط بين إعطاء الحقوق لأهلها والإيمان بالله تعالى كما في قوله ﷺ: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**)(١) وأمثاله من الأحاديث؛ فإن من لوازم الإيمان بالله تعالى إعطاء كل ذي حق حقه.

● تعظيم صحابة رسول الله ﷺ وتعزيز مكانتهم في النفوس هو من الوفاء لتلامذة رسول الله وأنصاره على دينه وتبليغ شريعته، وهو من حقوقهم على الأمة؛ إذ هم الذين أوصلوا إلينا الدين والقرآن والسنة، وهم الذين فتحوا البلاد، وكانوا هم السبب في دخول تلك الأمم في الدين، وخروجِهم من الظلمات إلى النور، فلهم حق عظيم على الأمة.

---

(١) رواه البخاري برقم: (٦٠١٨) كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٥٤٧/١٠، ومسلم برقم: (١٧٢) كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار ٢٠٩/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كما أن تعظيمهم وبيان منزلتهم ومكانتهم يجعلهم في موضع القدوة للأمة وشبابها في علمهم وعملهم وجهادهم لنشر الدين وتضحيتهم في الدعوة إليه والدفاع عنه.

● قيام كل واحد من المسلمين بالحقوق الواجبة عليه تجاه ولاة الأمر من العلماء والسلاطين، وتعظيمهم التعظيم المشروع ومحبتهم والنصيحة لهم؛ لذلك أثر عظيم في قوة الأمة الإسلامية وتآلفها وترابطها واجتماعها وقوتها وهيبتها في قلوب أعدائها.

أما إذا أُخل بهذا الجانب وأُهين العلماء والأمراء بان الخلل في الأمة وضعف التمسك بالدين وضعفت الأمة أمام أعدائها، فلادين إلا بجماعة، ولاجماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

● أن قيام المسلم بحق إخوانه المسلمين وإكرامهم، وخاصة ذوي الفضل منهم، مما يظهر سماحة الإسلام، ويبرز الأخوة الدينية، ويظهر عظمةَ هذا الدين وشموليتَه لكل مناحي الحياة، وعنايتَه بإنزال الناس منازلهم، ويزيد أواصر الأخوة بين المسلمين ويجعلهم كالجسد الواحد في التواد والتراحم والتعاطف والفرحِ لفرح بعضهم والحزنِ لحزنهم. وهذا مما يدعو غير المسلمين لاعتناق هذا الدين؛ فإن مما يؤثر في غير المسلمين ويجعلهم أكثر استجابة لدعاته: ما يرون من التلاحم بين المسلمين، وعطفِ بعضهم على بعض، وتقديرِ الوالدين والعناية بهما حتى في حال كبرهما وضعفهما، وكذلك صلة الأقارب والجيران، وتوقير الكبير ورحمة الصغير، كل هذا من محاسن الدين الإسلامي التي تدعو لاعتناقه، كما تدعو أهله إلى زيادة التمسك به.

● تعظيم حرمات المسلمين ومعرفة حقوقهم يثمر حفظ الضروريات الخمس التي جاءت الشرائع بالمحافظة عليها وصونها، وهي الدين والنفس والعقل والمال والعرض. فيسود الأمن في المجتمع الإسلامي ويأمن الناس، وينتشر الخير.

● تعظيم المجتمع الإسلامي لله تعالى ودينه وأمره ونهيه يقمع أهل البدع والمعاصي ويجعلهم أذلاء منبوذين، متخفين ببدعهم ومعاصيهم، غير مظهرين لها، بل ولذلك أثر كبير

في انحسار البدع والمعاصي واضمحلالها، وإقلاع أهلها وتوبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى نظراً لتأثير الجو العام عليهم، ولما يرون من عظمة هذا الدين وسماحته.

● أن تعظيم العلماء والأمراء وتوقيرهم، وترك إهانتهم يجعلهم في نفوس الناس في مكان مرموق، يتسنى معه إمكانية الاستفادة منهم، والرجوع إليهم في كل مايشكل على الإنسان، وخاصة في أوقات الفتن، ومن ثَم الصدور عن آرائهم، والتي غالباً ماتكون صمام أمان للمجتمع وحفظاً له، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

المبحث الثاني:

الآثار الناتجة عن التعظيم البدعي إجمالاً

أولاً: آثار التعظيم البدعي على الفرد:

للتعظيم الذي ليس بمشروع آثار سيئة على الفرد، ومنها:

● إضعاف تعظيم الله تعالى: فالذين تنصرف قلوبهم إلى تعظيم المخلوقين من الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم تعظيماً يوصلهم إلى القدح في الربوبية أو الألوهية فإنهم يفقدون ولا شك من تعظيم الله وخشيته ومحبته بقدر ما صرفوا منها لغير الله ﷻ، وقد تخلوا قلوبهم من تعظيم الله وخشيته ومحبته لانصرافها إلى المبالغة في تعظيم المخلوقين – نسأل الله العافية والسلامة –، وهذا من أعظم الخذلان.

● التعظيم البدعي يمنع من التعظيم المشروع، ويصرف الإنسان عن الحق، وتقل رغبته فيه، وقد تنعدم، فمثلاً: الذين يعظمون أزمنة لم يأمر الشرع بتعظيمها كالليلة التي يسمونها ليلة الإسراء والمعراج أو ليلة النصف من شعبان وغيرها، ويخصونها بعبادات، فإنك تجدهم أزهد الناس في الاجتهاد في العبادة في الأزمنة التي جاء الشرع بتعظيمها وأمر بالاجتهاد فيها في العبادة كرمضان وعشر ذي الحجة وغيرها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:" ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعامٍ حاجته؛ استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة، وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه ويكمل إسلامه.

ولذا تجد مَنْ أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها؛ لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وَسِعَتْه السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع،

ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم؛ لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير ... وهذا أمر يجده من نفسه مَنْ نظر في حاله مِن العلماء، والعُبّاد، والأمراء، والعامة وغيرهم؛ ولهذا عظَّمت الشريعةُ النكيرَ على من أحدث البدع، وكرهتها ؛ لأن البدع لو خرج الرجل منها كفافاً لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً، بل لا بد أن يوجب له فساداً، منه: نقص منفعة الشريعة في حقه، إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوَّض منه..." [(١)].

● من آثار التعظيم المبتدَع: - وهو من أخطرها- الوقوع في تقديس الأشخاص والغلو فيهم، كما غلت النصارى في نبي الله عيسى عليه السلام، وكما غلت الرافضة في أمير المؤمنين علي ﵁، وكما وقع من بعض المنتسبين للإسلام من الغلو فيمن يعتقدون فيهم الولاية حتى وصل الحال بهم أن تبركوا بذواتهم وبآثارهم، وتوسلوا بهم في دعائهم، بل وترقى بهم الحال إلى أن اعتقدوا فيهم ما لايجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وصرفوا خالص حق الله تعالى لهم، فدعوهم من دون الله تعالى، واستغاثوا بهم، ونادوهم من المسافات البعيدة سائلين للحاجات، ومتضرعين لكشف الكربات، وظنوا أنهم يسمعون من دعاهم ولو بعدت المسافات، وتعددت الألسن واللغات، وهذا هو الشرك بعينه. الذي بُعث نبينا ﷺ لمحاربته وجهاد أهله، حتى يكون الدين كله لله.

ثانياً: آثار التعظيم البدعي على المجتمع:

● من آثار التعظيم البدعي على المجتمعات: التشتت والتفرق والتناحر بسبب التعصب للأفكار والأشخاص وتقديسها، وجعلِها مدار الولاء والبراء، فالمنتسب لها يوالَى، ومن لم ينتسب لها يعادَى ويتنقَص، ويُحَط من شأنه، ويؤذَى، وقد تكون التصفيةُ والقتلُ مصيرَه، ولا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٣٢٦- ٣٢٧).

شك أن التعصب لغير الحق من أخلاق أهل الجاهلية، وهو مما يفت في عضد المسلمين ويفرق جماعتهم، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم.

ومن المعلوم أن من مقاصد الشريعة اجتماع الأمة الإسلامية، ووحدة كلمتها، وترابط صفها. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢].

● في تعظيم البدع وأهلها هدم للإسلام ونقائه وسماحته، مما يؤثر على تمسك المجتمع بهذا الدين ويضعف تعظيمه في قلوبهم؛ فإن البدع يجر بعضها بعضاً، ويأخذ بعضها بحجز بعض، كما أن البدع تصد غير المسلمين عن الحق وتصرفهم عنه، كما يحصل من التعصب لبعض الشيوخ وأمرِ من يريد الإسلام بأن يسلم على مذهب فلان (١) ، أو على طريقة فلان. وفي رؤية ما يفعله الرافضة في يوم عاشوراء من ضرب أنفسهم بالسكاكين وغيرها حتى تسيل الدماء ونسبة ذلك للإسلام ما يجعل من لم يعرف الإسلام يقع في السخرية منه وانتقاصه وكراهيته.

وفي رؤية تعلق الصوفية والقبورية بالقبور، والعكوف عندها، وتقديم النذور والقرابين لها ما يصرف كثيراً من الناس عن الإسلام، ويجعله يفضل البقاء على ماهو عليه قبل؛ لظنه أن ما عليه هؤلاء هو دين المسلمين، وأنه لافرق بين ماعليه المسلمون وماهو عليه.

---

(١) انظر: رسالة هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان للمعصومي.

● من آثار التعظيم البدعي على المجتمع: تعلق الناس بأولئك المعظمين وقطع صلتهم بالله رب العالمين، فالمحبة والخوف التي لايجوز صرفها لغير الله صرفت لهم، وتربية الناس على الخنوع والذل لبشر مثلهم، فهذا الشيخ الصوفي أو الرافضي لايسأل عما يفعل وهم يسألون، وقد يتصرف في أموال الناس وفي غيرها، ولايستطيع أحد أن ينبس ببنت شفة؛ فإن تجاسر أحد وأساء الأدب، وأبدى امتعاضاً أو إنكاراً عطب في الحال [(١)].

● في تعظيم الأضرحة والقبور والغلو والإفراط في تعظيم الأولياء والصالحين نشر للشرك ووسائله في المجتمعات الإسلامية؛ فإن هذا من أعظم أسباب الشرك في القديم والحديث.

قال ابن القيم رحمه الله: " وقد آل الأمر بهؤلاء الضُّلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه: (مناسك حج المشاهد) مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقَصَدَه من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه. ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره. فمنها: تعظيمها الموقِع في الافتتان بها. ومنها: اتخاذها عيداً. ومنها: السفر إليها. ومنها: مشابهة عبادة الأصنام بما يفعل عندها، من العكوف عليها، والمجاورة عندها. وتعليق الستور عليها، وسدانتها، وعبّادها يرجِّحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لِقَيِّمِها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها. ومنها: النذر لها ولسدنتها. ومنها: اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف، إلى غير ذلك. ومنها: الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، ومنها: الشرك الأكبر

---

(١) انظر الأمثلة على ذلك في: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١٩٣/٢- ١٩٦.

الذي يفعل عندها. ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم بما يفعل عند قبورهم. ويكرهونه غاية الكراهة...[(١)] .

● في تعظيم القبور والأضرحة والمزارات المبتدعة نشر للبطالة والفقر في المجتمعات المسلمة، والقضاء على طاقات كان يمكن أن تكون فعالة ومثمرة لو كانت في مجال نافع للأمة؛ وذلك بسبب انصراف كثير من الشباب إلى سدانة القبور والأضرحة والقيام عليها، وكذلك المزارات المبتدَعة، وبسبب صرف كثير من الأموال إلى تلك الأضرحة تقرباً إلى أصحابها.

● من أسباب تفشي الانحلال الخلقي في بعض المجتمعات الصوفية: ضعف تعظيم الله تعالى في نفوس العباد، وفي المقابل حصول الغلو في تعظيم بعض الشيوخ من الصوفية وغيرهم وتقديسهم، الذين يهونون للناس فعل المعاصي برؤية أولئك الشيوخ وهم يمارسونها، وتأويل مايقع منهم بأنه ليس على ظاهره، وإنما الشيخ في الواقع يفعل كذا وكذا، ومن أسباب ذلك أيضاً: الوعود والضمانات الصوفية بأن أتباع الشيخ ومن على طريقته من أهل الجنة، وأن الكبائر لاتضرهم، وأن الشيخ لن يتخلى عنهم، ولن يتركهم حتى يلجوا باب الجنة، فهذا مما يدعو إلى الانحراف والإغراق في الشهوات المحرمة والانحلال الخلقي، والعياذ بالله[(٢)] .

● من أسباب فشو الجهل في بعض المجتمعات الإسلامية: عدم تعظيم العلم والعلماء واحتقارهما والزهد فيهما، بل والدعوة إلى نبذ العلم والعلماء والإعراض عنهما، وللطرق الصوفية أثر في انحراف الناس عن العلم فإن تسمية علماء الشريعة بعلماء الظاهر وعلماء القشور وتسمية أنفسهم بعلماء الباطن وعلماء الحقائق- كما تقدم- ودعوى أخذ العلم بواسطة الكشف الصوفي وغير ذلك أثمر انصراف كثير من الناس عن العلم الشرعي وأهله وشقاوتهم بالجهل.

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٩٧.

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/٤٥١- ٤٥٦ .

● إن ترك تعظيم صدر هذه الأمة من الصحابة ﷺ والطعن فيهم؛ فصل للأمة عن ماضيها ومجدها التليد الذي بناه أولئك الأخيار من الرعيل الأول، وتنكرٌ لذلك الجيل الذي اصطفاه الله تعالى واختاره لنصرة دينه ونبيه ﷺ والجهاد معه، وحمل رسالة الإسلام من بعده، فإنْ طُعن فيهم وتُنِقصوا فمن يكون موضع القدوة للأمة إذاً؟.

● ترك تعظيم الأمراء والسلاطين التعظيم المشروع يسبب فساداً كبيراً؛ فإن ترك تعظيمهم واحترامهم يقلل هيبتَهم في النفوس وودَّهم في القلوب، ويسبب الخروجَ عليهم ونزعَ طاعتِهم وعصيانَهم، ومفارقةَ جماعة المسلمين، وهذه من الأمور الخطيرة التي عظمت الشريعة أمرها، وبينت جليل خطرها، وهو باب شر عظيم، إذ بهذا ينعدم الأمن، وتضطرب أحوال الناس، ويُفتح المجال أمام أعداء الأمة في الداخل والخارج ليتسلطوا على المسلمين، وينتزه المجرمون الفرصة ليعبثوا في الأعراض، ويسفكوا الدماء، وينهبوا الأموال إلى غير ذلك من المفاسد العظيمة التي كان بدايتها الطعن في الأمراء وترك توقيرهم واحترامهم، ومعظم النار من مستصغر الشرر. ولقد صدق سهل التستري رحمه الله حين قال: " لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم "[١].

● إن تعظيم الكفرة والمنافقين والمبتدعة وتبجيلهم وتقديمهم من دواعي الفتنة بهم، ومما يسبب تعلقَ الناس بهم وانصرافَ أنظارهم إلى أولئك الكفرة أو المبتدعة، وتأثرَهم بما هم عليه، كما أن تعظيمهم داع إلى موالاتهم ومحبتهم والتشبه بهم، بل وإلى موافقتهم فيما هو من خصائصهم؛ وهو مما يمنع التمايزَ بين المسلم والكافر والسني والمبتدِع، فينفتح بذلك شر خطير على الأمة.

وهو من دواعي بقاء أولئك الكفرة أو المنافقين أو المبتدعة على ماهم عليه من كفر أو نفاق أو بدعة، وعدم توبتهم منه.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٥١/٥.

الخاتمة

أحمد الله تعالى وأشكره على ما من به علي من إكمال هذا البحث في هذا الموضوع المهم، فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

وأسأل ربي أن يكون نافعاً لي ولقارئيه وللمسلمين جميعاً، وأن يغفر لي ماكان من خطأ وزلل.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أمور منها:

- أهمية دراسة مسألة التعظيم وبيان الحق من الباطل فيها.
- أن كثيراً من الأمم انصرفوا عن دينهم بسبب الخلل في التعظيم.
- أن منشأ الخطأ في الاعتقاد عند غالب المنتسبين للإسلام هو الخلل في فهم التعظيم.
- أن تعظيم من أمر الشرع بتعظيمه من أجل القربات وأعظم العبادات.
- التعظيم الشرعي هو: معرفة قدر الشيء الذي جاء الشرع بتعظيمه وتبجيله، والقيام بما أوجبه تجاه ذلك الشيء.
- التعظيم الممنوع هو: تبجيل وتفخيم من لم يرد الشرع بتعظيمه، أو الزيادة في ذلك على ما ورد به الشرع.
- هناك مصطلحات قريبة من التعظيم، ويحصل أن يُستعمل بعضها مرادفة للتعظيم.
- أن للتعظيم ضوابط في الشرع تمنع من الخطأ فيه.
- تتجلى وسطية أهل السنة في الاعتقاد في كل مسألة من مسائل التعظيم، فهم وسط في جميع الأمور.
- كثرة الأدلة التي تدل على وجوب تعظيم الله تبارك وتعالى لما لذلك من أثر على إيمان الشخص وسعادته في الدارين.
- أن أقصى التعظيم ومنتهاه وهو العبادة حق لله تعالى وحده.
- أن الله تعالى أمر بتعظيم بعض المخلوقات وتبجيلها ومعرفة عظيم قدرها، فتعظيمها من تعظيم الله تعالى لكونه هو الذي أمر به، وهناك فروق كثيرة بين ما جاءت به الشريعة

من تعظيم للخالق وتعظيم للمخلوق.

- قيام الدين أصوله وفروعه على تعظيم الله تعالى وإجلاله والذل له والخضوع.
- هناك أسباب تجلب للعبد تعظيم الله تعالى وتثمر إجلاله سبحانه.
- من تعظيم الله تعالى: إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه مع إثبات كمال الضد له تعالى.
- من الواجب تجاه نصوص الصفات تعظيمها بإمرارها كما جاءت واعتقاد ما دلت عليه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.
- كل أسماء الرب تعالى وصفاته عظيمة وكاملة لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه.
- الراجح هو أن الاسم الأعظم مخفي في الأسماء الحسنى ليجتهد العباد في طلبه.
- أن عظمة المخلوقات دليل على عظمة الله تعالى؛ فمعطيها العظمة أولى بها.
- من تعظيم الله تعالى نفي مماثلته لأحد من خلقه، واعتقاد أنه ليس كمثله شيء.
- أن نفي الصفات أو اعتقاد مشابهتها لصفات المخلوقين من أعظم التنقص لله تعالى، وتنافي تعظيمه.
- من تعظيم الله ﷻ إفراده بالربوبية، واعتقاد أنه تعالى رب كل شيء وخالقه ومالكه ومدبره، والبعد عن كل ما يمس جناب الربوبية، وهي أشياء كثيرة مثل: الإلحاد ونفي وجود الله، وسبه، ومساواة غيره به، والشرك، والكهانة.
- أن تعظيم الله تعالى هو روح العبادة، وما سميت العبادة بهذا الاسم إلا لتضمنها للتعظيم والإجلال والخضوع والذل.
- هناك أفعال تتنافى مع تعظيم الله تعالى بإخلاص العبادة له؛ كالشرك الأكبر، والرياء والسمعة، وإرادة الدنيا بالعمل الصالح.
- من تعظيم الله تعالى دعوة الناس إلى دين الله مع الإخلاص لله ﷻ والمتابعة لرسول الله ﷺ.
- من الأمور المؤثرة في المدعوين التركيز على تعظيم الله تعالى في نفوسهم لينقادوا لدينه

وشرعه.

- يكون تعظيم الله تعالى بأعمال القلوب، وهي أهم الأعمال وأساسها والمحركة لغيرها، ويكون بقول اللسان وبعمل الجوارح.
- أن الشرك في العبادة يتضمن تنقص الله تعالى والاستخفاف بعظمته وتشبيهه بخلقه، شاء المشرك أم أبى.
- من تعظيم الله تعالى تعظيم شرعه ودينه بالاستقامة عليه واعتقاد كماله وفضيلته على غيره من الشرائع، وأنه هو المصلح لشؤون الناس دون غيره من الملل البشرية والقوانين الوضعية.
- أن الابتداع في الدين والإحداث فيه يتضمن تنقص الشريعة والاستدراك عليها، كما يلزم منه اعتقاد نقصها وعدم اكتمالها.
- من تعظيم الكتاب والسنة أخذ العقيدة منهما، والتحاكم إليهما في الأصول والفروع.
- وجوب تعظيم الأوامر والنواهي الإلهية، وأن ذلك من تعظيم الآمر الناهي سبحانه.
- وجوب تعظيم الملائكة عليهم السلام وإجلالهم والإيمان بهم والبعد عن كل ما يؤذيهم.
- وجوب تعظيم الكتب الإلهية والإيمان بها، والبعد عن إهانتها والاستهزاء بها والإعراض عنها.
- وجوب تعظيم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإجلالهم والبعد عن الاستهزاء بهم أو تكذيبهم والكفر بهم.
- ليس من تعظيم الأنبياء عليهم السلام الغلو فيهم، ولا صرف شيء من خصائص الألوهية والربوبية لهم؛ بل إن ذلك في الحقيقة تنقص لهم، وتنقص لمرسلهم سبحانه.
- تعظيم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بالإيمان به، واعتقاد عموم رسالته، واتباع سنته، وتوقيره، ونصره.
- وجوب تعظيم اليوم الآخر بالإيمان به، والاستعداد له، وخشيته، والبعد عن

الاستخفاف والكفر به، أو إنكار شيء مما يكون فيه مما ثبت بالنصوص.

• وجوب تعظيم القدر الذي هو فعل الله تعالى، وتنزيهه عن أن يكون شراً.

• يجب الاقتصار على تعظيم ما عظمه الشرع من الأزمنة والأمكنة، ولا يجوز قياس غيرها عليها.

• يعظم الرافضة عدداً من البلدان؛ كالكوفة وقم والنجف، ويفضلونها على ما ثبت في الشرع تعظيمها؛ كمكة والمدينة.

• يعظم الرافضة والصوفية قبور الأولياء والصالحين، ويفعلون عندها من العبادات ما يجعلها تضاهي المشاعر المقدسة؛ فتجدهم يطوفون حولها، ويعكفون عندها، ويتركون بمائها، ويحلقون رؤوسهم، ويذبحون قرابينهم بفنائها.

• يجب تعظيم صحابة رسول الله ﷺ باعتقاد فضلهم، ومحبتهم، وعدم الغلو فيهم، والسكوت عن زلاتهم، وعما شجر بينهم، وباتباعهم والاقتداء بهم.

• يجب تعظيم أهل بيت رسول الله ﷺ باعتقاد فضلهم، ومحبتهم، وتوقيرهم، والصلاة عليهم، وترك الغلو فيهم.

• أهل السنة والجماعة قاموا بواجب الصحابة وآل البيت جميعاً؛ فوالوهم وأحبوهم جميعاً، واتسعت صدورهم لذلك، متمسكين بما أمرهم الله ورسوله به تجاه الصحابة وآل البيت جميعاً.

• يجب تعظيم ولاة أمور المسلمين من العلماء والأمراء وتقديرهم ومعرفة مكانتهم.

• يجب تعظيم الأولياء والصالحين بمحبتهم، والتصديق بما ثبت من كراماتهم، وعدم الغلو فيهم.

• وقع كثير من المنتسبين للإسلام في التعظيم الممنوع للأولياء والصالحين، حيث أفرطوا في تعظيمهم، ووقعوا في الغلو فيمن يظنون فيهم الولاية، وهذا حدث في الأمة من الرافضة والصوفية، وتأثر بهم كثير من الجهلة.

• يجب تعظيم وإجلال عموم المسلمين لإسلامهم؛ بالنصيحة لهم، وموالاتهم ومحبتهم، وإلانة الجانب لهم، وتعظيم حرماتهم، وإكرام ذوي الفضل منهم، وعدم تكفير المسلم بغير

دليل شرعي.

● حذّر الشرع من تعظيم الكفرة والمنافقين ومن تعظيم الفساق من المسلمين.

● للتعظيم الشرعي آثار حميدة كثيرة على الفرد والمجتمع، بينما التعظيم الشركي البدعي بعكس ذلك.

التوصيات:

أوصي في ختام هذا الرسالة الباحثين في الأقسام العلمية المتخصصة في العلوم الشرعية والدعاة والخطباء والمربين بأمور:

● أن تكون هناك دراسات متخصصة مستفيضة في الأقسام العلمية تُعنى ببيان كيفية التعظيم الشرعي لكل ما أَمر الشرع بتعظيمه، ودراسات متخصصة في التحذير من التعظيم البدعي والشركي.

● لا يخفى أن الإلحاد قد استشرى في كثير من البقاع، بل ووصل إلى عقر ديار الإسلام، فلا بد من التركيز على غرس تعظيم الله تعالى في النفوس؛ فإن لذلك الأثر الكبير في الوقاية منه، بل والعلاج أيضاً بإذن الله تعالى.

● كما أن الاهتمام من الباحثين والدعاة والخطباء والمربين بمسألة تعظيم الله تعالى وشرعه وأمره ونهيه، وبث ذلك في الناس؛ له أثر كبير في الاستقامة والبعد عن معاصي الله تعالى والسقوط في مستنقع الشهوات المحرمة.

● كما ينبغي التركيز على بيان التعظيم الشرعي للصحابة وآل البيت رضي الله عنهم، حماية للمجتمعات الإسلامية من خطر الرافضة الذين عظم نشاطهم في هذا العصر في الدعوة إلى عقائدهم الفاسدة، ومنها: الطعن في الصحابة، والغلو في آل البيت.

● كما أنه ينبغي التركيز على بيان منزلة علماء الشريعة ومكانتهم في الدين، وبيان لزوم الرجوع إليهم، والصدور عن فتاويهم، وبيان حقوقهم على عامة المسلمين، لما نشاهده في عصرنا من الاستخفاف بالعلماء والقدح فيهم، واستهجان استفتائهم وسؤالهم.

● كما ينبغي التركيز على بيان الحقوق الواجبة لأمراء المسلمين وحكامهم؛ فلو عرف

كثير ممن ضلوا في هذا الباب مكانة الأمراء في الشريعة الإسلامية، والنهي عن الطعن فيهم، والخروج عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لما وقع كثير من شباب المسلمين اليوم فيما وقعوا فيه مما لانزال نرى آثاره السيئة على بعض المجتمعات المسلمة تزداد يوماً بعد يوم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.